

الْجَائِزُ

فِي أَخْبَارِ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ وَأَشْأَارِهِ

الْفَتْهُ
مُحَمَّدُ سَلِيمُ الْمُجَنْدِي

الْجُزْءُ الثَّانِي

مُطْبَعَةُ وَاشْرُقْ عَلَى طَبْعِهِ
عَبْدُ الْهَادِي هَاشِم

دار صبادر
بيروت

الناشئ

مطبوعات مجتمعة اللغة العربية بدمشق

الجامع

في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره

الفه

محمد سليم الجندى

الناشر
الجزء الثاني

علق عليه واشرف على طبعه

عبدالحادي هاشم



دار صادر
بيروت

الناشور

الجامع
في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى دمشق ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م
الطبعة الثانية بيروت ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

طبع بإذن من للجمع العلمي العربي بدمشق
رقم ٥٠٤/ص بتاريخ ١٩٩١/١٢/٨

الناتج



ص.ب. ١٠ بيروت ، لبنان / فاكس : ٩٢٠٩٧٨-٠٤
هاتف : ٩٢٨٢٧١-٠٤ ، ٤٨٨٢٧-٠١ ، ٤١٣٢٥٦-٠١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الناشور

ثقافة أبي العلاء ومصادرُها

كل ما سمح لنا به التاريخ لم يوضح لنا حقيقة أبي العلاء العلمية ، ولم يبين مبلغه من العلم ، ولا منزلته من كل فن . وكل ما ذكر في هذا الباب موجز مجمل ، ولكن ما وقع في كلامه الذي انتهى إلينا يدل - على أنه كان جامعاً لعلوم شتى ، متمكناً في كل منها ، ولذلك استطاع أن يتصرف في مسائلها ، ويخضع كثيراً من مصطلحاتها وأحكامها فيما أراده من الأغراض من إشارة وتلميح وتورية واستنباط أمثال وحكم ونحو ذلك من النكت المنثورة في أضعاف سطوره ؛ ولو جاءنا كل ما قاله وكتبه لرأينا أدباً غزيراً ، وعلماً جثاً ، وخيالاً واسعاً ، وعبقريّة فذة ، وثقافة عالية لا تضاهي . على أن القدر الذي أتيج لنا الوقوف عليه من كلامه يدل على علم واسع ، وأدب وافر ، يجعلانه أمة وحده ، لأننا لم نر في رجال العرب ونوابغهم من اجتمع له من سعة الحفظ والاطلاع على مسائل العلم والأدب والحكمة مثل ما اجتمع لأبي العلاء ، ولا من استطاع أن يخضع العلم للشعر والأدب مثل ما استطاع ، ولو تأخر أبو نواس عنه لقال فيه :

وَلَيْسَ لِلّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ^(١)

وإذا استمعى علينا الاستقصاء والاستيعاب ، فلأننا نذكر على سبيل الإجمال ما قاله العلماء والمؤرخون وما استنبطناه من كلامه في العلوم التي كان

يعلمها ، ونستمد من كلامه ما فؤيد به كلامنا . وربما ذكرنا بعض شيوخه الذين تلقى عنهم تسميماً للفائدة .

القراءة

قال ابن العديم : « قرأ [أبو العلاء] القرآن العظيم بكثير من الروايات على شيوخ يشار إليهم في القراءة ، ذكر ذلك الحافظ الصلّفي بعد أن ذكر جماعة أدركهم من أصحابه ^(١) » . ولم يذكر أحداً من أوائل الشيوخ . وفي كلام أبي العلاء كثير من الألفاظ التي اصطّلع عليها القراء مثل قوله ^(٢) :
فَإِنْ تَقِفِ الْحَوَادِثَ دُونَ نَفْسِي فَمَا يَتْرُكُنْ لِشَمَامِي وَرَوْمِي

. . .

وقوله ^(٣) :

خَفَفِي الْهَمْزَ فِي النِّوَابِ عَنِّي وَأَحْمِلْنِي عَلَى قِرَاءَةِ وَرْشٍ

ونقل في (لسان الميزان ج ١ ص ٢٠٤) عن الصّلفي أنه قرأ القرآن بروايات . وفي (مسالك الأبصار) : « قرأ القرآن [العظيم] بالروايات

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء . ص ٥١٤-٥ عن الانصاف - لابن العديم ، وفي الخبر الذي أورده المؤلف اختلاف يسير عما ورد في الانصاف .

(٢) الزرويات ٥ ص ٢٥١ والاشتمام : أشم الحرف : أذانه الضمة أو الكسرة بحيث لا تدفع ولا يتدحيا . والروم : حركة صوتية مغلقة مخففة وهي أكثر من الاشتمام لأنها تسع . ١٠ عن القاهوس .

(٣) الزرويات ٥ ص ٣٢٨ . وورش : لب عثمان بن سعيد المغربي . التوفى سنة ١٩٧ هـ .

على جماعة من الشيوخ^(١) . ولم يحصر واحد منهم تلك القراءات بعدد معين ، وقد حصرها أبو العلاء بقوله^(٢) :

بِعَشْرٍ وَأَيَّاتٍ قَرَأْتُ وَصَاحِبِي بَعِثَرَيْنِ مَا فِيهَا ادْعَامٌ وَلَا نَبْرُ

. . .

وقوله^(٣) :

خَمْسًا وَعَشْرًا أَجَاؤُوا فِي قِرَاءَتِهِمْ وَوَفَرُوا الْمَالَ مِنْ خُمْسٍ وَمِنْ عَشْرِ

وفي (رسالة الملائكة^(٤)) ذكر قراءات فوق الأربع عشرة ، وسيأتي أن له كتابا يعرف بـ (تنظم السور) يتكلم فيه على لاث سور القرآن ، وتنظم كل سورة بمن قرأها بالشواذ ، ويتعرض لوجه الشاذ .

الحديث

ذكرنا فيما سبق طائفة من شيوخه الذين روى عنهم الحديث ، وقد نقل في (لسان الميزان) عن السلفي أنه « سمع الحديث بالشام على ثقات^(٥) » ولكنه لم يذكر واحدا منهم . وذكر ابن العديم^(٦) أنه خرج من حديث أخيه أبي الهيثم سبعة أجزاء رويت عنه وكانت عند ابن العديم . وروى

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٢٢ عن مالك الأجار - لعمري .

(٢) الزويات ص ١١٨ .

(٣) الزويات ص ١٥٠ .

(٤) رسالة الملائكة تحقيق المؤلف الصفحات ١٨٥—١٩٥ و ٢٠٠—٢٢٢

(٥) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣١٤ عن لسان الميزان - لابن حجر .

(٦) للمصنف السابق ص ٥١٦ - ٧ عن الاضاف - لابن العديم .

له حديثاً عن أبيه ، وحديثاً عن جده ، وحديثين عن أبي زكريا يحيى بن مسعر ، وحديثاً عن أبي الفتح محمد بن الحسين بن روح .

وقال الذهبي : « وقد سمع الحديث بالمرة غالباً من يحيى بن مسعر التنوخي عن أبي عروبة الحراني »^(١) . وقال في (البغية) : « حدث عن أبيه وجده . . . وقد أسندنا حديثه في الطبقات الكبرى . وله ذكر في جمع الجوامع »^(٢) . وروى له حديثاً فيه ، رواه عن يحيى بن مسعر عن أبي عروبة بن أبي معشر الحراني (البغية ١٢٦ و ٤٥١) . وقال ابن حجر في (لسان الميزان ج ١ ص ٢٠٤) : « سمع من يحيى بن مسعر صاحب أبي عروبة جزءاً من أبي الفتح محمد بن الحسين صاحب خيثة ، وصار على تصانيفه » . وقال السمعي : « سمع الحديث اليسير ، وحدث به »^(٣) « وسيأتي أن له كتاباً فيه أمالي من حديث رسول الله ﷺ عن شيوخه ، وهو سبعة أجزاء . سبع كراريس (كذا في ابن العديم) . وقال في (رسالة الغفران ص ١٧٦) : « وفي حديث آخر ، وقد سمعته بإسناد : أن تميم بن أوس الداري [- والدار قبيلة من لخم -] كان يهدي إلى النبي ﷺ في كل سنة راوية من خمر ، فجاء بها في بعض السنين وقد حرجت الخمر ، فأراقها ، وبعض أهل اللغة يقول : فبعها . . »^(٤) .

(١) تعريف القدماء بأبي اللاص ١٩١ عن تاريخ الاسلام - الذهبي .

(٢) تعريف القدماء بأبي اللاص ٣٣٢ ، ٣٣٤ عن بنية الوعاة - السيوطي .

(٣) تعريف القدماء بأبي اللاص ١٣ عن الأنساب - السمعاني .

(٤) الرسالة نجيب بنت الشاطي ط ١ ص ٤٦٤ ، وبها : سبها .

وقال في الزوم (١) :

أَقْدَ اتُوا بِحَدِيثٍ لَا يُثَبِّتُهُ عَقْلُ فَقَائِنَا: عَنْ آيِ النَّاسِ يَخْكَوْنَهُ
فَأَخْبَرُوا بِأَسَانِيدٍ لَهُمْ كُذِّبَ لَمْ تَخْلُ مِنْ ذِكْرِ شَيْءٍ لَا يَزْكَوْنَهُ

. . .

وقال في الزوم (٢) :

جَاءَتْ أَحَادِيثُ إِنْ صَحَّحَتْ فَإِنْ لَهَا شَأْنًا وَلَكِنْ فِيهَا ضَعْفٌ إِنْ سَادَ
والحديث والإسناد والضعف والصحة من مصطلح أهل الحديث .

علم الكلام أو العقائد

لم نقف على كتاب لأبي العلاء خاص بعلم الكلام أو العقائد ، وإنما
يتراءى في كلامه ما يدل على اطلاعه على مذاهب العلماء في الكلام والجدل ،
وتقصيه آثارهم ، وانتقاده كثيراً من آرائهم وكتبهم ، ونحو ذلك مما
سيأتي ، كقوله (٣) :

وَمَا جَدَلُ الْأَقْوَامِ إِلَّا تَعَلُّةٌ مُصَوَّرَةٌ مِنْ بَاطِلٍ وَتَوَهُمٍ
وقوله (٤) :

لَوْلَا التَّنَافُسُ فِي الدُّنْيَا لَمْ تُضَعَفْ كُتُبُ التَّنَاضُحِ لَا الْمَغْنَى وَلَا الْعَمْدُ

(١) الزوميات ص ٢٦٦ .

(٢) الزوميات ص ١١٠ .

(٣) الزوميات ص ٢١٤ .

(٤) الزوميات ص ٩٢ والحد : كتاب القاضي عبد الجبار من رؤساء المعتزلة .

وقوله (١) :

وَأَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ الْمُتَعَلِّمِ هَازِلٌ بِأَصْحَابِهِ وَالْبَاقِلَانِيُّ أَهْوَلُ

الضم

ذكر ابن المديم أن « أكثر قضاء المعرة وفضلها وعلماؤها وشعراؤها وأدباؤها من بني سليمان [وهو سليمان] بن داود بن المطهر (٢) » ، وكانت الفتاوى في بيتهم على مذهب الشافعي — رضي الله عنه — أكثر من مائتي سنة في المعرة . وقد ذكرنا أن قول أبي العلاء :

قَدْ تَنِي الْفُتْيَا فَتَوَجَّحْنِي عَدَا تَاجَا بِإِعْفَائِي مِنَ الثَّقَلِيدِ (٣)

يدل على أنه قد التفتا . وأنا لا أعلم إن كان أبو العلاء احتذى على مثال آباؤه في اتباع مذهب الشافعي أم لا بعد قوله :

وَيَنْفِرُ عَقْلِي مُغْضَبًا إِنْ تَرَكْتُهُ سُدَى وَاتَّبَعْتُ الشَّافِعِي وَمَالِكًا (٤)

وأمثاله بما ذكرناه في الكلام على عقيدته . على أن في شعره ما يدل على سعة اطلاعه على الفقه ، ووفرة نصيبه منه ، فمن ذلك قوله :

تَقْنَعُ مِنَ الدُّنْيَا بِلَمْحٍ فَإِنَّهَا لَدَى كُلِّ زَوْجٍ حَائِضٌ مَالُهُ أَطْهَرُ (٥)

(١) الزوبيات ٥ ص ١٩٥ وابن المديم : هو أبو إسحاق بن الملم من شيوخ المتزلة .

والباقلاني : هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني .

(٢) تعريف النساء بأبي العلاء ص ٤٨٩ عن الإصناف والصري .

(٣) الزوبيات ٥ ص ١١٤ .

(٤) الزوبيات ٥ ص ١٨٥ .

(٥) الزوبيات ٥ ص ١١٨ .

مَتَى مَا تَطَلَّقْ تُغَطِّمَهَا وَإِنْ تَزِدْ فَتَنْفُسُكَ بَعْدَ الدِّينِ وَالرَّاحَةِ الْمَهْرُ

. . .

وقوله :

فَمِنْ مُحْرِمٍ لَا يَحْرُمُ الْعَلَقُ الطُّبَا وَمِنْ مُحْرِمٍ أَظْفَارُهُ لَا تُقْلَمُ^(١)

. . .

وقوله :

وَمَا زَالَ شَرْطُ يُفْسِدُ الْبَيْعَ وَاحِدٌ فَمَا بِهِ لَمَّا تَطَاهَرَ شَرْطَانِ^(٢)

. . .

وقوله :

قَرْنٌ بِحَجٍّ عُمرَةٌ وَقَرَيْنَتَانِ غَرَامًا قَاهٍ مِنْ قَوَارٍ قَوَارِنِ^(٣)

. . .

وقوله :

تَخُونُ أَمِينَكَ دِينَارُهُ وَفِي رُبْعِهِ يُقْطَعُ السَّارِقُ^(٤).

. . .

(١) الزوبيات ٥ س ٢٢٩ .

(٢) الزوبيات ٥ س ٢٧٢ .

(٣) الزوبيات ٥ س ٢٧٣ ، ولقوار : مفردا قارية وهي التي تعري الضيف أي تكرمه ، ولقوارن : مفردا قارنة وهي التي تترن حبا بسرة .

(٤) الزوبيات ٥ س ٣٠٢ .

وقوله :

وَجِسْمُ الْمَرْءِ لِلْأَعْرَاضِ رَبِيعٌ فَهَلْ زَكَاةُ تَزَكِيَةِ الْعُرُوضِ^(١)

...

وقوله :

غَلَّتِ الشُّرُورُ وَلَوْ عَقَلْنَا صَيَّرَتْ دِيَّةُ الْقَتِيلِ كَرَامَةٌ لِلْقَاتِلِ^(٢)

وأبياته التي قالها في أبي حامد الإسفرائيني التي يقول فيها :

وَرُبُّ ظَهْرٍ وَصَلَّنَاهَا عَلَى عَجَلٍ بِعَصْرِهَا فِي بَعِيدِ الْوَرْدِ لِمَاعٍ^(٣)...

والظاهر من أقواله : إن يد السارق تقطع بربع دينار ، وُرُبُّ ظَهْرٍ وصلناها . . بعصر . وقوله : وغسل طمري سبعا . وما أشبه ذلك ، كل هذا يدل على أنه كان متفقاً على مذهب الشافعي ، لأن في مذهب أبي حنيفة تقطع يد السارق بعشرة دراهم ، ولا يجمع بين الظهر والمصر إلا في مِئَةِ ، ولا يفصل من شيء سبعا وجوبا .

الفرائض

وفي كلامه ما يدل على تمكنه من علم الفرائض ، كقوله :

وَلَمْ أَرِثِ النِّصْفَ الْفَتَاةَ وَلَمْ تَرِثْ

بِالرَّابِعِ بَلْ رُبْعٌ كَطَّاءِلَ أَوْ خِمْسٍ^(٤)

...

(١) الزوبيات ٥ ص ٢٨٩ .

(٢) الزوبيات ٥ ص ٢٢١ .

(٣) هروح سط الزند ، ق ٢ ص ٧٤٦ .

(٤) الزوبيات ٥ ص ٣٠٩ والربع والخمس بالكسر : مدد إظهار الإبل .

وَالْأُمُّ بِالسُّنْدِسِ عَادَتْ وَهِيَ آزَافٌ مِنْ
بِنْتِ لَهَا النِّصْفُ أَوْ عَرَسَ لَهَا الرَّبْعُ^(١)

. . .

هِيَ الدُّنْيَا إِذَا طُلِبَتْ أَهَانَتْ وَعَالَتْ وَالْفَرِيضَةُ ذَاتُ عَوَلٍ^(٢)

. . .

الرَّبْعُ لِلزَّوْجَةِ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَسْلٌ وَإِنْ كَانَ عَدَتْ بِالثَّمَنِ^(٣)
وَالزَّوْجُ يَزْوِي النِّصْفَ أَبْنَاؤُهُ عَنْهُ وَفِي الدَّهْرِ خُطُوبٌ كَمَنْ

النحو

ألمنا فيما سبق الى أن علماء النحو في العصر السابق كانوا فريقين :
'كوفيين وبصريين . وقد نبغت بعدهم طائفة أرادت أن تجمع بين المذهبين ،
وتستخلص مذهباً وسطاً ، وأن القرن الرابع الذي أظل أبا العلاء انتشرت
فيه آراء وكتب لعلماء مختلفين . ويظهر من أقوال أبي العلاء أنه اطلع
على كثير منها ، وربما كانت عنايته ببعضها أشد منها في بعض آخر .

منها : (كتاب سيبويه) ويظهر من رسالة كتبها الى أبي طاهر المشرف
ابن سبيكة ، وهو بغداد ، أنه سأله أن يحصل له على نسخة من

(١) الزوحيات ٢ ص ٢٨٢ .

(٢) الزوحيات ٢ ص ٢١٩ والمول : عات الفريضة في حباب الارث ، زادت .

(٣) الزوحيات ٢ ص ٢٨٥ .

(كتاب سيويه)^(١) ويدل على أنه اطلع عليه ما ذكره في (رسالة الففران ص ٣٥) من أن ابن القارح سأل نابغة بني جمدة : « كيف تنشد قولك :

فَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ تَرُدَّهَا صَحَّاحًا ، وَلَا مُسْتَنَكِرًا أَنْ تُعَقِّرَا

أقول : ولا مستنكراً ، أم ولا مستنكر ؟ فيقول الجعدي : بل مستنكر [أ] .

فيقول الشيخ : فإن أنشدكم منشد : مستنكر ، فما تصنع ؟ قال : أزجره وأزبره ، نطق بأمر لا يخبره ، فيقول الشيخ : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما أرى سيويه إلا وهم في هذا البيت^(٢) ... « وسيويه ذكر هذا البيت في (كتابه ج ١ ص ٣٢) وأجاز فيه ، مستنكر ، وبين وجه ذلك . وذكر في (رسالة الففران ص ٢٦) قول عدي بن زيد :

أَرْوَاحٌ مُودَّعٌ أَمْ بُكُورٌ أَنْتَ فَانْظُرْ لِأَيِّ أَمْرٍ تَصِيرُ

وأن سيويه يزعم أن « أنت » يجوز أن ترفع بفعل مضمر يفهمه قولك « فانظر ... » وأن عدياً يقول : دعني من هذه الاباطيل^(٣) . وهذا البيت ذكره سيويه في (كتابه ج ١ ص ٧٠) وقد وصف كتاب سيويه بالخزونة في (رسالة الففران ص ١٨٥)^(٤) .

ومنها : (شرح كتاب سيويه) لأبي سعيد السيرافي ، فإن أبا العلاء كتب رسالة إلى أبي طاهر أن يحصل له على نسخة من الكتاب وشرحه ،

(١) انظر رسائل أبي العلاء للمري - شاهين عطية - ص ٨٦ .

(٢) انظر الرسالة تحقيق بنت الساطي ط ١ ص ١٠٠ وفيها : « وليس ... » و : « بل مستنكراً » و : « ما عصى به » . و : « فيقول : أزجره ... » .

(٣) انظر الرسالة تحقيق بنت الساطي ط ١ ص ٧٦ .

(٤) الرسالة تحقيق بنت الساطي ط ١ ص ١٨٩ .

وفها يقول : « أما الشرح ، فإن سمح به القدر ، وإلا فهو هدر ^(١) » .
 وكتب إلى أبي عمرو الإستراباذي كتاباً في أمر هذا الشرح ،
 والظاهر أنه أصاب عناء في تحصيل الشرح ، وكتب إلى أبي العلاء يخبره
 بذلك ، فقال له في جوابه : « كان أيسر من عنائه في ذلك قذف الشرح
 في سيج ، حتى يُعشبَ خدٌّ مُريح .. إنما هو أفانين كلام أصبح وهو
 مجموع ، القيس فيه والمموع ، لا يخلد من رواه ، قد عاش الناس بسواه ..
 ولا أقرأ لكتاب أبي سعيد : ﴿ أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ..
 والكتاب أيسر وأقل من أن يكلف خطوات ، ولو كن كديب
 القَطَوات ^(٢) ... » .

وقد ذكر في (رسالة الغفرات ص ١٠٩ ^(٣)) البتين النسوبين
 لآدم ومها :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْنَا قَوَّجَهُ الْأَرْضِ مُغْبَرٌ قَبِيحٌ
 تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي لَوْنٍ وَطَعْمٍ ^(٤) . وَقَلَّ بِشَاشَةِ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ .
 وأن أبا سعيد ذكر وجها لجعل البيت الثاني خالياً من الإقواء ، وهو
 أن ينشد :

وَقَلَّ ^(٥) بِشَاشَةِ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ

-
- (١) رسائل أبي العلاء - شاهين عطية - ص ٨٦ .
 (٢) رسائل أبي العلاء طبة مرغليوت ص ٣٨ - ٣٩ ، ولم ترد هذه الرسالة في
 رسائل أبي العلاء - لشاهين عطية والآية من سورة فصلت ٤٤/٤٧ .
 (٣) انظر الرسالة تحفيق بنت الشاطي ط ١ ص ٢٨٣ .
 (٤) في النفران - بنت الشاطي - : « وأودى ربهم أهلها فبانوا وزال ... » .
 (٥) في المصدر السابق : « وزال ... » .

على تقدير « بشاشة » بفتحين ، واستشهد لحذف التنوين ، فقال أبو العلاء :
« قلت أنا : هذا الوجه الذي ذكره أبو سعيد شر من إقواء عشر مرات
في القصيدة [الواحدة] » .

وقد بينا أن القرن الرابع نبغت فيه طائفة من أعلام الأمة في النحو ،
كأبي سعيد السيرافي ، وأبي علي الفارسي ، وابن خالويه وغيرهم ، من
انتهت إليهم رئاسة علم النحو . ولكن أبا العلاء لم يلق أحداً منهم ، ولم
ياخذ عن أحد بالذات ، وإنما اطلع على آثارهم وآرائهم في كتبهم .
وقد قدمنا شيئاً عن أبي سعيد السيرافي . وذكر في (رسالة الغفران
ص ٥٧ ^(١)) أن يزيد بن الحكم أنكر على أبي علي الفارسي رفع
الماء في قوله :

وَحَيْرُكَ عَنِّي مَا رَتَوَى الْمَاءُ مُرْتَوِي ^(٢)

وأنكر عليه فتح الميم في « مقتوى » من قوله :

فَإِنِّي خَلِيلًا صَالِحًا بِكَ مَقْتَوَى ^(٣)

وأن راجزاً أنكر عليه تحريك الياء في « تأبيه » في بيت أورده ^(٤) .
وآخر أنكر عليه أن تكون الهاء راجعة على الدرس في قوله :

هَذَا سُرَاةُ الْقُرْآنِ يَدْرُسُهُ ^(٥)

(١) انظر الرسالة تحقيق بنت الساطي ط ١ ص ١٥٣ .

(٢) صدره : « فليت كفافاً كان شرك كله . . . » .

(٣) صدره : « تبدل خيلاً لي كنهك شكله . . . » .

(٤) انظر الخبر في رسالة الغفران تحقيق بنت الساطي ط ١ ص ١٥٣ .

(٥) الصدر الثاني وعبر البيت : « والمرء عند الرثا إن يلقها ذيب » .

وجماعة من هذا الجنس يلعونونه على تأويله . وأن ابن القارح قال لهم :
« يا قوم ! إن هذه أمور هيئة ، فلا تغتوا هذا الشيخ ، فإنه يمت بكتابه
[في القرآن] المعروف [بكتاب] الحجة . . . »^(١)

وأما ابن خالويه ، فقد أثنى عليه في (رسالة الغفران) حيث يقول في
ص ١٩١ : « وأما أبو عبد الله بن خالويه ، وإحضاره للبحث النسخ ،
فإنه ما عجز ولا أنسخ — أي نسي — ولكن الحازم يريد استظهارا ،
ويزيد على الشهادة الثانية ظاهرا . . . أن كافي عبد الله ؟ . لقد عدمه
الشام ! فكان كمكة إذ فقد هشام ، عَنَيْتُ هشامَ بنَ المغيرة ، لأن
الشاعر رثاه فقال :

أَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقَشَّعِرًا كَأَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَامُ...^(٢)

ويظهر لي أن أبا العلاء كانت عنايته بكتاب سيبويه المتوفى سنة
١٦١ هـ وكتاب (الجمل) لأبي القاسم الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ
وكتاب (الكافي) للشيخ أحمد بن محمد المرادي النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ
وكتاب (مختصر محمد بن سعدان الكوفي) المتوفى سنة ٣٣١ هـ أشد من
عنايته بغيرها ، فإنه شرح كتاب سيبويه ، ولم يتم ، وذكر له بعضهم
تفسير أمثلة سيبويه . ووضع كتابا سماه (عون الجمل) شرح فيه شيئا من
كتاب الجمل للزجاجي ، أو شرح الشواهد ، وكتابا آخر سماه (تعليق
الجليس) أو (تعليق الخلس) يتصل بكتاب الجمل ، وكتابا آخر سماه
(إسعاف الصديق) يتصل بتعليق الجليس . وكتابا سماه (قاضي الحق)
يتصل بالكتاب المعروف بالكافي . وكتابا سماه (المختصر الفتح) يتصل
بمختصر محمد بن سعدان الكوفي .

(١) رسالة الغفران تحقيق بنت الطاطي . ط ١ ص ١٥٤ .

(٢) النظر رسالة الغفران تحقيق بنت الطاطي . ط ١ ص ٥١٠ - ١١ .

وقد قال أكثر المؤرخين : إن أبا العلاء قرأ الفقه والنحو على أبيه ، وعلى جماعة من أهل بلده ، كبنّي كوثر ، ولكنهم لم يسموا واحداً منهم إلا ابن العديم فإنه قال : « قرأ اللغة والنحو بمرة النعمان على والده . . وأبي بكر محمد بن مسعود بن محمد بن يحيى بن الفرّاج النحوي (١) » ، أما والده فقد روى عن جماعة منهم : أبوه سليمان ، ومنهم : ابن خالويه . . وأما أبو بكر محمد بن مسعود فلم أقف على ترجمته . وقال كثير من المؤرخين : إنه قرأ على محمد بن عبد الله بن سعد بجلب ، وظاهر قولهم أنه قرأ عليه شيئاً من العلم . والحق ما قاله ابن العديم ، وهو أنه دخل حلب وهو صبي فقرأ على محمد بن عبد الله بن سعد رواية أبي الطيب المتني . ثم نقل عن محمد بن الخضر بن أبي مهزول المري المعروف بالسابق ، أن ابن سعد كان يروي في ديوان المتني في قصيدته التي مطلعها :

أَزَاثَرُ يَا خَيْالُ أُمِّ عَائِدُ ... (٢)

هذا البيت :

أَوْ مَوْضِعاً فِي فَنَاءِ نَاجِيَةٍ تَحْمِلُ فِي التَّاجِ هَامَةَ الْعَاقِدِ

وهذه القصيدة ليست بما قرأه على أبي الطيب المتني ، وإنما هي مما أنفذه إليه ، فرد عليه أبو العلاء وقد اجتمع معه بجلب وهو صبي وقال له البيت :

أَوْ مَوْضِعاً فِي فِتْنَانِ نَاجِيَةٍ

فلم يقبل ابن سعد ، ومضى إلى نسخة عراقية صعدت مع أبي علي ابن أربس من العراق ، فوجد القول ما قاله أبو العلاء .

(١) تعرف القديما بأبي العلاء ص ١٥٠ عن الاضاف والتحري لابن المدح .

(٢) صدر بيت هو مطلع قصيدة بمدح جيا عند الدولة ، وعجزه : « أم عند ولاك أني والله » العرف الطيب ٢ : ٦٠١ .

وهذا يفيد أن أبا العلاء لم يقرأ على ابن سعد شيئاً من العلم ، ولم يأخذ عنه لغة ولا نحواً ، وإنما أراد أن يأخذ شعر المتنبي بالرواية عنه فقط ، وأن حفظه للكلام المتنبي أوثق من حفظ ابن سعد ، ولذلك كان القول قوله فيما اختلفا فيه .

والبيت المذكور من قصيدة مدح بها المتنبي عضد الدولة ، فقال :

تُهْدِي لَهُ كُلَّ سَاعَةٍ خَبْرًا عَنْ جَحْفَلٍ تَحْتَ سَيْفِهِ بَائِدٌ^(١)
أَوْ مُوضَعًا فِي فِتَانٍ نَاجِيَةٍ يَحْمِلُ فِي التَّاجِ هَامَةً الْعَاقِدُ

والموضع : المرع ، والفتان : غشاء للرحل من آدم ، والناجية : الناقة الريمية ، والمعنى : تهدي له كل ساعة رسولاً يبشره بقتل جماعة من أعدائه ، أو مصرعاً يحمل إليه رأس ملك في تاجه .

وذكر المصنف أنه قرأ على جماعة « من بني كوثر وأصحاب ابن خالويه ، ومنهم أبو القاسم المبارك بن عبد العزيز^(٢) ، ولكنه لم يعز هذا القول إلى مرجع ، ولم يبين أحداً منهم إلا المبارك . ولعله أخذ ذلك من قول أبي العلاء في رسالته إلى أحمد بن عثمان النكتي ص ١٠٨^(٣) : « وحدثنا صديقه أبو القاسم المبارك بن عبد العزيز - رحمه الله - عن أبي عبد الله ابن خالويه ، عن ابن دريد .. أنه رأى شيطانه أبا زاجية في النوم ، وقال له : لم لا تقول في الخمر شيئاً ؟ .. » .

(١) الرف الطيب ٦٠٣/٢

(٢) أبو العلاء وما إليه - للبني - ص ٥١ .

(٣) انظر الرسائل - لشاهين عطية - .

ولكن مثل هذا لا يدل على أنه قرأ عليه لغة ولا نحواً ولا غيرها .
وقال في (لسان الميزان) : إنه «أخذ [العربية] عن أصحاب ابن خالويه^(١)» .
ولم يعين أحداً منهم . وسيأتي في كتبه أن له كتباً في النحو غير ما ذكرناه ،
منها (ظهر المصري) و (الحقيير النافع) و (الطل الطاهري) . وفي كلامه
كثير من الإشارات إلى ما اصطلاح عليه النحاة ، كقوله في (القط ج ١
ص ١٩٨) :

تَنْيُنُ وَنَضِي فِي أَيْنِكَ وَاجِبٌ كَمَا وَجِبَ النَّصْبُ اعْتِرَافاً عَلَى^(٢)

وقوله في (ج ٢ ص ١٢٥) :

وَلِي حَاجَةٌ عِنْدَ الْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ فَإِنْ تَقْضِيَا مَا فَالْجَزَاءُ هُوَ الشَّرْطُ^(٣)

وفيه غير ذلك كقوله في (ج ٢ ص ٣٨ س ٤ ، و ص ٥٤ س ٤ ،

و ص ٩٩ س ١٧^(١)) .

(١) تعرف القماء بأبي اللؤلؤ ص ٣١٢ عن لسان الميزان - لابن جبر .

(٢) شروح القط ق ٢ ص ٩٣٢ .

(٣) شروح القط ق ٤ ص ١٦٦٨ .

(٤) انظر شرح التوير على سفسط الزند طبعة مصر سنة ١٢٨٦ هـ وهي التي اعتمدها

المؤلف في نصب الأئمة ، ومقابلها في شروح سفسط الزند (ق ٣ ص ١١٥٨

و ق ٣ ص ١٢٥٥ و ق ٤ ص ١٥٢٠) الآيات التالية :

وَأَمْرٌ بِهِ فِي رَاحَةِ أَرْبَعَةٍ كَأَخْرِ مَا نَسِ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ النِّصَمِ

• • •

حُرُوفٌ سُرِّيَ جَانِبُ لَحْنٍ أَرْدَتْهُ بَرْنَتِي أَسْمَاءُ لَحْنٍ وَأَفْصَالُهُ

• • •

وَلَمَّا نَظَرْتُ وَجَدْتُكَ مَاضِيًا مُتَصَرِّفًا فَلَقَبْتَنِي مِنْهُ بِمُكَلِّمٍ دَائِمٍ

وقوله في اللزوم (١) :

وَتَرْفَعُ أَجْسَادُ وَتُنْصَبُ مَرَّةٌ وَتُخَفِّضُ فِي هَذَا التَّرَابِ وَتُجْزَمُ

وقوله في اللزوم (٢) :

تَزَوِّجُ إِنْ أَرَدْتَ فَتَاءَ صِدْقٍ كَمُضْمَرٍ نَعَمَ دَامَ عَلَى الضَّمِيرِ

وقوله في اللزوم (٣) :

سَتَشْبِعُهُ كَعَطْفِ الْفَاءِ لَيْسَتْ بِمَثَلٍ أَوْ كَشْمٍ عَلَى التَّرَاخِي

وقوله في اللزوم (٤) :

إِنْ أَذَاهَا مِثْلُ أَفْعَالِنَا مَاضٍ فِي الْحَالِ وَمُسْتَقْبَلُ

وفي اللزوم أبيات كثيرة من هذا النوع ، منها في (الجزء الأول ص ٢٤٣ سطر ١١ ، و ص ٣٩٩ س ٢ ، و ص ٤١٨ س ١٣)

وفي (الجزء الثاني ص ٩٧ س ١٥ ، و ص ١٤٧ س ١٦ ، و ص ٢٣٨ س ١٢ ، و ص ٢٦٥ س ١٦ ، و ص ٢٧٣ س ٦ ، و ص ٣٦٦ س ٣ ، و ص ٣٦٨ س ٤) (٥) .

(١) اللزوميات ص ٢٢٨ .

(٢) اللزوميات ص ١٥٥ .

(٣) اللزوميات ص ٨٧ .

(٤) اللزوميات ص ٢٠ .

(٥) أنظر لزوم مالا يلزم طبعة عزيز زند وهي التي اعتمدها المؤلف في بحثه وبهاجها

في طبعة هـ الصفحات (٩٠ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ، ٢٩٠ ، ١٨٤ ، ٢٢٢ ،

٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٤) . والآيات - على التوالي - هي :

غداة الهواي كالذي ولاتها لذا من لم يوصلن فاللفظ فاسد

الصرف

ما رأيت أحداً ذكر أن أبا العلاء أخذ علم الصرف منفرداً عن أحد من الشيوخ ، ولا من ذكر له كتاباً خاصاً بهذا العلم . والظاهر أنه أخذه مع علم النحو ، وأكثر المتقدمين يجمعون بين الطلين في كتاب واحد . وأما (رسالة الملائكة) فقد أجاب بها عن مسائل صرفية ، ولكنه مزجها بغيرها ، وفي كلامه كثير من الإشارات إلى ما اصطلاح عليه أهل

— كني. ثم وبس نجبا فيما ويكون ذاك على اشتراط مضمر

. . .

مرتضى حتى 'شهرت' القابل ثم صاك على بالتصغير

. . .

الآرى جمع ما لا عطل 'ينده' جمع المؤنث فيه القاء والألف

. . .

والله مثل المركب بين سهاد وكرهه يمكن قرة وعرك

. . .

والله كان وظل كان وجده حاليه في الإكاف والإعمال

. . .

والله يرفع أصلاً تخضع حتى إذا ملت أضى وهو منجزم

. . .

والجسم ظرف نواب وكاء ظرف يؤخر قرة وعدم

. . .

تأ لوى لأضربان لالم بلا بل ولا مستركان بلكنز

. . .

أرى الحق له أسن: ماض. ومطل وظرفين : ظرفي مدة ومكث

هذا العلم ، كقوله في اللزوم ^(١) :

إِذَا غَدَوْتَ عَنْ الْأَوْطَانِ مُرْتَحِلًا فَضَاهِ فِي الْبَيْنِ حَذْفَ الْوَاوِ مِنْ بَعْدِ

وقوله ^(٢) :

مَعْنَى خَبِيٍّ عَلَى مَا بَانَ مِنْهُ كَمَا تُبْنَى الزَّوَادُ مِنْ يَأْأَوْسٍ لَا تَنْمِ

. . .

وقوله ^(٣) :

إِذَا مَادَعِيَ الْقَوْمَ ضَاهِي صَرِيحُهُمْ فَلَا تُنْكِرَنَّ وَاعْدُدْهُ آخِرَ عَبْدَلِ
الْيَسْرِ كَبَاقِي أَحْرَفِ الْوِزْنِ لِأَمِهِ وَمَا فَصَّلْتَ مِنْ لَامٍ سَهْلٍ وَأَهْدَلِ

. . .

وقوله ^(٤) :

بِتْ كَالْوَاوِ بَيْنَ يَاءٍ وَكَبِيرٍ لَا يُلَامُ الرِّجَالُ إِنْ أَسْقَطُونِي

. . .

وقوله ^(٥) :

وَكَيْفَ أَرْجِي مِنْ زَمَانِي زِيَادَةً وَقَدْ حَذَفَ الْأَصْلِيَّ حَذْفَ الزَّوَادِ

. . .

(١) اللزومات ، ص ١٩٠ .

(٢) اللزومات ، ص ٢٤٨ .

(٣) اللزومات ، ص ٢١١ واللام في « عبدل » زائفة .

(٤) اللزومات ، ص ٢٨٢ : يعني بأن مبتلاً على الناس عمل الواو التي جمع في

مضارع (وعد) بين الياء والكسر بأسقط استحقاقاً .

(٥) اللزومات ، ص ١٠٥ وفيها : « من زمان » .

وقوله (١) :

وَجَدْتَنِي اللَّجِينَ أَوْ الثَّرِيَا وَتَصْغِيرُ الْمُصْغَرِ لَا يَجُوزُ

• • •

وقوله (٢) :

أُعْلِلْتُ عَلَةً قَالَ وَهِيَ قَدِيمَةٌ أَتَيْتُهَا الْأُطْبَةَ كُلَّهُمْ لِإِبْرَأُوهَا

وفيه كثير من أمثال هذا كقوله في (الجزء الأول ص ٢٥٦ س ٩ ،
وص ٣١٠ س ١٧ ، وص ٣١١ س ٨)
وقوله في (الجزء الثاني ص ٤٠ س ٨ ، وص ١٩٨ س ١٧ (٣)) .

(١) اللزويات ٥ ص ١٧٢ .

(٢) اللزويات ٥ ص ٢٣ .

(٣) أنظر لزوم مالا يلزم طلبة عزيز زبد ، وغالبها في طبعة ٥ الصفحات : (٩٠ ،
١٢٠ ، ١٢٠ ، ٣٠٣ ، ٢٠٥) . والآيات - على التوالي - هي :
وخلت أنى حرف الوف سكته وقت وأدركه في ذاك تشديد

• • •

إذا صر اسماً حاسدوك فلا تترع لذلك والدينا بسدك تضر

• • •

إذا اعنت الأفعال جهات عليه كحالاتها أسماءها والمصادر

• • •

أولاً وأول المرسل عن غزله لها بالنزول فهي شعبة الرئاس
زيدت بها ألف ونون إن من فرس الرقاب نطقت بالرئاس

• • •

جم التي مثل ظم فل من ذلك ما فارق اعتلا

وقوله في السقط (١) :

فَصَّرَفَنِي فَغَيَّرَنِي زَمَانٌ سَيَعْقِبُنِي بِحَذَفٍ وَادِّغَامٍ

وفي كلامه إشارة الى أسماء طائفة من علماء النحو والصرف ، ونحوه من كتبهم المؤلف في هذين العليين من ذلك قوله (٢) :

تَوَلَّى سَيَبَوْنِيهِ وَجَاشَ سَيْبٌ مِنْ الْأَيَّامِ فَانْحَلَّ الْخَلِيلُ

. . .

وقوله (٣) :

أَصَابَ الْأَخْفَشَيْنِ بَصِيرُ خَطْبٍ أَعَادَ الْأَعَشَيْنِ بِلَا حِوَارٍ ..

وَمَا نَفَعَ الْمُبَرَّدَ مِنْ حَمِيمٍ وَصَادَفَ ثَقَلْبًا نُوبٌ ضَوَارٍ ..

. . .

وقوله (٤) :

أَرَى ابْنَ أَبِي إِسْحَقَ أَسْحَقَهُ الرَّدَى وَأَنْزَلَ عُفْرَ الدَّهْرِ نَفْسَ أَبِي عَفْرِو

. . .

وستأتي تمة القول في هذا عند الكلام على النحاة واللغويين ورأيه فيهم .

(١) مروج سقط الزند : ق ٤ ص ١٤٧٣ وفيها : « وصرفتي » .

(٢) الترويات ٥ ص ١٩٨ .

(٣) الترويات ٥ ص ١٥٧ وفيها : « وصانت » .

(٤) الترويات ٥ ص ١٤٦ .

وإذا أنمنا النظر في أقواله في النحاة والصرفيين ، وأضفناها الى ما ذكره في (رسالة الملائكة ص ١٢) على لسان رضوان لما جاءه مع جماعة من 'خان' (١) الأدباء . وقالوا له : يارضو . . . وذكروا له شيئا من مسائل هذين العلمين ، قال : « فيتبسم رضوان ، ويقول لهم : إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون . فانصرفوا . . . فقد أكثرتم الكلام فيما لا منفعة فيه . وانما كانت هذه الأشياء أباطيل زخرفت في الدار الفانية ، فذهبت مع الباطل . . » ثم قوله : « وقد حرم علي الكلام في هذه الأشياء ، لأنني طلقها طلاقا بائنا ، لا أملك فيه الرجعة ؛ وذلك أفي وجدتها فوارك فقابلتها بالصلف . » ثم قوله : « وأحلف يحرورة الكذوب . . لأن آزِمَ صابة أو مقرة " آثرلدي من أن أتكلم في هذه الصناعة كلمة . . وقد تكلفت الاجابة . . » (٢) إلى قوله في (الأيك والفصون) : « ياخو ياخو حق لا كسب منك محو ، الى آخره . ونحو ذلك من أقواله في هذا الموضوع .

إذا نظرنا إلى مجموع ذلك يتبين لنا أنه كان ينظر إلى بعض مسائل هذين العلمين ورجاها نظر استخفاف ومقت ، ولعل سبب ذلك أن بعض العلماء كان يلتس وجوهاً بميده أو ضعيفة لتقوية قوله ، ويتأول تأولات واهية متكلفة لا تطمئن إليها النفس ، ولا يتقبلها الذوق السليم بقبول حسن .

(١) 'خان الناس : سفنهم .

(٢) انظر رسالة الملائكة فحقى المؤلف ص ٢٥—٥٥ ، وآزم : الأزم شدة الضم .
وصابة وطره : شجرتان مريتان .

اللغة

كان أبو العلاء آية باهرة في اللغة ، وطالما حدثتني نفسي أنه أحاط من مفرداتها ونوادرها وشواذها بما لم يحيط به العرب الخالص ، وأنه أوثق فيها من بشار وابن هرمة ، وكنت أخشى أن يحمل ذلك على الغلو في حبه إذا جهرت به .

شهادة التبريزي في أبي العلاء :

ثم رأيت ابن المديم نقل عن ابن الشجري عن أبي زكريا التبريزي أنه قال : « ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها العربي .. » (١) . وقال البديعي بعد أن ذكر أن له كتاباً أربعة : « وروى عن أحدهم أنه قال : لا أعلم أن العرب نطقت .. » (٢) .

طلاب أبي العلاء الذين اختبروه في اللغة :

« ولقد اتفق قوم ممن يقرأون عليه ، فوضعوا حروفاً وألفوها كلمات ، وأضافوا إليها من غريب اللغة ووحشها كلمات أخرى ، وسألوه عن الجميع على سبيل الامتحان ، فكان كلما وصلوا إلى كلمة مما ألفوه ، ينزعج لها وينكرها ويستعيدها مراراً ، ثم يقول : دعوا هذه . والألفاظ اللغوية يشرحها ويستشهد عليها حتى انتهت الكلمات ، ثم أطرق ساعة مفكراً ، ورفع رأسه ، وقال : كأني بكم وقد وضعت هذه الكلمات لمتحنوا بها معرفتي وثقتي في روايتي ، والله لئن لم تكشفوا لي الحال ، وتدعوا

(١) تحريف القدماء بأبي العلاء . ص ٥٦٩ عن الإصناف والتحري — لابن المديم .

(٢) أوج التحري — للبديعي — ص ١٣ تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني .

المحال ^(١) . وإلا فهذا فراق بيني وبينكم . فقالوا له : والله الأمر كما قلت ، وما عدوت ما قصدناه ، فقال : سبحان الله ، والله ما أقول إلا ما قالته العرب ، وما أظن أنها نطقت ... ^(٢) . هذا ما وجد في كلام ابن المديم ، ثم ذكر بعد ذلك قوله : « والرائد لا يكذب أهله .. » وهو قطعة من كتاب كتبه إلى الوزير الفلاحى ، والظاهر أن النسخة التي وقعت إلينا فيها نقص ، فظن الناسخ أن الكلام في صدد واحد .

شهادة الصفدي :

وقد عدد الصفدي من رزقوا السعادة في أشياء لم يأت بعدهم من نالها وقال : « وأبو العلاء المعري في الاطلاع على اللغة وفي البلغة في أئمة اللغة ، وقال محمد بن رادة : كان بالشرق لنوي وبالغرب لنوي في عصر واحد لم يكن لهما ثالث ، وما أبو العلاء وابن سيده .. »

موازنة بين ابن سيده وأبي العلاء :

وابن سيده هذا تقدمت ترجمته في الكلام على اللغة في العصر العباسي ، وقد قال ياقوت (ج ١ ص ٨٥ ^(٣)) : « ولم يكن في زمنه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب ، وما يتعلق بعلومها » . وما لاشك فيه أن ابن سيده كان غزير العلم واسع الاطلاع على اللغة ، ولكن بينه وبين أبي العلاء مشابهة من جهة ومفارقة من جهات ، أما جهة المشابهة ،

(١) كذا في الأصل (ج) .

(٢) وفي أوج البحري ص ١٣ . « .. العرب نطقت بغيري ولم أعرفه » (ج)

واظر تعريف القدماء ص ٥٧٠ عن الاضاف - لابن المديم - .

(٣) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب .

فإن أبا العلاء كان يشابهه في سعة الاطلاع على اللغة وغزارة العلم إن لم يزد عليه ، وأما جهات المفارقة فكثيرة .

منها : أن الصفدي نقل في (النكت ص ٢٠٤) قول ياقوت ، ثم قال : « وكان ابن سيده ثقة في اللغة ، حجة ، لكنه عثر في الحكم عثرات .. » وقد قدمنا أقواله في أبي العلاء في نكت الهيمان ، والوافي بالوفيات . ولم ينقل عن أحد أن المعري عثر في اللغة ، وما وقع من اعتراض عليه فإنما نشأ من ضعف المعارض ، أو عدم اطلاعه ، أو عدم معرفته ما أراد المعري ، أو إن شئت فقل : من وهم أو سقم في الفهم كما سيتضح ذلك .

ومنها : أن أبا العلاء استطاع أن يسخر اللغة والعلم فيما أراد من الأغراض ، نظماً ونثراً .

أبو العلاء يجب إظهار طهه وقدرته في اللغة :

وقد كان أبو العلاء يجب أن يظهر سعة علمه ، وغزارة لغته ، وقدرته على التصرف فيها ، في كل موطن سمحت له فيه فرصة . ونحن نذكر بعضاً من تلك المواطن لندل على صحة ما نقول .

المواطن الدالة على إظهار طهه ولغته ، بيتا النثر وتحويلها على حروف المعجم :

فمنها تحويله قافية بيتين للنمر بن تولب على جميع حروف المعجم وإتيانه بكلمة ملائمة للقافية والوزن وهي في (رسالة الغفران ص ١٢)^(١) . وقد قال الصفدي في (الغيث المسجم) : « ومن وقف على كلام أبي العلاء .. في ذينك البيتين .. وكيف غير القوافي منها ، ونزلها على سائر حروف

(١) انظر الرسالة غيخ بنت العاطي ط ١ ص ٣٣ - ٤٤ .

المعجم خلا حرف الطاء (١) علم تمكن أي العلاء من الأدب واطلاعه على اللغة .

الجل الدعائية في المنيح :

ومنها أنه كان يكثر الجمل الدعائية ، ويتفنن في إيرادها بصور مختلفة حتى في الرسائل الأخوية ، ويضع كل واحدة في الموضع المناسب لها .
ففي (رسالة المنيح) تجد مثل قوله : « أطلال الله بقاء سيدنا .
جعل الله لثانته كوكب الرجم وحادي النجم . أدام الله عزه
فريضة الانتفاع . أدام الله تأييده . أدام الله سلطانه . أدام الله
قدرته » (٢) .

الجل الدعائية في الإغريض :

وفي (رسالة الإغريض) تجد مثل قوله (٣) : « فحرس الله
سيدنا حتى تدغم الطاء في الهاء ، فتلك حراسة بغير انتهاء جعل الله
رقيبته التي هي كالفاعيل والمبتدأ ، نظير الفعل في أنها لا تنخفض أبداً .
أدام الله لها القمرة ، مادام الضرب الأول من الطويل صحيحاً ، والمنسرح
خفيفاً سريماً ، وقبض الله بين عدوما عن كل مضمّن (٤) قبض

(١) مكنا في الأصل بالطاء المهمة ، وهو خطأ لأنه ذكر حرف الطاء س ١٥
س ٦ وكذلك ذكر فيها الطاء المحبة ، وقال : لن الألفة على فيها الطاء ،
كأنها في غيرها لأن الطاء قلبه جماً . فأمل (ج) انظر تعريف الدماء
بأن العلاء س ٤٠٥ .

(٢) رسائل أبي العلاء - لغامين طية - س ٥ - ٣٤ .

(٣) المصدر السابق س ٣٦ - ٥٢ .

(٤) للن : المنيح .

المروض من أول وزنٍ ، وُجِعَ له من المهانة إلى التقييد ، كما 'جما
في ثاني المديد ، وَقْلِمَ قَلَمَ الْفَسِيطِ (١) ، وخبل كباعي البسيط ،
وَعَصَبَ الله الشرَّ بهامة شائنيها وهو مخزوء (٢) ، عصب الوافر (٣)
وهو مجزوء ، بل أضمرته الأرض اضمار ثالث الكامل ، وعداه أمل الآمل .
وسلم سيدانا (٤) — أعز الله نصرهما — ومن أحبّاه وقرّباه سلامة متوسط
المجموعات ، فإنه آمن من المروّعات . وسيدنا أطال الله بقاءه . . .
سيدنا أطال الله بقاءه معترفا ، أعز الله سلطانه . . . » .

الجل الدعائية في رسالته إلى النكفي :

وفي رسالته إلى أحمد بن عثمان النكفي البصري ، أورد طائفة من الجمل
الدعائية ، وقد كرر فيها قوله : « أدام الله عزه » ست عشرة
مرة (٥) .

وفي كتابه الذي كتبه الى بعض أولياء السلطان ، يشفع فيه بالحسين
ابن عنبسة خمس جل دعائية (٦) .

وفي قطعة من كلامه الذي كتبه الى أبي الحسن بن سنان ، نحو عشر
جل دعائية (٧) .

وهذا سبيله في أكثر رسائله القصيرة والمتوسطة .

(١) الفسيط : فلاة الظفر .

(٢) مخزوء : مقهور .

(٣) في الأصل : « الكامل » وفي الرسائل - لعاين عطف - : « الوافر »
والصعب مما يصيب الوافر .

(٤) في الأصل : « سلم الله سيدانا » وإضافة اسم الجلالة من جنى التلم . وفي الرسائل :
« سلم سيدانا » وهو الصواب .

(٥) الرسائل - لعاين عطف - ص ١٠٥ - ١٠١ .

(٦) المصدر السابق ص ٥٣ - ٥٩ .

(٧) المصدر السابق ص ٢٢١ - ٢٢٥ .

الجل الدعائية في رسالة الغفران :

أما (رسالة الغفران) ففيها نحو من مائة وثلاثين جملة دعائية .
وقد كرر فيها جملتين إحداهما : « أدام الله تمكينه » والثانية : « ثبت
الله وطأته » .

وجله في هذه الرسالة متفاوتة في القدر ، مختلفة الجهة ، فمنها ما هو
جملتان ، كقوله : « كبت الله عدوه » ، وأدام رواحه الى الفضل و«غدوّه »
وقوله : « جعل الله أمته متصلا » ، والطالب شأره من تقصير منتصلا » .
ومنها ما هو جملة واحدة ، كقوله : « ثبت الله أركان العلم بحياته . . » ،
أكمل الله زينة المحافل بحضوره » .

ومنها ما هو دعاء له بالبقاء ، كقوله : « أبد الله مجده بالتأييد » .
ومنها ما هو دعاء له بالثواب في الآخرة كقوله : « أزلفه الله مع
الأبرار المتقين . . . أجزل الله عطاءه من الغفران » .

ومنها ما هو دعاء على حساده وأعدائه ، كقوله : « أرغم الله
حاسده . . . أحل الله الهلكة ببغضيه . . . ميّز الله من النفيظ قلب عدوه » .
وفي الرسالة جل كثيرة فيها دعاء لغير ابن القارح أو على غيره
كقوله : « ضفت عليك نعمة الله ^(١) » ص ٩ ، « رجع عليه حَجَرُهُ » ،
وطال في الآخرة يَحْرَهُ ^(٢) ، ص ١٥٨ ، وربما زاد ما في هذه الرسالة
وحدها من الجمل الدعائية على مائة جملة لابن القارح وحده . وفي بعض
جملة الدعائية تلميح الى بعض المسائل العلمية ، كما نرى في رسالة الإغريض .

(١) رسالة الغفران تحقيق بنت الناطق ط ١ ص ١٣٣ .

(٢) في المصدر السابق ص ١١٣ .

إيجاده المناسبة لإظهار قدرته ، ذكر اللفظ وما يحانه أو يوافقه :

ومنها ، أنه يذكر اللفظ ، ثم يهد السبيل لذكر ما يحانه أو يوافقه في صيغته أو مادته . كقوله في القط :

وَالْحُسْنُ يَظْهَرُ فِي شَيْئَيْنِ رَوْنَقُهُ بَيِّنَتٍ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ بَيِّنَتٍ مِنَ الشَّعْرِ^(١)

وقوله :

إِذَا هَمَى الْقَطْرُ شَبَّهَا عَمِيدُهُمْ تَحْتَ الْعَمَائِمِ لِلسَّارِبِينَ بِالْقَطْرِ^(٢)

ذكر اللفظ وإيراد معان تتعلق به :

وقد يذكر اللفظ ، ثم يأتي بمعان أو بحوادث تتعلق به . كما نرى ذلك في لفظ الدنانير التي ذكرها في (ص ١٩٥ من رسالة الغفران) وفي لفظ الثمانين المذكورة فيها في (ص ٢٠١) وكذلك لفظ التاج (ص ١٥٧) والقضيب (ص ١٥٩) والفريد (ص ١٦٠) والمرجان (ص ١٦٠) والأباريق (ص ٩) والرباب (ص ٤٣) (٣) .

ذكر اللفظ وما يقابله أو يضاده :

وأحيانا يذكر اللفظ وما يقابله أو يضاده ، كقوله :

نَحْنُ قُطْنِيَّةٌ وَصُوفِيَّةٌ أَنْتُمْ فَقَطْنِيٌّ مِنَ التَّجَمُّلِ قُطْنِيٌّ^(٤)

(١) شروح سقط الزند ، ق ١ ص ١٢٩ وفيها : « فالحسن » .

(٢) المصدر السابق ص ١٤٢ وشبها : أي شبت عيديم النار ، والفطر بضمين : المود الطيب الذي يتبخر به .

(٣) الغفران طبعة أمين حندية ١٣٢١ هـ .

(٤) التروميات هـ ص ٢٨١ ، قطني : بفتح القاف أي حبي .

وقوله :

عَرَفْتُ سَجَايَا الدَّهْرِ أَمَا شُرُورُهُ فَفَقَدَ وَأَمَّا خَيْرُهُ فَوَعُودُهُ^(١)

ذكر اللفظ وما يرادفه أو يشابهه :

وأحياناً يذكر المعنى الواحد للفظ ، ثم يقفني على آثار ذلك بمرادفاته أو مشابهاته ، ولو على سبيل التقريب ، كما ترى ذلك في لفظ الخمر التي ذكرها في (رسالة الغفران في ص ٣٢ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥)^(٢) .

الخمر وما يرادفها للتوبياً :

فقد ذكر من مرادفاتها ، مثل : « الخرداذي ، والقرقف ، والفيهج ، والإسفط ، والقهوة ، والصهباء ، والمدام ، وأم زنبق ، والراح ، والجهوري ، والبختج ، والمنصف ، والطلاء ، وأم ليلى ، والعقار ، والبيضة ، والكميت ، والصرخدي ، والسلاف ، والخراطوم ، والعاني ، والمعقة ، والشمول » .

المواطن التي تنسب اليها الخمر :

وعلى ذكر الخمر ذكر في (ص ١١)^(٣) مواطن كثيرة ، تنسب اليها الخمر : « كعانة ، وأذرعات ، وغزة ، وبيت رأس ، والفلسطينية ، وبصرى ، ووثج ، وصرخد ، وبابل » وغيرها .

أجناس المسكرات :

وذكر من أجناس المسكرات : « مفوقات للشارب ، وموكرات كالجة والنيح والميزر والسكركة »^(٤) .

(١) اللزومات ٥ ص ٩٠ .

(٢) الغفران طبعة أبين عندية ١٣٢١ هـ

(٣) المصدر السابق .

(٤) رسالة الغفران ص ٣٠ تحقيق بنت الناطق ط ١ .

المعنيات (١) :

وذكر المعنيات (ص ١٦) فأورد الصاب ، والمقر ، والسم ،
والجمدة ، والشيخ ، والهييد .

وأحيانا يذكر مسميات متعددة ، ويذكر لكل معنى اسما مختصا
به ، كقوله في (ص ٦٥) : « فارتفع رغاء العكر ، وبعار المز ، وئواج
الضأن ، وصياح الديكة ... » .

تخصيص الاسماء بالمعيات :

وقوله في (ص ٢٧) : « فهل لك أن تركب فرسين من خيل
الجنة ، فنبعثها على صيرانها ، وخيطان نعامها ، وأسراب ظبائها ، وعانات
حرما (٢) » .

جعله لزوم ما لا يلزم ١١٣ فصلا :

ومنها أنه جعل ديوانه (لزوم ما لا يلزم) مائة وثلاثة عشر فصلا .
وقد أورد فيه قوافي جميع الحروف ، المنجائية الثانية والعشرين في أحوالها
الأربع : الضم والكسر والفتح والسكون ، مع التزام حرف أو أكثر
قبل الروي كما سيأتي .

جعله النصول والغايات على جميع حروف المعجم :

ومنها أنه جعل (الفصول والغايات) على حروف المعجم ، والتزم
أن يكون ما قبل الحرف المقصود ألفا في جميع فواصله ، كما سيأتي أيضا .

(١) أغنى الشيء : صار شديد الرارة ، والشيء انطفئ من فيه لشدّة مرارته .
رسالة الفران تحقيق بنت الشاطي ط ١ ص ٤٤ .

(٢) فالصيران : جمع صوار ، القطيع من البقر ، والحيطان : جمع خيط ، القطيع
من النعام . والأسراب : جمع سرب ، القطيع من الظباء . والعانات : جمع
عانة ، القطيع من حر الوحش (ج) . الرسالة تحقيق بنت الشاطي ص ٨١ .

جعل خاسية الراح مع خمس سجعات لكل حرف يتحرك :

ومنها أنه جعل في كتابه (خاسية الراح) لكل حرف يمكن أن يحرك خمس سجعات مضمومة ، وخمساً مفتوحة ، وخمساً مكسورة ، وخمساً موقوفة ، أي ساكنة .

جعل السجعات العشر على حروف المعجم عشراً لكل حرف :

ومنها أنه بنى كتابه (السجعات العشر) على حروف المعجم ، فجعل على كل حرف عشر سجعات .

بناؤه الأيك والقصون على إحدى عشرة حالة ، لكل حرف من

حروف الهجاء :

ومنها أنه بنى كتابه (الأيك والقصون) على إحدى عشرة حالة ، لكل حرف من حروف الهجاء .

. . .

تفسيره وشرحه الألفاظ

ومن أبرز المواطن التي تتجلى فيها قدرته اللغوية ، ويتبين فيها عزمه على إظهار هذه القدرة ، الشروح والتفاسير التي أوضح فيها المراد ، وأزاح الغموض واللبس .

وهي قلمان :

١ - قسم شرح فيه ما في كتبه ورسائله التي هي من ثمرات قريحته .

٢ - وقسم شرح فيه كلام غيره .

وكل منها نوعان : نوع يختص بالكتب الشعرية ، ونوع يختص

بالكتب النثرية .

مترحه المنظوم من كتبه :

أما القسم الأول : فالنوع الأول منه ، مثل كتاب (ضوء السقط) الذي شرح فيه ديوانه (سقط الزند) وكتاب (راحة اللزوم) وكتاب (الراحة) وكتاب (زجر النابج) المتعلقة بديوانه (لزوم مالا يلزم) .

مترحه للشعر من كتبه :

وأما النوع الثاني منه : فمثل كتاب (السادن) وكتاب (إقليد) الغايات (الذين شرح فيها مافي كتابه (الفصول والغايات) من الغريب ، وأماط اللثام عن كثير من المقاصد فيه . وكتاب (خادم الرسائل) الذي شرح فيه الغريب في رسائله . وكتاب (تفسير خطبة الفصيح) الذي شرح فيه ماجاء من الغريب في كتابه (خطبة الفصيح) وكتاب (لسان الصاغل والشاحج) الذي فر فيه كتابه (الصاغل والشاحج) وكتاب (منار القائف) الذي فر فيه مافي كتابه (القائف) . وكتاب تفسير (الهمة والردف) .

مترحه المنظوم من كتب غيره :

وأما النوع الأول من القسم الثاني : فمثل كتاب (ذكرى حبيب) في تفسير شعر أبي تمام . وكتاب (الرياش المصطفى) الذي شرح فيه مواضع من (الحماة الرياشية) . وكتاب (عبث الوليد) الذي شرح فيه وصحح مافي شعر البحري وكتاب (اللامع العزيزي) في شرح غريب شعر المتنبي . و (نشر شواهد الجهرة) .

مترحه للشعر من كتب غيره :

وأما النوع الثاني من القسم الثاني : فمثل كتاب (عون الجمل) في شرح شيء من كتاب (الجمل) . (وشرح كتاب سيويه) وشرح (خطبة أدب الكاتب) .

بطية كتبه ورسائله :

وسترى في فهرست كتبه كثيراً من الكتب ، لم يتمكن من الاطلاع عليها ، لنعلم ما تشتمل عليه من الأغراض والمواضيع والشروح . وإذا قيست إلى ما رأيناه من كتبه ، فإنها تكون طافحة بالشروح والتفاسير .

شرح الألفاظ خلال كلماته المنظومة :

ويضاف إلى ما تقدم ذكره ، أن أبا العلاء كان يتصدى خلال كلامه إلى شرح بعض الألفاظ العويصة ، سواء أكانت من كلامه أو كلام غيره ، ويعين المعنى المراد من اللفظ ، إذا كان مشتركاً بين معنيين فأكثر ، أو كان محتملاً لأكثر من معنى واحد ، إما بواسطة أداة التفسير ، أو ببيان ما تشتمل منه الكلمة أو تجمع عليه أو بيان مفردتها ، أو غير ذلك من الطرق التي تزيل الإيهام والغموض ، وهذا النوع وقع منه في نظمه ونثره .

أما في النظم ففي مثل قوله في (لزوم مالا يلزم) :

يَا ثَلَّةً فِي غَفَلَةٍ وَأَوْيَسُهَا إِلَهَةً رَنِيٌّ مِثْلُ أَوْيَسِهَا أَيِ ذِيهَا^(١)

وقوله :

فَلَا يُمْسِرُ فَخَّارَ أَمِنْ الْفَخْرِ عَائِدٌ إِلَى عُنْصُرِ الْفَخْرِ لِلْمَنْعِ يُضْرَبُ^(٢)

(١) اللزومات ٥ س ٥١ والثقة : الجماعة الكثيرة من الضأن والمزى .

(٢) اللزومات ٥ س ٣١ .

وقوله :

وَقَوَائِدُ الْأَسْفَارِ جَمْعُ السَّفَرِ فِي الذِّدْنِيَا تَفَوْقُ قَوَائِدِ الْأَسْفَارِ^(١)

وقوله :

نُودِيتُ الْوَيْتَ فَاَنْزَلَ لِي رَادَاتِي سَيْرِي لَوِي الرَّمْلِ بَلِّ لِلْمُنْبِتِ الْوَاهِ^(٢)

فإنه فر في البيت الأول الأوتيس بالذنب بواسطة أي . ويبن في البيت الثاني أن فخاراً مشتقة من الفخر ، وهو المباهاة بالكارم والناقب من حسب ونسب وغيره ، وليت من الفخار الذي هو من الطين المشوي . ويبن في البيت الثالث أن الأسفار جمع سفر بكسر فككون وهو الكتاب ، لاجمع سفر بفتحتين وهو قطع المسافة .

شرح الألفاظ خلال كلماته المشورة :

وأما في النثر ، فقد وقع في كلامه ، ولكننا لم نر جميع رسائله وكتبه لنحكم عليها بما فيها ، وأكثر ما رأينا ذلك في (رسالة الغفران) فإنه شرح فيها أكثر من مائة وأربعين كلمة ، وبين المراد منها واستشهد على بعض ذلك بكلام من يحتاج بكلامه . وإيراد الألفاظ المفردة والمفردة يشغل فراغاً كبيراً لا يحتمله هذا الكتاب ، وربما أورد القارئ مللاً وسآمة . ولذلك اكتفينا بذكر أكثر من مائة وأربعين كلمة من الكلمات التي شرحها أو فسرنا أو عيّننا . وأشرفنا إلى مواقعها في رسالة الغفران المطبوعة في مصر في مطبعه هندية بالموسكي سنة ١٣٢٥ هـ وسنة ١٩٠٧ م وضرينا صفحاً عن بعض الألفاظ ، توخياً للاختصار .

(١) الزوبيات ٥ ص ١٦٢ .

(٢) الزوبيات ٥ ص ٧٧ .

فن هذه الألفاظ « الحماطة في صفحة ٥ » ، « الحضب الأسود ص ٦ »
« ذات أنواط ص ٨ » « أباريق ص ٩ » .

الألفاظ التي غير بها قافية بيتي النمر وهي : « الكشاء ، والصرب ،
« الكمت ، والبث ، والدج ، والملح ، والبح ، والريح ، والجح » ،
« السح ، والمنح » ، « انشد ، والشقد ، والدبس ، والورش ، واللص ،
« والغرض ، والأقط ، والكظ ، والحلح ، والصبغ ، والرخب ،
« والعرق ، والربك أو اللبك ، والرخل ، والطرم ، والحو ، والوزر
« والأرني » . من صفحة « ١٢ إلى ١٦ » « المحظلة ، والسحر ، والمصاب
ص ١٦ » . « القار والدمل ص ١٧ » . « الحباق ص ١٩ » « أغار ، ص ٢١ »
« الدقاري ، المطرد ص ٢٩ » « مكبور ، يكب ص ٣٠ » « هيتانك
ص ٣١ » « ريش وسهمة وخشش ص ٣٥ » « الفراء ص ٤١ » . « المسفة
الدهاء . المجلجل والمجلجل الزبرجد ص ٥٢ » « الحرصات ، الومد ، ميفاف .
النفا . الأرمل . العضم . اللواب . زجة ص ٥٤-٥٥ » « حمت ص ٥٦ »
« التوبة ، الفل ص ٥٨ » « الأثاري ، زقفونة ص ٦٠ » « القرقوف ص ٦١ »
« شزراً وبتاً ص ٦٤ » « العماريس ، الأوقاض ، البجد ، كوي وسري ص ٦٥ »
« العفر ص ٦٨ » « يرمون . البواسن ص ٦٩ » « الأكراس ص ٧٠ »
« أمية ص ٧١ » « هكير ص ٧٣ » « بله ص ٧٤ » « عضل ص ٧٦ »
« الغو ص ٧٨ » « هندية . هند ص ٨٢ » « صرد . محجل ص ٨٦ »
« نضيضة ص ٨٨ » « الحوم ص ٩٤ » « الخبير ص ٩٥ » « غرلا ، ص ٩٧ »
« خزعال ص ١٠٠ » « متحكم ص ١٠٠ » « هلل الشعر ص ١٠٥ » « هلمت ص ١٠٥ »
« النضاضة ص ١٠٧ » « الصدوف ص ١١٣ » « الفرهود ص ١١٨ » « الفيلق
السلق . المناجيب ص ١١٩ » « بحير ص ١٢١ » « الإلاقي ص ١٢٢ »

« كِنَاس ص ١٢٣ » « سادراً ص ١٢٥ » « شق التينة والتمرة ص ١٢٧ »
 « أعظم ص ١٢٨ » « الملوحة ص ١٢٩ » « التبوذة ص ١٣٣ » « الخربق ص ١٣٦ »
 « العذيب ص ١٤٤ » « السوايف ص ١٤٧ » « وعلاً ص ١٥٧ » « ماخ ص ١٥٨ »
 « قضيب ص ١٥٩ » « العمر ص ١٦١ » « الجعفر ص ١٦٣ »
 « المايط والمصادع ص ١٦٨ » « عواء . الحوف . الوقير ص ١٦٩ » « الإشاءة .
 العوانة والكافور ص ١٧٠ » « عرّف ص ١٧٤ » « الدار ص ١٧٦ »
 « البُهم ص ١٨٤ » « نثيثاً ص ١٨٥ » « لبثوك ص ١٨٧ » « تحمل ص
 ١٨٨ » « السبل . أنسخ ص ١٩١ » « يلاص ص ١٩٢ » « صناير .
 عيمة . الرميبي ص ١٩٨ » « دينار النخعة . الكاروكة ص ٢٠٠ »
 « القائمة ٢٠١ » « معطار ص ٢٠٣ » .

وقد ذكر أبو العلاء في (ص ٢١ من الفجران) أبياتاً للأعشى
 فيها قوله :

أَغَارَ لَعْمَرِي فِي الْبِلَادِ وَأُنْجَدَا^(١)

وذكر ما قيل في هذا البيت واعتذر عن ذلك فقال : « وهو - أكل
 الله زينة المحافل بحضوره - يعرف الأقوال في هذا البيت ، وإنما أذكرها
 لأنه قد يجوز أن يقرأ هذا الهذيان ناشئ لم يلفه ذلك » .

واعتذر عن شرحه بعض الكلمات لابن القارح بقوله في (ص ١١٨) :
 « وهو - أنسى الله الإقليم بقربه - أجلّ من أن يشرح له مثل ذلك ،
 وإنما أفرق من وقوع هذه الرسالة في يد غلام مترعرع ، ليس إلى النهم

(١) محز بيت من قصيدة الأعمى وصدده : « نبيّ يرى ما لا يرون وذكره . . . »
 انظر رسالة الفجران تحقيق بنت القاضي ط ١ ص ٦٢ .

بترع ، فتمعج عليه اللفظة ، فيظل معها في مثل القيد ، لا يقدر على
المجل ولا الرديد . (١) .

وهذا اعتذار على سبيل التواضع ، والحق أن أبا العلاء كان يعتمد
الشرح لإظهار قدرته العلمية واللغوية ، وليفهم ابن القارح ما لا يعلمه منه ،
كما كان يعتمد إيراد الألفاظ اللغوية ، لإظهار ذلك . وهذا سبيله في أكثر
كتبه ، وهو - كما قلنا - غزير المادة ، فإذا لم يظهر معرفته بالمأنوس والوحشي
منها لابن القارح وأمثاله فلم يظهرها ؟ .

وما تقدم ذكره يتضح لنا أن في (لزوم مالا يلزم) و (الفصول
والغايات) و (رسالة الغفران) وغيرها من رسائله و (السقط) وما
نقله التبريزي عنه في (شرح الحماسة) و (شرح السقط) من التفسير
والتأويل والتوجيه والاستشاق يكفي للدلالة على كثرة حفظه ، وسعة
اطلاعه ، ومعرفته بأصول الكلمات وتخريجها وردها إلى أصولها ، ومقايستها
بأشباهها ، ومعرفته الشاذ والنادر منها ، وفيها من النقد ومناقشة الشعراء وغيرهم
والاستطراد إلى ذكر المسائل العلمية في فنون متعددة ، ما يدل على سعة
علمه ، وبعد نظره ، وسلامة ذوقه ، واطلاعه على أسرار اللغة ودقائقها
وغريبها . ولو وصلت إلينا كتبه كلها لرأينا فيها أضعاف ما رأينا من
الدلالة على بطة في العلم واللغة ، وبراعة في الفهم والنقد . ولا ننكر
ولا نستطيع أن ننكر ، ولا يستطيع غيرنا أن ينكر أن الشاعر لا يستطيع
أن يصرف كل ما يعلمه من اللغة ومسائل العلم في شعره ، بل لا يمكنه
أن يستخدم فيه ربع ما يعلمه ويحفظه .

(١) انظر الرسالة تحقيق بت الطاطي ط ١ ص ٣٠٧ .

نظمه باد'هجهيه

ولم يكن أبو العلاء يعرف غير العربية ، ولكنه استعمل بعض الكلمات من غيرها ، بما تكلم به الفصحاء قبله أو نقلوه . أو بما لم يتكلم به غيره . وإنما أوردناها على سبيل التملح أو المتظرف أو لغرض آخر لم نتبينه . فمن الأول كلمة « السور » في قوله في اللزوم (١) :

لَا يُبْصِرُ الْقَوْمُ فِي مَعْنَاكَ غَسْلَ يَدٍ عَلَى الطَّعَامِ إِلَى أَنْ يُرْفَعَ الدُّورُ

ولفظ السور استعملها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لأصحابه : « قوموا فقد صنع جابر سورا » . قال ابن الأنثير في (النهاية) : أي صنع طعاماً يدعو إليه الناس . وفي (اللسان) وغيره : صنع طعاماً دعا الناس إليه .

ومنه لفظه « البواسن » قال في (رسالة النفران ص ٦٩) : « فيقول .. لمن حضره من أهل العلم : ما تسمى هذه السلال بالعربية ؟ فيرموث : أي يسكتون : ويقول بعضهم : هذه البواسن ، واحداً باسنة . فيقول قائل : من ذكر هذا من أهل اللغة ؟ فيقول .. : قد ذكرها ابن درستويه (٢) وهو في الحضرة ، فيقول له الخليل : من أين جئت بهذا الحرف ؟ فيقول : وجدته في كتاب النضر بن شميل (٣) ، فيقول الخليل : أتحمق

(١) المزمومات ٥ ص ١٢٤ .

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه من علماء اللغة والنحو صاحب اللبد وله كتب كثيرة توفي سنة ٣٤٧ هـ (ج) .

(٣) النضر بن شميل بن حرشة البصري الأصل أخذ عن الخليل والعرب وأقام بالبادية أربعين عاماً وله كتب كثيرة توفي سنة ٢٠٤ هـ كما في البنية (ج) .

هذا يا نضر ؟ فيقول : قد التبس عليّ الأمر ، ا هـ . قال ابن الأثير في حديث ابن عباس : نزل آدم عليه السلام من الجنة بالباسنة ، قيل : إنها آلات الصنّاع ، وقيل : هي سكة الحرث ، وليس بعربي محض . وقال ابن بري : البواسن جمع باسنة سلال القفّاع . وقال الميمني في ذيل ص ٥٦ (١) : « وذكر في الغفران لفظ « الباسنة » والجمع : بواسن بمعنى الإثاء . وهي هندية فيما أحسب » فتأمل . وعلى كل حال فإن ظاهر كلام أبي العلاء إنكار هذه الكلمة .

ومن الثاني كلمة « آرا » في قوله في لزوم (٢) :

إِذَا قِيلَ لَكَ اخْشَ اللَّهَ مَوْلَاكَ فَقُلْ آرَا

وقد استعملها في (الفصول والغايات) وقال في ص ٢١ : « آرى بالفارسية نعم » . وكلمة « منش » و « أبي ضابط » . وقد ذكرنا ما يتعلق بهاتين الكلمتين في رحلته الى طرابلس واللاذقية وأنطاكية . وقد رأيت في كلام أبي العلاء بعض كلمات لم أجدها فيما لديّ من كتب اللغة ، ولا فيما رأيت من الكلام الفصيح .

من ذلك : كلمة « زقفونة » فقد ذكرها في (رسالة الغفران ص ٧٠) في بيتين ، أحدهما لأجججلول الكفرطايي . والثاني لم يسم قائله . وفسرها بأن يطرح الإنسان يديه على كتفي الآخر ، ويمسك بيديه وبجملة ، ويطنه الى ظهره . ولم أرها في غير هذا المكان .

ومنه لفظ « التلاف » بمعنى التلف والهلاك . وقد ذكرها في (لزوم مالا يلزم) في قوله ص ١١١ ج ٢ :

(١) أبو العلاء وما اليه .

(٢) الزوميات ص ٢٨ .

تَلَاَفَيْنَاهُمْ بِالْقَوْلِ فِيهِ فَجَاءَهُمُ التَّلَافِي بِالَّتِلَافِ^(١)

وقوله في ج ٢ ص ١٥٣ :

وَهَلْ أَلَمْ وَذَادَا رُمَّ مِنْ شَعَثٍ وَقَدْ لَمَحْتُ تَلَاَفِي فِي تَلَاَفِيكَ^(٢)

وقوله في ج ٢ ص ٩٨ :

تَلَاَفَ مَرَكٍ مِنْ قَبْلِ التَّلَاَفِ بِهِ فَعَايَةَ النَّاسِ فِي دُنْيَاهُمْ التَّلَفُ^(٣)

وقوله في (رسالة الغفران ص ١٢٣) : « ولا تلافي بعيد التلاف »

فان المراد من التلاف بحسب الظاهر التلف والهلاك ولم أر من ذكر ذلك .

ورأيت له كلمات انتقدها بعض العلماء ، ولها وجه صحيح . من ذلك لفظ الكل فقد قال في (اللزوم ج ١ ص ٢٧٩) :

لِكُلِّ شَيْمَةٍ وَإِلَى التَّغَاظِي أَجِيءُ الْكُلِّ مِنْ خُوصِرٍ وَخُزْرِ^(٤)

فإن الظاهر أنه يريد بالكل الاستفراق وعموم الأجزاء . وقد أنكر جمهور العلماء دخول « أل » على كل وبعض ، وأبو العلاء أنكر ذلك حيث يقول في (رسالة الغفران ص ١٥١) : « وكذلك قوله : الكل إدخال الألف

(١) وانظر اللزومات ص ٢٩٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٩٠ .

(٤) المصدر السابق ص ١٥٤ .

واللام مكروه ، وكان أبو علي يحيزه ، ويدعي إجازته على سيويه .
فأما الكلام القديم فينتقد فيه الكل والبعض . وقد أنشدوا بيتاً اسجيم :

رَأَيْتُ الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ كِلَيْهِمَا

إِلَى الْمَوْتِ يَأْتِي الْمَوْتُ لِلْكَلِّ مُعْمِداً^(١)»

وقد أجازته غير أبي علي . قال في (اللسان) : وكل وبعض معرفتان ،
ولم يجيء عن العرب بالآلف واللام ، وهو جائز لأن فيها معنى الإضافة ،
أضفت أو لم تضاف ، وهذا كلام الجوهري في (الصحاح) . وقال
الأزهري : أجاز النحويون إدخال الآلف واللام على بعض وكل إلا
الأصمعي . وقال أبو حاتم : قلت للأصمعي : رأيت في كلام ابن المقفع :
العلم كثير ، ولكن أخذت البعض خيراً من ترك الكل . فأنكره أشد
الإنكار ، وقال : بعض وكل معرفتان ، لأنها في نية الإضافة ، ومن
هنا قال أبو علي الفارسي : هما معرفتان لأنها في نية الإضافة . وقد
نصبت العرب عنها الحال ، فقالوا : مررت بكل قائما . ورأيت في
(شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٢٨) من حديث : « فَعَلِيَ أَمِيرُ الْكَلِّ .
وبعد هذا فالأرجح والأفصح ما قاله الأصمعي وأبو العلاء .

ومنه إدخال « أن » بعد كلمة « هب » في قوله في (السقط

ج ٢ ص ٣٥) :

فَهَبْ أَنِّي دَعَوْتُكَ لِلتَّصَانِي عَلَى غَيْرِ الْمُعْتَقَةِ الشُّمُولِ^(٢)

(١) الرسالة تحقيق بنت الشاطي ط ١ ص ٣٩٥ .

(٢) وانظر شروح السقط في ٣ ص ١١٤٥ .

وقد أنكر ذلك جماعة ، وقالوا : « هب » فعل غير متصرف ، لا ماضي له ولا مستقبل ، فالصواب اتصال الضمير به ، فيقال : « هبني » وقال ابن بري : إذا كان بمعنى « احسب » جاز أن يدخل على أن ومعمولها ، فيبدان مدد مفعوليه ، على أنه قد سمع ، فلا مانع منه قياساً واستعمالاً . وفي (المغني) « هب » : بمعنى « ظن » ، الغالب تعديه الى صريح المفعولين . ووقوعه على أن وصلتها نادر . وقد روي : « هب أن أبانا كان حجرا ، ويروى كان حمارا » . وعلى كل فإن التعبير بالجواز وبالندرة يدل على أن ترك أن معه أفصح وأشيع .

ما لحنه فيه بعض العلماء :

وانتقد بعضهم قوله في (السقط ج ١ ص ٢٣) :

شَجَا رَكْبًا وَأَفْرَاسًا وَإِبِلًا وَزَادَ فَكَأَنَّا نَشْجُو الرَّحَالَ^(١)

لأنه لم يظهر النصب على واو « يشجو » وجمله مقدراً للضرورة . وقد قدمنا الكلام في هذا ، وفي بيت (لزوم ما لا يلزم) السابق . ونزيد هنا أن الرضي قال في (شرح الكافية ج ٢ ص ٢٣٠) : « ويقدر لأجل الضرورة كثيراً نصب الواو والياء » . هـ .

وقد وقع في كلام الفصحاء نحو من هذا كقول الأعشى :

فَأَلَيْتُ لَا أَرْتِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ وَلَا مِنْ حَفَى حَتَّى تُلَاقِي مُحَمَّدًا^(٢)

(١) وانظر العرواح ق ١ ص ٧٩

(٢) ديوانه - تحقيق الدكتور م. محمد حسين - ص ١٣٥ وفيه : « .. حتى تزور محمداً »

جا (٤)

١ الجامع لأخبار أبي العلاء ٢

وقول عامر بن الطفيل المتقدم :

. أَيْبَى اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِأَمٍّ وَلَا أَبٍ^(١)

وقول كعب بن زهير :

أَرْجُو وَأُمِّلُ أَنْ تَدُنُو مَوَدَّتَهَا وَمَا إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكَ تَذْوِيلُ^(٢)

وقد قال ابن هشام في شرح هذه القصيدة بانت سعاد . . ص ٤٣ :
إنه « يحتمل وجهين : أحدهما إهمال أن المصدرية ، حلا لها على ما المصدرية . .
والثاني إجراء الفتحة على الواو مجرى الضمة للضرورة ، قال المبرد :
وهو من أحسن الضرورات » . وقد وقع مثل هذا في كلام المتنبي ، كقوله :

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْمُو بِلَحْيَةٍ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقُّ^(٣)

ولحن فريق من النحاة أبا العلاء في قوله في (السقط ج ١ ص ٢٨) :

يُذِيبُ الرَّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ فَلَوْلَا الْغَمْدُ يُمْسِكُهُ لَسَالَا^(٤)

قالوا : إنه ذكر خبر البدء الواقع بعد لولا ، وإنما يجب حذفه .
وقد تعرض لهذه المسألة ابن هشام في (الغني) في الكلام على « لولا »
والصفدي في (النيث المسجم) وابن مالك في (شرح التسهيل) وابن عقيل
في (شرح الألفية) والعياني في (الشواهد الكبرى) والسيوطي في (مع
الموامع) والخفري في (حاشيته على ابن عقيل) .

(١) صدره : « فا سودتي عامر عن قرابة » انظر ديوانه ص ٩٣ طبع لابدن .

(٢) ديوانه ص ٩ صفة الكرمي طبع دار الكتب المصرية .

(٣) الفرق الطيب ٢ : ٢٦٢ .

(٤) انظر الفروع ن ١ ص ١٠٤ .

والذي اختاره المحققون في هذه المسألة ، أن خبر المبتدأ الذي بعد لولا إذا كان كونا عاما وجب حذفه . وإذا كان كونا مقيدا ، فإن لم يدل عليه دليل وجب ذكره ، وإن دل عليه دليل من نفس الكلام جاز إثباته وحذفه . ومنه بيت أبي العلاء ، فإن شأن الغمد إمساك السيف ، وعلى هذا لا يكون البيت لنا . على أنه يجوز أن يكون « بمكة » بدل اشتمال والخبر محذوف . وخلاصة القول ، أن البيت بريء من اللحن ، وإن أطال القوم القول فيه .

ولعل قائلًا ينكر عليه في لزوم :

سَعَوْا الْفَسَادَ الدِّينِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ فَمَا بِالْهَمِّ لَا يَسْتَضَامُوا وَيَدْفَعُوا^(١)

لأنه حذف النون من « يستضاموا ويدفعوا » إن لم تكن الرواية : لم يستضاموا . وحذفها في مثل هذا الموضع نادر .

ولقائل أن ينتقد قول أبي العلاء في وصف فرس :

كَأَنَّ أُذُنِيهِ أَعْطَتْ قَلْبَهُ خَبْرًا عَنِ السَّمَاءِ بِمَا يَلْقَى مِنَ الْغَيْرِ^(٢)

وكان حقه أن يقول : كأن أذنيه أعطتا . وقد قال التبريزي : « قال أبو العلاء : الاثنان عندم جمع ، فلذلك جاز أن يخبر عنها بإخبار الجمع . وفي الكتاب العزيز ﴿ قَالُوا لَا تَحْتَفِ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴾^(٣) . وقال الفرزدق :

(١) اللزومات هـ س ٢٨١ وفيها : « لم يستضاموا ... » .

(٢) شروح سطح الزند : ق ١ س ١٤٦ .

(٣) سورة هـ س ٤ الآية ٢٢ .

قَلَوَ يَخِلَّتْ يَدَايَ بِهَا وَضَنْتُ لَكَانَ لَهَا عَلَى الْقَدَرِ الْخِيَارُ^(١)

وقال سلمى بن ربيعة :

وَكَاُنْ فِي الْعَيْنَيْنِ حَبٌّ قَرَنْفَلٍ أَوْ سُبُلًا كُحِلَتْ بِهِ فَأَنْهَلْتُ^(٢)

وقال صدر الأفاضل الخوارزمي : « فإن قلت : كيف لم يبرز الضمير في « أعطت » مع إسناده الى ضمير الاثنين ؟ قلت : إما لأنه قد نزل العضوين منزلة عضو واحد لأن المقصود بهما منفعة واحدة . . . وإما لأنه قد عامل المثنى معاملة الجمع »^(٣) . واستشهد لقوله في كلا القسمين .

ولابن الشجري في أماليه كلام مفيد في هذا الباب . وقد نقله صاحب (خزنة الأدب ج ٣ ص ٣٧٦) ونقل عن أبي عمرو : إذا كان الاثنان لا يكاد أحدهما ينفرد من الآخر ، مثل اليدين والرجلين والخفين فإن تقدم مشناه جاز لك في الشعر والكلام أن توحد صفته ، فتقول : خفان جديد وجديدان ، وعينان ضخمة وضخمتان ، لأن الواحد يدل على صاحبه إذا كان لا يفارقه . وكلام أبي عمرو يدل على الجواز في السمة . وقالوا في قول المتنبي :

وَعَيْنَايَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ قَرَنْعُ^(٤)

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٤٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٤٧

(٣) المصدر السابق ص ١٤٦

(٤) صدره : « حشاي على جسر ذكي من المعوى » وهو البيت الثالث من قصيدة

قالها في صباه مجدح علي بن أحد الطائي ومطلبها :

حشاشة همس ودعت يوم ودعوا فلم أدر أيّ الطاعنين أشتج

انظر الفرق الطب ٢٤/١

دليل على جواز ما تقدم في السعة لافي مقام الضرورة فقط ، لأنه يمكنه أن يقول . « وعيني في روض » بدلاً من « وعيناي » .
وما ذكرناه عن أبي الملاء نفسه ، وعن أبي عمرو ، وما أوردناه من الشواهد أو أحلنا عليه ، دليل على أن قول أبي الملاء صحيح لا غبار عليه .
وانتقد قول أبي الملاء :

تَخْبُهُ بِكَ الْجِيَادُ كَأَنَّ جَوْنًا عَلَى لَبَائِقِنِ الْأَرْجَوَانِ^(١)

لأنه جمل « جوة » اسماً لكأن ، وهو نكرة ، و « الأرجوان » خبراً لها ، وهو معرفة ، والقياس على عكس ذلك . وإيضاح هذا أن اسم كان وأخواتها حكمه حكم المبتدأ ، فيجب أن يكون معرفة ، لأنه محكوم عليه ، والمحكوم عليه لابد من تعيينه أو تخصيصه بمسوغ ، لأن الحكم على المجهول المطلق لا يفيد السامع شيئاً ، بل يورثه حيرة ، فينفر عن الإصغاء لحكمه المذكور بعده :

وقد وقع مثل هذا في مواطن من شعر أبي الملاء ، كقوله :

مُضْمَخًا يَنْظُرُ فِي عِطْفِهِ كَأَنَّ مِسْكَانَ لَوْنَهُ الْأَسْحَمُ^(٢)

وقوله :

كَأَنَّ حَرَامًا أَنْ تُفَارِقَ صَارِمًا يَكُونُ لِيَا أَضْمَرْتُ أَوَّلَ فَاعِلٍ^(٣)

(١) دروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٠٠

(٢) دروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٥٤

(٣) دروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٨٣

ورقم نظيره أيضاً في كلام الصلتان :

أَرَى الْحَطَفَى بَذَّ الْفَرْزْدَقَ شَعْرَهُ وَلَكِنْ خَيْرًا مِنْ كَلْبِ بْنِ مُجَاشِعٍ^(١)

وفي قول الفرزدق :

وَإِنْ حَرَامًا أَنْ أَسْبَ مُقَاعِسًا بِأَبَائِي الشُّمُ الْكِرَامِ الْخَضَارِمِ^(٢)

وقد اعتذر بعض العلماء عن المعري بأن لفظ « جوناً » نكرة موصوف بقوله على لبائهن ، وهو ليس بقوي . والحق أن القياس أرجح وأصح ، وإن وقع في شعر الفرزدق والصلتان .

ويحوز أن يعترض على قوله :

أَشْخَنَ وَقَدْ أَقْمَنَ عَلَى وَفَازٍ ثَلَاثَ حَنَادِسٍ يَرَعَيْنِ شَيْحًا^(٣)

بأنه حذف التاء من « ثلاث » ، وهي مضافة إلى « حنادس » جمع حندس ، والقاعدة الشهيرة أن العدد المضاف يؤنث مع المعدود المذكر ، ويذكر مع المعدود المؤنث . فتقول : ثلاثة رجال ، وأربع نساء ؛ وأن المعتبر في ذلك تذكير الواحد وتأنيثه ، وإن كان الجمع بخلاف ذلك . فتقول : « ثلاثة حنات » بالتاء ، على القول المختار . « وثلاث هنود » بغير تاء ، تبعاً لتذكير المفرد في الأول ، وتأنيثه في الثاني . وقد قال بعض الشراح : إنه حذف التاء لأن الحنادس ليال ، وهي ليلة الثاني والعشرين ، والثالث والعشرين ، والرابع والعشرين . وصحبت « حنادس » لشدة ظلمتها . وهذا الجواب غير مرضي .

(١) خزنة الأدب ٣٠٦/١ طبع بولاق .

(٢) دبوته ٨٤٤/٢ تحقيق الصاوي ، وفي رواية : « وليس جدل إن سبت » .

(٣) شروح سقط الزند : في ١ ص ٢٦٢ ، والوفاز : البجة واحدها وفازة .

وكذلك قوله (١) :

فَلَوْلَا اللَّهُ قَالَ النَّاسُ أَضَحَّتْ ثَمَانِيَّةٌ بِهِ السَّبْعُ الشَّدَادُ

وقبله :

بَنَى مِنْ جَوْهَرِ الْعَلَيَاءِ بَيْتًا كَأَنَّ النِّيرَاتِ لَهُ عِمَادُ
إِذَا شَمْسُ الضُّحَى نَظَرَتْ إِلَيْهِ أَقَرْتُ أَنْ حُلَّتْهَا حِدَادُ

أدخل التاء على « ثمانية » مع أن المعداد « السبع الشداد » وهي مؤنثة ، فالقياس يقضي بأن يقول : « ثانيا » . وأجاب بعض العلماء أنه أراد بالسبع الشداد السموات ، وهي مؤنثة ، ولكنه جعل من جعلها البيت — الذي ذكره في البيت السابق — وهو مذكر ، فغلب المذكر على المؤنث ، وزاد التبريزي على ذلك فقال : « ولو كان عندك سبع من النساء ورجل ثامن فقلت : عندي ثمانية بالماء (٢) » . وفي هذا الجواب نظر .

وكذلك يجوز أن يعترض على قوله في (لزوم مالا يلزم) :

خَيْرٌ لِنَفْسِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَكْوُسٍ (٣)

فإنه أدخل التاء على « ثلاثة » ، مع أن المعداد مؤنث مفرداً وجمعاً ، وهو خلاف المشهور . ويمكن الجواب عن هذا وما قبله ، بأن السيوطي

(١) شروح - قط الزند : ق ١ ص ٢٩٢ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) عجزيت هو مطلع لزومة صدره : « حمى ثلاث نبي حياً علة ... » الزوايات

ص ٣٠٣ .

نقل عن ابن هشام وغيره أن الممدود إذا كان اسماً وكان لفظه مذكراً ومعناه مؤنثاً يجوز فيه وجهان . وعبارة التسهيل : وربما أول مذكر بمؤنث ، ومؤنث بمذكر ، فجيء بالعدد على حسب التأويل . ومثل الدماميني الأول بنحو « ثلاث شخص » تريد نوة « وعشر أبطن » تريد قباقل . والثاني بنحو « ثلاثة أنفس » أي أشخاص و « تسعة وقائع » أي مشاهد . وكذلك قوله :

إِنْ كُنْتَ مُدْعِيًا مُؤَدَّةَ زَيْنَبٍ فَاسْكَبْ دُمُوعَكَ يَا غَمَامٌ وَتَسْكَبِ^(١)

قيل : إنه يريد « ولنسكب » فكر الباء لاجتماع الساكنين ، هي وياء الإطلاق . ويرد هذا أن الكسر حركة حرف الروي ، وياء الإطلاق لا يتصور حدوثها قبل كسر ما قبلها .

وقيل : إنه منجزم بالمعطف على محل قوله « فاسكب » لأن محله الجزم ، من حيث إنه في مقام الجزاء لا من حيث إنه أمر . ونظيره قوله تعالى : ﴿ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا هَادِيَّ كَلْهُ وَيَذَرُهُمْ^(٢) ﴾ . بالجزم وهو معطوف على محل قوله : « فَلَاحَادِيَّ لَهُ » .

ويحتمل أن يكون انجرامه على إضمار لام الأمر ، ونظيره في هذا الوجه قول متمم بن نويرة أنشدته سيبويه (ج ١ ص ٤٠٩) (٣) :

(١) شروح ساطع الزند ن ٣ ص ١١٢٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٨٦ . وفرت « بفرم » بالضم أيضاً .

(٣) انظر الكتاب

عَلَى مِثْلِ أَصْحَابِ الْبُعُوضَةِ فَأَخْمَشِي
لَكَ الْوَيْلُ حُرِّ الْوَجْهِ أَوْ يَبْكُ مَنْ بَكَى
أراد « ليبك »

ومثله قول مدثر بن شيبان النمري على قول الأصمعي ، كما قال ابن
السكريت في (القلب والإبدال ص ١٩) :

فَقُلْتُ ادْعِي وَأَدْعُ فَإِنْ أُنْدَى لَصَوْتُ أَنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ
وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَحُوزُ إِضْمَارَ لَامِ الْأَمْرِ فِي الشَّرِّ مَا أَنْشَدَهُ سَبْيُوهُ
(ج ١ ص ٤٠٨) (١) :

مُحَمَّدٌ تَقْدِرُ نَفْسُكَ كُلَّ نَفْسٍ إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ شَيْءٍ تَبَالًا
أراد : « لتقد » .

وكذلك قوله في الدرعيات :

أَعِيدِي إِلَيْهَا نَظْرَةً لَا مُرِيدَةَ

لَهَا الْبَيْعَ وَأَعْصِي الْخَادِعِي لَكَ بِالْمَالِ (٢)

قال بعضهم : حذف النون من « الخادعي » كما حذف من قوله تعالى :
﴿ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ (٣) ﴾ بالنصب . على أن حذف النون هنا أوجه ، لأن اللام

(١) الكتاب

(٢) شروح سقط الزند : ف ٤ ص ١٨٧٢ وفيها : « الخادعي لله بالخال » .

(٣) سورة الحج الآية ٣٥ ونماها : « الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين »

على ما أحاسن والمحيي الصلاة وما رزقناهم ينفقون » .

مع فصلها بين المضاف والمضاف إليه من حيث الصورة ، مقررّة للاضافة من حيث المعنى . ولذلك أعيد الألف في قولك : « لا أبالك » .

وكذلك قوله :

فَأَقْسِمُ مَا طُيُورُ الْجَوِّ سُخْمًا كَسُنْ وَلَا نَعَامُ الدَّوِّ رُوحًا^(١)

فقد أدخل الكاف على « من » ، وذلك لا يجوز في السعة عند الأكثر ، وقد يرتكبه الشعراء في الشعر ضرورة . وذلك أنهم شبهوا دخول الكاف على الماء بدخول اللام والباء في قولهم : « له وبه » قال المعجاج :

وَأَمْ أَوْعَالٍ كَتَا أَوْ أَقْرَبَا

وقال :

فَلَا تَرَى بَعْلًا وَلَا حَلَاثِلًا كَهْ وَلَا كَسُنْ إِلَّا حَاطِلًا^(٢)

وقد اختلف العلماء في ذلك ، فمنهم من أجاز « أنا كك » « وأنت كي » وزعم أنه ورد في كلام العرب ، ومنهم من نفى صحة ذلك ، وجعله من باب الضرورة فقط ، ولا يميزه في السعة .

وفيه كلام مطول مذكور في (شروح السقط) وفي (خزانة الأدب)

للبنّاداي (ج ٤ ص ٢٧٤ ، ٢٧٧) .

(١) شروح صفط الزند : ن ١ ص ٢٦٥ ، والدوّ : صحراء - ملأه لا علم بها ، والروح : جمع أرواح وروحاء ، والروّاح : تباعد ما بين الرجلين .

(٢) مجموع أشعار العرب لأولاد البوسني ١٢٨/٣ طبع برلين وفيه : « كَسُنْ وَ... » .

المروى والقوافي

ضنت علينا الأيام بمعرفة الزمان والمكان اللذين درس فيها أبو اللؤلؤ هذين العلمين : العروض والقوافي ، وبمعرفة شيوخه الذين تخرج بهم فيها ، وبمعرفة جميع ما قرأه من الكتب المصنفة فيها . وما لاشك فيه ، أنه اطلع على ما كتبه الخليل بن أحمد ، والأخفش ، والجرمي ، ويونس ، والزجاجي ، والفراء ، وخلف بن حيان ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو بكر بن السراج ، والزجاج ، وأبو الحسن المروسي .

والدليل على ذلك أنه نقل في كتبه ورسائله عن هؤلاء ، وانتقد بعض أقوالهم ، وأيد بعضاً آخر ، ورجع قولاً على قول ورأياً على رأي .

وسأيت أن له كتباً في هذين العلمين ، ولكننا لم نطلع عليها . وكل ما أمكنتنا معرفته من كلامه المتعلق بالعروض والقوافي أو بأحدهما ما يأتي :

١ - أنه صدر ديوانه (لزوم ما لا يلزم) بمقدمة ممتعة ، استوفى فيها معظم القول على حروف القافية ، وحركاتها وعيوبها ، وجمع فيها من أحكام القوافي ، المسموعة والمقيبة أو المصنوعة ما لم نره لغيره .

٢ - ذكر في (الفصول والغايات ص ٢١٢ و ٣١٨ و ٤٤٦) من مسائل العروض شيئاً كثيراً .

٣ - ذكر في (رسالة الإغريض ص ٣٧ ، ٣٨) ، وفي (رسالته الى القاضي أبي الطيب طاهر بن عبدالله ص ١٠٠) وفي (رسالته الى أبي الحسين أحمد بن عثمان النكتي البصري ص ١٠٩) (١) كثيراً من أنواع الزحاف وغيره من مسائل هذا العلم .

(١) انظر الرسائل الثلاث في رسائل أبي اللؤلؤ المرعي لنابغ عتبة .

٤ - استعمل كثيراً من مسائل هذين العالين وأحكامها ومصطلحاتها في نثره وشعره ، في باب التورية والتشبيه ، والكناية ، وغيرها من أبواب البيان ، بصورة تدل على قدرة وبراعة ، من ذلك قوله في (سقط الزند ج ٢ ص ٨٥) :

إِذَا الْمُنْهَوِّ قُتِبَ بِهِ انْتِصَارًا لَهُ مِنْ غَيْرِهِ فَضَلَ الطَّوِيلُ^(١)
وقوله في اللزوم :

كَالْبَيْتِ أَفْرَدًا إِطَاءً يُذَرِّكُهُ وَلَا سِنَادَ وَلَا فِي اللَّفْظِ إِقْوَاءً^(٢)

. . .

خَبَرَ الْحَيَاةَ شُرُورَهَا وَسُرُورَهَا مِنْ عَاشَ عِدَّةَ أَوَّلِ الْمُتَقَارِبِ^(٣)

. . .

وَإِكْرَمَنِي عَلَى عَيْنِي رِجَالًا كَمَا بُنِيَ الْقَرِيضُ عَلَى الزَّحَافِ^(٤)

ويمكننا أن نستنتج من كلامه في المواطن المذكورة وغيرها أموراً منها :

١ - أنه كان شديد الاستقراء ، واسع الاطلاع على كلام القوم ، غارفاً بما يوافق كلام الأئمة وما يخالفه .

٢ - أنه لا يتابع المتقدمين في كل ما قالوه ، وإنما كان يناقش أقوالهم ، ويرجع بعضها على بعض .

(١) هروح سقط الزند : ف ٣ ص ١٣٩٥ ، والمنهوك من الشعر : أنصره ، والطويل : أطول القريض .

(٢) اللزوميات ٥ ص ٢٢ .

(٣) اللزوميات ٥ ص ٥٢ .

(٤) اللزوميات ٥ ص ٢٩٦ ونيفاً : « كما روي القريض ... » .

- ٣ — أنه كان يعول على استقائه ، فيحكم أحكاماً عامة .
 ٤ — أنه يعتمد على نفسه وعلمه ، فيجيز كثيراً مما منعه القوم ،
 ويمنع كثيراً مما جوزوه .
 ٥ — أنه ابتكر تقبلاً لبعض أحكام هذين العلمين ولقوافي الشعر كله .
 وهذه أمثلة توضح ما ذكرناه :

قال في (الفصول والغايات ص ٢١٢) : « والبسيط والطويل . .
 عليهما جمهور شعر العرب . . . والطبقة الأولى ، امرؤ القيس ، وزهير ،
 والناطقة ، والأعشى في بعض الروايات ، ليس في ديوان أحد منهم
 مديد . . وجاءت قصيدة لطرفة ، وأبيات فاردة لمهلل . . ، وتوجد هذه
 الأوزان القصار في أشعار المكثين والمدنيين ؛ كمر بن أبي ربيعة .
 ووضّاح اليمن ، والمرجى ، وبشاكلهم عدي بن زيد » .

وقال في (ص ٣١٨) : « وإنا يعرف الجزل في شعر العرب لجزء
 مفرد في البيت . . . والوقص . . . [إنا] تجيء العرب به في جزء واحد
 [من البيت] ، فإن زاد ففي جزئين » . وقد رد في هذا الموضع على الخليل .
 وغلط ابن دريد في تسمية مثل هذا خرقاً ما .

وذكر في (ص ٤٤٦) : « أن الإغرام دون التضيين » . ثم قال :
 « وكان بعض المتأخرين يزعم أن الإغرام أن يتم وزن البيت ولا تتم
 الكلمة ، وهذا لا يعرف في شعر العرب ، وإنا ينعمده المحدثون » .
 وذكر له مثالا .

وفي مقدمة (لزوم مالا يلزم) : « أكثر ما أسس من أشعار العرب
 إنا يكون بعد ألفه كسرة كحامل ... »^(١) .

(١) انظر مقدمة القرويات الطبعة الهندية ص ١ - ١٩ .

وفي (رسائله ص ١١٣) : « العقل مفقود في شعر العرب ،
والنقص قليل » .

وقال في (لزوم مالا يلزم ص ٣١) : « ما روي من شعرا مريء القيس
لا نعلم فيه شيئا على الطاء والظاء ولا الشين ولا الخاء ، وكذلك
ديوان النابغة ليس فيه روي بني على الصاد ولا الضاد . وأبو عبادة . .
لا أعلم فيما روي له شيئا على الخاء ولا العين ولا التاء . . » وقال في (ص ١٢) :
« فهذا رأي المتقدمين ، ولا يمتنع في حكم الغريزة أن تكون الألف تأسياء ،
وبعدها كلمة ليس فيها إضمار . فلو جاءت بعد ذلك « الخضارم » ،
و « الأكارم » و « دايح » ونحوها لكان عندي غير قبيح . . . » (١) .
وفي (ص ٢٣) : « ولم يفرقوا بين المقيد والمطلق في مجيء الواو
المضوم ما قبلها . . . » وأنا أفرق بين المطلق والمقيد وأعده في المقيد أشد . .
وفي (ص ٢٥) : « ولم يفرقوا بين المقيد والمجرد ، والمقيد المؤنس ،
وهو عندي في المؤنس أفصح » (٢) .

وفي (ص ١٧) ذكر منازل الروي ، والتأسيس ، والردف ،
والوصل ، والخروج .

وفي (ص ٢٦) ذكر منازل الحركات بأسلوب جامع مانع .
وفي (ص ٣٩) قسم القوافي إلى : ذلّل ، ونفّر ، وحوش .

وعزت على رسالة خطية استوفى فيها ذكر البحور والضروب التي
نظم فيها المتنبي مع الزحافات وأقسام القوافي وستأتي .

(١) انظر طعنة الزوميات الطبعة الهندية ١ - ١٩ .

(٢) المصدر السابق .

وذكر التبديزي في (شرح حاشية أبي تمام ج ٢ ص ١٨٦) أن أبا
العلاء أحصى ما وضعه أبو تمام من أجناس الشعر الخمة عشر ، وما فاته
منها ، وذكر الضروب والقوافي والأوزان الشاذة فراجع .
وما في هذه المواطن من مباحث هذا العلم لا يعرف قدره إلا بالاطلاع
عليه كله ، ولولا خشية الإطالة لأوردناه بمخفاه .

العلوم غير الشرعية واللغوية

يتجلى للباحث ، فيما وصل إلينا من كتب أبي العلاء وآثاره القليلة ،
أنه كان ملماً بعلوم أخرى غير علوم الدين واللغات ، كالرياضيات ،
والطبيعيات ، والمنطق ، والفلسفة . وأن ما في « لزوم مالا يلزم » من
الإشارات إلى ما اصطلاح عليه أهل هذه العلوم برهان كافٍ في الدلالة
على أنه ضرب فيها بسهم وافر . ولا يبعد أن يكون في كتبه التي
لم يتيح لنا الاطلاع عليها ما يدل على سعة اطلاعه ، وشدة اضطلاع به تلك
العلوم ، وإنك لتجد في كلامه إشارات إلى ما يتعلق بعلم الحساب مثل
قوله (١) :

وَقَدْ أَنَايَ الْآيَامَ يُجْدِثُ نَقْصًا وَازْدِيَادًا وَالْجِسْمُ لِلنَّفْسِ تَبَعُ
خَمْسَةٌ فِي تَظْيِيرِهَا خَمْسُ خَمْسًا تَتَمَّتْ وَالنِّصْفُ فِي النِّصْفِ رُبْعُ

وقد أعاد هذا المعنى ، وأجاد فيه بقوله (٢) :

سَمَّا نَفَرْتُ ضَرْبَ الْمِثْنِ وَلَمْ أَزَلْ بِحَمْدِكَ مِثْلَ الْكَسْرِ يُضْرَبُ فِي الْكَسْرِ

(١) اللزومات ٥ ص ٢٨٤ .

(٢) اللزومات ٥ ص ١٤٩ .

وإلى ما يتعلق بالهندسة مثل قوله (١) :

خَطَّاسْتَوَاءٌ بَدَأَ عَنْ نُقْطَةٍ عَجَبٍ أَقْنَتَ خُطُوطًا وَأَقْلَامًا وَكُتَابًا

. . .

وقوله (٢) :

ظَلُّوا كَدَائِرَةَ تَحَوَّلَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فَجَمِيعُهَا مَنكُوسٌ

. . .

وقوله (٣) :

بَدَتْ كُرَّةٌ كَمَا أَنَّ الْوَقْتَ لَا هِيَ بِهَا عَزَّ الْمُهَيَّمِينَ إِذْ كَرَاهَا

وإشارات إلى ما يتعلق بالمنطق والفلسفة كقوله (٤) :

أَرَى الْحَيَّ جِنْسًا ظَلَّ يَشْمَلُ عَالَمِي بِأَنْوَاعِهِ لَا بُورِكَ النَّوْعُ وَالْجِنْسُ

. . .

وقوله (٥) :

جَرَتْ الْقَضَايَا فِي الْأَنَامِ وَأَمْضِيَتْ صُدُفًا بِأَسْوَارٍ وَلَا أَسْوَارٍ

. . .

(١) الزوميات ٥ س ٤٠ .

(٢) الزوميات ٥ س ٢٩٥ : وفيها : « فجميعها منكوس » .

(٣) الزوميات ٥ س ٣٣٨ .

(٤) الزوميات ٥ س ٣٠٩ .

(٥) الزوميات ٥ س ١٥٩ .

وقوله (١) :

هُمَا نَقِيضَانِ لَا يَسْتَجِمَعَانِ بِهِ وَالظِّي غَيْرُ مُقِيمٍ فِي ذَرَى الْأَسَدِ

• • •

وقوله (٢) :

أَرَى جَوْهَرًا حَلَّ فِيهِ عَرَضٌ تَبَارَكَ خَالِقُهُ مَا الْغَرَضُ

• • •

وقوله (٣) :

وَالْعُمْرُ مَقْسُومٌ عَلَى الْأَكْوَانِ بِالْ—جُزْءِهِ الْأَقْلَ وَلَيْسَ بِالْأَعْشَارِ

• • •

وقوله (٤) :

يَزْعُمُ أَنَّ الْعَشَرَ مَا نِصْفُهَا خَمْسٌ وَأَنَّ الْجِسْمَ لَا فِي مَكَانٍ

وفي بعض هذه الآيات إشارات إلى أكثر من علم واحد ، وقال في (الفصول والغايات ص ٣٩) : « [فَتَعَالَى اللَّهُ عِدَّةَ الْخُنْدِ] ، إِذَا قَسِمَ نَقْطَةً ، وَالنَّقْطَةُ أَقْلٌ مَا يَكُونُ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ زُهَاً الْأَشْيَاءِ ، وَالثَّيِّبُ جُزْءُهُ لَا يَتَجَزَأُ ، تُقَسَّمُ عَلَى ذَلِكَ مِيَاهُ الْبَحْرِ ، وَرِمَالُ الْأَرْضِ ، وَثِقَالُ الْمِضَابِ » .

(١) الزوميات ص ١٠٨ .

(٢) الزوميات ص ٢٨٠ .

(٣) الزوميات ص ١٦٢ .

(٤) الزوميات ص ٢٨٥ .

وفي شعره ما يشعر باطلاعه على علوم مختلفة ، بحسب ما اُصطلح
المنقدمون فيها ، كقوله (١) :

حَيَوَانٌ وَجَامِدٌ غَيْرُ نَامٍ وَنَبَاتٌ لَهُ بِسْقِيَا نَمَاءُ
.....

وقوله (٢) :

وَالشَّرُّ فِي حَيَوَانِ الْأَرْضِ مُفْتَرِقٌ وَالْإِنْسُ كَالْوَحْشِ مِنْ ضَارٍ وَمُبْتَقِلٍ
.....

وقوله (٣) :

وَالْخَيْرُ مِنْ زَيْتَبَقٍ تَشْكُلُهُ وَإِنَّمَا يَرْقُبُ امْرُؤٌ غَيْرَهُ
.....

وقوله (٤) :

الْخَلْقُ مِنْ أَرْبَعٍ مُجْمَعَةٍ نَارٍ وَمَاءٍ وَتُرْبَةٍ وَهَوَا
.....

وقوله (٥) :

وَالْخَيْرُ فِي الْأَرْضِ كَالْأُتْرُجِ مُنْبِتُهُ شَاكٍ وَأُزِمَ تَدْخِينًا بِكِبْرِيتٍ

(١) الزوبيات ، ص ٣٤ .

(٢) الزوبيات ، ص ٢١٤ .

(٣) الزوبيات ، ص ١٤٤ .

(٤) الزوبيات ، ص ٣٤٢ .

(٥) الزوبيات ، ص ٦٦ .

وقوله (١) :

عَجِبْتُ لِطَيْرٍ بِلُطْفِ الْمَلِكِ مَخْلُوقَةٍ إِصْلَاحِ الثَّمَرِ
تُثَقِّبُهُ مُوَلَّعَاتٍ بِهِ وَلَوْ لَمْ تَزُرْهُ تَبَاوَى قَدَرُ
تَحُلُّ مَحَلًّا لَهَا ثَانِيًا وَتَتْرِكُ مَنَزِلَهَا قَدْ دَمَرَ

. . .

وقوله (٢) :

فِي التُّرْبِ وَالصُّخْرِ وَالثَّمَارِ فِي السَّمَاءِ نُفُوسٌ يَصُوعُهَا الْقَدَرُ
فَصَادِرٌ لَا وَرُودَ يُذَرِّكُهُ وَوَارِدٌ لَا يَنَالُهُ الصَّدْرُ

. . .

وقوله (٣) :

وَالطُّوْلُ فِي وَسْطَى الْبَنَانِ لِعِلَّةِ كَالنَّقْصِ فِي إِبَاهِمَا وَالْخَنْصِرِ

. . .

وقوله (٤) :

وَالنَّاسُ بِالنَّاسِ مِنْ حَضَرٍ وَبَادِيَةٍ بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا أَخْذَمَ

(١) الزوميات ٥ س ١٧٠

(٢) الزوميات ٥ س ١٣٥ وفيها : . . . لا يناله صدر .

(٣) الزوميات ٥ س ١٠٨ .

(٤) الزوميات ٥ س ٢٢٣ .

وَكُلُّ مُحْضٍ لِأَمْرِ مَا يُعَارِسُهُ
لَا مَشْيَ لِلْكَفِّ بَلْ تَمْشِي بِكَ الْقَدَمُ

. . .

وقوله (١) :

أَمَّا يَرَى الْإِنْسَانُ فِي أَنْفْسِهِ آيَاتِ رَبِّ كَلَّمَهَا غُرٌّ
فِي فَمِهِ عَذْبٌ وَفِي عَيْنِهِ مِلْحٌ وَفِي مِسْمَعِهِ مُرٌّ

. . .

وقوله (٢) :

وَفِي كُلِّ شَرٍّ دَعْتُهُ الْخُطُوبُ شَوَاسِعُ مَنْقَعَةٍ أَوْ دَوَانِي
وَأَجْزَاءُ تَرْيَاقِهِمْ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِجُزْءٍ مِنَ الْأَفْعَوَانِ

. . .

وقوله (٣) :

وَأَرَى الْأَرْبَعَ الْغَرَائِزَ فِينَا وَهِيَ فِي جُثَّةِ الْفَتَى خُصَمَاءُ
إِنْ تَوَافَقْنَ صَحَّ أَوْ لَا فَمَا يَنْزِفُكَ عَنْهَا الْإِمْرَاضُ وَالْإِغْمَاءُ

. . .

وأمثال هذا كثير في شعره ، وذلك يدل على إلمامه بكثير من
العلوم المشار في هذه الأبيات إلى ما اصطاح عليه أهلها في ذلك العصر .

(١) الزوبيات ٥ ص ١٣٤ .

(٢) الزوبيات ٥ ص ٢٨٣ .

(٣) الزوبيات ٥ ص ٢٤ .

الفلك

أما إلامه بعلم الفلك والنجوم ، فإن ما وقفنا عليه في ديوانيه ، يدل على تمكنه فيها بقدر ما يستطيعه أمثاله . ولعل الباحث إذا استقرى شعره وجد فيه أكثر أسماء النجوم التي انتهى العلم في عصره إلى معرفتها . وقد بحث عن عناصرها ، وطبائعها ، وقرانها ، وشبه بها ، وشبهها بغيرها ، وذكر كثيراً مما يعتقد الناس في طلوعها ، وغروبها ، واقترانها ، وقدمها ، وخلودها ، وفنائها ، وما شاكل ذلك . وإليك جملة من أقواله في الفلك والنجوم ، وما يتعلق بها :

وَالنَّخْلُ يُجْنَى حِينَ يُرْطَبُ زَهْوُهُ

وَالْبَذَرُ يُكْسَفُ لَيْلَةَ الْإِبْدَارِ^(١)

• • •

وَمِرْآةُ الْمُنَجِّمِ وَهِيَ صُغْرَى أَرْتُهُ كُلَّ عَامِرَةٍ وَقَفْرٍ^(٢)

• • •

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُنَجِّمُ مَا يُوجِبُ لِلدِّينِ أَنْ يَكُونَ صَرِيحًا^(٣)

• • •

(١) الزوميات ٨ ص ١٦٤ . وأرطب النخل : حان أوان رطبه أي ما نضج من بصره قبل أن يصير قرأ ، والزهو : البسر الملون .

(٢) الزوميات ٨ ص ١٥٤ .

(٣) الزوميات ٨ ص ٨٤ ، وفي الأصل : « صبيحا » وهو من سبق العلم .

مِنْ نُجُومٍ نَّارِيَّةٍ وَنَجُومٍ نَّاسَبَتْ تُرْبَةً وَمَاءً وَرِيحًا^(١)

. . .

وُسَّيْلٌ كَوَجَنَةِ الْحَبِّ فِي الدَّوْنِ وَقَلْبِ الْمَحَبِّ فِي الْحَفَقَانِ^(٢)

إلى آخر هذه القصيدة ، فقد ذكر فيها كثيراً من النجوم :

أَنْتَ كَالشَّمْسِ فِي الضِّيَاءِ وَإِنْ جَا وَزَتْ كَيَوَانَ فِي عُلُومِ الْمَكَانِ^(٣)

. . .

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ النُّجُومَ كَأَنَّهَا دُرٌّ طَفَأَ مِنْ فَوْقِ بَحْرِ مَا تَجِجُ^(٤)

وذكر طائفة كبيرة منها في (الفصول والغايات ص ٣٩٤) . وستأتي تمة القول في هذا في الكلام على فلسفته .

التأريخ

من وقف على ما انتهى إلينا من آثار أبي العلاء ، على قلته ، لا يشك في أن لأبي العلاء يداً طولى في معرفة أخبار الماضين والحاضرين في عصره ، وما كان لكل أمة من العقائد والمزاعم ، وما لها من العادات والمواضع والخصائص ، وما وقع لها من الحوادث بين أفرادها المشهورين ، أو بينها وبين غيرها . ففي (سقط الزند) أشار إلى حوادث المنابر ،

(١) القزوميات ٥ ص ٨٤ .

(٢) شروح سقط الزند ، ق ١ ص ٤٣٣ .

(٣) شروح سقط الزند ، ١ ص ١٥١ وكيوان : زحل وبضرب المثل بهذا الكوكب في اللؤلؤ والمد .

(٤) القزوميات ٥ ص ٧٩ وفيها : . . . من برأ النجوم . . .

واللخميين ، والفرس ، وقابوس ، ودارم ، وسليمان ، وداود ، وجالوت ،
ونوح ، وآدم .

وأشار إلى ماوقع من الفتن والحروب في العراق وفارس والشام
في أيامه وقبليها .

وفي (رسالة الغفران) أشار إلى حوادث كثيرة ، وذكر كثيراً من
رجال التاريخ . وكتب رسالة إلى خاله أبي القاسم يعزیه بأخيه ، فذكر
فيها وفاة آدم ، وهابيل ، ونوح ، وهود ، وطائفة من الأنبياء
إلى محمد ﷺ . ثم ذكر سبأ ، وملوك حمير ، وطسما وجديس ، والزرقاء ،
وملوك غسان والحيرة ، وملوك الفرس ، وأجواد العرب وشجعانهم ،
وملاؤها بالحوادث التي حدثت في عهودهم ، ثم ذكر طائفة من حيوان البر ،
كالفيل ، والأسد ، والنمر ، والذئب ، والثعلب ، والضبع ، والأرنب ،
والبقر الوحشي ، والظلم ؛ وأخرى من الطير كالعقاب ، والغراب ،
والحمامة ، والجراة ، والنحلة ؛ وثالثة من الهوام ، والدواب ، كالآرقم ،
والعقرب ، والنملة ؛ ثم جملة من حيوان الماء ، كالخوت والضفدع ،
وذكر طرفاً من الخصائص أو الحوادث لكل واحد ، وأن كلا منها على
ماله من حول وطول وحيلة ، لا يفلت من يد الموت ، ولا يسلم من
حوادث الدهر (١) .

وفي (لزوم مالا يلزم) من الإشارات إلى الحوادث والوقائع التي
حدثت للأفراد والجماعات والأمم ما يصدق قوله فيه :

مَا كَانَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بَنُوزَ مَنْ إِلَّا وَعِنْدِي مِنْ أَخْبَارِهِمْ طَرْفٌ (٢)

(١) انظر الرسالة في رسائل أبي اللاه المري - لتأليف عطية الصنعاء ١٥٧ - ٢١٣ .

(٢) الغزويات ٥ ص ٢٩٠ .

الغنى والابغاع

رأيت في كلام أبي العلاء ألفاظاً تدل على أسماء أنواع من الغنى وما يتعلق به ، مثل قوله في السقط :

وَهَوَاكُ عِنْدِي كَالْغِنَاءِ لِأَنَّهُ حَسَنٌ لَدَيَّ ثَقِيلُهُ وَخَفِيفُهُ^(١)

. . .

وقوله فيه :

كَأَنَّ الْمَثَانِي وَالْمَثَالِثَ بِالضُّحَى تَجَاوَبُ فِي غَيْدٍ رُفَعْنَ طَوَالَ
كَأَنَّ ثَقِيلًا أَوْ لَا تَزْدَهَى بِهِ ضَمَائِرُ قَوْمٍ فِي الْخُطُوبِ ثَقَالِ^(٢)

. . .

وقوله فيه :

رَأَتْ زَهْرًا غَضًّا فَهَاجَتْ بِمِزْهَرٍ مَثَانِيهِ أَحْشَاءُ لَطْفَنَ وَأَوْصَالَ^(٣)

. . .

وقوله في (لزوم ما لا يلزم) :

وَلَيْسَ الْخُمْسُ ضَارِبَةً بِسَيْفٍ نَظِيرَ الْخُمْسِ ضَارِبَةً بِدُفٍّ^(٤)

. . .

(١) شروح سقط الزند ، ق ٣ ص ١١٠٩ .

(٢) شروح سقط الزند ، ق ٣ ص ١١٨٨ ، والثاني والثالث : من أوتار المود .

والبد الطوال : الأعناق البنية من الإبل . يقول : كأن في أعناقهم الفيد ، عيداناً يشق فيها لأصواتها الشجيرة .

(٣) شروح سقط الزند ، ق ٣ ص ١٢٤٠ .

(٤) اللزومات ، ص ٢٩٥ .

وَأَشْرَفَ النَّاسِ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِهِ مِثْلَ الصَّدِيدِ وَلَكِنْ قِيلَ: صَنِيدُ
مَا كَبُرَهُ وَثَقِيلُ اللَّحْنِ يَمْنَعُهُ مِنْ سُرْعَةِ الْفَنَمِ تَرْسِيلٌ وَتَمْدِيدُ^(١)

. . .

وقوله :

أُتْصِفُ أَنْ تُغَيِّرَنَا اللَّيَالِي وَيُسَمِّعُ مِنْ مَزَاهِرِنَا اصْطِفَاقُ^(٢)

. . .

وقوله فيه :

بَكَ عَلَى النَّاسِ بِالْمَزْمُومِ وَالرَّمْلِ
فَإِنْ أَعْمَالَ دُنْيَاهُمْ كَلَّا عَمَلٍ^(٣)

وقوله فيه :

خَبَّرْتَنِي كُلُّ نَاطِقَةٍ ذَاكَ حَتَّى الزَّيْرِ وَالْجَرَسِ^(٤)

وقوله في (رسالة الغفران ص ١٨١) « ولكن من عبث بالهم والزير » .

والثقل والحفيف والرمل : أسماء لأنواع من النغم في عرف المتقدمين .

والمزهر : العود . والهم والزير والمثالي والمثالث : من أوتاره .

(١) اللزوميات ص ٩٥ .

(٢) اللزوميات ص ٣٠٠ .

(٣) اللزوميات ص ٢١٤ .

(٤) اللزوميات ص ٣١١ .

رأيت هذا وأشباهه في كلامه ، فظننت أنه يعرف معناها من الوجهة اللغوية فقط ، كما يعرفها كل من قرأ كتب اللغة والأدب . ثم تأملت قوله في (رسالة الففران ص ٣٦) : « ويمر رَفٌّ مِنْ إَوَازِ الجنة ، فينتفضن ، فيصرن جواربي كواعب ، يرفلن في وشي الجنة ، وبأيديهن الزاهر ، وأنواع مايلتمس به اللامي ... فيقول لإحداهن ، على سبيل الامتحان : اعلمي قول أبي أمامة ^(١) ، وهو هذا القاعد :

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُعْتَدٍ عَجْلَانِ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوَّدٍ

ثقيلا أوّل ، فتصنعه ... فيقول : هلمّ خفيفَ الثقل الأول ١ فتذبت فيه بنغم ... فإذا جاوزت ^(٢) ، قال : عليك بالثقل الثاني ، مابين مالثك والثاني .. ثم يقترح عليها الرمل وخفيفه ، وأخاء المزج وذخيفه . وهذه الالحان الثمانية ، للأذن تمنها المانية ... » ^(٣)

فتبين لي أنه عالم بالانتقال من نغم إلى نغم ، وهذا لا يتأتى إلا لمن كان عالماً بالنغم المنتقل منه ، والنغم المنتقل إليه ، وبما بينها من التوافق والتقارب ، فيسهل الانتقال . أو التنافر فيشق على المغني حينئذ الخروج من الأول إلى الثاني . ثم رأيت في (الفسول والغايات) يقسم أنواعاً من النغم تقسيماً علمياً ، ويذكر الفروق بين كل نوع وآخر ، ويذكر مقاييس الأنغام ، ومقاديرها ، وخلاف العلماء في بعضها ؛ شأنا العالم الحبير في هذا الفن ، فاتضح لي أن أبا العلاء كان عالماً ، جد عالم ،

(١) ناطة بن زياد .

(٢) في الرسالة تحفي بنت الناطي : « فاذا أجادته » .

(٣) انظر الرسالة تحفي بنت الناطي . ط ١ ص ١٠٢ - ١٠١ .

بالنغم والإيقاع المعروف في عصره . وهذا ماقاله في (الفصول والنهايات ص ٨٨) :

« أتدري مايقول المزهري ، أيها الطرب الجذلان ؟ إنه يسبح الله - عز وأمار - بطرائق ثمان ، بين ثقاتل إلى خفاف . . . » ثم فسر ذلك فقال : « المزهري : المود . ويقال : لهذه شيء من اللامهي غيره . والطرائق الثمان : الثقيل الأول ، وإيقاعه ثلاث نقرات متساويات الأقدار ، على مثال « مفعولن » : مف : نقرة ، عو : نقرة ، لن : نقرة . وهي نقرات ثقال ، وأنت تثبته بالوتد المفروق أوضح مما تثبته بالسبب المضطرب ، وذلك أن الودد المفروق ثلاثة أحرف : أوسطها ساكن ، والسبب حرفان ، فانت إذا وقفت على الودد المفروق ، سكنت سكونا أطول من السكون الذي على السبب ، مثل قولك « صخر ، بحر ، دهر » فعلى هذا يجري الثقيل الأول .

وخفيف الثقيل الأول : وحقيقته ثلاث نقرات متواليات ، وهي أخف من التي ذكرنا ، وأسرع تواليها . كقولك : « مفعولن » بلا فصل . والثقل الثاني : وقد اختلفوا في إيقاعه ، فاسحق يوقعه ثلاث نقرات : نقرتان متساويتان بمكثان ، وواحدة ثقيلة على وزن « مفعولان » . ومنهم من يوقعه أربع نقرات متساويات الأقدار لأخفاف محشوات ، ولأنقال بمكثات ، على مثال « مفعو مفعو » . ومنهم من يوقعه أربع نقرات : ثلاث متساويات ، والرابعة أثقل منهن ، على مثال « مفعولان » .

وخفيف الثقيل الثاني : وحقيقته أسرع حثاً منه ، وهو نقرتان خفيفتان ، والثالثة ثقيلة ، وهو الذي اختاره إسحق . ويسمى « الماخوري » وهو عكس الرمل ، ووزنه « مفعولان » .

والرمل : وهو نقرة ثقيلة ، واثنان محوثنان : لأن مفعو : ومثله في الكلام : ملّ وصلي ، صدّ عني .

وخفيف الرمل : وخفيف الرمل جاء على غير جنسه ، وذلك أن خفيف كل نوع جاء على غير جنسه ^(١) ، وذلك أن خفيف كل نوع مثل ثقيله ، إلا أنه أخف حت الإيقاع . فاما الرمل ، فلم يخرج خفيفه على عدد نقراته ، وهو على نقرتين ، بينها فصل ، ووزنه على مثال « فعلن فعلن » .

والهزج : وهو على نقرة نقرة ، واحدة ثقيلة ، وأخرى خفيفة ، على وزن « قال لي » .

وخفيف الهزج : وخفيف الهزج مثله ، إلا أنه أسرع حثا منه « اهـ » .

مصادر ثقافة

لعل أغض ناحية في أبي العلاء ، هذه الناحية ، لأن التاريخ أغفل كثيراً من الأمور التي يتوقف عليها جلاؤها منه ، فلم يحدثنا عن جميع الشيوخ الذين تخرج بهم في علومه الكثيرة ، ولا استوعب لنا الكتب التي درسها بنفسه أو قرأها على غيره .

وإنما لئرى في كلامه كثيراً من المصطلحات العلمية التي تدل على رسوخه في تلك العلوم ، سواء أكانت علوم الدين ، أم علوم اللغة ، أم غيرها .. وراه إلى جانب هذا ، يمرض إلى كثير من فلسفة اليونان ، وحكمة الهند ، ومذاهب الفرس ، ويخوض في كثير من مباحث الأديان ، وآراء

(١) كفا في الأصل . (ج)

أهل النحل المختلفة ، والعقائد المتباينة ، والمزاعم المتعددة ، ويتصدى كثيراً إلى ذكر رجائ من رجالات العلم والتاريخ ، وأصحاب الآراء الفلسفية ، وينقل عن كتب الحكماء آراء ومزاعم ، كما نقل في (رسالته إلى النكتي ص ٢٣٩) (١) عن صاحب المنطق ، في كتابه الثاني من الكتب الأربعة : أن الكذب ليس بقبيح في صناعة الشعر والخطابة . ومثل هذا لا يكون إلا أثراً من آثار الدراسة والعلم . وإن زعم أبو الفداء في تاريخه أن أبا العلاء لم يثلث لأحد . ونحن لا ننكر أن أبا العلاء أوتي حظاً وافراً من المواهب الفطرية ، وكان فيه من الذكاء النادر والحفظ الباهر ، ما يندر وجوده في غيره ، ولكن هذا كله على انفراد لا يترك مثل هذه الآثار التي تركها أبو العلاء في الحكمة والفلسفة وغيرها ، ما لم يؤيده العلم الكثير والتعلم .

وإذا استعصت علينا معرفة هذه الناحية معرفة تامة ، وتعذرت علينا معرفة شيوخه ، فإننا نستدل بما ذكره من الكتب والدراوين في آثاره التي وصلت إلينا على قسم مما اطلع عليه من آثار المتقدمين . ونحن نعتقد أن ما لم نطلع عليه من آثاره أكثر مما اطلعنا عليه ، وما فاتنا ذكره من تلك الآثار وأصحابها أكثر مما ذكرناه . ولكن المصباح الضئيل قد ينير ناحية من السبيل ؛ وقد يستدل بالقليل على الكثير .

وهذه طائفة من أسماء الكتب التي ذكرها في كلامه ، و [بعض] المواطن التي ورد ذكرها فيها . وقد وضعنا حرف الراء « ر » إشارة إلى رسالته [شرح شاهين عطية ، المطبعة الأدبية في بيروت سنة ١٨٩٤ م] . والسين « س » إشارة إلى [شرح التنوير على سقط الزند ، طبعة دار

(١) انظر رسائل أبي العلاء المرعي - شرح شاهين عطية .

السادة سنة ١٢٨٦ هـ [مصر] . والعين مع الباء « عب » إشارة إلى (عبث الوليد [تحقيق الادبي طبعة دمشق سنة ١٣٥٥ هـ ٩٣٦ م]) . والعين « غ » إشارة إلى (رسالة الغفران [طبعة أمين مندية سنة ١٣٢١ هـ القاهرة]) . والفاء « ف » إشارة إلى (الفصول والغايات [تحقيق زناقي طبعة القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ ١٩٣٨ م]) . واللام « ل » إشارة إلى (لزوم مالا يلزم [طبعة عزيز زند سنة ١٨٩١ م مصر]) . والميم « م » إشارة إلى (رسالة الملائكة [طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٦٣ هـ ١٩٤٤ م]) .

وقد ذكرنا بعد ذلك طائفة من أسماء الشعراء ، ثم العلماء الذين ورد ذكرهم في كلامه . وبيننا رقم الصفحة التي ذكر فيها الكتاب أو الشاعر أو العالم .

م	ل	ف	غ	عب	س	ر
			١٥٧			التاج ، لابن الرواندي [أحد بن يحيى المتوفى سنة ٨٣٠ هـ] .
			١٣٦			تاريخ القطريلي وابن أبي الأزهر . رسائل البلغاء ١٩٧ .
			٢٠٢			تاريخ ابن شجرة ، بخط المرزباني .
	٨٩/٢					الترجمان في معاني الشعر ، للمفجع البصري .
					١٠٩	تفسير سورة الإخلاص . • • •
		٣٤٢				جامع النطق ، للزجاج .
			١٣٧			الجلال ، لابن السراج .
						الجل ، للزجاجي (١) .
					١٢٠	الجمرة ، لابن دريد .
			٥٧			كتاب الحجة ، لأبي علي الفارسي .
						حاشية أبي تمام (٢) .
		٤١٥				كتاب الحيوان ، للجاحظ .
			٣٥			كتاب الخاء ، لأبي عمرو الشيبياني . • • •

(١) لم يذكر للؤف مظنة من مظان في كتب أبي اللاه .

(٢) لم يذكر للؤف موطن وجوده في كتب المري .

م	ل	ف	غ	عب	س	ر
			١٥٨			الدامغ، لابن الراوندي .
						ديوان الأدب (١) .
			١٣٧			ديوان أبي الطيب المتنبي .
	٣١/١					ديوان البحري .
			١٩٤			ديوان أبي تمام .
			١٧٢			ديوان الحارث بن حلزة .
			١٣٦			ديوان الخالدين .
		٣٩٦				ديوان ذي الرمة .
				١٤٠		ديوان تيم اللات =
						تنوخ .
			١٨٩			ديوان طفيل الغنوي .
			١٧٦			ديوان عبيد بن الأبرص .
			١٠			ديوان عدي بن زيد .
	٣١/١		٣٣			ديوان النابغة الذبياني .
			٣٤			ديوان النابغة الجعدي .
			٩			ديوان أبي الهندي ،
						عبد القدوس أو عبد المؤمن .
			١٨			ديوان لبيد .
						. . .
			١٩٢			كتاب شجر الدر ،
						لأبي الطيب اللغوي .
			١٧٥			طبقات المفسرين ، لابن
						خرداذبة .

(١) لم يذكر المؤلف مواطن وجوده في كتب اللري .

جا (٦)

٦ الجامع لأخبار أبي العلاء ٢

م	ل	ف	غ	عب	س	ر
	٢٤٩/١					كتاب العمدة .
٢٦٧	٨٩/٢					كتاب العين ، للخليل بن أحمد .
			٥٢		١٠٦	كتاب غريب الحديث ، لابن قتيبة .
	٢٠/١					الغريب المصنف ، لأبي عبيد القاسم بن سلام .
	٢٩٦/١		١٩٢			كتاب الفرخ ، للجرمي .
						كتاب الفرق ، لأبي الطيب اللغوي .
			١٦٠			كتاب الفريد ، لابن الراوندي .
	١٩/١					كتاب القوافي ، للفراء .
	١٩/١					كتاب القوافي ، لخلف .
					٢٢٣	كتاب كلية ودمنة .
			١٤٠			الكتاب ، لسيويه .
					٨٦	كتاب شرح الكتاب ، للسيرافي .
			١٧٥			كتاب المبعث ، لأبي معشر المدني .
					٤٦	كتاب مختصر إصلاح المنطق لأبي القاسم المغربي .

ر	س	عب	غ	ف	ل	م
كتاب المداخل، لأبي عمرو [الزاهد . « غلام ثعلب »] كتاب المصنف ، لأبي عبيد تقدم .			١٩٢		٢٠/١	
كتاب المجاز ، لأبي عبيدة . ١٤١						٢٨٠
كتاب المراغي ، محمد بن علي المراغي .						
كتاب المرجان ، لابن الراوندي .			١٦٠			
كتاب المعاني ، ليعقوب .				٢٩٦		
كتاب المعمرين ، لأبي حاتم ^(١) كتاب المغني [للقاضي عبد الجبار] كتاب المفضليات ، للفضل الضي .			١٠٦		٢١٧/١	
كتاب المنطق ، لأرسطو ١٣٩						
كتاب الموجز ، لابن السراج .			١٣٧			
كتاب نوادر ابن الأعرابي . ٩٠						
كتاب نوادر أبي زيد .				٢١٠		
كتاب نوادر الصولي			١٤٧			
كتاب الورقة ، لابن الجراح ^(٢) ١٥٤			١٤٠			
★ ★ ★						

(١) لم يذكر المؤلف موطن وجوده . (٢) في الأصل الصولي، ولحسن سقط العلم .

وهذه طائفة من أسماء الشعراء الذين ذكروهم في كتبه

د	س	عب	غ	ف	ل	م
			٦٦			
			١٧٩			٢١٥
				٢٢٨		
			١٣٢			
		٣٩				
١١٢						
			١١			
			١٩٣			
		٩٢/٢				
				٢٠٠		
				٤١٥		
			٦٦			
					١١٨	
				١٣٢		

إبراهيم بن ميمون التميمي
المتوفى سنة ١٨٨ هـ . «إبراهيم
القديم الموصلي»

إبراهيم بن علي بن سلمة
المتوفى سنة ١٥٠ هـ . «ابن
هرمة القرشي»

أبو مهدية الأعرجي الذي
يروى عنه البصريون .

أحمد بن محمد بن الحسين
الجعفي الكوفي المتوفى سنة
٣٥٤ هـ . «أبو الطيب المتني»

أحمد بن محمد الحلبي المتوفى سنة
٣٣٤ هـ . «أبو بكر الصنوبري»

أحيحة بن الجلاح الأوسي
الجاهلي المتوفى سنة ٦٠ ق هـ .

أرقم بن نيرة .

أسامة بن الحارث الهذلي

إسحاق بن إبراهيم الموصلي
المتوفى سنة ٢٣٥ هـ .

إسماعيل بن القاسم من عنزة
المتوفى سنة ٢١١ هـ . «أبو العتاهية»

م	ل	ف	غ	ع	س	ر
						١٥٤
						إسماعيل بن محمد المتوفى سنة
						١٧٣ هـ. « السيد الجبيري » ،
		٣٩١	٦			الأسود بن يعفر .
	٣٨٨	٤٤٧				الأضبط بن قريع الصعدي
						من عوف بن كعب .
			١١٥			الأغلب بن عمرو المتوفى سنة
						٥٢١ هـ. « الأغلب العجلي »
					٧٠/٢	الأفعى الجرمي ، كاهن جاهلي
						كان في نجران .
			١٠٥			امرؤ القيس بن ربيعة الثقلي
						« أخو مهمل »
٢٤٧		٣٦٠	١٨٩			أمية بن أبي الصلت .
٢١٣	٤١٢	١٠٣	٩	١٥٨	١٢٩	أوس بن حجر .
					١١٤	أوس بن حبناء .
			١٠			إياس بن الأرت .
٤						أيمن بن خريم بن فاتك
						الأسدي .
						• • •
			١٥٤			ابن القاضي .
٧١						أبو جندب الهذلي .
					١٥٤	أبو عبد الله النمري البصري .
			١٩٢			أبو المباس بن كلاب
						البكتري .

م	ل	ف	غ	عب	س	ر	
			١٢٥				أبو الطمران الأسدي .
		٢١٦					أم عبدالله ابنة أبي سفيان .
							• • •
		٤٥٤					باعث بن صريم الليشكري .
			٢٢				بجير بن زهير بن أبي سلمى .
٧٢							البرج بن مسهر الطائي .
		٢٦٢					البريق الهذلي .
	١٥	١٧٨	١٧				بشر بن أبي خازم .
	٣٢٩		٨٥	٧٧		٢١٦	بشار بن برد .
			٢٠٥				بشامة بن الغدير .
			٦٦				بصيص .
		١٦٥					بقيلة الأكبر الأشجعي .
							• • •
	٤٩	٤٥٤	٨٤	١٠٦			تماضر بنت عمرو بن الحارث
							ابن الشريد المتوفاة سنة ٢٢ هـ
							« الحنساء » .
			٥٣			٦٦	قيم بن أبي بن مقبل من بني
							المجملان المتوفى سنة ٢٥ هـ .
			٢٠٤				توبة المعروف بالحنثوث ،
							« ابن مضر » .
							• • •
٩٠		٣١٩	١٠٤	١١٦		١١٦	ثابت بن جابر « ثابطشراء » .
				١١١			ثعلبة بن صعيبر المازني .
							• • •

م	ل	ف	غ	عب	س	ر
				٢١٤		جابر بن قطن النهشلي .
١٩٦						جبار بن جزء . « ابن أخي الشماخ » .
			٦٠			الجحجلول الكفرطابي .
١٢		٤٣	٩١	٥٣	١١٥	١٠٥ جريز بن عطية بن حذيفة الخطفي الكلي البروعي المتوفى سنة ١١٠ هـ « أبو حذرة » .
١٠	٩	١٣٨		٢٩		١٢٧ جروول بن أوس بن عبس ، مخضرم ، المتوفى سنة ٨٣ هـ . « الخطيئة أبو مليكة » .
١٥٤	٢٧/٢					١٥٦ جريز بن عبد العزى ، جاهلي ، « المتلس » .
٩٣		٧٨	٨٦			جميل بن عبد الله بن معمر المذري المتوفى سنة ٨٢ هـ
١٣٢	٣٧٦	٤٤٥	١٣٣	١٢٥	١١٢	٩١ حاتم بن عبد الله بن سعد ابن المشرح الطائي الكريم المشهور المتوفى سنة ٤٥ ق هـ .
		١٣٩	٩٦	١٤٠		الحارث بن حنزة الليشكري . الحارث بن خالد الخزومي . الحارث بن ظالم .
٨			١٢٥			
	٢٩		١٢٩	٣٤	١١٧/٢	١١١ حبيب بن أوس ، « أبو قمام »

م	ل	ف	غ	عب	س	ر	
٢١	١٠٦/٢	١٧٨					حبيب بن عبد الله . «الأعلم الهذلي»
				١٩٨			حجبل مولى بني فزارة .
					٨٩/٢		أبو حزام المصلي .
١٥١		٢٣٦		٦٠		٩١	حسان بن ثابت
	٣٧٤		١١				الحسن بن هانيء . «أبونواس»
			١٧٧				الحسين بن الضحاك . [الخليع]
١٦٢							الحسين بن الحمام المري
							الذياني ، الجاهلي .
	٣٦٣		١٧٥				حماد عجرد .
			٦٥				حزة بن عبد المطلب .
			١٧٨				حميد الأبحي .
١١	٢٠٣/٢	٤٣	٦١			١٠٥	حميد بن ثور ، من عامر بن
							صمصمة ، صحابي .
			١١٥				حميد بن مالك . «الأرقط»
							اسلامي
٢٤	٣١	١١٥	٦	٣١	٩٧	٤٤	جندج بن جبر الكندي .
							«امرؤ القيس»
١١٦		١٥١	١٢٩	١٥٢		١٣٤	حنظله أو جارية . أو
							جويرية بن الحجاج . «أبو
							دؤاد الإبادي»
							حنظلة بن الشرق المتوفى سنة
		٤٠٥					٨١ . «أبو الطمعان القيني»
							. . .

ر	س	عب	غ	ف	ل	م
				١٩٢		
			١٣٥			
					٣١٣/٢	
١٣٠	٥٧/٢	١١٠	٦	١٥١	٢٠٧/٢	
			١٢			
			٦٨			
١١٥	٦٩	٢٩		٢٥	١٨١	
١٥٨	١١٩			١٩٢	٥٠/٢	
				٤١٠		
				٣٠١		
٣٥	١٥٦			١٢١	٢٦٩	
			١٣٤			
			٢٠٦			

خداش بن زهير العامري .
« جاهلي »

الحالديان ، أبوبكر ، وأبو
عثمان ، محمد وسعيد ابنا هاشم
من قرية الخالدية . « الحالديان » .

ابن حذام ، جاهلي .

خفاف بن ندية السلمي ،
أسلم وتوفي سنة ٢ هـ .
« أبو خراشة »

خلف الأحمر .

الخليل بن أحد الفراهيدي .

خويلد بن خالد الهذلي :
« أبو ذؤيب » .

خويلد بن مرة من هذيل .
مخضرم توفي سنة ١٥ هـ :
« أبو خراش »

• • •

دختنوس ابنة لقيط بن زرارة .

دراج بن زرعة الكلابي .

دريد بن الصمة .

دعبل بن علي الخزاعي

المتوفى سنة ٢٤٦ هـ .

دلف بن جعد المتوفى سنة

٣٣٤ هـ : « أبو بكر الشبلي » .

ر	س	عب	غ	ف	ل	م
			٦٦			
			١٢٧			١٤
						٢٢١
			•			٢٦٢
	٨٧		١١٥	٢٠٣	١٧	١٩١
				٤٥٧		
			١٤٤			
			٩٨		٤٦/٢	
			١٠٧			
			٤١	٢٤٧		
			١٩٩		٢٧٢/٢	
			١٣٥			
			١٩٦			
	٧٣					
						٢٣٠/٢

دنانير .

دوسر بن ذهيل القريمي .

ديويد .

دينار بن هلال . أو قرط

أخويني سعيد من طهية من تميم ،

جاهلي « فوالخرق الطهوي » .

• • •

ذهلب بن قريع .

رؤبة بن العجاج .

أبو ربيعة البصري .

ربيعة بن أمية بن خلف الجمحي .

ربيعة بن سعد أو عمرو بن

سعد : « المرقش الأكبر » .

ربيعة بن سفيان : « المرقش

الأصفر » .

ربيعة بن مالك : « الخبل

السعدي »

ربيعة بن المكدم .

الربيع بن زياد .

رداد الكلابي .

الرماح بن أبرد الذبياني

سنة ١٤٠ هـ « ابن ميادة »

رزين .

• • •

م	ل	ف	غ	عب	س	ر
		٨٤				الزبرقان بن بدر التميمي
						السعدي المتوفى سنة ٤٥ هـ .
					١٠٧	الزقّيان [السعدي الراجز] .
٤١	١١	٢٢٢	٢٢	٢٧	٧٢	زهير بن أبي سلمى .
			١٠٥			زهير بن جناب السكبي .
			٩٣			زهير بن مسعود الضبي .
	٢١	٦٧	٢١		٧٢	زياد : « النابتة الذبياني »
	١٧٢/٢			٢٣٢		زيد الخيل بن مهمل الطائي
						المتوفى سنة ٩ هـ .
						• • •
		٢٤٠	١٢١	١٢٦		ساعدة بن جؤبة .
٣٢	٢٠٧/٢			١٩٦	٥٧	سحيم عبد بني الحساس
						المتوفى سنة ٤٤ هـ .
٢٠			٦		١٣٧	سحيم بن وثيل الرياحي
						اليوبوعي ، مخضرم توفي نحو
						سنة ٥٠ هـ .
					١٣٣	سديف بن ميسون ، حجازي
						مولى بني هاشم توفي سنة ١٤٦ هـ .
					١١٢	سرافة ، البارقى .
			٢٢			السروي [زيد بن عدي]
					٧٠/٢	سطيح بن مازن ، البكاهن
						المشهور .

م	ل	ف	غ	عب	س	ر
			١٦٢			سعد بن الحسن السعدي
						الناجم ، أبو عثمان . [من
						شراء سيف الدولة] .
٢٦٥						سلامة بن جندل التميمي ،
						حجازي جاهلي .
		٤٤٠				سلامة بن الحرشب بن عمرو
						ابن أنمار بن بغيض .
١٤٤						سلمى بنت ربيعة .
١٤٤						سلطان بن ربيعة الضبي ،
						أو سلمى .
	١٠٦/٢		٦	١١٠	١٨٥	السليل بن السلكة .
			١٤٧			سليمان أبو طاهر بن أبي
						سميد الجنابي ، الذي قلع
						الحجر الأسود وأنفذه إلى هجر .
	٦٠		١٢٥			السؤال .
			١٤٤			سمير بن أدكن .
			٢٠٢			السنبي .
			١٥١			سهل بن حنظلة القنوي ^(١) .
		١٦٠				سودة بن عدي [بن زيد]
			٦			سويد بن الصامت .

(١) في المؤلف والمختلف - الآمدي - ص ١٣٦ مود - مهن بن حنظلة القنوي ، ولطعمو التصود ، وقد ورد في إحدى نسخ النيران باليم كما أثبتت ذلك بنت العاطي . في حاشية الصفحة ٣٩٤ من الرسالة .

م	ل	ف	غ	عب	س	ر
			٦			سويد بن صميع .
			٦			سويد بن أبي كامل .
						[اليشكري]
٢٤						سويد بن أبي كراع المكلبي
						توفي بعد المائة .
				٩٥		سيار بن قصير الطائي .
						. . .
			١٣٨			شاتم الدهر ، من عبد القيس .
			١٣٥			شداد بن الأسود الليثي .
			١٣٨			شمعة التغلبي .
						. . .
	٤١		١٤٢			صالح بن عبد القدوس .
٢	٤٩					صخر بن عمرو الشريد .
		٤١٧	١٠١		١٢٢	صخر النقي بن عبد الله ،
						آخر الأعم الهذلي .
١٣		٤٧٠	٧٩			صلاة بن عمرو [من بني أود
						المدحجي] « الأفوه الأودي » .
٢٥٥						الصمة بن عبد الله القشيري ،
						من مضر ، في العصر الأموي .
					١٢٨	صفية بنت عبد المطلب .
		١٣٥		١٦٢		صيفي بن عامر الأرمي ،
						أبو قيس بن الأسلت المتوفي
						سنة ١ هـ .
						. . .

م	ل	ف	غ	عب	س	ر
	٣٣٩		١٢٧	٢٢		ضاحي بن الحرث البرجمي . الضي : [محرز بن المكعب الضي شاعر جاهلي] . ضمرة بن ضمرة النهشلي : جاهلي
	١٦٣			٣٥		طارق بن ديثق . ١٣٨ طرفة بن العبد . ١١٨ الطرماح بن الحكيم المتوفى سنة ٨٠ هـ . طريف بن قيم الصنبري . طفيل الغنوي ابن عوف من غنى من قيس عيلان ، توفي نحو سنة ١٣ ق هـ . طفيل بن مالك بن جعفر ، أبو عامر . طهان بن عمرو الكلابي ظالم بن عمرو : « أبو الأسود الدؤلي » المائد بن محسن ، جاهلي « المثقب العبدي » .
٩٥	١٣	١٣٧	٩٧	٧٦		
		٢٨٩		٧٥		
		٤٦٥				
٩٦		٢٠٦	١٨٩	٢٣٢		
	٢٠٣/٢					
		٦٢				
	٢٩		٦	٢١١		
		١٥٤		١٠٢		

م	ل	ف	غ	عب	س	ر
						١١٢
			١٠٠			عامر بن جوين . [الطائي] عامر بن الحليس « أبو كبير الهذلي » .
		١٩		٤٤		١٨٥
						عامر بن الطفيل . [العامري] العباس بن مرداس : [السمي] العباس بن الأخنف المتوفى سنة ١٩٢ هـ .
				٧٢		
						عبد بن الطبيب المتوفى نحو سنة ٢٥٠ هـ ، ابن عمرو بن علي من نعيم .
		٢١٢			١٤٨	
						عبد الرحمن بن اسماعيل : « وضاح اليمن » عبد السلام بن رغبان : « ديك الجن » .
		١٤٦				
		٤٧١	٩			
						عبد القدوس بن شيث اليربوعي المتوفى سنة ١٨٠ هـ . « أبو الهندي » وقيل : اسمه غالب بن عبد القدوس . وقد سماه أبو الصلاء في رسالة الغفران : عبد المؤمن بن عبد القدوس .
						١١٢
						عبد قيس بن خفاف البرجمي .

ر	س	ع	غ	ف	ل	م
		٦٤				
				٣٥٢		
	١٠٠/٢		١١	١٦١	١١	٧١
			١٨٩			
			١٣٨			١٥٢
١٢٣		١٩٦		٢١٢	٣٤٤	
				١٤٥		
١٤٠		٤٧	٣٤	٢٧٩		
١١٣	٦٧			٤٠٨		
	١٤٥					
			١٧٥			
			١٥٦			

عبد الله بن أنيس، الصحابي.

عبد الله بن الأعور من بني
الحرماز : أعشى مازن أو
أعشى بني الحرماز .

عبد الله بن ربيعة ،
« المعجاج » .

عبد الله بن ربيعة ،
« أبو الصلت الثقفي »

عبد الله بن سلمة الهذلي ،
اسلامي « أبو صخر »

عبد الله بن عمرو بن عثمان
ابن عفان ، العرجي «

عبد الله بن قيس ، « ابن
الزبيرى »

عبد الله بن قيس ، « النابغة
الجمدي »

عبد الله بن قيس ، « ابن
قيس الرقيات » .

عبد الله بن محمد الأنصاري
المتوفى سنة ٨١٠هـ . « الأحوص »

عبد الله بن المعتز .

عبد الله بن ميمون القداح .

ر	س	ع	ب	غ	ف	ل	م
			٢٠٠		٤٢٠		
					٥٣		٢٠٧
	٥٩						٢١٦
					٢٩٦		
			٢٢				
		١٨٥	٢٢	١٣١	٢٤٦		
	٢٧	٤٨	٦٩	٣٧	٢١٨		
			٢٠٣				
		١٠٤	٢١٢	١٤٠/٢			
	١٥٢	١٠	٤٧	١٧			
		١١٥					
		٢٠١					
	١٤٨	١٣					٢٤٤
	٧٨	٩٤	٢٠٧	٦			
		١٩					
							١٦٠

جا (٨)

م	ل	ف	غ	عب	ص	ر
	١٨٢/٢		١٦١			علي بن العباس ، د ابن الرومي .
			١٤٧			علي بن محمد، وكان اسمه من قبل أحمد صاحب الزنج وخارب البصرة .
						. . .
		٢١٢		٤٢		عمر بن أبي ربيعة .
		١٢٩				عمر بن لجأ [إسلامي من هاجتوا جريرا] .
٢١٤		٣٢٤	٤٨	٨٨	١١٦	عمرو بن أحر الباهلي غنصرم توفي نحو سنة ٨٣٥ .
						د ابن أحر .
١٦						عمرو بن حبيب بن عمرو المتوفى سنة ٨٣٠ . شاعر بطل وقيل : اسمه مالك وعبدالله «أبو محجن الثقفي» .
		١٢٨		١٠٠		عمرو بن حان الشيباني .
		١٦٤				عمرو بن ربيعة التميمي السعدي . «المستغير» .
٧						عمرو بن شاس بن ثعلبة الأسدي المتوفى سنة ٨٣٠ .

م	ل	ف	غ	عب	س	ر
		٣٥٠	٦٢	٩٩		١٢٧
						عمرو بن شميم . «القطامي» [إسلامي ، كان نصرانياً ثم هداه الله] .
			٦٨			عمرو بن عدي اللخمي .
٢٢	٢٢٠	٦٨			١١٥	عمرو بن كاثوم ، التغلي .
٢٨	٤٢٧	١٠٤				عمرو بن مالك الأزدي صاحب لامية العرب ، « الشفري » .
٢٨	٢٤			٢٢٢	٩١	عمرو بن معدي كرب [أبو ثور] .
	٢١٠				٣٩/٢	عمرو بن يربوع ، من نعيم .
٢٦	٢٦					عمران بن حطان السدوسي الوائي رأس القعدة من الصفرية المتوفى سنة ٨٤ هـ . « الخارجي » . عنان (١) .
١١٤	٤٤	٩١	١١٠		١١٧	عنترة العبسي . العوام الشيباني . عوف بن المحلم الحراني السمي ، « أبو المحلم »
	٢٧٦		٢٠٣			

م	ل	ف	غ	عب	س	ر	
		٤٢٠				١٣٠	قتادة بن مسلمة الحنفي . قتيلة — أخت النضر بن الحرث .
٣٨							قثم بن خبيثة بن عبد القيس . « الصلتان العبدي » .
		١٠٠					قراد بن حنش الصاردي . [جاملي قناهب الشعراء شعره وانتحلوه] .
٣٨					١١٢		قس بن ساعدة الإيادي .
		٤٥٢	٧٠			٨٨	قطبة بن الحصين الغطفاني ، « الحادرة أو الحويدرة » .
		٢٢٧					القطران .
٣٨٣	٤١٠						قطري بن الفجاءة المازني التميمي ، رئيس الأزارقة المتوفى سنة ٧٨ هـ . « أبو نعام » .
		١٤٥					قنص بن أم صاحب .
		٤٧٤				١٣٧	القلاخ بن حزن النقري من بني حزن بن عمرو .
				١٨٨	٦٧		قيس بن الخطيم ، توفي نحو سنة ٢ ق . هـ .

د	س	ع	ب	غ	ف	ل	م
قيس بن ذريح بن سنة الكتاني المتوفى سنة ٧٠ هـ - صاحب لبني بنت الحباب.						٢٣١	
قيس بن زهير بن جذيمة ، ١١٨ أمير عيس وداهيتها ، « قيس الرأي » .							٢٠٤
قيس بن عمر ، « النجاشي الحارثي » .				٤١	٥٣	١٢٦	
قيس بن الملح بن مزاحم العامري المتوفى سنة ٨٠ هـ ، النجدي « مجنون ليلى بنت سعد » .							٢٣٤
كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي الحجازي المتوفى سنة ١٠٥ هـ - صاحب عزة بنت جميل الضمرية .							٢٧
كعب بن جميل - أحد شعراء تغلب .						٥٨	١٢١
كعب بن زهير بن أبي ١١٣ سلمى المازني من أهل نجد المتوفى سنة ٢٦ هـ .							٢٢٤
							٣٠٩

م	ل	ف	غ	ع	س	ر
١٣٤			٥٦			كعب بن مالك ، البديري الأنصاري الخزرجي الصعابي المتوفى سنة ٥٥ هـ .
٧٣	٤٠٨	٣٢٩	١٨٣	٢١		الكبيش بن زيد الأسدي المتوفى سنة ١٢٦ هـ .
						. . .
٧٣	١٦	٦٧	٣٧	٧٤		لبيد بن ربيعة بن مالك العامري توفي نحو سنة ٤١ هـ . صاحب المعلقة « أبو عقيل » .
					١٥٨	لقيط بن بكير من محارب من قيس عيلان ، الحاربي المتوفى سنة ١٩٠ هـ .
	٦٤/٢					لقيط بن زرارة التميمي ، « جاهلي » .
		٤٣٢		١٧٩	٨٩/٢	ليلي الأخيلية ، بنت عبد الله المتوفى سنة ٧٥ هـ تقريباً . « صاحبة نوبة بن الحير » .
						. . .
٥٧						مالك بن خالد الهذلي .
				٢٢٥		مالك بن خريم الهمداني .
١٧						مالك بن الريب [المازني] من تميم .

م	ل	ف	غ	عب	س	ر
٢١٠			١٩٥			مالك بن عمرو أو عويمر ، من لحيان ، الهذلي « المتفضل » .
	٣٩٥					متنم بن نوبة اليربوعي التميمي أبو نهشل المتوفى سنة ٥٣٠ .
				١٧٢		محارب بن قيس [أو غامد بن الحارث بكافي القاموس وعلى القولين فهو الكسبي] . محمد بن الحسن - أبو بكر « ابن دريد » .
	٣٠			٢٠٣		محمد بن ظفر ، أو عمير ، « المقنع الكندي » .
			١٤٥			محمد بن هاني ، الأندلسي .
١٨٢		٤٣٦	١٢٥			المرار بن سعيد الأسدي من أسد بن مضركة ومن غضرمي الدولتين .
١٦١						مرداس بن عمرو . مروان بن الحكم .
	٣٥			٢٢٣	١٧٠/١	مزدرد بن ضرار ، [أخو الشماخ] .
			٢٩٣		١٦٣	المستورد ، من بني غنم شاعر إسلامي ، « جيران العود » .

م	ل	ف	غ	عب	س	ر
١٩٢						مسلم بن معبد الوالي .
					٩٢/٢	مسلم بن الوليد المتوفى سنة
						٢٠٨ هـ « صريع الغواني » .
		٢٩٣			١٦٣	المسيب بن علس [جاهلي- وهو خال الأعشى] .
٢٥						مضر بن ربيعة الأسدي .
				٢٠٩		معاوية بن مالك معوذ الحكماء ^(١) [جاهلي من سادة بني عامر] .
١١						مقل بن خويلد الهذلي .
١٥٨		٥٧	٤٨	١٢٠	١٢٠/٢	١٠٦ مقل بن ضرار « الشماخ » .
٤			١٠			المغيرة بن الأسود ، أو ابن عبدالله بن معرض الأسدي المتوفى سنة ٨٨ هـ « الأقيشر » مخضرم .
					١٤	المغيرة بن حبناء .
		٣٢٠				منازل بن زمعة من شعراء الدولة الأموية من بني منقر ، « اللعين المنقري » .

(١) لم نذكر عليه في المصدر الذي أحاط عليه المؤلف وله وقف عليه في غير بحث الوليد وأحد إليه سهواً .
جا (٩)

م	ل	ف	غ	ع	س	ر
١٨٣						المنخل بن عمرو . أزمعود البشكري من بشكر بن وائل ، جاهلي .
٢٥		٢٥٥				١٠٥ منذر بن حرمة الطائي توفي نحو سنة ٥٣ « أبو زيد » .
٣٧						منظور بن مرثد الأسدي .
	٢٣					متقد بن الطماح بن قيس الأسدي ، جاهلي ، « الجمع الأسدي » .
٧	٢٦	١٠١	٢٠	٣٧	٩٠	ميمون بن قيس بن جندل من وائل التوفى سنة ٥٧ ، « أعشى قيس » . أبو المهوش الأسدي نهران بن عمرو . نصيب بن رباح ، أبو محجن المتوفى سنة ١٠٠ ، اعتقه عبد العزيز بن مروان .
				٢٠٠		
			٦			
			٦	١١٨		
٦٦		٤١٤				النظار الأسدي . ٢١٦ النعمان بن بشير الأنصاري المتوفى سنة ٦٥ . نعمان بن عدي بن نفة . نفيل .
	٢٩٦/٢					
			١٨٩			

م	ل	ف	غ	ع	س	ر	
		٤٩	١٢			١٣٦	النمر بن تولب العكلي المتوفى
							نحو سنة ١٤١ هـ، مخضرم [صحابي].
			١٨٥				نهشل بن حري بن ضمرة -
							من دارم .
							. . .
		٤٠٨					هيرة بن عبد مناف العَرَاني
							« الكتلحبة اليربوعي » .
							هدبة بن خثرم من عامر ^(١)
							ابن ثعلبة توفي نحو سنة ٥٤ هـ .
١٦	٣٧/٢	٥٤	٨٩	٢٤	١٦٣	١٠٥	همام بن غالب بن صعصعة
							التميمي المتوفى سنة ١١٠ هـ
							أبو فراس « الفرزدق » .
				٢١٤		١٠٧	ميان بن قحافة السعدي .
				١١٥			هند ابنة عتبة . أم معاوية
							المتوفى سنة ١٤ هـ .
							هوبر الحارثي .
		٦٣					
				٢٠٨			الهيثم بن الربيع بن زرارة
							المتوفى سنة ١٦٠ هـ ، من
							نخير بن عامر « أبوحيتة
							النميري » .
							. . .

(١) لم يذكر المؤلف مواطن وجوده في كتب أبي اللاه .

م	ل	ف	غ	عب	س	ر
	٢٢					ورقاء بن زهير .
	٣١		١٢٩		٧٤/٢ ١١١	الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ ، « أبو عبادة البحتري » .
٢١٨			١٤٥			الوليد بن يزيد بن عبد الملك ابن مروان المتوفى سنة ١٢٦ هـ .
			١٩٠			وهب بن زمعة بن أسد المتوفى سنة ١٦٣ هـ ، « أبو دمبل الجمحي »
					٩٠	يحيى بن طالب الحنفي .
			٥٧			يزيد بن الحكم الثقفي المتوفى سنة ٩٠ هـ .
٢٧						يزيد بن خذّاق العبدي .
٢٥						يزيد بن سلة بن سمرة بن عامر بن صعصعة المتوفى سنة ١٢٧ هـ . « ابن الطثرية » .
٦						يزيد بن عبيد بن هوازن المتوفى سنة ١٣٠ هـ ، أبو وجزة السعدي .

ر	س	ع	غ	ف	ل	م
يزيد بن معاوية بن أبي			١٠٢			
سفيان المتوفى سنة ٦٤ هـ .						
يزيد بن مهلهل .			٦٤			
يصر بن حزن بن زائدة			١١٥			
من بني حاد بن كعب بن						
سعد . « أبو نخيلة » .						

وهذه أسماء طائفة من القراء والحكماء والطاء والبلاء والأدباء والرواة الذين ذكرهم في كتبه لنكتة بما يدل على أنه اطلع على كلامهم وآرائهم

م	ل	ف	غ	ع	ب	ر
			١٥٤			إبراهيم بن أبي عون ، أحد ابن النجم .
٣٢	٣٣					إبراهيم بن السري بن سهل . « أبو اسحق الزجاج » .
		٣٤				إبراهيم بن سفيان ... بن زياد بن أبيه . « أبو إسحق الزيادي المتوفى سنة ٢٤٩ هـ » .
	١٠٣/٧		١٨١			إبراهيم بن المهدي . أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ .
			١٣٣			أحمد بن عبد الله بن الحسين . « القطريلي » .
			١١٩			أحمد بن عبيد بن ناصح . « أبو عبيدة » .
	١٠٣/٧					أحمد بن عمر الشيباني المتوفى سنة ٢٦١ هـ . « الخفاف » .
			٢٠٢			أحمد بن كامل أبو بكر ، أحمد القراء « ابن شجرة » .

ر	س	عب	غ	ف	ل	م
					٣٣	
			١٥٧			
		٦٣	١٨		٢٣٠	
١٣٩					١٤٠/٢	
			٣٥	٥٧	٣٨٥	٢٥٦
					١٤٠	
			١٤٩			
١٠٩			١٨٤			
			١٢٧			
			١٢٨			

أحمد بن محمد ، أبو الحسن
العروضي .

أحمد بن يحيى بن إسحق
الراوندي المتوفى سنة ٥٤٥هـ .

أحمد بن يحيى ، الشيباني
المتوفى سنة ٢٩١هـ «ثعلب» .

أرسطو - صاحب كتاب
المنطق .

إسحق بن مرار المتوفى
سنة ٢٠٦هـ أو سنة ٢١٣هـ .

«أبو عمرو الشيباني» .
أويس بن عامر بن جزء

ابن مالك المتوفى سنة ٥٣٧هـ .
«أويس القرني»

إياس بن معاوية القاضي
المتوفى سنة ١٢٢هـ .

أبو بكر المؤدب .

أبو الحسين البصري .

أبو الخطاب (١) .

أبو الفرج الزهرجيني .

. . .

م	ل	ف	غ	عب	س	ر
٦٩	٣٩٦		٣٣	١٨٣		بكر بن محمد المتوفى سنة ٢٤٩ هـ أبو عمرو المازني . • • • جعفر بن حرب « الأشج » . جعفر بن محمد . جندب بن جنادة المتوفى سنة ٣٢ هـ أبو ذر الغفاري . • • • الحارث بن كلدة . الحسن بن أحمد - « أبو علي الفارسي » . الحسن بن بشر الأمدي . الحسن بن عبدالله - « أبو سعيد الصيرافي » . الحسن بن يسار البصري المتوفى سنة ١١٠ هـ . الحسين بن أحمد « ابن خالويه » . الحسين بن منصور المتوفى سنة ٣٠٦ هـ « الحلاج » . حزرة بن حبيب أحد القراء [السبعة] المتوفى سنة ١٥٦ هـ . • • •
	٢٠٩		١٥٦			
	٤١٠					
٤٥			١٦			
١٢		١٢٣	٥٧	٢٠١		
				٨١		
٧٩						
١٥٨			١١٢			
٨٢			١٩١		١٠٨	
			١٥٠			
			١١٢			

م	ل	ف	غ	ع	س	ر	
	١٩		١٢				خلف بن حيان [الأحر] .
٣٥	١٩	١٣٥	٦٨	٣٠	٢٠٦	١٢٠	الخليل بن أحمد الفراهيدي .
							. . .
			٢٠٦				دلف بن جعفر الشبلي
							المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ، شاعر
							سلك في شعره ممالك المتصوفة
							« أبو بكر الشبلي » .
			١٧				الدوسي .
							. . .
			٩٣				أبورجاء العطاردي قارىء ،
							[تابعي بصري من أصحاب
							أبي موسى الأشعري] .
						١٢٥	رزين العروضي .
							. . .
٩١	٢٦		٢٠				زيان بن الصلاء المتوفى
							سنة ١٥٤ هـ « أبو عمرو بن
							الصلاء » .
							. . .
	٢١١/٢						سحبان بن زفر بن إياس
							الروائي المتوفى سنة ٥٤ هـ .
	٢٢٧						سطيح .
٩١	٢٨٥	١١٠	١٠٧	١١٠		٢٢٣	سعيد بن أوس « أبوزيد » .
							٨ الجامع لأخبار أبي الصلاء ٢

م	ل	ف	غ	عب	س	ر
١٨	١٩	١٢٣	٩	٦٥		١١٤
						سعيد بن مسعدة - أبو الحسن «الأخفش الأوسط» .
	١١٨					سفيان الثوري .
			١٦٩			سنان الفارسي المتوفى سنة ٨٣٩ .
	٢٣٥					ابن سمع أبو علي بن السمح النطقي العراقي توفي سنة ٨٤١٨ .
				٢٣٢	١٣٧	سهل بن محمد المتوفى سنة ٨٢٥٥ وأبو حاتم الجعفي .
						. . .
			١٠٠			أبو شريح .
	٢٢٧					شق بن غار .
						. . .
٩٧	١٩			١٨٢		صالح بن إسحاق البجلي الجرمي المتوفى سنة ٨٢٢٥ .
			١٤٣			للسناديني .
						. . .
	١٨٦/٢					عاصم بن أبي النجود الكوفي الأسدي أحد القراء [السبعة] المتوفى سنة ١٢٧ هـ .
			١٥٦			عبد الجبار بن أحمد ،
						المعزلي المتوفى سنة ١٤٥ هـ .

م	ل	ف	غ	ع	س	ر
١٨٤	٢٩٦			١٢٧		عبد الحميد بن عبد الحميد ، شيخ سيديويه المتوفى سنة ١٧٧ هـ « الأخفش الأكبر » .
		١٠				عبد العزيز بن إبراهيم . « ابن حاجب النعمان » .
			٦٩	٢٣٢		عبد الله بن جعفر « ابن درستويه » .
	٢٧٣					عبد الله بن زيد بن الحارث الحضرمي أبو بحر بن أبي إسحق أحد الأئمة في القراءات والعربية توفي سنة ١٢٧ هـ .
			١٦٨			عبد الله بن سبأ .
٢٠٠						عبد الله بن عامر اليحصبي الدمشقي أحد القراء [السبعة] المتوفى سنة ١١٨ هـ .
٢٢٠						عبد الله بن عباس حبر الأمة المتوفى سنة ٦٨ هـ .
				١٨١		عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة المتوفى سنة ١٢٠ هـ .
	١٣١					عبد الله بن محمد بن كلاب القطان .
				٢٢٨		عبد الله بن مسعود .
	٢٨٤		١٥٦			عبد الله بن ميمون القداح .

م	ل	ف	غ	عب	س	ر	
٢٤١	٤٢	٣٤٠	١٨	١٤١	١١١/٢	٤٦	عبد الملك بن قريب — « الأصمعي » .
			١٩٢				عبد الواحد بن علي — « أبو الطيب اللثوي » .
٢٠٦							عبد الوهاب بن أحمد أو حريش الأعرابي . « أبو مسعل » .
			١٧٥				عبيد الله بن أحمد المتوفى سنة ٢٨٠ هـ « ابن خرداذبة » .
				١٨٠			عثمان بن جني — أبو الفتح المتوفى سنة ٣٩٢ هـ .
٢٥٩	٥٢/٢						عثمان بن سعيد ، أحد القراء [رواية نافعة] المتوفى سنة ١٩٧ هـ . « ورش » .
			٢١٠				عروة بن حزام . عطاء بن أبي رباح التميمي المتوفى سنة ١١٥ هـ .
٢٢٠							العلاء بن أبي بكر — أبو عمرو « مكنوزة الأعرابي » .
٧٥			٢٠				علي بن أبي طالب .
			١٥٦				علي بن إسماعيل بن إسحق — « أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤ هـ » .

م	ل	ف	غ	عب	س	ر
	٢٣٥					علي بن الحسن العلوي - الشريف أبو القاسم بن الأعم المتوفى سنة ٣٧٥ هـ .
٩٣			١٨	٦٥		علي بن حمزة الأسدي الكوفي المتوفى سنة ١٨٩ هـ ، « الكساني » .
	١٧١/٢					علي بن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٦ هـ ، وقيل سنة ٣٩٢ هـ « قاضي الري » .
				٥٠		علي بن عيسى بن الفرج الريعي « أبو الحسن الزهري » .
٩٢					٨٦	علي بن عيسى ، أبو الحسن المتوفى سنة ٣٨٤ هـ . « الرماني » .
			٩٨			علي بن قطرب .
			١٢٥			علي بن المغيرة ، « أبو الحسن الأثرم المتوفى سنة ٤٣٢ هـ » .
١٥	١٨٠/٢		١٨	٣٦	١٣٢	عمرو بن عثمان بن [قنبر صاحب الكتاب] سيويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ . [علي خلاف] .

م	ل	ف	غ	ع	س	ر
٢٣٥						عيسى بن إسحق بن زرعة ، البغدادي المتوفى سنة ٥٤٤٨ . وقيل سنة ٥٣٩٨ .
			١٧٦			عيسى بن عمر التقي ، شيخ الخليل وسيبويه المتوفى سنة ٥١٤٩ .
		١٤٦				أبو عيسى بن الرشيد .
		١٤٩				الفضل بن سهل المتوفى سنة ٥٢٠٢ .
		١٧٤				الفضيل بن عياض [بن مسمود بن بشر] التميمي أبو علي [الزاهد] المتوفى سنة ١٨٧ هـ .
	٢٠	٣٤٠				القامم بن سلام ، أبو عبيد المتوفى سنة ٥٢٤ هـ .
			١٤٢			القصار .
			١٧٣			ابن القنري القرشي .
	١٠٣/٢					مالك بن أنس - صاحب المذهب .
			٢٠٠			مالك بن دينار البصري ، أبو يحيى المتوفى سنة ١٣١ هـ .
٢٢٥				١٤٠		عبد بن أحمد بن كيسان المتوفى سنة ٢٩٩ هـ .

د	س	عب	غ	ف	ل	م
أبو بكر محمد بن أحمد بن مزبد النحوي [مستمل المبرد] ابن أبي الأزهر المتوفى سنة ٥٣٢٥ هـ .			١٣٦			
محمد بن إدريس ، « الإمام الشافعي » .					٤٣٢	
أبو بكر ، محمد بن الحسن « ابن دريد المتوفى سنة ٥٣٢١ هـ » .	١٠٨	١٤٦				
محمد بن الحسن الرواسي ، أستاذ الكسائي والفراء .						١٦٩
محمد بن زياد ، ابن الأعرابي المتوفى سنة ٥٢٣١ هـ .	١٣١	٢٠٩		٩٦		١٤٠
أبو بكر محمد بن السري ابن سهل المتوفى سنة ٥٣١٦ هـ « ابن السراج » .		٢٢	١٣٧		٢٢	٢٥٣
محمد بن الطيب بن محمد المتوفى سنة ٤٠٣ هـ . « أبو بكر الباقلافي » .					١٧٢/٢	
محمد بن عبد الرحمن بن محمد المكي الخزومي - قنبل [القاري ، رواية ابن كثير] المتوفى سنة ٥٢٩١ هـ .					١٨٦/٢	

م	ل	ف	غ	عب	س	ر
	٣٨٥		٢٠٠	١٨٦		محمد بن عبد الواحد ، أبو عمر الزاهد المطرز غلام نطلب المتوفى سنة ٢٤٥ هـ .
			١٦٨			محمد بن علي بن أبي طالب « محمد بن الحنفية » .
٢٨٠						محمد بن علي الراغي — أبو بكر ، قرأ على الزجاج .
			٧٥			محمد بن عمران بن موسى « المرزباني المتوفى سنة ٢٧٨ هـ » .
	١٧٢/٣					محمد بن محمد بن النعمان ، [الشيخ المفيد — من رؤوس الشيعة] « ابن المعلم » .
			٩٨			محمد بن المختير « قطرب المتوفى سنة ٢٠٦ هـ » .
			١٤٠			محمد بن يحيى بن عبد الله « أبو بكر الصولي المتوفى سنة ٢٣٥ هـ » .
	٣٩٧		١٧	١٨٧		محمد بن يزيد التائي أبو العباس « المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ » .
	١٣١					محمد بن الهذيل [البصري] « أبو الهذيل العلاف ، المتوفى [سنة ٢٣٥ هـ] .

م	ل	ف	غ	ع	ر	س
			١٧٥			أبو معشر المدني .
٨			١٨	٢١	١٣٣	معمر بن المثنى « أبو عبيدة المتوفى سنة ٢١٠ هـ .
٢٦٢		٢٨٠	١٠٦			الفضل بن محمد بن يعلى الضبي « الفضل الضبي المتوفى سنة ١٦٨ هـ .
						. . .
				٢٢٢		نافع أبو عبيد المدني من أئمة التابعين المتوفى سنة ١١٧ هـ .
		٣٠٨	٦٩			النضر بن شميل .
٢٤٠					٢١٢	النعمان بن ثابت « الإمام أبو حنيفة » .
						. . .
٢٤	١٩		٢١	٦٥		يحيى بن زياد - أبو الفضل « الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .
١٢٤						يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي روى عن ابن عمر وابن عباس توفي سنة ١٠٣ هـ .
				٢٢٧	٤٧	يعقوب بن إسحق « ابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ هـ .
٤٩	١٧		١٣٩			يونس بن حبيب « الضبي المتوفى سنة ١٨٣ هـ .

ما الله من الكتب والمروايين :

ذكر ياقوت في (إرشاد الأريب) أنه قرأ في نسخة فهرس كتب أبي
العلاء ، وفي أولها يقول :

« قال الشيخ أبو العلاء [رضي الله عنه] لزممت مسكبي منذ سنة أربعمائة ،
واجتهدت على أن أتوفر على تسبيح الله وتحميده ، إلى (١) أن أضطر إلى غير
ذلك . فاملت أشياء ، وقول نسخها الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن
أبي هاشم - أحسن الله موعنته - فالزمني بذلك حقوقاً جمة ، وأيادي بيضاء ،
لأنه أفنى في زمنه ، ولم يأخذ عما صنع ثمنه . والله يحسن له الجزاء ،
ويكفيه حوادث الزمان والأرزاء (٢) » هـ .

وقد أورد ابن المديم ، والقفطي ، والصفدي ، والذهبي ، وصاحب
(كشف الظنون) طائفة من أسماء كتبه ، فأوردناها بعد ترتيبها على حروف
المجاء ، ليسهل الرجوع إليها ، وأضفنا إلى ما ذكره ما عثرنا عليه في مظان
آخر من كتبه ، أو ما يتعلق بها ، كما أضفنا أمثلة من كتبه التي لم تطبع
ليطلع الواقف على هذا الكتاب على شيء من أسلوبه وأغراضه فيها .
وهذه هي :

١ - كتاب أدب الصغورين :

وعده ابن المديم ، والقفطي ، والذهبي (٣) ، في الرسائل .

-
- (١) في القفطي وابن المديم : « إلا أن » . (ج)
(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٠١ عن إرشاد الأريب - لياقوت .
(٣) انظر تعريف القدماء الصفحات : ٤٨ ، ٢٠٤ ، ٥٣٤ عن إنباء الرواة وتاريخ
الإسلام ، والإنصاف والخصري .

٣ — كتاب استغفر واستغفري :

لم تساعنا الأيام بالاطلاع على هذا الكتاب الذي أثار فائز العلماء على أبي الملاء ، وحلهم على الطعن في دينه . والظاهر من أقوالهم أن ما فيه يشبه ما في (لزوم ما لا يلزم) وأنها من نبعة واحدة . وقد قال الصفدي في (نكت المهيان ص ١٠٧) في المعري : « أما الموضوع على لسانه ، فله لا يخفى على من له لب ، وأما الأشياء التي ذوتها وقالها في (لزوم ما لا يلزم) وفي (استغفر واستغفري) فما فيه حيلة ، وهو كثير ، فيه ما فيه ، من القول بالتمطيل والاستخفاف بالنبوات ، ويحتمل أنه ارعوى وتاب بعد ذلك » اهـ . وقال ابن الوردي في (تاريخه ج ١ ص ٣٦٠) في حوادث سنة ٤٤٩ هـ في المعري : « وأنا كنت أتعصب له بكونه من المعرة ، ثم وقفت على كتاب (استغفر واستغفري) فابفضته ، وازددت عنه نفرة . ونظرت له في كتاب (لزوم ما لا يلزم) فرأيت التبري منه أحزم . فإن مدين الكتاين يدلان على أنه كان لما نظمها عالماً جائراً ، ومذبذباً نافرأ ، يقر فيها أن الحق قد خفي عليه ، ويود لو ظفر باليقين ، فأخذته بكلتا يديه » اهـ .

وقد ذكر الزمخشري في (الكشاف) في تفسير قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾^(١) قصة مسيلة وسجاج ، ثم قال : « فيها يقول أبو الملاء المعري في كتاب (استغفر واستغفري) :

أَمَّتْ سَجَّاحٌ وَوَالَاهَا مُسَيْلَمَةً كَذَّابَةٌ فِي بَنِي الدُّنْيَا وَكَذَّابٌ^(٢)»

(١) سورة المائدة الآية ٥٤ .

(٢) انظر فائت شعر أبي الملاء - للمعري - ص ٣ .

أمت : من الإمامة ، وروي : « وراقها مسيلة » أي واقمها . وروى « أمت سجاح » أي صارت أيمًا وهي التي مات زوجها . وقال في (عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٨٨) في ترجمة جالينوس : « وقد مدح أبو العلاء بن سلبان المعري في كتاب (الاستفغار) كتب جالينوس ، ومدوني الطب ، فقال :

سَقِيَا وَرَعِيَا جَالِينُوسَ مِنْ رَجُلٍ وَرَهْطٍ بِقِرَاطٍ غَاضُوا بَعْدَ أَوْزَادُوا
فَكُلُّ مَا أَصْلَوْهُ غَيْرُ مُنْتَقِضٍ بِهِ اسْتِغَاثَ أُولُو سُقْمٍ وَعُودًا
كُتِبَ لَطَافٌ عَلَيْهِمْ خَفَّ حَمْلُهَا لَكِنِهَا فِي شِفَاءِ الدَّاءِ أَطْوَادُ^(١) .

ولا أعلم إن كان كلام الاستفغار هذا هو كتاب استغفر واستغفري أم غيره . وذكر ابن العديم في كتب أبي العلاء كتاباً في المنظوم يعرف باستغفر واستغفري ، في العظة ، والزهد ، والاستفغار . أول كل أبيات فيه : « أستغفر الله » ومقداره مائة وعشرون كرامة ، فيه نحو عشرة آلاف بيت^(٢) .

ونحو ذلك في الفخطي . وفي الذهبي ، يعرف بكتاب استغفر واستغفري منظوم فيه نحو عشرة آلاف بيت ، وفي (مرآة الزمان) ست مجلدات . وقد نقل عنه التبريزي في (شرح سقط الزند) :

« وذكر أبو العلاء في كتابه (استغفر واستغفري) أنه لو قيل للدنيا : أم دفر ، للدفع — وهي تدفر أهلها ، أي تدفعهم — لكان وجهاً حسناً . وقال الخوارزمي في (شرح السقط ج ٥ ص ٢٠١٢) : ومن أبيات (استغفر واستغفري) :

(١) فانت شر أبي العلاء — للبني — ص ٦ .

(٢) تعرف القمصاء بأبي العلاء ص ٥٣٨ عن الأوصاف والحريري — لابن الدمج .

أَوْزَقْتَ يَا غَضْنَ لَا تَذَرِي بِمَا صَنَعْتَ

لَكَ الْمَقَادِيرُ ثُمَّ اسْتَنْشِيءِ الزَّهْرُ
قَلَمْ تَزَلْ لِقَضَاءِ اللَّهِ مُنْتَقِلًا حَالًا فَحَالًا إِلَى أَنْ يَنْعَ الشَّعْرُ
وَكَانَ وَالْيَكْ يَخْشَى أَنْ تَمْسَ أَدَى يَوْمًا وَيَسْقِيكَ إِنْ لَمْ يَسْقِكَ الْمَطَرُ
مَا نَامَ عَنْكَ وَلَا أَلْهَتْهُ نَائِبَةٌ حَتَّى قَدُمْتَ وَجَاءَ الضَّعْفُ وَالْخَوَرُ
ثُمَّ اعْتَدَى لَكَ عِنْدَ الْقَرْمُحِ طَبَا يُلْقِيكَ فِي النَّارِ عَمْدًا وَهِيَ تَسْتَعِرُ
وَلِيْنَا مَقَلْتُ مَا قَدَّمْتُهُ مَثَلًا لِلْمَرْءِ لَمَّا أَتَاهُ الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ

٣ — كتاب إسعاف الصديق :

يتعلق بكتابه الذي سماه (تمليق الجليس) وهو يتعلق بكتاب أبي
القاسم الزجاجي المعروف بـ (الجمل) . وإسعاف الصديق ثلاثة أجزاء وقد
رأى القفطي أجزاء منه .

٤ — كتاب إقليد الفبايات :

وهو مشتمل على تفسير اللفظ ومقداره عشر كراريس ، وفي (كشف
الظنون) والقفطي : مقصور على تفسير اللفز .

٥ — كتاب الألفاز :

قال البديعي في (أوج التحري) (١) : « ولأبي العلاء المري ديوان شعر
جميعه في الألفاز » منه :

(١) أوج التحري عن حنية أبي العلاء المري - هديمي - ص ١٠١ تحقيق الدكتور
ابراهيم الكيلاني .

أَضَعَفَتْ قُوَّةَ فُرْسَانٍ ذَكَرْتَ لَهُمْ أَنَّ الْفَوَارِسَ لَا قُوَّةَ بِالرَّدَى شَرْقًا

فَأَصْبَحَتْ تَطْعَنُ الْأَعْدَاءَ جَاهِدَةً عَنِ الْمَلَّاحِ وَتَرْمِي دُونَهَا الْحَدَقَا

أضعفت : من قولك : أضعفت الشيء إذا زدته ضعفه ، ألغز عن أضعفت من الضعف ، كانه لما خبرهم أن نساءهم هلكت ، اشتدت ظهورهم لذلك ، لأنهم أمنوا عليها السباء . عن الملاح : أي عن الميهاء الملاح ، يقال : قليب ملح وأقلبة ملاح ، ألغز عن الملاح من الناس .

وقال :

شَمَطَاءُ تُفْعِلُ فِي غَابٍ مَخَالِبَهَا فَمَا تَزَالُ نَهَارًا تَعَضُّدُ الشَّجَرَا

تَأْوِي إِلَيْنَا فَقَدْ أَغْمَتْ مَعَاشِرَنَا عَنِ الْوُقُودِ وَمَا أَذْمَتْ لَهَا ظُفْرَا

شمطاء : أمة ، والمخالب : المناجل ، تعضد : تقطع . والوقود : ما توقد به النار من الحطب .

وقال :

إِذَا نِعَامَةٌ لَيْلٍ بِالْعَمَلَا بَرَكْتُ أَنْحَى الظِّلِيمَ عَلَى التَّقْرِيبِ وَالْخَبَبِ

وَإِنْ مَنَ جَعَلَ الظُّلَمَاءُ نَاقَتَهُ كَأَنْتَ جَدِيرًا بِمَا يَزُولُ مِنَ الْأَرْبِ

نعامة الليل : ظلمته . الظليم : المظلوم . ألغز عن ظليم النعام .

وقال :

وَرَأْفِدٍ لَوْ أَرَادَ النُّجْمَ أَثْرَكَهُ يُلْقِي عَصَاهُ عَلَى الْجُوزَاءِ وَالْحَمَلِ

يَرْمِي عَلَى الْآثِنِ بِالْمَرِيخِ مِنْ يَدِهِ وَلَا يَخَافُ وَقُوعَ النُّحْسِ مِنْ ذُحُلِ
[يَهْوِي الثُّرَيَّا فَيَبْغِيهَا وَتُمْكِنُهُ مِنْ نَفْسِهَا فَيَقْضِي غَايَةَ الْأَمْلِ]
إِذَا ذَنَا كَوْكَبٌ مِنْهُ لِيَخْتَلِمَهُ رَدَّاهُ بِالْفِغْرِ أَوْ صَادَاهُ بِالْعِلَالِ
مَتَى رَأَى هَادِي السَّرْحَانِ رِيْعَ لَهُ وَإِنْ رَأَى ذَنْبَ السَّرْحَانِ لَمْ يَبُلْ

النجم : النبت ، والجوزاء : شاة في وسطها بياض وهي سوداء ،
أو سواد وهي بيضاء ؛ ذكر ذلك غير واحد في شيات القم . والمريخ :
سهم له أربع قذذ ؛ ولا يخاف وقوع النحس : أي لا ينظر في النجوم ، والثريا :
تصغير ثريا ، وهي أرض ذات ثرى ، وأصلها المد ، وقصرها جائز في الشعر .
والكوكب : الغلام اليافع ، ردهاه : أي رماه . صاده : داراه .

وقال :

إِنَّ الْعَقِيقَ أَثَانًا مِنْ مَحَلَّتِهِ بِالْبَصْرِ الْعَامَ حَتَّى حَلَّ فِي هَجَرَا
يَهْزُ نَفْسًا إِلَى الْعُلَمَاءِ نَائِقَةً كَوَ كَانَتِ الدَّجَنُ لَمْ تَمْسِكْ لَهَا مَطَرَا

العقيق ههنا : الرجل المفقوق . ألغز عن عقيق البصرة وهو موضع بها .

وقال :

أَتَى الْأَرْبَعَاءَ الْقَوْمُ فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ وَسَبَّتَهُمْ وَأَفَاهُمْ بِخَمْسِ
وَمَنْ لَا يَخُنْهُ عُفْرُهُ تَلَقَّ نَفْسُهُ ضُرُوبَ تَعِيمٍ فِي الزَّمَانِ وَبُوسِ

الأربعاء هنا : جمع ربيع وهو النهر الصغير ، أُلْفَزَ عن اليوم . وسبتهم : إن شئت كان يوم السبت ، وأقام فيه خيس : وهو الجيش . وإن شئت كان الخميس هنا ضرباً من السير ، ويكون الخميس يوماً أو جيشاً أو ثوباً .
وقال :

خَايِلَانِ نَيْطَا فِي جَوَانِبِ مَجْلِسِ جِدَارَاهُ قُدَامَ لَهُ وَوَرَاهُ
مَتَى يَضَعُ الرَّجُلَيْنِ مَاشٍ عَلَيْهِمَا يَزُلُّ عَنْهُ فِي وَشَكٍ حَفَاً وَحَفَاءَ
هذان الركبان . والمجلس : السرج . جداراه : قربوسه ومؤخرته .
والحفا مقصور : أن يتجمع الرجل من ألم المشي . والحفاء ممدود : أن يمشي
الرجل حافياً .
وقال :

وَلَا بَسَةَ فِي قَيْظِهَا أَلْفَ حُلَّةٍ وَأَكْثَرَ لَمْ تَحْفَلِ بِحَسَنِ لِبَاسٍ
وَلَا خَشِيتُ قُرْأَ وَلَا مِنْ ظَهِيرَةٍ هَجِيرٍ أَوْ لَا اسْتَخَيْتُ عُيُونَ أَنَاسٍ
وَكَمْ عِنْدَهَا عَارٍ يَوَدُّ لَوْ أَنَّهَ بِطَمَرَيْنِ مِنْ شَرِّ الْمَعَاوِزِ كَاسٍ
هذه الكعبة . والمعاوز : الثياب الأخلاق .
وقال أيضاً فيها :

لَهَا اللَّهُ مَا هَمَّتْ لِحْيَ بَزَوْرَةٍ عَلَى أَنَّهَا طُولَ الزَّمَانِ تَزَارُ
عَلَيْهَا سُورٌ وَهِيَ غَيْرُ حَيَّةٍ وَلَا عِنْدَ لَمْسٍ بِالْأَكْفِ نَوَارُ
نوار : نفور . وكتاب الألفاز كبير الحجم ، رتبه على جميع حروف
الهجاء ، مشتمل على كل بحور الشعر وأعاريفه وضروبه ، وما ذكرناه هذه
النبذة منه إلا ليستدل بها على أسلوبه . وهذه طريقة المتقدمين في الألفاز .

وفي الشريشي (ج ٢ ص ٧٩) « وقال المعري يلفز في القمح :

وسَمَرَاءُ فِي بَيْضِ الْحَسَانِ شَرِيئُهَا بَصْفَرٍ مِنَ الْعَيْنِ الشَّبِيهِ بِالشَّمْسِ
وَقَدْ غُيِّبَتْ فِي الْخِذْرِ عَصْرًا مَصُونَةً مُحَجَّبَةً عَنْ أَعْيُنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ
فَلَمَّا بَدَّتْ عَنْهُ بَدَّتْ سَيْمَةُ النَّوَى عَلَيْهَا وَلَمْ تَجْزَعْ لِخَادَتِهِ الْأَمْسِ
فَأَهْلًا بِأَنْتَى لَمْ تَرُذْ يَدَ لَا مِسٍ بِسُوءٍ وَلَا أَبَدْتَ نَفَارًا مِنَ اللَّمْسِ » .

مكذا رواها ، وأظن أن « لم ترد » محرفة عن « لم تند » .

٦ - كتاب الأنواء :

هذا الكتاب ، ذكره البغدادي في (خزانة الأدب) في جملة الكتب التي اعتمد عليها وانتقى منها ، ولم أر من ذكره غيره .

٧ - كتاب الأيكة والفصون :

وهو كتاب كبير يعرف بكتاب (الهمزة ^(١)) والردف) بُني على إحدى عشرة حالة من الحالات : الهمزة في حالة انفرادها وإضافتها ، ومثال ذلك : السماء بالرفع ، والسماء بالنصب ، والسماء بالخفض . وسماء يتبع الهمزة التنوين « سماء ، سماء آ ، سماء » ثم : سماء مرفوع مضاف ، سماء منصوب مضاف ، سماء مخفوض مضاف ، ثم يحىء : سماءها ، وسماءها ، وسمائها ، على التأنيث . ثم همزة بعدها هاء ساكنة ، مثل : ملاء ، وعباءة . فتلك إحدى عشرة حالة - إذا اعتبرت صور المنون واحدة - فإذا ضربت في حروف المعجم الثانية والعشرين ، خرج من ذلك ثلاثمائة فصل وثمانية فصول .

(١) في الفاطر « الهمز » وكذا في ابن الديم ، وفيها اختلاف بين وعس وزيادة عما ذكره ياقوت . (ج)

وهي مستوفاة في كتاب (الهزمة والردف) وذكرت فيه الأرداف الأربعة ، بعد ذكر الألف ، وهي الواو المضوم ما قبلها ، والواو التي قبلها فتحة ، والياء المكسور ما قبلها ، والياء التي قبلها فتحة ، ويذكر لكل جنس من هذه أحد عشر وجهاً ، كما ذكر للألف ، وهذا الكتاب في العظات وذم الدنيا ، ومقداره على قول ياقوت اثنان وتسعون جزءاً ، وهو ألف ومائتا كراسة (١) .

وقال ابن خلكان (ج ١ ص ٤١) : « بلغني أن له كتاباً سماه (الأيلك والفصون) وهو المعروف بالهزمة والردف ، يقارب المائة جزء في الأدب [أيضاً] وحكى لي من وقف على المجلد الأول بعد المائة من [كتاب الهزمة والردف] ، وقال : لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد (٢) ! » .

وقد رأى القفطي منه ثلاثة وستين مجلداً في فهرست وقف نظام الملك الحسن بن اسحق الطوسي في بغداد (٣) . وقال ابن العديم : « وهذا الكتاب قليل الوجود لكبره ، ولم أقف إلا على جزء واحد منه ، وبعضه موقوف في خزانة كتب النظامية ببغداد ، وبالديار المصرية منه نسخة كانت في خزائن المصريين ؛ صارت إلى القاضي الفاضل عبد الرحيم البيهقي ، وانتقلت إلى ولده القاضي الأشرف بعده ، ثم صارت في جملة كتبه إلى خزانة الملك الصالح أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب وأظنها في ستين مجلداً (٤) . » اهـ وذكر المقرئ في كتاب (السلوك ج ١ ص ٢٣٣) أنها في ستين مجلداً ، وأن أخذها في جملة كتب الأشرف كان في ١٢ رجب سنة ٦٢٦ هـ .

(١) انظر تعريف القدماء بأبي اللاه م ١٠٢ عن إرشاد الأريب لياقوت .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٢ عن الوفيات .

(٣) تعريف القدماء بأبي اللاه م ٤٩ عن إياه الرواة - لقفطي .

(٤) تعريف القدماء بأبي اللاه م ٥٢٨ عن الإصناف والتهري .

وقال البديعي في (أوج التحري ص ٦٦ ^(١)) : « قال أبو العلاء : أنشأت كتابي المعروف بكتاب الفصول والغايات ، ونظمته على حروف المعجم ، سوى الألف ، لاني بنيته على الردف ، وقد نجز بحمد الله كتاب غايات وفصول ، يتبعه كتاب إليك وغصون ، وقلت ذلك لعل بركة من ذاكر الله منيب قدركني وأنا حي أو ميت » .

ثم أورد جملة من كتاب الغايات ، وأعقبها بما قدمناه عنه ثم قال : « وكتابه الذي سماه (إليك والفصول) وهو المعروف بالهمزة والردف ، يشتمل على ما اشتمل عليه (الفصول والغايات) من تمجيد الله [تعالى] والثناء عليه والمواظفة . ثم نقل قول ابن العديم وقول ابن خلكان . ثم قال : « ولم ينسبه فيه إلى معارضة القرآن العزيز ، كانسبه في الفصول والغايات ، مع أنها على نط واحد .
هناك من إليك والفصول :

وهذه نبذة من كتاب إليك والفصول ، متضمنة للتمع والعيون .
قال أبو العلاء :

لَوْلَا مَا أَصْفَقَ الْمُتَعَبِّدُونَ مِنْ تَمْجِيدِ اللَّهِ ، لَوَجَبَ أَنْ
لَا يُذَكَّرَ اسْمُ اللَّهِ - تَعَالَى - بِإِجْلَالٍ وَهَيْبَةٍ . وَأَنْ لَا تُرْفَعَ أُنْمَلَةٌ
إِلَى السَّمَاءِ إِعْظَامًا وَتَأْتُمَا . الْخَمَصَةُ لِلْفَخْلِ وَجَاءَ ^(٢) .
لَا يَسْتَشِيرَنَّ غَضَبَكَ هِجَاءً . لِلْأَقْدَارِ النَّظَرَةُ وَالْفَجَاءُ ^(٣) .

• • •

(١) أوج التحري تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني ، منشورات للمهد الارنسي بدمشق
وهذه النصوص في الصفحات ٤٨ - ٧٣ .

(٢) الخمسة : الجماعة : الوجد : شبه بالخصاء ، وهو دق ، وروى الحسين بن حبرين من
غير أن يخرجهما . السان : وجأ » .

(٣) النظرة : الامهال ، الفجاء : المباغلة .

إِذَا نَزَلَ قَدْرُكَ فَلَا رَاقٍ . وَإِذَا هَلَكَ عِبَادُكَ فَأَنْتَ
 بَاقٍ . أَيْنَ الْمَتَأَسَّفُ عَلَى قَوْمِهِ ؟ لَقَدْ سُخِّلَ بِلِقَاءِ يَوْمِهِ . افْرَحْ
 بِالْحَسَنَةِ إِذَا صَنَعْتَهَا . وَانْدَمْ عَلَى صَلَاتِكَ مَتَى أَضَعْتَهَا .
 الْأَمَلُ وَالْحِرْصُ مُتَوَاحِيَانِ . وَالزُّهْدُ وَالْعِبَادَةُ نَسِيبَانِ . خَيْرُ
 مَا تَنْطَلِقُ بِهِ ثَنَاؤُكَ عَلَى خَالِقِكَ . وَكَيْفَ ثَنَاؤُكَ عَلَى مَا لَا تَعْرِفُهُ ؟ .
 إِنَّمَا ذَلِكَ عَلَيْهِ الصَّنْعُ . فَمَغْرِفَتُكَ وَقَعَتْ بِالْأَفْعَالِ دُونَ
 مَنْ فَعَلَ . وَاللَّهُ حَكِيمٌ . وَالْمَغْرِفَةُ بَرٌّ بِنَا عَوَصَاءِ .

* * *

كَلَّتِ الْأَلْسُنُ عَنْ صِفَتِكَ . نُؤْمِنُ بِكَ وَتَثِقُ بِقُوَّتِكَ^(١) .
 وَنَسْأَلُكَ أَنْ تُوسِعَنَا مِنْ رَحْمَتِكَ . كَذَبَ الْمَادِحُ سِوَى
 مَادِحِيكَ . سُبْحَانَكَ رَبَّ الْمَمْلَكَةِ مَا لَهَا انْقِضَاءُ .

* * *

احْذَرِ صَدِيقَكَ وَصَاحِبَكَ . مِثْلَمَا تَحْذَرُ عَدُوَّكَ وَمُحَارِبَكَ .
 إِذَا انْتَوَتْ بِصَدِيقِكَ نَوَى^(٢) فَلَا تَنْسَهُ . وَاذْكُرْ مُلَاطَفَتَهُ

(١) فِي أَوْجِ التَّحْرِی : « بَرَّتْكَ » .

(٢) أَيْ بَدَّ بِهِ الْبَدَّ .

وَأَنْتَ^(١) . كَاشَفَ صَاحِبُكَ الْمَغْصِيَّةَ وَازْعَجَهُ . وَأكْرَمَ النَّاسِكَ
وَلَا تَهْجُهُ . وَأَحْسِنَ إِلَى فَقِيرِكَ وَأَنْبِجْهُ . مَنْ أَرَادَ مِنَ الدُّنْيَا
حَظًّا فَهَضَمَ نَفْسَهُ فِي خِدْمَتِهَا . وَمَنْ أَدْرَكَهَا مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ
قَدْ لَكَ جَرَى مَجْرَى الشَّاذِّ لَا يَحْتَمِلُ قِيَاسًا عَلَيْهِ . كَمْ قَوْمٍ
فِي حُبِّ الْعَاجِلَةِ قَدْ اضْطَعَنُوا . وَخَلَفُوهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَظَعَنُوا .
قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ أَوْ اصْمُتْ . كُلُّنَا سَفَتَ الْآخِرَةَ يَسْمُتُ^(٢) .
أَقْبَحُ مِنَ الْغَيِّ الْإِغْوَاءُ .

إِذَا سَقَيْتَ عَافِيكَ فَاسْقِهِ مَحْضًا^(٣) . وَإِذَا سَأَلْتَ رَبَّكَ
مَعِيشَتَكَ فَاسْأَلْهُ خَفْضًا . وَلَا تَذُمُّ صَاحِبَكَ شَغْفًا وَبُغْضًا ،
وَإَغْفِرْ لَهُ مَا اجْتَرَمَ تَفْضُلًا وَغَضًّا . كَيْفَ لَا أُحْذَرُ وَأَتَّقِي .
هَلْ تُخْلِدُ أَحَدًا أَوْ بَقِي؟ يَا رَبِّ مَنْ سَعِدَ وَشَقِيَ . لَقْنَا بِرَحْمَتِكَ
خَيْرَ مَا لَقِي . فَإِنَّ الْهَوَا أَكُولُ قَوْهَاءَ^(٤) .

(١) في الأوج : « واذكر ملاطفتك إياه وأنه » .

(٢) أي ينجيه وجهة الآخرة .

(٣) العافي : طالب العروف .

(٤) قوهاه : واسعة الفم .

اشْجَع فَإِنْ أَقْدَارَ اللَّهِ لَا تَعْجَلُ إِلَى الشَّجَاعِ . وَلَا تَنْكُصْ
إِلَى لِقَاءِ الْجَبَانِ . فَلَا تَكُنْ مِنْ قَوْمِ نُخَبَاءٍ ^(١) .

* * *

إِذَا رُزِقْتَ الظُّفَرَ فَأَحْسِنْ . وَقَيِّدْ قَرَسَكَ وَأَرْسِنْ .
خَاصِمِ نَفْسِكَ فَإِنَّهَا عَدُوَّةٌ ، وَاصْبِرْ عَلَى أَقَارِبِكَ فَإِنَّ الصَّبْرَ
عَلَيْهِمْ مُرُوءَةٌ . وَاعْلَمْ أَنَّ عِبَادَةَ رَبِّكَ جَنَّةٌ بِخَفْوَةٍ . لَا تَعَيِّنْ
أَحَدًا بِأَمْرٍ . فَتَطَأَ عَلَى مِثْلِ الْجُمْرِ . اصْبِرْ عَلَى مَا حَكَمَ رَبُّكَ .
وإِيَّاكَ وَلَيْتَ الْكَاذِبَةَ ، وَلَوْ الْغَرَارَةَ ، وَعَسَى الْخُلْفَةَ ، وَلَعَلَّ
الْخَالِبَةَ . وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ . وَلَا تَكُونَنَّ كَالرَّجُلِ يَبْكِي
الْعَدَاءَ .

* * *

لَا تَمْلُنْ مِنْ اسْتِغْفَارِكَ . وَوَاصِلِ التَّذَكِيرَةِ وَذَارِكِ .
وَأَخْفِ الْكَلِمَةَ فِي إِضْمَارِكَ . وَلَا تَزِيدَنَّ جَرَائِمَكَ بِاعْتِدَارِكَ .
أَعِدْ سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ . فَمَرَّ الزَّمَانُ وَأَنَا فِي سِنَةٍ . إِنَّ اللَّهَ
يَرْفَعُ الْمُتَوَاضِعَ وَيُعِينُهُ . وَيَذُلُّ الْمُتَجَبَّرَ وَيُهِينُهُ . إِذَا كَانَ

(١) نخباء : فردما غيب وهو الجبان القاهب القلب .

جَالِسُ الرَّجُلِ يُعِينُهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ . فَالْمَجَالَسَةُ أَفْضَلُ مِنْ
التَّوْحُدِ^(١) . وَإِذَا كَانَ الْجَالِسُ يَغْمِسُكَ فِي الْمَغْصِيَةِ فَبَادِرِ
الْإِخْلَاءَ .

الْمُؤْمِنُ يَبْلِيغُ وَكَأَنَّهُ عَيْيٌ . وَنُحْسِنُ فِي الْبَاطِنِ وَكَأَنَّهُ
مُسِيٌّ . فِي كُلِّ نَفْسٍ أُعْجُوبَةٌ . وَالْحَقَائِقُ عَنْ الْبَشَرِ نَحْجُوبَةٌ .
مَنْ كَفَرَ فَلَا تُلَاحِ . حَسْبُهُ سَيِّءٌ صَبَاحِهِ . فِي مَغْدَاهُ وَرَوَاحِهِ .
فَكَانَ مِثْلَ الْكَلْبِ الْأُخْرَقِ . جَازَى الْمُطْعِمَ بِسَبَاحِهِ . لَا تَغْبِطِ
الشَّعْلَ بِرَاحِهِ . وَارِثَ لَهُ مِنْ اجْتِرَاحِهِ^(٢) . لَوْ رَضِيَ بِبَارِدٍ
مِنْ قَرَّاحِهِ^(٣) . لَرَجَّحْتَ أَنْ يَظْفَرَ بِفَلَاحِهِ . عَلَى أَنْ الْمَلِكُ
مُحْسِنٌ فِي كُلِّ الْأَنْحَاءِ .

يَا نَحْوُ يَا نَحْوُ . حَقٌّ لِمَا كُتِبَ مِنْكَ نَحْوُ^(١) . مَا أَنْتَ وَمَا
الْحَاجَةُ إِلَيْكَ . إِنَّمَا يُفْتَقَرُ إِلَى تَقْوَى اللَّهِ . مَا أَشْغَلَنِي إِذَا

(١) فِي الْأَوْج : « التَّوْحِيد » وَلَهَا خَطَأٌ لِأَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ يَرِيدُ بِهَا الْأَفْرَادَ حَسْرَ
مَا يَنْضَبِيهِ السِّيَاقُ .

(٢) اجْتِرَاحِهِ : اجْتَرَحَ الْأَمَّ أَيْ ارْتَكَبَهُ .

(٣) الْقَرَّاحُ : بِالضَّمِّ ، الْمَاءُ الَّذِي لَا يَخَالِطُهُ تَلُّ مِنْ سَوِيْقٍ أَوْ غَيْرِهِ . وَبِالْفَتْحِ ، الْمَاءُ الَّذِي
لَا يَخَالِطُهُ شَيْءٌ . يَطْبَبُ بِهِ كَالْمِلِّ وَالْقَمَرِ وَالزَّيْبِ . الْقَانُ « قَرَح » .

(٤) فِي الْأَوْج : « الْمَو » .

نُودِيَ بِي عَنْ أَحْكَامِ النَّدَاءِ . مَا تَرَحُّيمٌ وَضَعُ . وَكَلَامٌ ضَمُّ
وَجُمُيعُ . جُرَّ بِالْإِضَافَةِ . وَنُصِبَ عَلَى الْإِغْرَاءِ .

اسْتَغْفِرُ رَبَّكَ وَتُبْ . هَلْ تَنْفَعُكَ هَذِهِ الْكُتُبُ ، انْظُرْ
إِلَى مَنْ شِفَتْ مِنْ أَهْلِ الزَّمَنِ . تَجِدُهُ فِي عَمَاءٍ وَمِحَنٍ .
قَضَى بِالْجَهْلِ الْمُتَكَمَّنُ . فَإِذَا هُوَ بِالْكَذِبِ مُتَلَمِّنٌ ^(١) . كُلُّنَا
يَظُنُّ وَيَحُوبُ ^(٢) . وَالرَّجُلُ إِلَى الْهَلَكَةِ يَجُوبُ . يَنْدُمُ الشَّمْلُ
إِذَا صَحَا ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ جَهْلٌ فِيمَا انْتَحَى . إِذَا لَا قِنْتَ جَارَكَ
فَتِيَّةً . وَإِنْ نَزَحَ بِهِ الزَّمَنُ عَنْ حَيَّةٍ . لَوْ وَجَدْنَا غَيْرَ الْقَنَاعَةِ
لَأَخَذْنَاهُ . أَبِي عَلَيْنَا الْغَضَنُ لَمَّا جَذَبْنَاهُ . مَنْ يَذْكُرِ اللَّهَ
يَلْسَانُ . وَيَفْعَلُ أَفْعَالًا غَيْرَ حَسَنٍ . فَبَعْدَ ذَلِكَ مِنْ إِنْسَانٍ ،
الزَّمَنُ كَرُّهُ وَقَرُّهُ . خَيْرٌ يَطْرُقُ وَشَرُّهُ . لِلَّهِ مَا أُنْتَكِرُ وَأَرْوَحُ .
إِنْ مِلَّءَ الْخَلْدُ قُرُوحَ . التَّائِبُ خَيْرٌ مِنْ غَيْرِهِ . رَجَعَ مِنْ
شَرِّ الْعَمَلِ إِلَى خَيْرِهِ ^(٣) . إِنْ أَمَرَ الصَّمَدُ لِمَقْضِي . وَكُلُّهُ

(١) فِي الْأَوَجِ : « بِالْجَهْلِ » وَتَلَمِّنُ : لَهْتُمْ تَلْمِيزًا أَيْ سَلَفَةً ، فَهُوَ مُتَلَمِّنٌ .

الْعَانُ عَنِ الْجَوْهَرِيِّ « لَهْنٌ » .

(٢) الْحُوبُ : الْإِثْمُ .

(٣) فِي الْأَوَجِ : « رَجَعَ عَنْ » .

مَا فَعَلَهُ مَرِضِيَّ^(١) . اَعْلَمُ وَعِلْمِي قَلِيل . اَنْ يَظُلَّ الرَّحْمَةَ
هُوَ الظِّلِيل . اِنَّ السَّائِلَ اِذَا حَرَمْتَهُ . فَقَدْ اَهْنَتْ نَفْسَكَ
وَاَكْرَمْتَهُ . اَطْوِ صَاحِبَكَ عَلَى غَرِّهِ . وَاَحْذَرْ مِنْ عَدُوِّكَ
وَشَرِّهِ^(٢) . لَا تَيَاسُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّكَ فَإِنَّهُ كَرِيم . وَلَا تَأْمَنْ
مِنْ غَضَبِ خَالِقِكَ فَإِنَّهُ بَيْئِس^(٣) . عَلَى أَنْكَ أَقْلُ فِي كُلِّ
مُلْكٍ اِلَه^(٤) . مِنْ اَنْ يَنَالَكَ غَضَبُهُ اَوْ رِضَاهُ . لَوْ لَا تَفَاضَلُ
نُفُوسُ الْبَشَرِ وَجِدُوا اَكْفَاء .

* * *

اِذَا كَتِمَ عَنْكَ شَيْءٌ فَدَعَهُ . وَصَدَّ عَمَّا قُبِحَ وَلَا تَصَدَّعُهُ .
لَا اِلَهَ اِلَّا اللهُ كَمْ اَنْجَهْلُ وَكَمْ اَهْمَلُ . اِذَا عَرَضْتَ عَلَى قَانِيَتِكَ
صَدَّآ . ظَنَنْتَ اَنَّكَ فَعَلْتَ زُهْدًا . لَوْ اَنَّكَ وَجَدْتَ
الْمَسْلَكَ اِلَى نَيْلِهَا . لَكُنْتَ الْمُتَشَبِّثُ بِذَيْلِهَا . اَسْتَحْيِ مِنْ

(١) فِي الْاَوْج : « لَرِضِي » .

(٢) فِي الْاَوْج : « . . . مِنْ عَدُوِّكَ شَرِّهِ » .

(٣) بَيْئِس : اَيْ شَدِيدٌ .

(٤) فِي الْاَوْج : « فِي مُلْكٍ اِلَه » .

رَبِّكَ وَمِنْ الْبَشَرِ . وَأَقْلِلْ فِي دَعَتِكَ مِنَ الْأَشْرَ^(١) . سُمِّ نَفْسَكَ
مَا حَسُنَ مِنَ الصَّنِيعِ^(٢) فَإِنَّهَا تَأْلَفُ الْعَادَةَ وَتَدَعُ النَّفَارَ .
وَهَبْ نَفْسَكَ مِنَ الْمَعْدُومَاتِ . فَإِلَى الْعَدَمِ عَنْ قَلِيلٍ تَصِيرُ .
كُلُّنَا يَفْدُو لِمَا قُضِيَ^(٣) . هَذَا سَخِطٌ وَهَذَا رَضِي . لَا تَقْلُ
إِلَّا مَا يَنْفَعُكَ . وَلَا تَسْمَعَنَّ إِلَّا مَا يَرُدُّكَ . مَنْ مَتَّ إِلَى
أَهْلِ الْخَادِعَةِ^(٤) بَرَزَ كَيْهَا أَحَبُّوهُ . وَمَنْ دَاغَتْهُمْ فِي طَلَبِهَا سَبُّوهُ .

وقد وضع كتاباً في تفسير الهزلة والردف ، كما سيأتي .

٩ — كتاب أمالي من حديث رسول الله ﷺ :

عن شيخه وهي سبعة أجزاء .

١٠ — كتاب أمالي :

ذكر في كشف الظنون أمالي أبي العلاء ، قال : وهو مائة كراسة ولم يكمله .

وقال ابن العلام والقفطي :

١١ — في كتب المعري : « ومن الأمالي التي لم تتم ، ولم يفرد لها اسماً ،

ما مقداره مائة كراسة . منها تفسير شواهد (الجهرة) » . ولعل هذا هو

(١) الأهر : الريح .

(٢) في الأوج : « الصنع » . وُسْمَ حَك : أي سلاتها .

(٣) في الأوج : « يدو » بالين الهمزة .

(٤) في لُحْ : « الخدعة » . (ج)

الذي ذكره في كشف الظنون ، وفي الذهبي : « كتاب الأمالي نحو مائة كرامة ^(١) » ورأى المسيحي على طرر نسخة من (المجهرة) في حيدر آباد عدة فوائد لغوية في غير الشواهد يروها القاضي أبو سعد عن المعري .

١٢ — كتاب بعض فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

وفي ابن العديم : « كتاب جمع فيه فضائل علي ... » وفي الذهبي : « كتاب مناقب علي » وفي القفطي : « كتاب جمع فيه بعض فضائل علي عليه السلام » ^(٢) .

١٣ — كتاب قاج الحرة :

وهو في عظات النساء خاصة . وتختلف فصوله ، فمنها ما يبيء بعد حرفه الذي يثبت ثبات الروي ياء التأنيث كقوله : « شاني ، وتشاني ، وتشاني ، وهابي ، وترابي » . ومنه ما هو مبني على الكاف ، نحو « غلامك ، وكلامك » . وفيها ما يبيء على تفعلين مثل « ترغبن ، وتذهبن » وأنواعه كثيرة . ومقدارده أربعمئة كرامة ^(٣) . قال ابن العديم : « وهو لبعض الخليلات من النساء ، ويفاب على ظني أنها طرود زوج صالح بن مرداس » وقد ذكره ياقوت والقفطي وابن قاضي شعبة ^(٤) .

١٤ — كتاب التصريف :

ذكره ابن قاضي شعبة في (طبقات النحاة واللغويين) في جملة كتبه وذكر أن أبا حيان نقل عنه في (ارتشاف الضرب) .

(١) انظر تعريف اللغاة الصفات : ٤٨ ، ٢٠٤ ، ٥٤١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق الصفات ٤٠ ، ١٠٤ ، ٥٢٩ .

١٥ — كتاب تضييّن الآي :

وهو كتاب مختلف الفصول ، فمنه طائفة على حروف المعجم ، وقبل الحرف المتمد ألف . مثل أن يقال في الهزمة : « بناء وناء » وفي الباء « ثياب ، وعباب » وهكذا إلى آخر الحروف . ومنه فصول كثيرة على « فاعلين » مثل « باسطين ، وقاسطين » وعلى « فاعلون » مثل « حامدون ، وعابدون » ومنه ما هو على غير هذا الفن . والغرض أن يأتي عند انقضاء كل فصل بآية من القرآن ، مثل قوله ﴿ إِنَّا لَنَنبُئُكَ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . وربما اقتصر على بعض الآية ، أو جاء بآيتين وأكثر منها ، إذا كانت الآيات من ذوات القصر ، كآيات « عبس » ونحوها . ومقدار هذا الكتاب أربعمائة كراسة . وسبب تأليفه أن بعض الأمراء سأله أن يؤلف كتاباً برسمه ، فلم يؤثر أن يؤلف شيئاً في غير العظات ، والحث على تقوى الله ، فأملى هذا الكتاب يعظه فيه ، ويحثه على التقوى .

وفي (طبقات النحاة واللغويين) : تضييّن اللآلئ ، ولعله محرف عن الآي . وفي القفطي : « والكتاب المعروف بالفصول » وفي الذهبي : « وكتاب مختلف الفصول ^(١) » .

١٦ — كتاب تظلم المور :

يتكلم فيه على لسان سور القرآن ، وتظلم كل سورة من قرأها بالشواذ ، ويتعرض لوجه الشاذ ، ومقداره ست كراريس ، وقد ورد اسمه هكذا عند ياقوت ، وابن العديم ^(٢) .

(١) تعرف القمصاء بأبي اللاه من ١٠ ، ٢٠١ .

(٢) ١١١ ، ٥٣١ .

وذكر له في (كشف الظنون) .

١٧ — كتاباً اسمه نظم السور : ومقداره ست كرايس . ولعل هذا

مخرف عن الأول . وفي القفطي يعرف بـ (بنظام السور) . والأول هو
الموافق لقولهم : « تنظم كل سورة من قرأها » .

١٨ — كتاب تعليق الجليس :

كما يتصل بكتاب أبي القاسم ، عبد الرحمن بن إسحق الزجاجي ، المعروف
بـ (الجمل) ومقداره جزء ، هكذا سماه ياقوت ، وسماه الذهبي ، وابن
الديم : (تعليق الخلس) . والقفطي (تعليق الخلس ^(١)) .

١٩ — كتاب تفسير أمثلة سيبويه وغريبها :

عُرِيت من (الكتاب) وهو في مجلد .

٢٠ — كتاب تفسير الهزة والردف :

وهو جزء واحد .

٢١ — كتاب تفسير خطبة النصيح : وبياتي .

٢٢ — تفسير رسالة القفران : وبياتي .

٢٣ — كتاب جامع الأوزان :

فيه شعر منظوم على معنى اللفز ، يعمم به الأوزان الخمسة عشر
التي ذكرها الخليل بجميع ضرورها . ويذكر قوافي كل ضرب من ذلك .
مثاله : أن يقال للضرب الأول من الطويل أربع قواف ، المطلقة المجردة ،
كقول القائل - الأخطل - :

أَلَا يَا سَلَمِي يَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَذْرِ وَإِنْ كَانَ حَيًّا نَاعِدِي آخِرَ الدَّهْرِ ^(٢)

(١) أنظر ياقوت والذهبي والقفطي وابن الديم في تعريف القدماء الصفحات ١٦ ،

١٠٨ ، ٢٠٣ ، ٥٤٠ .

(٢) دبراته ص ١٢٨ ط بيروت سنة ١٨٩١ م . اليدى : التبايد ، وقوم عدى : متابعون .

والقافية المردفة ، مثل قول امرئ القيس :

أَلَا نَعْمَ صَبَاحًا يُبَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي^(١)

والقيدة المجردة ، وذلك مفقود في الشعر القديم والمحدث ، وربما جاء به المحدثون على النحو الذي يسمى مقصوراً ، كما قال صالح بن عبد القدوس وهو في السجى :^(٢)

إِلَى اللَّهِ أَشْكُوا، إِنَّهُ مُوَضِعُ الشُّكْوَى وَفِي يَدِهِ كَشَفُ الْمَصَائِبِ وَالْبَلَوَى

• • •

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا فَمَا نَحْنُ بِالْأَحْيَاءِ فِيهَا وَلَا الْمَوْتَى

والقافية القيدة المؤسسة ، مثل أن يكون « العادل » والقائل » ، وذلك مرفوض متروك ، ثم على هذا النحو إلى آخر الكتاب على حروف المعجم ومقداره ستون كراسة ، وعدد أبياته نحو من تسعة آلاف بيت من الشعر ، وهو ثلاثة أجزاء . وهكذا ورد اسمه في ياقوت ، وابن الصديم . وعند الذهبي : « جامع الأوزان والقوافي » وفي (كشف الظنون) : « جامع الأوزان الخمسة التي ذكرها الخليل » . ولعل لفظ العشرة سقط منه

(١) ذبوانه س ١٢٩ ط صادر في بيروت - ١٣٧٧ هـ .

(٢) في رسالة النفران [ط أمين حندية في القاهرة] س ١٤٧ ومقدمة القزوم [ط أمين عبد العزيز] ٤٠/١ ، أن هذه الأبيات لولد صالح بن عبد القدوس . (ج) ولم يرد فيها البيت الأول من البيتين اللذين ذكرهما المؤلف بل ورد البيت الثاني منها بضم بيت آخر هو :

إذا ما أتانا زائر متفقد	فرحنا وقلنا جاء معنا من الدنيا
ورواية البيت الثاني في النفران :	
خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها	فما نحن بالأموات فيها ولا الأحبا

وذكر الذهبي بعده كتاب (غريب ما في هذا الكتاب) نحو عشرين
كرامة . وهذه أمثلة من (جامع الأوزان) من بحور مختلفة ذكرها الخوي
في (التنوير ج ١ ص ١١) (١) .

من المديد قوله :

كَأَنَّ سِنُورَ الْعَتِيكِ إِذَا نَابَ أَمْرٌ يَفْرِسُ الْأَسَدَا
وَتَبَيَّتُ الْفَأْرُ دَانِيَةً مِنْهُ إِنَّ نَوْمًا وَإِنْ سُهْدَا
فَأَبْنَاهُمْ دَهْرٌ يَقْطُهُمْ قَرَأُوا مِنْ عَيْشِهِمْ نَكْدَا

. . .

ومن المزج قوله (٢) :

أَلَا يَا عَالِمًا مَا الْعِلْمُ جَارٌّ مِنْهُ فِي نِيَّةٍ
فَقِيهٌ خَامِلٌ إِذْ لَجَّ يَطْوِي مَحْتَكَ الطَّيَّةِ
وَحُفَاكَ عَرُوضِيًّا نِ وَالنَّاقَةُ نَحْوِيَّةٍ

. . .

ومن الرجز قوله (٣) :

مَا لِلْفُرَابِ لَا يَزَالُ سَاقِطًا وَلَيْسَ فِي مَسْقَطِهِ بِنَاعِبٍ
أَقَامَ عَشْرًا مَا أَرَاهُ مَا قِطًا وَسَتَرَ الْأَرْضَ عَنِ الطَّوَالِبِ

. . .

(١) التنوير على سقط الزند طبعة دار السعادة بالقاهرة سنة ١٢٨٦ . والتنوير : البد .

والتيك : هي من الأزد . والفار : فأر للك . والقط : التعيب .

(٢) الصدر السابق ١٢/١ ، والقفه : يقال فعل قفيه إذا كان حذفاً بالضراب .

وعروضيان : لبة إلى أديم العروض ، والعروض : مكة .

(٣) الصدر السابق ١٢/١

ومن الرّمل قوله (١) :

وَطَرِيقِ رَكِبْتُهُ جُرْهُمُ وَجَدِيسٌ قَبْلَنَا قَهْوَ رَكُوبُ
سَلَكُهُ الْخَيْلُ عَنْ آخِرِمَا وَكَذَا الْإِبِلُ وَمَا ثَارَ الْعُكُوبُ

• • •

ومن المنسرح قوله (٢) :

إِنْ تُخَمِّدِي يَا نَارُ فَمَا لَدَيْكَ عَارُ عَارٌ فَأَنْينَ الْغَارُ

• • •

وقال في جامع الأوزان (٣) :

يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ ، أُمُّ حَفْصٍ وَأُمُّ عُثْمَانَ جَارَتَاكِ
فَتِلْكَ لَا تَخْذَرِينَ مِنْهَا وَهَذِهِ تَبْتَغِي رَدَاكِ

أم عثمان : الحبة ، وعثمان : ولدها .

• • •

وقال فيه أيضاً (٤) :

لَعَنُوكَ مَا أَبُوبَكْرٍ لَدَيْنَا بِمَوْمُوقٍ وَلَا يَخْشَى أَذَانَا
وَعُثْمَانُ الَّذِي يَقَاهِيهِ مِنَّا أَكَابِرُنَا وَيَقْتُلُهُ قَتَانَا

(١) التحرير على سطر الزند ١٢/١ .

(٢) للمصر السابق ١٣/١ .

(٣) للمصر السابق ٢٠٧/٢ .

(٤) للمصر السابق .

أبو بكر : الفحل من الإبل ، لأن من نسله البكر . وعثمان :
ولد الحية .

٢٤ - كتاب الجليّ والجليّ :

هكذا جاء في ياقوت ، وابن العديم ، بالجيم فيها ^(١) وفي (طبقات
النحاة واللغويين) ، والذهبي : « الحلي والحلي » بالحاء فيها ^(٢) . وفي
القفطي : الجليّ والجليّ ^(٣) . وقد سأله فيه صديق له من أكابر
الخليين ، يقال له أبو الفتح عبد الله بن اسمعيل بن الجليّ بكسر الجيم
وكسر اللام المشددة . وقد ذكره الذهبي في (المشبه) وقال ابن العديم :
« هو رجل فاضل من أكابر الخليين وأعيانهم ، وأرباب النعمة [منهم]
له مصنفات ، ورواية الأحاديث النبوية ^(٤) » . وهو مجلد واحد ومقداره
عشرون كراسة .

٢٥ - كتاب حوز الخيل : سيأتي .

٢٦ - كتاب الحقيير النافع :

وهو مختصر في النحو مقداره خمس كراريس .

٢٧ - وكتاب يتصل به يعرف بالطلّ الطاهري :

وفي ابن العديم والقفطي وغيرهما بـ (الطلّ الطاهري ^(٥)) . عمله لرجل

(١) تعريف القدماء بأبي اللاه م ١٠٦ و ٥٣١ .

(٢) المصدر السابق م ٢٠٢ عن تاريخ الاسلام - للذهبي .

(٣) المصدر السابق م ٤٣ عن إنباء الرواة - لقفطي .

(٤) تعريف القدماء بأبي اللاه م ٥٣١ عن الاضاف والتعري - لابن العديم .

(٥) تعريف القدماء بأبي اللاه م ٤٧ و ٥٣٨ ، عن القفطي وابن العديم . وفي م ١٠٨

عن ياقوت : « الطلّ الطاهري » بطائين مهملتين وفي م ٢٧٥ عن الرواف

لصدي : « الطلّ الطاهري » بطائين معجمتين .

من أهل حلب ، يكنى أبا طاهر ، المسلم بن علي بن ثعلب الملقب مؤتمن الدولة . وكان من أكابر الحليين وعلمائهم ، وكان وجيها عند معز الدولة نبال بن صالح . وقد سيره رسولا إلى المستنصر في مصر سنة ٤٦٣ هـ فمات بها . وهذا الكتاب قريب من الأول في الحجم ، وقد يخلط بالكتاب الأول ، ويحعلان كتاباً واحداً .

٢٨ — كتاب حاسة الراح : سيأتي في خاسية الراح .

٢٩ — كتاب الخطب :

نحو أربعين كراسة . ذكره الذهبي ^(١) .

٣٠ — خطبة الفصيح :

يتكلم فيه على أبواب الفصيح ، ويذكر الألفاظ التي تروى عن ثعلب في كتاب (الفصيح) في ضمن كلام فصيح منشور في كل باب من أبواب الفصيح . وقد ذكره ياقوت وابن العديم وكشف الظنون وغيرهم ^(٢) . وقال ابن الخير ^(٣) : « ضمن جميع ماحواه (للفصيح) خطبة في تمجيد الله سبحانه ، وما قاربه من العظات » مقداره خمس عشرة كراسة .

وقال أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي ، أحد وزراء الأندلس على عهد ملوك الطوائف ^(٤) : « ومن أظرف الخطب معنى ، وأعذبا

(١) تعريف القدماء ص ٢٠١ عن تاريخ الاسلام - للذهبي .

(٢) تعريف القدماء بابي اللاه الصفحات ٤١ ، ١٠٩ ، ٢٠١ ، ٥٣٠ .

(٣) ابن الخير الاشيلي صاحب فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في

ضروب العلم وأنواع المعارف . والظر التمس في تعريف القدماء ص ٣٨٥ .

(٤) تعريف القدماء بابي اللاه ص ٤٤٩ عن إحكام الصنعة - للكلاعي .

منحى ومبنى ، خطبة الفصح ، لأبي العلاء المبري ، وهي خطبة شريفة
تتضمن على علم جم وأدب ، تتضمن لغات (الفصح) لثعلب . أولها :

مثال من خطبة الفصح :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِفَضْلِهِ نَمَى الْمَالُ ، وَسَمَتْ الْأُمَالُ ،
مَا كَانَ لِلصَّمَدِ أَرْجَ يَنْمِي ، وَمَا كَانَ لِغَيْرِهِ قَمَنٌ يَذْمِي ^(١) ،
مَا ذَوَى عُودُ شَجَرَةٍ مُؤَمِّنَةٍ ، وَلِنَمَا يَذْوِي عُودُ الْمَفْتَنَةِ . وَإِنْ
ظَنَنْتَ عُودَ الْمُؤْمِنِ ذَوَى ، فَإِنَّمَا ظَنُّكَ رَمَى فَأَشْوَى ^(٢) .
إِنَّ شَجَرَةَ الْإِيمَانِ ، لَا تَنْقَرِضُ بِطُولِ الزَّمَانِ . وَإِذَا غَوَى
الرَّجُلُ فَوَحْدَهُ يَغْوِي ، وَإِنْ اسْتَفْوَى النَّفَرَ فَذَلِكَ غَوِي مُغْوِي .
وَاللَّهُ عَرَفَ مَيِّتًا وَحَيًّا . وَعَلَّمَ رُشْدًا مِنَ الْبَشَرِ وَغِيًّا :
فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَفْعَلْ لَا يَفْعَلْ عَلَى الْغِيِّ لَا نِعْمًا ^(٣)

وهذه الخطبة طويلة ، وفيها ذكر منها دليل على كلفتها ، وتنبه على
فضيلتها وميزتها إن شاء الله .

وقال أيضاً ^(٤) : « وما أعدل قول أبي العلاء في خطبة الفصح :

(١) الفمن : حركة تنن الراحنة ، يذمي : فته الريح أي آذته .

(٢) أشوى : أي رمى ولم يصب متلاً بل أصاب الأطراف .

(٣) البيت المرفأ الأضر من فبدة في الفضليات ٤٤١/٢ - ٤٦ طبة دار الحارف بالهامة .

(٤) تعريف العلماء ص ٤٤٦ .

الشَّعْرُ إِذَا جُعِلَ مَكْسَبًا ، لَمْ يَتْرُكْ لِلشَّاعِرِ حَسْبًا . وَإِنْ
كَانَ لِغَيْرِ مَكْسَبٍ ، حُسْنٌ [فِي الصَّفَاتِ وَالنَّسَبِ] ، مَا لَمْ تُسَبِّ
الْمُحَصَّنَةُ ، وَتُعَدَّ لِلْعَارِ الْعَصَنَةُ ^(١) . فَاتَّقِ رَبَّكَ . وَإِذَا رَأَيْتَ
الشَّاعِرَ فَلَا تَقُلْ : ۞ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۞ فَإِنَّ الْآيَةَ
وُصِّلَتْ بِالْإِسْتِثْنَاءِ ، وَجَنَى السَّيِّئَةِ شَرُّ الْجَنَى . لَا تَجْمَلُوا
فَضِيلَةَ الشَّعْرِ . فَإِنَّهُ يُذَكِّرُ النَّاسِي . وَيَحُلُّ عَزَمَةَ الْقَانِكِ ،
وَيَعْطِفُ مَوَدَّةَ الْكَاشِحِ ، وَيُشَجِّعُ الْجَبَانَ :
وَإِنْ أَشْعَرَ بَيْتَ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدَتْهُ صَدَقَا ^(٢)

٣١ — وله كتاب تفسير خطبة الفصح :

نرح فيه ما جاء في الكتاب الذي قبله من الغريب .

٣٢ — كتاب خطب الخليل :

يتكلم فيها على ألسنتها ، ويذكر على لسان كل فرس خطبة ، يحمد
الله تعالى فيها ويعظمه ، ويقول في أول كل خطبة : إن الله قادر على
أن ينطق فرساً صورته كذا وكذا وكذا ، فيقول : الحمد لله الذي
خلقني كذا وكذا . ومقداره عشر كرايس . وقد ذكره ياقوت ،
وابن العديم ، والقفطي ، وكشف الظنون ^(٣) .

(١) كنا في الأصل . (ج)

(٢) البيت لسان بن ثابت انظر ديوانه ص ٢٩٢ .

(٣) تعريف القديس بالي اللاه ص ١٠٩ و ٥٣٠ وغيرهما .

٣٣ — خطب ختم القرآن :

قال ابن العديم : وظفرت له مجزء فيه خطب لحتم القرآن العزيز ، فيه عدة خطب لذلك ، مقداره خمس كراريس ^(١) .

٣٤ — كتاب خماسية الراح :

وهو كتاب لطيف في ذم الحمر خاصة ، ومغنى هذا الاسم أنه يفي على حروف المعجم ، ما خلا الألف ، فذكر لكل حرف تمكن حركته خمس سجمات مضمومات ، وخمس مفتوحات ، وخمس مكسورات ، وخمس موقوفات . ومقداره عشر كراريس . كذا ذكره ياقوت ، وابن العديم ، والقفطي ^(٢) . وذكر له في كشف الظنون ، والذهبي ^(٣) ، كتاباً سماه (حاسة الراح) وقالوا : إنه عشر كراريس في ذم الحمر خاصة . وأظنه محرراً عن الأول .

٣٥ — كتاب دعاء الأيام السبعة ^(٤) :

٣٦ — كتاب دعاء ، وحوز الخيل :

مكذا ذكره ياقوت . وفي ابن العديم : « كتاب حرز الخيل لا أعلم مقداره ، وجزء فيه حرز وتعويد لا أعلم مقداره ^(٥) » .

٣٧ — كتاب دعاء ساعة :

وفي ابن العديم : « كلام يعرف بدعاء ساعة ، وهو مختصر ^(٦) » . وفي القفطي : « دعاء يعرف بدعاء ساعة ^(٧) » .

(١) تعريف القدماء بابي اللام ص ٥٣٠ .

(٢) تعريف القدماء بابي اللام الصفحات : ٤٣ ، ١٠٩ ، ٥٣٠ .

(٣) تعريف القدماء بابي اللام ص ٢٠٢ من تاريخ الاسلام - الفهمي .

(٤) ذكره ابن العديم في الاوصاف ، انظر تعريف القدماء ص ٥٣١ .

(٥) تعريف القدماء بابي اللام ص ١٠٤ ، ٥٣١ .

(٦) المصدر السابق ص ٥٣١ .

(٧) المصدر السابق ص ٤٨ .

٣٨ - ديوان الرسائل : سيأتي .

٣٩ - ديوان أبي العلاء المعري :

وقد عثرت في دار الكتب الظاهرية في دمشق ، على نسخة خطية تحت رقم ٥٥٤٢/٥٣ ، تشتمل على تسع ورقات ، أي ١٨ صفحة ، كتب على أول صفحة منها : (ديوان أبي العلاء المعري) وذكر في مقدمة الديوان هذه الجملة : « وبعد ، فقد قال الفقير إلى الله الغني ، أبو العلاء المعري : إنه قد كان ببغداد ، وكان يتشوق إلى حلب ونواحيها ، ونظم هذا الديوان » .

وقد نظم فيه تسعاً وعشرين قصيدة على كل حرف من حروف الهجاء قصيدة ، أبياتها عشرة ، وقد التزم في كل قصيدة أن يكون الحرف الأول والحرف الآخر من كل بيت واحداً ، كقوله في الهزلة :

أَمَا لَكَ يَادَاءُ الْحَبِّ دَوَاءُ بَلَى عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ مِنْكَ شِفَاءُ
وفي الباء :

بَكَتْ رَحْمَةً لِلصَّبِّ عَيْنُ عَدُوِّهِ فَمَا الْحَبِيبِ الْقَلْبُ لَا يَرْحَمُ الصَّبَا
وفي التاء :

تُرَى قَبْلَتَكَ الرِّيحُ عَنِّي وَبَلَغَتْ مِنَ السَّرِّ مَا اسْتَوْدَعْتُهَا حِينَ هَبَّتْ

وهكذا إلى آخر الحروف . وهذه النسخة طافعة بالأغلاط ، والتعريف ، والتصحيح ، وتقديم بعض الكلمات على بعض ، ونحو ذلك من عبث الناسخ . وسنأتي تمة القول فيه .

٤٠ - كتاب ذكرى حبيب :

قال ياقوت : « في غريب شعر أبي تمام »^(١) وقال ابن المديم ، والقفطي^(٢) : في تفسير شعر أبي تمام ، سأل فيه صديق لأبي العلاء من الكتاب . وهو أربعة أجزاء ، ومقداره ستون كراسة . وقال ياقوت : « وهذه الكتب المؤول في تأليفها ، إنما تكلفها مؤلفها من فرط الحياء ، وهو لتأليفها كاره »^(٣) . وقال النعمي^(٤) : « كتاب ذكرى حبيب . كتاب تفسير شعر أبي تمام ، نحو ستين كراسة » ، وظاهر كلامه أنها كتابان . وقال ابن خلكان : « واختصر ديوان أبي تمام [وشرحه] وسماه ذكرى حبيب »^(٥) .

والحق أن أبا العلاء لم يفسر شعره كله ، ولا اختصر ديوانه ؛ وإنما اقتصر على ذكر الأبيات المشككة . يدل على ذلك ما نقله في (كشف الظنون) عن أبي زكريا التبريزي أنه قال : « قال أبو العلاء في ذكرى حبيب : إنما أغلقت شعر الطائي أنه لم يؤثر عنه ، فتناقلته الضعفة من الرواة ، والجهلة من الناسخين ، فبدلوا الحركة ، وغيروا بعض الأحرف بسوء التصحيف ، وذكر أبو العلاء في هذا الكتاب الأبيات المشككة من شعره متفرقة » .

وذكر القفطي أن أبا الحسن يحيى بن محمد الرازي الكردي ، قرأ على أبي العلاء الجزء الثاني من الكتاب المعروف بـ (ذكرى حبيب)

-
- (١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٠٧ عن إرشاد الأريب - ليافوت .
 - (٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٦ ، ٤١ عن القفطي وابن المديم .
 - (٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٠٣ عن تزيغ الاسلام - لنعمي .
 - (٤) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٨٣ عن الوفيات لابن خلكان .

وابتدا قراءته لسبع بقين من شعبان سنة ٤٤٦ هـ . وفرغ منها ثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ٤٤٧ هـ . وكتب له الإجازة جابر بن زيد بن عبد الواحد أخيه أبي العلاء في المحرم سنة ٤٤٨ هـ كما تقدم ^(١١) . وهذا يدل على أنه أكثر من جزء كما قال ابن العديم .

٤١ — كتاب واحة الزوم : سيأتي .

٤٢ — كتاب الراحلة : سيأتي .

٤٣ — كتاب الزائف :

هكذا ذكره في (طبقات النحاة واللغويين) ولا يبعد أن يكون محرفاً عن كتاب (القائف) الآتي ذكره .

٤٤ — كتاب ديوان الرسائل ^(١٢) . وهو ثلاثة أقسام :

القسم الأول : رسائل طوال تجري مجرى الكتب المصنفة ، مثل كتاب

(رسالة الملائكة) وهي جزء . وكتاب (رسالة النفران) وهي جزء . وكتاب (الرسالة السندرية) . وكتاب (رسالة الغرض) وهي جزء ^(١٣) .

٤٥ — رسالة الملائكة :

تابعت قرون كثيرة ، والناس لا يعلمون من رسالة الملائكة إلا اسمها ، وأنها رسالة قشتمل على أجوبة صرفية ، مثل عنها أبو العلاء ، وأجاب بهذه الرسالة ، ومن هؤلاء : ياقوت ، وابن العديم ^(١٤) ، وأمثالهما ممن ترجم

(١) انظر الخبر في تعريف القمصاء ص ٣٧ عن الاباء - القسطنطيني .

(٢) جل عنوانه في كشف الظنون (رسالة أبي العلاء) وجل من القسم الأول رسالة

للملائكة والرسالة السندية ، ورسالة الزعفران - ولها النفران - ورسالة العروش . (ج)

(٣) كنا في ياقوت ، وفي كشف الظنون « رسالة العروش » وفي الاضاف « رسالة

الربيع » وفي نسخة منها « العرش » وفي القسطنطيني « رسالة العرش » . (ج)

(٤) تعريف القمصاء بأبي العلاء الصفحات ١٧ ، ١١١ ، ٥٣٣ وفيهما .

أبا العلاء أو ذكر كتبه ، وذكر في كتب محمد بن طولون من رجال القرن العاشر الكلام على (رسالة الملائكة) وهو في المسودة . ونقل السيوطي في (الأشباه والنظائر) مقدمتها . ونقل البديعي في (أوج التحري) قطعة من المقدمة (١) . ثم وجدت نسخ منها في ليدن ، ومصر . ثم طبعت غير مرة في مصر وفي غيرها . وكل ما طبع عليه وطبع هو المقدمة فقط . ولكن الناس كانوا يظنون أنها رسالة الملائكة بتمامها . حتى ظهرت نسخة من رسالة الملائكة في دمشق في سنة ١٣٦٣ هـ . وقد كانت ملكاً لإسحق بن إبراهيم بن شاكر بن عبد الله بن محمد أخي أبي العلاء في أوائل القرن السابع .

ويظهر أن رسالة الملائكة ألفت بين سنة ٤٣٠ هـ و سنة ٤٣٥ هـ ، وأن سبب تسميتها برسالة الملائكة أنه افتتح الكلام فيها بالتكلم على ملك وملائكة ، ثم ذكر جلة من أسماء الملائكة ، كعزرائيل وإسرافيل وجبرائيل . وقد صرح جمهور من العلماء بأن هذه الرسالة تشتمل على أجوبة صافية . ولم يبين أحد ملحي تلك الأسئلة ، وما هي أجوبتها ، ولا من هو السائل . إلى أن ظهرت نسخة دمشق سنة ١٣٦٣ هـ ، فتبين منها أن أبا القاسم علي بن محمد بن همام المعري وافى أبا العلاء بست عشرة مسألة ، وهي المذكورة في فهرس هذه الرسالة ، فأجابه عنها أبو العلاء ، وقدم أمام الأجوبة مقدمة ذكر فيها إحدى وعشرين مادة ، بحث عن أصولها ، وأوزانها ، وأحكامها ، وغير ذلك مما يتعلق بها . وهي :
١ - ملك . ٢ - عزرائيل . ٣ - منكرونيكير . ٤ - موسى . ٥ - إرزابنة . ٦ - الجدث . ٧ - الريم . ٨ - الزبانية . ٩ - غلين . ١٠ - جهنم .

(١) أوج التحري لبديعي من ٧٣ - ٨٨ ، تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني .
جا (١٢)

- ١١ - سقر . ١٢ - مخاطبة الواحد بصيغة المثنى . ١٣ - يارضو .
 ١٤ - الكمثرى . ١٥ - سرجل . ١٦ - سندس . ١٧ - طوبى .
 ١٨ - الحيوان . ١٩ - الحور . ٢٠ - الإستبرق . ٢١ - المبقرى (١) .
 ثم ذكر بعد ذلك أجوبة المسائل التي سئل عنها ، وهي على حسب ترتيب فهرس الرسالة الدمشقية :

- ١ - القول في « إياك » . ٢ - القول في « آية » ، وغاية ، وثاية « .
 ٣ - القول في « اسم » وحقيقة الحذف منه . ٤ - القول في « اثنين واثنيتين » .
 ٥ - القول في « سيد وميت » . ٦ - القول في « ترك إمالة (يا) إذا كان حرف نداء » . ٧ - القول في قول الراجز : « أين الشظاظان وأين المربعة » .
 ٨ - القول في « قراءة ابن عامر » ، على ما حكى في بعض الروايات ، من قوله : أفئدة « . ٩ - القول في المسألين اللتين ذكرهما النحويون .
 ١٠ - القول في المسألة التي ذكرها ابن كيسان في كتاب (المذهب) وهو قوله : « هذا هذا هذا » . ١١ - القول في قول الراجز : « يأبها الضب الحذوذان » . ١٢ - القول في « مهيمن » . ١٣ - القول في اللفظ المنقول من كتاب المراغي . ١٤ - القول في « يأجوج ومأجوج » . ١٥ - القول في « السمى » . ١٦ - القول في الحديث : « أنا فرط القاصفين » .
 والموجود في هذه النسخة جواب اثنتي عشرة مسألة تامة ، وقسم من الثالثة عشرة ، والباقي غير موجود ، وفي الأجوبة الموجودة ما ليس من مسائل الصرف . ولعل المتقدمين قالوا : إنها جواب عن مسائل صرفية ، بالنظر إلى أن أكثرها من هذا النوع .

وقد تسأل أبوالملاء في المقدمة ، هل يستطيع أن يدفع ملك الموت إذا جاءه ؟ فيجيب له أصل « ملك » ، ومن أي شيء اشتق ، حتى إذا تم بقبض

روحه ، ذكر له وزن « ملك » ، ومن أي لفظ قلب ، ثم يقول له : أمهلني حتى أخبرك بوزن « عزرائيل » ، وأقيم الدليل على زيادة الحمزة فيه ، فيأبى الملك ذلك ، ثم يسأل هل يقدر أن يدرأ « منكراً ونكيراً » ، فيألهما كيف جاء اسمهما عربيين ، وأسماء الملائكة كلها أعجمية ؟ ثم يقول لها : كان عليكما أن تعرفا وزن « جبرائيل وميكائيل » ، ويألهما ما يريان في وزن « موسى » وكيف تجمع « الإرزبة » جمع تكسير ، وكيف تصغر ؟ ويبين لها أن « الحدث » بالثاء والفاء ، ويألهما ما يختاران في تفسير « العزم » وكيف يبنيان من « الريم » مثل إبراهيم ؟ ويتساءل بعد ذلك هل يتودد لحازن النار فيقول له يا « مال » ؟ ثم يسأله ، ما واحد « الزبانية » ؟ وما يرى في نون « غلبن » ونون « جهنم » ؟ ثم يقول للسائق والشهيد : يا صاح انظراني ، فيذكران عليه مخاطبة الاثنين بخطاب الواحد ، فيقيم الدليل على وروده . ويسأل بعد هذا ، هل يحى في جماعة من الأدباء ، فيقفون على باب الجنة . ويقول بعضهم : يارضوْ - بضم الواو - ويقول آخرون : يارضوْ - بفتح الواو - فيذكر عليه ترخيم اسمه . ثم يسأل بعضهم أن يكون واسطتهم إلى أهل الجنة ، لأنهم لا يستغنون عن مثلهم . وربما كان في الفردوس من يصيب من ثمارها ، ولا يعرف حقائق أسمائها ، فلا يدري حروف « الكمثرى » هل كلها أصلية أم لا ؟ ولا يعرف وزنها ، وفيهم من لا يعرف تصغير « سفرجل » ولا جمعه . ولا يشعر إن كان يشتق منه فعل أو لا ، وكَم فيهم من رجل لا يدري ما وزن « سندس » ومن لا يدري لفظ « طوبى » أهو من نوات الوار أو الياء ؟ ومن لا يدري « ماء الحيوان » أهو واوي أو باني ؟ وفيهم من لا يدري معنى « الحور » ولا إلى أي نبي ينسب « العبقري » فيقول لهم رضوان : قد أكثرتم الكلام فيما لا منفعة فيه ، وأهل الجنة في شغل فاكهون ، فانصرفوا . فيسألونه أن يعرف بعض علمهم

بأنهم واقفون على باب الجنة . فيسألهم من يريدون أن يعلّمهم ، فيقولون :
الخليل بن أحمد . فيدعوه ، فيشرف عليهم ويسألهم ما يريدون ، فيعرضون
عليه ما قالوا الرضوان ، فيقول لهم : إن الناس افتقروا إلى علم اللغة والنحو
في الدنيا ، لأن العربية أصابها تغيير . وأما أهل الجنة ، فقد رفع عنهم
الخطأ ، فهم يتكلمون بها كما نطق بها يعرب ، أو معدن عدنان ، فاذهبوا
راشدين . فينقلون وهم يخفون فيما طلبوه . ثم عاد فذكر جلاً عظم فيها
أمر الشيخ السائل . وصغر شأن نفسه . وجعل منزلته إلى الجبال ، أدنى منها
إلى العلماء . ثم بدأ بالإجابة على تلك المسائل فقال : القول في إيتاك . .
ثم القول في آية وغاية . . .

وقد احتذى في هذه الرسالة على مثال الطريقة التي سلكها في (رسالة
الغفران) لأنها أحسن وقفاً في النفوس من مرد مسائل وأحكام جافة . ولأنه
ذكر في المقدمة ألفاظاً لا يحيد المتأمل مناسبة بين بعضها وبعض آخر . فلم
يرأسن من إفراغها في قالب حادثة تجتمع فيها تلك الألفاظ التي أراد أن
يتكلم فيها . ولولا أنه جعلها على هذا الشكل ، لما وجد القارئ مناسبة
بين « ملك » و« كمتري » ، و« غيلين » ، و« جبرائيل » ، و« فرجل » . . . ولكنه
آثر هذا الوضع ، وجعل منه نظاماً لا تقاً لجمع تلك الكلمات ، ومناسبة
تربط بعضها ببعض . ويمكن للقارئ أن يستنبط من هذه الرسالة ومقدمتها
أموراً عظيمة منها :

١ - أن أبا العلاء مثل عن ست عشرة مسألة ، فأجاب عنها ، وأتى
في مقدمة القول فيها بثلاث وعشرين كلمة ، بيّن فيها أوزاناً ، وأصولاً ،
وأبنية ووجوهاً من الاشتقاق والتأويل ، وأنواعاً شاذة عن الأقيسة .
وأورد لكل شيء أتى به أشباهاً ونظائر . وانتقد كثيراً من أقوال العلماء
والقراء ، وأيد كثيراً من أقوالهم . وبيّن أحكام كثير منها على تقدير

تصغيرها ، أو تكبيرها ونحو ذلك مما ذكره فيها ، كما فعل ذلك وأمثاله في أجوبة المسائل . وما ذكره في المقدمة أكثر عدداً من المواد التي ذكرها في الأجوبة . وإن كان القول في الثانية أكثر منه في الأولى . وكأنه يشير بذلك إلى أنها جديرة بأن يدال عنها ، أو أنه يستطيع أن يفيد السائل بأكثر مما سأل .
٢ - أن أبا العلاء تصاغرت في المقدمة ، حتى كاد يجعل نفسه أخفى من الشمس ، وأنه خالي الطواب من كل علم ومعرفة ، وأن حق مثله أن لا يسأل ولا يجيب وأن لا يقبل جوابه ... ثم أردف ذلك بما ملأ عين القارئ ونفسه . وبما دل على علم غزير ، وأدب جم ، وأطلاع واسع على فصيح اللغة ، وشواردها ، ونوادرها . وأعرب عن استقصاء للباحث والأحكام ، واستقراء للقراءات المتواترة وغيرها .

ودل على شدة اعتداده بنفسه ، وثقته بحفظه ، ورسوخه في علوم اللغة ، بما سرده من القواعد الكلية ، والضوابط العامة ، والأدلة والشواهد ، والأمثلة والروايات ، واستطاع أن يقلب اللفظ الواحد على أمثلة مختلفة ، وأبينة متعددة . ويرده على كل تقدير إلى أصل ، ويبين مناه ومناسبة اشتقاقه . وأن يرد أقوال الأئمة ، ويدحض حججهم ، ويدفع شبههم ، ويجوز كثيراً بما منعه ، ويمنع كثيراً بما أجازوه . وينفي جملة مما أثبتوه .

٣ - أتى بنوع جديد من التقسيم والجمع في أبيات الشعر ، لا نعرفه لأحد قبله . وذكر الفروق التي يتميز بها كل نوع من غيره .

٤ - بين في غضون كلامه أن التعمق في مسائل النحو والصرف ، وكثرة الاشتغال فيها ضرب من العبث وإضاعة للوقت فيما لا يجدي نفعا . وهذا الاعتقاد ذكره في (الأيك والغصون) في قوله المتقدم : « يا نَحْوُ يا نَحْوُ » ، « حق » لما كُتِبَ مِنْكَ نَحْوُ ، ما أنتَ وَمَا الْحَاجَةُ إِلَيْكَ (١) ؟ ، إلى آخر ما تقدم .

وهو من سنخ قوله في (الفصول والغايات ص (١)) .

وقوله المتقدم في (اللزوم) في النحاة :

تَبَاهُوا بِأَمْرِ صَيْرُوهُ مَكْسِباً فَعَادَ عَلَيْهِمُ بِالْخَسِيسِ مِنَ الْأَمْرِ^(١)

* * *

وَلَمْ يَصْنَعُوا شَيْئاً وَلَكِنْ تَنَازَعُوا أَبَاطِيلَ تَضْحِي مِثْلَ هَامِدَةَ الْجَفَرِ

وقوله في (رسالة الففران) في الشعر ، والشعراء ، والرواة ، والنحاة ،
والفريين ، الذين كانوا يختلفون في رواية البيت وإعرابه وتأويله وتفسيره .
هـ - أنه أتى في هذه الرسالة من المسائل النحوية والصرفية أكثر مما
أتى به في (رسالة الففران) .

٦ - أن هذه الرسالة سُميت بـ (رسالة الملائكة) لأن أول بحث
فيها كان عن لفظ « ملك » وذكر فيها جملة من أسماء الملائكة .
٧ - أنها ألقت بعد سنة (٤٣٠ هـ) .

٨ - أن الإنسان لا يستطيع أن يعرف حقيقة ما فيها من التعمق
والتحقيق والاستقصاء . ولا يعرف حقيقة أبي العلاء في علوم النحو والصرف
واللغة وما يتعلق بها ، حتى يتعرض ما في الرسالة مسألة مسألة ، وجملة
جملة . وقد كتبتُ مقالة في التعريف بها ، ونشرت في (مجلة الجمع
العلمي العربي) في دمشق في المجلد ١٩ والجزء ١ - ٢ والصفحة ٤٨ . وفي
ص ١٢٢ من الجزء ٣ - ٤ من المجلد المذكور . ثم عهد إلي الجمع العلمي
المذكور بأن أتولى تصحيح الرسالة مع مقدمتها ، وتحقيقها ، وضبطها ،

(١) ترك المؤلف بعض الأسطر أيضاً لم يثبت فيها القول الذي أشار إليه ولم يعر
إل الصفحة التي كان ينوي النقل منها .

(٢) الترويات ٨ ص ١٤٥ ، وفي طبعة أمين عبد العزيز ٣٧٣/١ .

وشرح الغامض منها ، وبعد أن أتمت ذلك طبعت في دمشق سنة
١٣٦٣ هـ و ١٩٤٤ م .

٤٦ — كتاب الرسالة السُّنْدِيَّة :

لم نقف على هذا الكتاب أو هذه الرسالة ، ولا رأينا من عرفها
تعريفاً يوضح أسلوبها ومقاصدها ، ويشرح حقيقتها . وكل ما علمناه مما
كتبه ابن العديم وغيره ^(١) أنه كتبها إلى سُنْدِ الدولة بن ثعبان الكتامي
والي حلب من قبل المصريين في معنى خراج على ملكه بعمرة النعمان .
وأن سند الدولة كان في أفامية ، ثم نقل إلى حلب والياً عليها سنة ٤١٤ هـ .
٤٧ -- كتاب رسالة العرض أو الفرض أو القرض أو نحو ذلك :

لا نعلم غير اسمها على اختلاف فيه ^(٢) .

. . .

القسم الثاني :

رسائل دون الرسائل المتقدمة في الطول ، مثل : كتاب (رسالة المنح) ،
وكتاب (رسالة الإغريض) .

٤٨ — رسالة المنح :

كان الوزير أبو القاسم المغربي ، أرسل إلى أبي العلاء كتاباً ومعه
قصيدتان ، ميمية وواوية ، فكتب إليه أبو العلاء هذه الرسالة جواباً عن
كتابه . مدحه فيه ومدح كتابه ووالده وشعره ، وضمن رسالته هذه
ضروباً مختلفة من الاقتنان في الجع والجناس . وأشار إلى كثير من
الحوادث التاريخية ، والطرف الأدبية . ولعلها سميت رسالة المنح لقوله

(١) انظر تعريف القدماء . بأبي العلاء الصفحات : ٥٠ ، ١١١ ، ٥٣٤ .

(٢) ذكره الفطحي ويافوت وابن الدعي انظر تعرف القدماء بأبي العلاء

الصفحات : ٤٧ ، ١١١ ، ٥٣٤ .

فيها : « ومما زاد الأحلام ، أن يطمنن خلد المنافس الشحيح ، إلى أحكام
النافس والمنسحق »^(١) . وسيأتي شيء من الكلام في أسلوبه فيها .

٤٩ - رسالة الإغريض :

ألف أبو القاسم المغربي ، السابق ذكره ، كتاباً اختصر فيه (إصلاح
المنطق) فأرسل نسخة منه إلى أبي العلاء . فأجابه بالرسالة المعروفة
بـ (رسالة الإغريض) . وقد مدح الكتاب وأثنى عليه وعلى شواهد .
وقضه على كتاب (إصلاح المنطق) وضمن هذه الرسالة كثيراً من مسائل
النحو ، والصرف ، والعروض ، والفلك ، والتجويد ، والإملاء . وأشار
إلى طائفة كبيرة من الأحداث التاريخية ، والنكات الأدبية . وادعى
لنفسه الضعف والفر في الأدب ؛ وأن لديه 'بلغة صبر ووقار . واعتذر
عن الاقتصار على مكاتبتة دون والده .

والرسالة في جملتها من سنخ رسالته السابقة (المنسحق) التزم فيها
السجع ، وتكلف للجناس ، والمطابقة ، والاقتراس ، وغيرها من المحسنات
البديعية . وفي الرسالتين تمثل بأبيات من الشعر وذكر شيئاً من الأمثال .
ويظهر للتأمل أن مطلع هذه الرسالة فيه روعة وطلاوة وإبداع
أكثر من رسالة المنسحق ، لأنه يقول في فاتحتها : « السلام عليكِ أينما
الحكمة المغربية ، والألفاظ العربية ، أيّ هواء رفاك ، وأي غيث
سفاك ، برقه كالإحريض ، وودقه مثل الإغريض . »^(٢) .

ولعلها سميت برسالة الإغريض لذكره فيها .

(١) رسائل أبي العلاء المغربي - لشايع عطية - ص ٥ - ٣٥ .

(٢) المدر السابق ص ٣٥ - ٥٣ ، والاحريض : الصغر ، والاحريض : طلع
النخل أي أول حله .

الفصل الثالث :

٥٠ - كتاب الرسائل القصار ، كنحو ما تجري به العادة في المكاتب ، قيل : إنه أربعمون جزءا . وقيل : إنه ثمانمائة كراسة ، ذكر ذلك القفطي ، والذهبي ، وغيرهما (١) .

٥١ - و کتاب خادم الرسائل :

وفي (كشف الظنون) يعرف بـ (خادمة الرسائل) فيه تفسير بعض ما جاء في هذه الرسائل من الغريب ، بما يحتاج اليه المبتدئون في الأدب . قل : مقداره عشرين كراسة .

٥٢ - وكتاب تفسير رسالة الفجران .

٥٣ - وكتاب يتضمن شرح الرسالة الإغريقية : في عشرين كراسة^(٢) .

٥٤ - وقد طبعت رسائل أبي العلاء في بيروت سنة ١٨٩٤ م (٣) . ثم عثرت على نسخة خطية عارضت بها نسختي المطبوعة . وقد جاء في آخر النسخة الخطية : « هذا آخر ما وجد من رسائل الشيخ أبي العلاء أحمد ... » . والرسائل المطبوعة منها ما هو تام . ومنها ما هو بعض رسالة وهي هذه :
١ - رسالة المنيع : التي كتبها إلى أبي القاسم المغربي .

٢ - رسالة الإغريض : « « « « «

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء الصفحات : ٤٨ ، ١١١ ، ٢٠٣ ، ٥٣٤ .
 (٢) هكذا في الكتب . وفي الإضافة : « وكتاب تحرير رسالة الاغريض ، وهي التي كتبها إلى أبي القاسم . . . ومقداره خمس كرايس » . وقد ذكر القلندي في صبح الأعشى ج ١٤ ص ١٩٠ الرسالة الاغريقية وشرحها ، وعرفها أيضاً نصيح ابن سنة الله الحيفوي من علماء القرن الثالث عشر وقدم العرح إلى مصطفى فاضل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد علي باغا والي مصر ومنه نسخة بدار الكتب المصرية . (ج)
 (٣) شرحها شاحين عطية وطبعت في المطبعة الأدبية ببيروت ، وهي النسخة التي احدثناها في تحقيق النصوص .

- ٦ - رسالة إلى بعض الأولياء يشفع بالحسين بن عنبسة .
٧ - رسالة إلى صديق يسأله أن ينقصه في المكاتبة .
٨ - فصل من كتاب إلى رجل قيل إن الأسد أكله [بعد أن غدر به المكارى ، واسم المكارى موسى] .
٩ - فصل من كتاب إلى رجل كان له ١٦٦ درهماً عند آخر فأسأله أن يشتري بها فرساً .
١٠ - رسالة إلى خاله أبي القاسم عند طلوعه من العراق .
١١ - رسالة إلى أهل المعرة ، حين قدم من بغداد .
١٢ - رقعة إلى بعض العلوية .
١٣ - رسالة إلى أبي طاهر المشرف بن سبيكة .
١٤ - كتاب إلى أبي عمرو .
١٥ - كتاب إلى أبي القاسم المغربي ، جواباً عن فصل [كتبه إليه] .
١٦ - جواب إلى أبي منصور محمد بن سفتكين .
١٧ - إلى بعض الشعراء .
١٨ - من كتاب إلى أبي نصر صدقة بن يوسف الفلاحى ، لما استدناه إلى حضرة الأمير عزيز الدولة .
١٩ - كتاب إلى القاضي أبي الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر .
٢٠ - كتاب في جملة الجواب الذي ذكر السؤال عنه عُرِّم .
٢١ - جواب إلى أبي الحسين أحمد بن عثمان النكتي البصري .
٢٢ - جواب عن رقعة كتبها إليه رجل في حال عدل [من عدول القاضي] استغنى من الشهادة .
٢٣ - كتاب أهدى معه فستقاً يسمى « غيظ الجيران » .
٢٤ - كتاب يعزى فيه خاله بأخيه .

- ٢٢ — تهنته بولود .
 ٢٣ — قطعة من كتاب يشفع في إطلاق سبعين مرق لأمه أربع دجاجات .
 ٢٤ — قطعة من كتاب يشفع عند قاض .
 ٢٥ — قطعة من كتاب يتعلق ببيتين على روي الصاد .
 ٢٦ — من كتاب إلى صديق سار إلى مصر وعاد إلى العراق .
 ٢٧ — جواب لأبي الحسن محمد بن سنان لما جاءه كتابه في أمر (كلية ودمنة) وأمر السلطان باختصار أمثاله .
 ٢٨ — كتاب لرجل أرسل إليه ثلاثة كتب .
 ٢٩ — جواب لرجل .
 ٣٠ — كتاب لرجل .
 ٣١ — كتاب إلى أبي الحسن بن سنان .
 ٣٢ — لرجل عمل قصيدة على الراء .
 ٣٣ — لرجل أكثر في مكاتبتة بعد أن كان مقلاً .

. . .

- ٥٥ — وذكر القفطي^(١) انه اطلع على (رسالة التعزية) لأبي الملاء إلى بعض الحلبيين في ولد له مات .
 ٥٦ — رسالة الجن : ذكرها أبو القاسم الكلاعي^(٢) .
 ٥٧ — الرسالة الحنفية : وفي الصفدي « الحظية » ؛ وفي باقوت « الحضية »^(٣) .

(١) تعريف القدماء بأبي الملاء ص ٥٠ من الأنباء — لقفطي .
 (٢) تعريف القدماء بأبي الملاء ص ٤٥٣ عن إحكام السنة — لكلامي .
 (٣) سماها ابن الدم في الاضاف : « الحضية » انظر تعريف القدماء بأبي الملاء الصفحات ١١١ ، ٢٧٥ ، ٥٣٤ .

٥٨ - رسالة الضميرين : كتبها إلى معز الدولة ثمال بن صالح ، يشكو إليه رجلين كانا يؤلبان عليه وينسبانه إلى الكفر والإلحاد . وكانا قد حرّقا بيتنا من (لزوم ما لا يلزم) عن موضعه ليثبتا عليه الكفر بذلك ، أحدهما الشريف ابن المُحَبَّرَة [الحلبي] وقد قال أبو العلاء في هذه الرسالة : « وفي حلب - حاما الله - نُسخ من هذا الكتاب بخطوط قوم ثقات ؛ يعرفون ببني أبي هاتم ، أحرار نكسة ، أيديهم بجبل الورع متمسكة ، جرت عادتهم أن ينسخوا ما أمليه ، وإن أحضرتُ ظهرت الحجة بما قلتُ فيه »^(١) .

٥٩ - رسالة الطير :

على نهج (رسالة الملائكة) و (الففران) .

٦٠ - رسالة الفلاحة :

ذكرها أبو القاسم الكلاعي^(٢) . وفي (فهرست ابن الخير) :
« الرسالة الفلاحية »^(٣) .

٦١ - وسائل المعونة :

وهي ما كتبت على ألسن قوم . وفي الذهبي : « رسالة المعونة » .

٦٢ - رسالة التكاح :

ذكرها الكلاعي^(٢) .

٦٣ - رسالة عملها على لسان ملك الموت :

مقدارها عشر كرايس .

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٢٣ من ممالك الألبان - العمري و ٥٢٦ عن الانصاف - لابن الدمج .

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٥٣ عن إحكام صنعة الكلام - للكلاعي .

(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣٨٦ عن فهرست ابن الحجر الأشيلي .

٦٤ - رسالتان إلى داعي الدعاة بمصر :

وقد ذكر بعضها ياقوت ^(١) .

٦٥ -- ووأيت مجموعة مخطوطة فيها رسائل لابن كمال باشا وغيره ، ومعها رسالة مستقلة ، يقول فيها بعد البسملة : « قال الشيخ أبو العلاء المعري . » ثم ذكر أن البحور التي نظم فيها أبو الطيب المتنبي شعره أحد عشر بحرا ، وعددها . ثم ذكر ما نظمه من الضروب . وذكر الزحافات والعلل التي فيها ؛ وأنه نظم من أقسام القافية ثلاثة ، ولم ينظم من المتكاوس شيئا . وقمع الرسالة في نحو أربع صفحات ؛ وليس لها اسم ولا تاريخ ؛ ويحوز أن تكون مقتضبة من شرحه (ديوان المتنبي) لأنني لم أر من ذكر في رسائله رسالة كهذه وقد ذكرنا أنه عمل مثل هذا الإحصاء في (حاسة أبي تمام) ونقله التبريزي في شرحها .

٦٦ - وسيل الراموز :

مقداره ثلاثون كراسة ؛ كذا قال ابن العديم ، والقفطي ، والذهبي ^(٢) ، وفي ياقوت : « رسل الراموز ^(٣) » ؛ وفي (طبقات النحاة واللفويين) : « سبل الزابور » . والراموز : البحر . ولم أتيقن ما أراد بالرسيل

(١) كانت الرسالتان اللتان لخصها ياقوت في إرشاد الأريب جواين على بنى رسائل وجه بها أبو نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران ، داعي الدعاة إلى أبي العلاء ، واعطى الخطاب بينهما على الساكنة ، انظر رسائل الخطيب فيها في الصفحات ١١٩ - ١٣٩ من تعريف القدماء عن إرشاد الأريب لياقوت .

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ، الصفحات ٤١ ، ٢٠٢ ، ٥٣٠ .

(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٠٩ وحاشيتها

هنا ، لأنه جاء لمعان منها : الرسول ، الرسالة ، والواسع ، والطفيف ،
والفعل ، والماء العذب ، والمراسل في النضال ، والسهل

٦٧ — الرياشي المصطنعي :

في شرح مواضع من (الحماسة الرياشية) عمله لرجل من الأمراء ،
يلقب بمصطنع الدولة ، ويخاطب بالإمرة . وهو أبو غالب كليب بن علي ؛
أنفذ نسخة من الحماسة الرياشية ، وسأله أن يخرج في حواشها شيئاً لم
يذكره أبو رياش مما يحتاج إلى تفسيره ؛ فخشي أن تضيق الحواشي عن
ذلك ، فصنع هذا الكتاب ، وجمع فيه ما سح له مما لم يفره أبو رياش ،
ومقداره أربعون كراساً^(١) . قال ياقوت في (معجم الأتباء ج ١ ص
٧٤) في ترجمة أحمد بن إبراهيم أبي رياش : « وحكى أبو العلاء المعري
في كتابه المعروف (بالرياشي المصطنعي) أن أبا رياش كان طويل الشخص ،
جهر الصوت ، يتكلم بكلام البادية . ويظهر أنه على مذهب الزيدية ،
ويتزوج كثيراً ويطلق ، وكان يقول : ولدت بالبادية ، ولعبت بالحفرمة —
بستان في ناحية اليمامة له خاصية في عظم البصل — وتأدبت بالبصرة . . . » .
وقد ذكره فريق : « الرياش » . وقال في (كشف الظنون) :
« الرياش المصطنعي » والصواب : الرياشي المصطنعي كما ذكرنا .

٦٨ — زجرو التابع :

يأتي ذكره عند الكلام على (لزوم ما لا يلزم) .

٦٩ — كتاب السادن :

يأتي ذكره عند الكلام في (الفصول والغايات) .

(١) تعرف العلاء بأبي العلاء ص ١٠٨ من الإرشاد لياقوت .

٧٠ - سجع الحاتم :

يتكلم فيه على ألسن أربع حاتم . وكان بعض الرؤساء سأل أبا
يصف له تصنيفاً يذكره فيه ؛ فأنشأ هذا الكتاب ، وجعل ما يقوله
على لسان الحماسة في العظة والحث على الزهد ، وهو أربعة أجزاء ،
ومقداره ثلاثون كراسة (١) .

٧١ - رسالة الغفوان :

كان رجل من أدباء حلب يقال له أبو الحسن علي بن منصور الحلبي ،
ويلقب بدوخلة ، ويعرف بابن القارح ، وكان قد فارق حلب مدة ، ثم
وردها فانكرها لفقدان المعرفة والجار ؛ وكان أبو الفرج الزهرجي ،
كاتب نصر الدولة ، كتب رسالة إليه ، وأخرى إلى أبي العلاء وكلف
ابن القارح أن يوصلها إليه فرقت . فكتب إلى أبي العلاء هذه الرسالة .
خلاصة ما نشتل عليه رسالة ابن القارح وقايع إنشائها :

يذكر [ابن القارح] فيها شوقه إلى [أبي العلاء] وحنينه إلى
لقائه ؛ وينفي على فضله ، ويشكر ماله من يدعي العلم . وقد أشار
فيها إلى أنه لقي الزهرجي بآمد ؛ ومعه خزانة كتبه ، فعرضها عليه ،
فقال له : إن كتبك هذه يهودية ؛ فانكر ذلك عليه . وأن الزهرجي
كتب إليه رسالة يقرظه فيها .

ثم تصدى في رسالته هذه إلى ذكر المتنبي ، وانتقد عليه تصوير بعض
الألفاظ ، وادعاء النبوة وغيرها ، ثم استطرد إلى ذكر جماعة من الزنادقة
كبشار ، وصالح بن عبد القدوس ، والمفتع ، والصناديقي في اليمن ،
والوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وأبي عيسى ابن الرشيد ، والجنتابي الذي

(١) انظر تحريف القدماء الصفحات : ١١ ، ١٠٤ ، ٢٠٢ ، ٢٧٤ ، ٥٣١ .

أخذ الحجر والميزاب من الكعبة ، وعلوي البصرة ، والحلاج ، وابن أبي
المزافر : وابن أبي جعفر محمد بن علي الشلمغاني ، وابن أبي عون صاحب
كتاب (التشبيه) ، وأحمد بن يحيى الراوندي ، وعلي بن العباس الرومي
وأبي تمام ، والمازيار ، والأفشين ، وذكر طرفا من أخبارهم وآثارهم .
وبعد أن شكا من عصره وأهله ، ذكر أنه زار المعرة ، فوجد
أهلها معترفين بموارف أبي العلاء ، ووجد أحمد بن خلف المتع رطب
اللسان بشكره .

ثم ذكر أن أتباع النبي ﷺ كانوا في أول دعوته من المنضعين ؛
وكيف كان بدء الدعوة في قریش ، ثم أفاض في الشكوى من عكوفه
على الأماني ، وحذره من الدنيا وتقلبها ، وقلقه من صروفها .
وذكر فيها أنه عرضت عليه كأس خمر ، فأبأها وقال : خلوني
والمطبوخ على مذهب الأوزاعي . ثم عاتب نفسه .

وذكر طائفة من العلماء الذين أخذ عنهم أو اختلف إليهم في بغداد
وغيرها ؛ وأنه لازم أبا الحسين المغربي ، وأشار إلى ما كان بينه وبين أبي
القاسم المغربي من حب وبغض ؛ وأنه بلغه أن أبا العلاء قال فيه : إنه
هو الذي هجاه أبا القاسم المغربي ، فراع ذلك وعتب عليه فيه .

ثم مدح أبا العلاء ، وأثنى على ماسمعه من رسائله . وذكر ابن
خالويه ، وأبا الطيب اللغوي ، وسرعة إجابته على المائل التي وردت
إليها من سيف النولة .

وأتى على ما أصابه من تغير حاله ، لكبر سنه وضعفه عن الكتابة
والدرس ، وضمف حفظه . وذكر أن بنت أخته سقرت له ٨٣ ديناراً ،
ثم ردتها بعد تهديد السلطان إياها . ثم اعتذر عما في رسالته هذه من
الخلل والزلل ، وطلب الجواب عليها لأنها استحسنه وكتبت عنه .

وهي مطبوعة مع (رسائل البلغاء في ص ١٩٤) وظاهر كلامه في الرسالة أنه كتبها بعد أن بلغ نيفا وسبعين سنة . ونقل عنه أن مولده سنة ٨٣٥٤ . ويفهم من (رسالة الغفران) أنها كتبت سنة ٨٤٢٤ فعلى هذا يجب أن تكون رسالة ابن القارح كتبت في هذه السنة أو التي قبلها .

• • •

سبب تأليف رسالة الغفران وتاريخ وضعها ، وسبب وضعها

على هذه الصورة :

لم يبين أبو العلاء السبب الداعي إلى تأليف رحلة الغفران ولا نقل أحد عنه ذلك ، وإنما فهم من وضعها أنه كان يريد منها إجابة ابن القارح على رسالته التي تقدم ذكرها .

• • •

أما تاريخ وضعها ، فيظهر من كلام أبي العلاء فيها أنه وضعها نحو سنة ٨٤٢٤ لأنه ذكر في (ص ٥٨) ^(١) أن ابن القارح قال : إن الشاهد على توبته عبد المنعم بن عبد الكريم ، قاضي حلب في أيام شبل الدولة . وهذا ولي حلب من سنة ٨٤٢٠ إلى سنة ٨٤٢٩ . وقال في (ص ١٤٩) : « ولا يجوز أن يخبر بخبر منذ مائة سنة أن أمير حلب في سنة ٨٤٢٤ اسمه فلان بن فلان وصفته كذا . . . » ^(٢) .

• • •

وأما وضعها على هذه الصورة فقد يكون له أسباب منها :

١ - أن ابن القارح لم يقتصر في رسالته على موضوع واحد ، ولا على علم واحد ، ولا رجل واحد له خاصة واحدة ؛ وإنما حشر في رسالته .

(١) رسالة الغفران طبعة أمين هندية وانظر ص ١٥٤ من تحقيق بنت الشاطئ ط ١ .

(٢) انظر الرسالة تحقيق بنت الشاطئ ط ١ ص ٢٨٧ .

مسائل متعددة ، من فنون مختلفة ، ورجالا مختلفين في الصفات والنحل
والشخصات . وقد يتعذر على الباحث أن يجد بين كل واحد وآخر وواحدة
وأخرى منها جامعة تجمعها ، أو رابطة تربط إحداها بالآخرى ، ولا
تتأتى الإجابة عن كل ماسأل إلا أن تكون الأجوبة على وفق الأسئلة .
ولكن أبا العلاء اختار هذه الصورة ، فاستطاع بها أن يجمع ماختلف ،
ويؤلف ماافترق ، ويجد مناسبة بين بعض أجزائها وبعضها الآخر .

٢ - أن أبا العلاء كان يسيء الظن بأكثر الناس ؛ وهو على حق
في ذلك ، لأنه كان محسوداً على فضله وعلمه . فربما توهم أن ابن القارح
تصدى في رسالته إلى بعض المسائل ، وهو يريد منها أن يسبر غور
المعري في علمه بها ، ويكشف ناحية من قدرته في فهمها وتحقيقها ؛
وأن ينقطه ليقف له على عثرة ، لأنه كان متورطاً من المعري لما بلغه
عنه من أنه قال فيه : إنه هجا أبا القاسم المغربي ، فأراد أبو العلاء أن يبين
له أنه فوق ما يظن به ، وأعظم مما يتوقع منه ؛ فأجابه عما أراد وزاد
واختار هذه الصورة لجمع المسائل كما قلنا .

٣ - أن أبا العلاء كان غزير المادة ، قوي الحافظة ؛ فإذا سنحت
له فرصة تفجر لسانه كالينبوع الثرار ، حتى يكاد يفرق سامعه بما يورده
عليه من المسائل والفنون .

وإذا سئل عن مسألة أحب أن يجعل الجواب جامعاً مانعاً ، ويضيف
إليه أشباه المسألة ونظائرها ، وأضدادها ، ومعظم مايتعلق بها ، ولو
لأدنى مناسبة . وقد ذكرنا أن ابن القارح لم يقتصر على موضوع واحد ،
ولا فن واحد ، ولا رجل واحد ، فأحب أبو العلاء أن يكون جوابه
جامعاً لكل ماسأل ، وأن يضيف إليه كثيراً بما له علاقة بتلك المسائل
أو بما تكون بينه وبين تلك المسائل مناسبة ، فأتى برسالة الغفران :

أولاً : ليبين فيها عن سعة اطلاع على مفردات اللغة ، ومعرفة المستعمل ، والمهمل ، والشاذ ، والتادر ، والفصح منها . مع إحاطة بمقاييسها ، وقواعدها ، والصحيح وغيره من وجوه الإعراب فيها .

ثانياً : وليظهر فيها قدرته على التصرف في تأليف الكلمات واستعمالها في كل مايشاء .

ثالثاً : وليعرب للقارئ عن وفرة اطلاعه على القراءات المتواترة وغيرها ؛ وعلى أقوال المفسرين وتأويلهم وتعليقهم بعض الوجوه والأحكام .

رابعاً : وليوضح شدة اضطلاع به على المصطلحات والعروض والقوافي ، وكثير من مسائل البيان .

خامساً : وأضاف إلى ذلك مباحث جليلة ، تدل على تمكن في الأحكام الشرعية ، وتعمق في علم الكلام ، ووقوف على معتقدات الفلاسفة ، والزنادقة والفرق الزائفة من مسلمين وغيرهم ؛ وما لهم من العقائد والمزاعم . سادساً : وملا الرسالة بما يدل على أنه كان حفيظاً بعلم التاريخ ، ومعرفة الحوادث والرجال الذين لهم علاقة بالتاريخ الإسلامي وغيره . وقد كانت مسائل الأدب في رسالة ابن القارح أوفر من غيرها ؛ فافتضى ذلك أن تكون مسائله في (رسالة الغفران) أكثر من غيرها .

وقد أراد أبو العلاء أن يظهر مقدرته العلمية ، وعمق ريته الأدبية ، بأسلوب لا يزل منه القارئ ، فاختار طريقة النقد لأقوال المتقدمين وآرائهم نارة على لسان ابن القارح ، ونارة على لسان غيره . وأثار حواراً بين الشعراء أنفسهم ، والعلماء أنفسهم ، وبين الشعراء والرواة والعلماء . وأظهر مآلديه من وجوه النقد وأدلته ، فإما أن يبطل قول القائل أو يؤيد أحد الفريقين على الآخر ؛ وأحياناً يسكت ، والسكوت إقرار . ولو أنه أورد كل مسألة على خدة ، لجاء أسلوبه جافاً مملاً مقتضباً يتعذر إيجاد المناسبة فيه بين كل مسألة وسابقتها أو لاحقتها .

وهذه المباحث التي أوردها في (رسالة الغفران) ليست على نط واحد في القلة والكثرة ؛ ولكنها مختلفة ، فقد يكون المبحث الواحد مشتملا على مسألة واحدة ، وقد يكون مشتملا على مائتين أو أكثر ؛ وربما لم يكن بين المسألتين أو مافوقها مناسبة ظاهرة ؛ وربما كانت كل واحدة من علم مستقل .

وفيهما مسائل تتصل بالجن والإنس من عهد آدم فما بعده ، ومسائل تتعلق بالحيوان ، وما يزعمه الناس فيه ، ومعتقدات ومزاعم لأمم مختلفة وأجيال متغايرة .

ولعل أبا العلاء لما رأى ذلك فكر في التماس شكل يحشر فيه هذه الأمور ، ويكون شاملا لها على تباينها وتوافقها ؛ فلم ير غير الحشر الذي تحشر فيه المخلوقات على علاقتها يوم القيامة ، فاتخذ منه صورة رائعة ، أو قصة خيالية بديعة ؛ ورتب فيها المسائل على وجه محبوب متسلل بقدر الطاقة ، وعرض فيها ما أراد من تحقيق وانتقاد ؛ وبين للأواخر أنه استطاع أن يأتي بما لم تستطعه الأوائل .

وقد كان موفقا في خياله واختياره ، لأنه عرض صورة لم تقع بعد ، وإنما هي ثابتة في أذهان الناس كأنها أمر واقع ، وهي وليدة فيكره الواسع ونتيجة خياله المبدع ، لم يحتد فيها على مثال غيره ، ولم يستعن في تكوينها بغير قريحته .

فهذه هي أسباب وضعها على هذا النمط أو من أعظم أسبابه فيما أظن .

رأي المتقدمين في أسباب وضعها على هذا الشكل :

لم يصل إلينا شيء من أقوال الأدباء المتقدمين في بيان الأسباب التي حلت أبا العلاء على اختيار هذا الشكل لرسالة الغفران .

أما الفقهاء ، والمحدثون ، والمؤرخون المتفهمون ؛ فأكثرم نظر إلى هذه الرسالة من الوجهة الدينية ، فحمل على صاحبها حملات منكورة ، ورماء بالكفر والإلحاد والزندقة والمرق من الإسلام والتدين بدين غيره ، ونحو ذلك بما ذكرناه في غير هذا المكان ، وحمل كل ما ذكره فيها بما يتعلق بالأمور الدينية والآخرة على التهكم والاستخفاف والاستنكار والهزء ؛ وجعل الرسالة حجة على إنكار صاحبها الحشر مع أنها موضوعة في الحشر وأكثر ما فيها يتعلق بالحشر وما يتصل به .

ولم يلتفت أحد منهم إلى ما في الرسالة من علم واسع ، وخيال رائع ، وأدب جم ، وأسلوب ساحر ، وتحقيق وتدقيق ، وتفكير عميق ، مع اعتراف كل منهم بفضل المعري وغزارة علمه ودقة نظره وسعة اطلاعه . وقد كتب كثير منهم في أبي العلاء قبل هذا العصر ، ولكنهم درجوا على طريقة واحدة وهي أن ينقل المتأخر أقوال من تقدمه ؛ وإن تيسرت له زيادة في الطعن في دين المعري لا يجمع عن ذكرها ، ويعدها زيادة في علمه .

وأي المتأخرين أي المعاصرين في أسباب وضما :

أما أهل هذا العصر الذي نحن فيه ، فهم أقل تمكناً في العلوم العربية ممن تقدمهم ؛ ولكنهم أجراً على الحكم بالصحة والفساد ، ومعنى تحليل الأحكام بعد وقوعها ، وعلى ادعاء أسباب للحوادث قبل التأمل والتثبت والتعمق في التفكير ، وأكثر استنتاجاً من النصوص والآثار . وقد اقتبسوا من علماء الغرب منهاجاً جديداً لدراسة النصوص والآثار العلمية والأدبية ؛ يتناول البحث عن بيئة صاحبها الطبيعية والاجتماعية ، وعن مآخذ ثقافته ، وعلاقته بزمانه وما أثره فيه ، وغير ذلك مما يحمل الباحث كأنه يعيش في الزمن الذي كان فيه صاحب الأثر ؛ ويحلق في

الأجواء التي كان يخلق فيها ، ويصور جميع ما يكتنفه من المقومات ؛
ويجمل الأثر إلى العناصر التي يتألف منها ، ثم يستخلص صورة عامة عما في
أثره من فلسفة في الدين والأخلاق والاجتماع وغيرها .

وهذه الطريقة لم تكن معروفة عند العرب من قبل ، وإنما اقتبسوها
من الغربيين في هذا العصر كما قلنا .

وكان من نتيجة الاطلاع عليها ، أن انقسم الأدباء في عصرنا
إلى فريقين :

أحدهما يطبع على غرار المتقدمين ، فينقل ما يرى وما يسمع ،
ويبين ما يدل عليه الأثر في لفظه ومنطوقه .

وآخر - حاول أن يحتذي على مثال الغربيين ، فاستطاع أن يجاريهم في
النصوص الأعجمية ؛ لأنه رأى من تقدمه فيها ، فهو ينسج على منواله ،
ولكنه لم يستطع أن يوفي العمل حقه في النصوص العربية ، فأصاب
وأجاد في بعض النواحي ، وأخطأ وقصر في بعض آخر فلم يكن موفقا .

وممن من حمله للفرور والإصراف في الجرأة على النيل من المتقدمين ،
واستنفار شؤونهم في كل ما عملوا ؛ واليك مثالا يصور ما أشرنا إليه :
قال بعضهم ^(١) في كلامه في (رسالة الغفران) : « كان أبو العلاء

يتكاف الغريب ويتعمده ، ليصد عامة الناس وجهالهم ، سواء في ذلك
العلماء وغير العلماء ، عن قراءته والظهور على ما فيه . وكان أبا العلاء
كان لا يكتب لعصره ، وكأنه كان يحس أن عصره خليق ألا يكتب
له ؛ وكأنه كان يكتب لهذا العصر الحديث الذي نحن فيه ، وللعصور
التي ستليه ، وكأنه كان يخشى على آثاره الأدبية أن يفهمها أهل زمانه
فيفسدوها ويشوهوها ويحولوا بيننا وبين فهمها ؛ وكأنه أقام من الغريب

وقواعد النحو والصرف والعروض والقافية طلائع وأرصاء شغل بها أهل عصره عن هذا الكنز حتى لا يصلوا إليه ، وحتى تسلم لنا نحن خلاصته ، فنترك للقدماء نحوم وصرفهم وغريبهم وعروضهم ، ونفرغ خلاصة هذا الكنز من فلسفة في الخلق والجماعة والدين .

وفي هذا الكلام نظر من وجوه كثيرة تبعده عن الصواب منها :

١- أن معظم الأدباء في عصرنا يتوهمون في تفسير الغريب ، فيجعلون كل لفظ لا يفهمونه ، بدون رجوع إلى دواوين اللغة ، من الغريب ، وهذا بالنسبة إلى ما يفهمون يقارب تسعين في المائة أو أكثر ، وهذا غير صحيح ، ومخالف لما ذكره علماء البيان في تعريف الغريب والفراصة .

٢- أن الغريب في عصر أبي العلاء كان أقل منه في عصرنا . وقد قلنا غير مرة : إن أبا العلاء لكثرة ما كان يدور على لسانه وقلبه وسمعه من الألفاظ العربية ، كان يأنس بكثير منها ، ولا يعدّه غريباً كما نعدّه ، لأننا نتعلم العربية الصحيحة كما يتعلمها الأعجمي ، وكما نتعلم اللغة الأعجمية ، ولذلك نجد معظمها غريباً بالنسبة إلينا .

٣- أننا قلنا أيضاً : إن أبا العلاء إذا أصاب فرصة للكلام في موضوع علمي أحب أن يظهر علمه وثقافته ، حتى يكاد يستقصي كل ما يتعلق به ، ويورد ما يمر في خلدّه من الألفاظ ، ولا يعتمد إيراد الغريب إلا إذا اضطره إلى ذلك السجع أو القافية أو شيء آخر من البواعث ، وربما أورد كلمة غريبة ليفسرّها ، ويضيف بذلك فائدة لغوية على ما تضمنه كلامه من المعاني والمقاصد .

٤- أن أبا العلاء لو أراد أن يصد الناس عن الاطلاع عما في كلامه ، لآتى من الغريب بما لم يستطع فيه أكثر المتقدمين والمتأخرين . ولما فسر لهم مواطن الغموض والإبهام . ولكنه كان على عكس هذا ، يفسر الكلمة ، والجملة ، والرسالة ، والكتاب .

هـ - ليس من الحق أن نقول : إنه كان لا يكتب لعصره ، بل لهذا العصر الذي نحن فيه ، وكأنه يحس أن عصره خليق بأن لا يكتب له ، أو أنه كان يخشى على آثاره أن يفهمها أهل زمانه فيفسدوها . . . إلى آخر ما تقدم .

لأن معنى هذا الكلام أن أهل عصره كانوا لا يفقهون لأسرار البلاغة معنى ، ولا يدركون من دقائق الثقافة والنصوص التي تدل عليها شيئا . وأن أهل هذا العصر خير منهم في كل شيء . وهذا غير صحيح ، لأن أبا العلاء إنما كتب لأهل زمانه ، وأوضح مواطن الإبهام والفوض من كلامه لهم لا لغيرهم ، وقد استخرجوا الأدلة على عبقريته ، وعظم ثقافته ، وإلحاده ، وزندقته ، وفلسفته ، وأدبه ، وغير ذلك من كلامه لا من كلام غيره . ولولا أنهم فهموه حق الفهم لما استطاعوا أن ينتقدوه ويرموه بما رموه به ، ويمجبوا بما أعجبوا به من أدبه . أما تدقيق النصوص وحلها على الطريقة الحديثة فلم يكن معروفاً في ذلك العهد - كما قلنا - ولذلك لا يجوز أن نعيب السابقين لأنهم لم يسلخوا طريقاً لم يهند إليه الناس إلا بعد مضي نحو ألف سنة ، وبعد أن أصبح امتزاج البشر أكثر بما كانت في ذلك العهد الماضي ، وبعد أن اطلعت كل أمة على أكثر ما عند غيرها من الأمم من الثقافات ومناهجها .

سبب إكثاره من المعالي العلمية في آثاره :

ولقد أكثر أدباء هذا العصر لوم أبي العلاء على استخدامه المعالي العلمية في نظمه وثره . ولم ينصفوه في ذلك ، لأنه كان مدفوعاً إلى ذلك بحكم الضرورة ، لأن كلاً من الشاعر والسكران يقتبس معانيه من بيئته الطبيعية وغيرها ، كما يستمد أخيلته منها . وقد حجبت الأيام عن استمداد كل ما يريد من مشاهد الطبيعة بسبب العمى ، إلا قليلاً مما أدركه من الصور الطبيعية قبل عماء ، وما تلقفه من أفواه الناس .

وقد كانت للعلوم العربية في عهده منزلة لا تضامى ، وكان تغزير العلم فيها ؛ فكان يقتبس منها بعض المعاني ويفرغه في نظمه ونثره ؛ وربما نسى له من المعاني المأخوذة منها ما لا يتيسر له ولا لغيره مثله من غيرها كقوله :

بُعْدِي عَنِ النَّاسِ بُرَّةٌ مِنْ سَقَامِهِمْ وَقُرْبُهُمْ لِلْحِجَاوَالِدَيْنِ أَذْوَاهُ^(١)
كَالْبَيْتِ أَفْرَدَ لَا إِطْلَاءَ يُدْرِكُهُ وَلَا سِنَادَ وَلَا فِي اللَّفْظِ إِقْوَاهُ

. . .

وقوله :

مَا لِي غَدَوْتُ كَقَافِ رُؤْيَا قَيْدَتِ فِي الدَّهْرِ لَمْ يُقَدَّرْ لَهَا إِنْجِرَاؤُهَا^(٢)
أَعْلَلْتُ عِلَّةً قَالَ وَهِيَ قَدِيمَةٌ أَعْيَا الْأَطِبَّةَ كُلَّهُمْ إِبْرَاؤُهَا

. . .

وقوله :

بِتُّ كَالْوَاوِ يَنْ يَاءَ وَكَسْرٍ لَا يُلَامُ الرَّجَالُ إِنْ أَسْقَطُونِي^(٣)

وإذا كان أبناء هذا العصر لم يكثرثوا بهذه العلوم كثيرا ، ولم يتمقوا فيها تعمق المتقدمين ، حتى يستطيعوا أن يدركوا ما لها من المزايا في الثقافة العلمية عند المتقدمين ، فإنهم يرونها طلاس وأرصادا ، ويظنون أن المعري جعلها سياجا حول معانيه التي وضعها لغيرهم ، وقشورا طرحتها

(١) الزوميات ص ٢٢ وفيها : « جدي من الناس . . » وانظر ما سبق ص ٦٣٤ .

(٢) الزوميات ص ٢٣ وقاف رؤية : هي الروي في قافية أرجوزته البيدة

ومطلها : وقام الأعمراق خاوي المحترق .

(٣) انظر ما سبق ص ٥٩٩ .

حول اللباب الذي ادخره لنا ليتلوا بها عنه . ولو فهموها كما فهمها
المعري وأهل زمانه لما عدوها من التوافه والقشور .

وفيا ذكره هؤلاء غمط لفضل المتقدمين ، وإنكار لجيلهم ، بل جهل
بمقاديرهم العلمية ، ومقاديرهم ، لأنهم هم الذين حفظوا آثار المعري وبينوا
ما فيها من عبقرية وعلم .

وفيه أيضاً وصف لأبي العلاء بالجهل والحماقة ، لأنه خاطب قوماً بما
لا يفقهون ، ووضع لهم ما لا يفهمون ، ولا ندري من أين علم أننا سنجيء
بعد أولئك ، وندرك ما لم يدركوا ، ونفهم ما لم يفهموا .

ولقد تعرضنا لرسالة الغفران وغيرها في الكلام في « النقد » وذكرنا
أمثلة من نقد أبي العلاء للفردات ولوجوه الإعراب ، وأوزان الشعر
وقوافيه ، وغيرها بما تشتمل عليه رسالته وكتبه ، وذكرنا شيئاً من نقده
للعادات والأخلاق والمزاعم ونحوها في الكلام على (لزوم ما لا يلزم) .

. . .

أبو العلاء في رسالة الغفران

لكل امرئ من عباقرة العلم والأدب خصائص نفسية ، ومنازع أدبية ،
وقد يبدو معظمها في كثير من آثاره ، وأحياناً يخفى بعضها لعارض متعمد
أو غير متعمد ، ولكن دراسة الآثار الكثيرة ، وتأمل النصوص المختلفة ،
وضم المنتشر منها ، ومقابلة الأمور بأشباهها ، وجمع الشيء إلى ما يشابهه
أو يقاربه ، وتمييزه بما يضاده ويخالفه ، ونحو ذلك من الأمور ، يدل
بطريق الإشارة على كثير مما يخفى من تلك الخصائص والمنازع .

وقد أشرنا في مواطن كثيرة إلى أن أبا العلاء كاتب غزير المادة ،
محباً للإفادة ، حريصاً على إظهار علمه وقدرته في كل فن . وأنه يتخذ
مناسبات لإيجاد وسائل يبرز فيها من مكنون علمه وغزون صدره ما يملأ
عين السامع وأذنه .

وكان فوق ذلك شديد التواضع ، مولعاً بنقد الأئمة والأعلام ، جريئاً في نقده ، حرّاً في تفكيره ، صادقاً بادحاض الحجاج التي لا يرتضيها ، ودفع الشبه التي ينكرها .

وهذه جملة من تلك الخصائص تتمثل في (رسالة الغفران) :

التواضع :

تواضع أبي العلاء شفشنة معروفة منه في آثاره المنظومة والنثورة ؛ ولكنه في (رسالة الغفران) بالغ وأمرق حتى حلف كمين امرئ القيس^(١) ، ويمين زهير^(٢) ، وحذاء ساعدة^(٣) ، وأليّة الفرزدق^(٤) ، ولو كان له امرأة لحلف بالطلاق ، أنه لمكذوب عليه ، يظن أنه

(١) في بيت من لاميته وهو :

فقلت يمين الله أبرح لاعدأ ولو تطوارأسي لديك وأورألي
انظر رسالة الغفران تحقيق بنت الشاطئ ط ١ ص ٣١٤ .

(٢) قسم زهير بن أبي سلمى في مبيته !

فاقت باليت الذي طاف حوله رجال بنوه من فريش وجرم
يميناً نعم السيدان وجدعنا على كل حال من سجيل ومبرم
(٣) ساعدة ابن جؤبة من بني كعب ، شاعر جاهلي ، والمذئذ : اليمين الماطفة ،
انظر الغفران تحقيق بنت الشاطئ ط ١ ص ٣١٥ .

(٤) في بيتين من مبيته التي مطلعها :

إذا شئت حاجتي ديار محبة وسرط أفلاذ أمام خيلمي
والبيتان :

ألم ترني عاهدت ربي وأني لين رجاج قائما ومطام
على حلقة لا أشتد الدهر ملأ ولا خارجاً من في زور كلام
انظر الغفران تحقيق بنت الشاطئ ط ١ ص ٣١٥ وخزانة الأدب ٣٥٣/٤ ، ودبواه
ص ١٨٦ طبعة مصر سنة ١٢٩٣ .

من أهل العلم ، وما هو له بالصاحب ولا الحلم ^(١) . وأنه يجذل بمن عابه لأنه صدق فيما رابه ، وأنه ليس في المير ولا النغير . وقد أبدع في ذلك في (ص ١٢١ وص ١٩٣ من رسالة الغفران) ^(٢) .

ولكنه عند شروعه في مبحث مّا ، كان ينسى أو يتناسى هذا التواضع ، فيقدم إقدام الأتّي ^(٣) ، ويجول جولة القوي . وينفق إنفاق الموسع الفني ، فيتكشف عن مظاهر ، من تأملها ظن أنه غيره ، من ذلك :

١ - كثرة حفظه مفردات اللغة ، ومعرفة النادر ، والغريب ، والفصح ، والشاذ ، والرديء ، وغيره . وترى من الأمثلة الدالة على هذا تغييره كلمة الروي في بيتي التمر بن توبل على عدد حروف الهجاء في (ص ١٢ من الغفران) ^(٤) واقتنانه في الجمل الدعائية لابن الفارح ، وهي كثيرة تتجاوز المائة والثلاثين . وشرحه الكلمات اللغوية التي وردت في كلامه أو في كلام غيره . وإيراده المترادفات من الأسماء كأسماء الخمر في (ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٤) ^(٥) والمتشابهات من الأسماء كالإبريق (ص ٩) والرباب (ص ٤٣) والدنانير (ص ١٩٥) والثمانين (ص ٢٠١) ^(٦) وما يمكن اشتقاقه من بعض الأسماء ، كالدامغ ، والمرجان (ص ١٥٨) والفريد (ص ١٦٠) والفضيب (ص ١٩٥) ^(٧) .

(١) الحلم : صاحب والصديق .

(٢) الغفران طبعة أمين حندية .

(٣) الأتّي : السبل الجارف .

(٤) انظر ما سبق ص ٦٠٥ .

(٥) الغفران طبعة أمين حندية .

(٦) الصدر السابق .

(٧) الصدر السابق .

وهذا القدر وحده كاف لأن يكون من يستوعبه أمة وحده في اللغة .
٢ — شدة تحككه من قواعد الصرف والنحو ، ومعرفة أوزان الأبنية
المسوعة والمقيسة والشاذة ، وكثرة ما يعرفه من نظائر الأوزان والشواذ
عنها . ويتبين ذلك فيما انتقد به الرواة والشعراء والعلماء ، من الخروج
عما يقتضيه السماع والقياس في الأبنية ؛ وعما تقتضيه قواعد الإعراب
الصحيحة ، كالأبيات التي ذكر فيها وجوهاً للإعراب ، أو رجح وجهاً
على آخر كقول عدي (ص ٢٦ و ٢٨) :

[يَا لَيْتَ شِعْرِي] وَإِنْ ذُوْعَجَّةٍ^(١)

[أَرْوَاحٌ مُودَّعٌ أَمْ بُكُورٌ] أَنْتَ فَانْظُرْ [لَا يَحَالُ تَصِيرُ]^(٢)

وقول امرئ القيس (ص ٩٠) :

إِنِّي أَمْرٌ وَصَرَعِي عَلَيْكَ حَرَامٌ^(٣)

وقوله (ص ٨٩) :

وَلَا سِيَّمَا يَوْمٌ^(٤)

(١) صدر البيت الرابع عشر من صادية عدي بن زيد ، انظر الخبر في النفران
تحقيق بنت العاطي ط ١ ص ٧٤ .

(٢) مطلع رائية عدي ، انظر النفران تحقيق بنت العاطي ط ١ ص ٧٦ .

(٣) عجز بيت لاسرى القيس وصدره : « جالت لتصرعني قلت لها انصري »

النفران - تحقيق بنت العاطي ص ٢٣٢ وفيها : « قلت لها لرى . . . »

(٤) من عجز بيت من لامية امرئ القيس المشهورة وقامه .

« ألا رب يوم لك منهن صالح بصدارة جلجل »

النفران تحقيق بنت العاطي ص ٢٢٩ .

وقوله (ص ٨٧) :

. والعُثَاء^(١)

وقوله (ص ٩١) :

. كَمِشِيَّةٍ قَنُورًا^(٢)

وقول الجعدي (ص ٣٥) :

. وَلَا مُسْتَنْكِرٍ^(٣)

وقول بشار (ص ٨٦) :

. سُبْدٍ^(٤)

٢ - تمكّنه من علمي المروض والقوافي ؛ ويتراءى أثر ذلك في الأبيات التي أوردها ، وفيها عيوب القافية أو زحافات أو علل أنكرها بعض العلماء أو خالف فيها .

(١) من مجزيت من لامته وثمائه :

« كَانَ فَرَى رَأْسَ الْمَجِيرِ فَدَوَّهَ مِنْ السَّيْلِ فَلَكَّةَ مَقْرَل »
انظر النثران تحقيق بنت الساطي، ص ٢٢٦ .

(٢) من مجزيت من راءته التي يصف فيها توجهه الى قصر الروم مستنجداً وثمائه :
« وَمَرُوءٌ بِنِزَامِ الْمَهَامِ إِذَا غَدَا حَارَمُهُ يَمْعِي »
النثران - بنت الساطي، ص ٢٣٤ .

(٣) من مجزيت لناظفة الجعدي وثمائه : « وَلَيْسَ بِمُرُوءٍ لَنَا أَنْ نَزْدَهَا صَاحاً... أَنْ نَقْرَأَ »
انظر ما سبق ص ٥٩٠ .

(٤) وقت هذه الكلمة قافية في بيت من أرجوزة لبشار بن برد ومطلبها :
« بِأَطْلَالِ الْحَمِي بَنَاتِ الصَّدِّ بِأَقَّةِ خَيْرِ كَيْفٍ كُنْتُ بَعْدِي ؟ »
انظر النثران تحقيق بنت الساطي، ص ٢٢٣ .

٤ — شدة اطلاعه على القراءات ، ومعرفته المتواترَ وغيره ، ومعرفته وجهَ كل قراءة من الإعراب وتأويله . ويتجلى مثل هذا فيما ذكره من قراءة الحية التي كانت في دار الحسن البصري وحمة بن حبيب (ص ١١١) وقراءة أبي رجاء ﴿يَحْيِيكُمْ اللهُ﴾^(١) (ص ٩٣) وقراءة بعضهم ﴿مِنْ سَيْتٍ أَقْضَى النَّاسِ﴾^(٢) (ص ١٠٩) وقراءة ﴿سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾^(٣) (ص ١٠٩) .

٥ — كثرة ما يحفظه من الشواهد والأدلة والأمثلة ، فإنه أورد في هذه الرسالة أسماء لكثير من الشعراء وقد ذكرنا طائفة منهم في مصادر ثقافته في الصفحات ٦٥ : — ٦٩٦ السابقة .

٦ — شدة اعتماده على حفظه وثقته بنفسه ، وتروى من ذلك قوله في (ص ١٠٦) لمهلل : « زعم الأصمعي أنه لا يقال : أرْعَدَ ، وأُبرَقَ ، في الوَعِيدِ ولا [في] السحاب . فيقول : إن ذلك خطأ من القول ، وإن هذا البيت لم يقفه إلا رجل واحد من خَدَمِ الفصاحة ، إما أنا وإما سواي ، فخذ به وأعرض عن [قول] الفهاء »^(١) . ونسكر في (ص ٢٠٦) بيتين لأبي بكر الشبلي فيها قوله :

وَلِذَا كَانَ فِي الْقِيَامَةِ نُودِي

(١) آل عمران الآية ٣١ وانظر النفران — بنت الطائي — ص ٢٤٠ .

(٢) البقرة الآية ١٩٩ .

وانظر النفران — بنت الطائي — ص ٢٨٢ .

(٣) الحج الآية ٢٥ .

وفي النفران — بنت الطائي — ص ٢٨٢ .

(٤) النفران تحقيق بنت الطائي ط ١ ص ٢٧٤ ونيفاً : « . . . إلا رجل من جنم الفصاحة » .

ثم قال : « هكذا أنشدته » نودي « بكون الياء ، ولا أحب ذلك ، وإن كان جائزاً ، وإنما يوجد في أشعار الضعفة من المحدثين ... »^(١)
٧- الاستقصاء في المباحث التي يوردها ، ويتبين هذا في ذكر الشيء وما يشابه في اللفظ أو يقاربه في المعنى .

٨- الابتكار ؛ فقلنا رأينا أثراً كاملاً لأبي العلاء ، خالياً من ابتكاره .
فقد ذكر في (رسالة الملائكة) مثل تقسيم بيت الشعر إلى « فارِد وغيره » ؛
وتقسيمه إلى ما يكمل فيه معناه وغيره .

وذكر في (رسالة الغفران) حداً جديداً للزمان في (ص ١٣٨)
وأقسام البدْي (ص ١٩١) وتقليبات العَرَب (ص ١٨٦) وعرف
الشعر تعريفاً جديداً في (ص ٥٥)^(٢) .

٩- سعة الخيال :

أبرز أبو العلاء هذه الرسالة على شكل قصة خيالية ، بأسلوب مبتكر
رائع ؛ وقد اتخذ منه وسائل لجمع المناسبات بين المسائل المختلفة في الحادثة
الواحدة ، أو المسائل المتقاربة في الحادثة الواحدة المتعددة رجالها ؛ كما
اتخذ وسائل لإيجاد مناسبات بين الألفاظ التي يوردها ، ويحدث صلة لربط
بعضها ببعض ؛ وقد افقن بإيراد الصور اللطيفة . وأروع ما فيها إيصال
المباحث إلى النفوس بأسلوب لا ترافقه سامة ، ولا يتطرق إليه ملل .

(١) الغفران تحقيق بنت الفاطم ط ١ ، ص ٥٥٠ وبيناً أبي بكرها :

ياح مجنون عاصم عـواه وكنت الهوى نظرت موجدي
وإذا كان لي العبادة نودي أين أهل الهوى تلمست وحدي

(٢) انظر هذه الصلحات في الغفران طبعة أمين هندية . وتناولها الصفحات ٣٥٩ ، ٥٠٩ ،
٤٩٣ ، ١٥٨ من تحقيق بنت الفاطم ، والبدية : المباحث .

إذ جاء بعضه على شكل سؤال من شاعر ، أو من راو أو عالم ؛ وبعضه على صورة جماعة يترسون بأحد العلماء ، ينكرون عليه تصرفه في أقوالهم ، وجاء بعض منه على شكل حوار بين شاعرين ، أو بين شاعر وراو ، أو أكثر من ذلك . وجاء قسم منه على شكل طير تحول إنسانا ، أو على لسان حورية تنفلق عنها ثمرة . ومنها ما جاء على لسان حية ؛ ومنها ما جاء على لسان الجن . ونحو ذلك مما جاء في الرسالة . فهو ينتقل بقارىء كتابه من حديث شبي بأسلوب طريف ، إلى آخر لا يقل عنه في طرافته ولطافته . ولا يكاد يشعر القارىء بنبوة في اللفظ ، ولا تفكك في الجمل ولا اقتضاب في المعنى .

١٠- يتضح لمن أنعم النظر في هذه الرسالة ، أن أبا العلاء صحيح السليقة ، وافر العلم ، حاضر الذهن ، سريع الإدراك والفهم . فلا تكاد تمر به محكمة لشاعر أو غيره ، إلا أدركها ، وأدرك ما فيها من جمال وروعة ؛ أو عاهة وخلل . وكان فوق ذلك محبا للنقد والتنقيب ، لأن النقد يظهر ما يكمن في النفوس من علم وفهم وذوق .

وأكثر من كان ينتقده من الشعراء ، المفلقون ، كأمريء القيس ، والناطقة الذبياني ، وطرفة ، وعدي بن زيد ، وعلقمة بن عبدة ، وعمرو ابن كلثوم ، والحارث البشكري ، والمرقس ، وحسان بن ثابت ، وبشار ابن برد .

ومن العلماء ، الأئمة والطبقات العالية من النحويين واللغويين كسيبويه (ص ٦١ و ١٣١ و ١٣٧) ^(١) وأبي علي النارسي (ص ٣٨ و ٥٧) ^(٢)

(١) النفران طبعة أمين حنيفة وانظر تحقيق بنت الشاطي ط ١ الصفحات ١٦٣ ، ٣٤٢ ، ٣٥٩ .

(٢) وانظر النفران تحقيق بنت الشاطي ط ١ الصفحات ١٠٨ ، ١٥٢ ،

والأصمعي (١٠٦) (١) والسيرافي (ص ١١٠) (٢) .
ومن الغريب أن أبا العلاء انتقد كثيراً من الناس في هذه الرسالة وفي غيرها ؛ وكان يتخير لنقده أسلوباً هيناً وقولاً ليناً ؛ ولكنه خالف طريقته هذه في هذه الرسالة ، فقست كلمته للأصمعي في « أرعد وأبرق » (ص ١٠٦) (٣) ولأبي بكر الشبلي (ص ٢٠٦) (٤) وللرُّجَّاز ولا سيما رؤبة (ص ١١٦) (٥) .

٦٥ - رسالة الهذاء :

رسالة بعث بها أبو العلاء إلى رجل من أهل عصره ، يهينه فيها بقدم وزير شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس . وقد كان هذا ملك حلب سنة ٤٢٠ هـ ، وامتد ملكه إلى سنة ٤٢٩ هـ .
ولم يصرح في الرسالة باسم الضيف ، ولا المضيف ؛ ولكنه كَتَبَ الأول بأبي علي ، والثاني بأبي فلان . وقال للمخاطب بالرسالة : إن التهنئة يجب أن تكون بين الأكفاء . وإن أشباهه في العصر قليل ، ومن يصلح أن يخاطبه صاعد بن مخلد ، وسهل بن هرون . ويثنى سبب اختصاصه إياهما بذلك . ثم ذكر أن التهنئة إذا جاءت من غير نظير تجر إلى محاذير . وضرب لذلك مثلين ، أولهما : أن الأسد ظفر بغرس للملك ، فاجتمعت إليه الوحوش والحيوان للتهنئة ، ولم يحترق أحد على التكلم أمامه بالتهنئة ، إلا فِرْتِيب (أي فأرة) ، فغضب الأسد ، وأشار إلى

(١) وانظر الفران تحقيق بنت الشاطيء ط ١ ص ٢٧٣ .

(٢) الفران تحقيق بنت الشاطيء ص ٢٨٤ .

(٣) الفران تحقيق بنت الشاطيء ص ٢٧٣ .

(٤) الفران تحقيق بنت الشاطيء ص ٥٤٩ .

(٥) الفران تحقيق بنت الشاطيء ص ٢٩٧ - ٣٠١ .

ذئب ، فأشار إلى هر فأكل الفأرة ، لأنها أملت نفسها لهاطبة من ليست له بكفو . ثانيها : أن عظيماً من جوارح الطير ، اصطاد ظيياً ، فصمت نوات الأجنحة هيبة له ، إلا المصفور فإنه امتدحه ؛ فأمر ذلك الجارح بازاً أن يؤديه على اجترائه ، فأشار إلى باشق ، فأكل ذلك المصفور لاجترانه . ثم ذكر أن أقرانه حلة عسي ، يملسون بالمكان القمي ، فإن تجاوز ذلك ، كما فعلت الفأرة والمصفور ، فقيرنه ضل بن ضل ، أو هي بن آي . ثم أثنى على الأستاذين ، بأنها لا يعدل بها الأصفران الذهب والزعفران ، وأنها كالقمرين في الهداية وأوانها كأوان العمرين ؛ وإذا كان شبل الدولة أسد النجوم ، كانا ذراعيه ؛ وإن أغلق باب الرافة ، فتعا مصراعيه ؛ وأنه يشبهها بالحرين ، أي الكوكبين . ثم ذكر أنه كان عزم على الإمساك عن القول ، حتى أشار به وليها أبو فلان ؛ فإن كان أساء في المكاتبه ، فهو في الغلط شريك معه .

ثم فضل مهاجرة الأستاذ الضيف على مهاجرة امرئ القيس ، وبين فرق ما بينهما . وذكر أنه لا يتمتع في قدرة الله أن يعذب الماء الأجاج ، وأن تسير السفينة على اليبس ، أو تحملها الريح كما حلت عرش بلقيس ، وأن ينطق الله جبال الروم ، فتدعو أن يصير كل ما تنبتة ببلادهم ديباجا ، يقدم به هذا السيد هدية للسلطان شبل الدولة ؛ وأن ينهل الدرب إلى الله أن يزيده اتساعا ، حتى لا يضيق بالمواكب ؛ وأن تكون الحجارة كرق (١) النعام ، والأكمة خواناً للطعام . . .

وأشار خلال تشبيهاته إلى روقي فزارة ، وما عمر بن جابر ، وبدر بن عمرو ، وحرثي معد ، [وما] عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي ، وعامر بن مالك الكلبي . وعبدى معد ، وما

(١) هكذا في الأصل كرق بالراء والفاء وأظن أنها محرفة عن زف بالزاي والفاء وزف النعام صغار ريته وهو أنب بهذا المقام (ج) .

السليك بن السلكة ، وعنترة العبسي . والختنقين ، وهما الخنتف ، وأوس
ابنا سيف بن حبري بن تميم . والزهدمين ، وهما زهدم ، وقيس من
بني عبس ؛ وغيرهما . وأشار إلى بعض الحوادث التاريخية ، ثم دعا للاستاذين .
هذا مجمل ما في هذه الرسالة ، وقد طبعت في مصر سنة ١٢٦٤ هـ
و ١٩٤٤ م ، وشرحها السيد كامل الكيلاني . ولم أجد ذكرها فيما نقل
من رسائل أبي العلاء ، ولا علت كيف سميت رسالة الهناء ١ ولا من
سماها بذلك ؛ ولعل الشارح سماها بذلك لاشتغالها على تهنئة ، وكان
الأولى أن تسمى رسالة التهنئة ، ليوافق الاسم غرض الرسالة .

٦٦ .. كتاب السجعات العشر :

موضوع على كل حرف من حروف المعجم عشر سجعات في المواعظ ^(١) .

٦٧ — السجع السلطاني :

يشتمل على مخاطبات للجنود والوزراء ، وغيرهم من الولاة . وكان
بعض من خدم السلطان وارتفعت طبقته ، ولا أقدم له في الكتابة ،
سأله أن ينشئ له كتاباً مسجوعاً من أوله إلى آخره ؛ وهو لا يشعر بما
يريد لفلة خبرته بالأدب ، فآلف له هذا الكتاب ؛ وهو أربعة أجزاء ،
ومقداره ثمانون كراسة . وفي الإنصاف : « عمله لبعض الكتاب القليلي
الصناعة ، ليستعين به على الكتابة » ^(٢) . وفي الذهبي : « فيه مخاطبات
الملوك والأمراء » ^(٣) .

(١) ذكره القفطي ، وياقوت ، وذهبي ، والصفدي ، وابن الدمج . انظر تعريف

القصاص بأبي العلاء الصفحات : ٨ ، ١١٠ ، ٢٠٤ ، ٢٧٥ ، ٥٣٤ .

(٢) تعريف القديما ، بأبي العلاء ص ٥٢٣ عن الاضاح — لابن الدمج .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٣ عن كورنخ الاسلام — لذهبي ، وفيه : « في مخاطبات

للكوك والوزراء » .

٦٨ - سجع الفقيه :

جزء واحد ، ومقداره ثلاثون كراسة ^(١) .

٦٩ - سجع المخطوبين :

وهو كتاب لطيف ، عمله لرجل مافر يستعين به على أمر دنياه ،
وفي القفطي : « عمله لرجل تاجر . . . » .

٧٠ - سقط الزند :

وهو كتاب لطيف ، فيه شمر قليل في الدهر الأول ، وفي القفطي ^(٢) :
« يشتمل على شيء نظم في أول العمر » . وفي الذهبي : « نظم في أول
العمر » . وقال ابن العديم : « وهو ما قاله في أيام الصبي في أول
عمره » ، وهو من أحسن أشعاره مقداره خمس عشرة كراسة ، وتزيد
أبياته المنظومة على ثلاثة آلاف بيت » . هذا بحمل ما قاله العلماء ، وتلقاء
الآخر منهم عن الأول ؛ ويبتن بعضهم سبب تسميته بذلك ، فقال :
السقط ما يسقط من النار عند القدح ؛ وإننا سمي هذا الديوان بذلك ،
لأنه مما أنشأ في شبابه ؛ فشبه شعره بالنار ، وطبعه بالزند ، وجعله
سقطاً لأنه أول ما يخرج من الزند الذي يتمدح به النار ، وهذا الشعر
أول ما سمح به طبعه في ريق شبابه ، فهما (سقط الزند) تجوزاً أو
استعارة . ويظهر التأمل أن هذا الكلام غير صحيح من وجوه :
أولها : أن هذا الديوان يشتمل على ما قاله أبو العلاء في أيام الصبي ؛
وما قاله في عهد الكهولة حين كان في بغداد ؛ وما قاله في سن الشيخوخة ،
بعد رجوعه من بغداد ؛ كما بينا ذلك عند القول في أطوار شعره .

(١) ذكره القفطي ، وياقوت ، والذهبي ، وابن العديم وغيرهم . انظر تعريف القدماء

الصفحات : ٤٥ ، ١٠٧ ، ٢٠٣ .

(٢) انظر ما عرفه به القفطي والذهبي وابن العديم في تعريف القدماء الصفحات : ٤٥ ،

٢٠٢ ، ٥٢٣ ، ٥٣٥ .

ثانياً : أن عدد أبيات الديوان لا يبلغ المقدار الذي ذكروه ؛ وقد كان أبو العلاء يسقط بعض الأبيات منه ، ويبلغ مجموع أبياته التي شرحتها الخوري يوسف بن طاهر [٢٨٦٥ بيتاً] .

فالأحسن أن يقال : إن هذا الديوان سمي (سقط الزند) لأن فيه ما قاله في أول عمره من باب تسمية الكل باسم الجزء ، وشبهه بالسقط كما ذكروا على سبيل الاستعارة ؛ وهذا توضح منه ، لأن ناز السقط ضعيفة ضئيلة .

٧٦ - ضوء السقط :

يشتمل على تفسير ما جاء في سقط الزند من الغريب ، مقداره عشرون كرامة .

قال ابن العديم ^(١) : « وضع أبو العلاء هذا الكتاب لتلميذه أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الأصهباني ، وكان رجلاً فاضلاً ، قصده إلى مرة النعمان ، ولازمه مدة حياته يقرأ عليه ، بعد أن استعفى من ذلك ، ثم أجابه ، فقرأ عليه الكتب إلى أن مات . وقد أشار إلى ذلك في مقدمة ضوء السقط ، وأقام عبد الله [الأصهباني] بحلب ، وروى عن أبي العلاء كتباً متعددة [من تصانيفه] . وهو الذي سأل أبا العلاء أن يشرح له (سقط الزند) فشرحه ووسمه بـ (ضوء السقط) ... وهو الذي قال له أبو العلاء يخاطبه :

يَا أَصْبَهَانِي وَمَا غَيْرَهُ مَاذَا تُرْجِي مِنْ دُخُولِ إِلَيَّ
لَا مَالَ عِنْدِي تَرْجِي نَفْعَهُ أَذْهَبَ حَمِيداً وَتَفَضَّلَ عَلَيَّ .

ضوء السقط مصلح لفناء أبي العلاء :

قال ابن الوردي في (تاريخه ج ٢ ص ٣٦٠) : « ثم رقت له على

(١) تعريف الفناء بأبي العلاء ص ٥٣٥ عن الإضاف - لابن العديم .

كتاب (ضوء السقط) الذي أملاه على الشيخ أبي عبد الله محمد الأصبهاني .. ؛ فكان هذا الكتاب عندي مصلحاً لفساده ، موضحاً لرجوعه إلى الحق وصحة اعتقاده ؛ فإنه كتاب يحكم بصحة إسلامه مؤولاً ؛ ويتلو لمن وقف عليه بعد كتبه المقدمة : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ . فلقد ضمن هذا الكتاب ما يثلج الصدر ، ويلذ السمع ، ويفر العين ، ويسر القلب ، ويطلق اليد ، ويثبت القدم ، من تعظيم رسول الله ﷺ خير بريته ، والتقرب إلى الله بمذائح الأشراف من ذريته ، وتبجيل الصحابة ، والرضى عنهم ، والأدب عند ذكر ما يتلقى منهم ، وإيراد محاسن من التفسير ، والإقرار بالبعث والإشفاق من اليوم المير ، وتضليل من أنكر المعاد ، والترغيب في أذكار الله والأوراد ، والخضوع للشرعة المحمدية ، وتعظيمها ، وهو خاتمة كنه ، والأعمال بخواتيمها . وقد يعتذر من ذمته ، واستحل شتمه ، فإنه عول على مبادئ أمره ، وأوسط شعره . ويعتذر من أحبه ، وحرّم سبه ، فإنه اطلع على صلاح مره ، وما صار إليه في آخر عمره ، من الإفابة التي كان أهلها ، والتوبة التي تجبب ما قبلها ، وكان يقول - رحمه الله - : « أنا شيخ مكذوب عليه . . » (١) .

مضى ألف ضوء السقط : ولم أر من ذكر في أية سنة وضع أبو العلاء

(ضوء السقط) ، ولكن يفهم من مجموع الأقوال ، والحوادث التي تتعلق بهذا الكتاب ، أنه وضع في نحو سنة ٤٤٧ هـ فما بعدها . لأنهم قالوا : إن أبا زكريا التبريزي ، أقام عند أبي العلاء سنتين أو أكثر - روايات مختلفة - وقال القفطي : « إن التبريزي قرأ غريب الحديث على أبي العلاء سنة ٤٤٥ هـ » (٢) . وقالوا : إن التبريزي قرأ على القاضي أبي القاسم التنوخي ، وهذا توفي

(١) وانظر تعريف القدماء ص ٢١١ - ١٢ .

(٢) تعريف القدماء ص ٥٢ عن إنباء الرواة .

سنة ٤٤٧ هـ وقال التبريزي : إن أبا العلاء وضع (ضوء السقط) بعد مفارقتة إياه . وقال في شرحه : إن الضوء آخر تأليف أبي العلاء ^(١) .
ويؤخذ من مجموع هذه الأقوال ، أن التبريزي فارق المرة بعد سنة ٤٤٥ هـ ، وقبل سنة ٤٤٧ هـ ؛ فيكون (ضوء السقط) وضع في سنة ٤٤٧ هـ أو ما بعدها . وقد صرح التبريزي أن أبا العلاء أملى على الأصهباني إلى الدرعيات .

الدرعيات . وسبب نظمها :

من جملة ما في (سقط الزند) قصائد في وصف الدرع . وقد ظن بعض المتأخرين ، أن أبا العلاء لحظ في نفسه أن روح الجهاد قد فتر عند المسلمين في عصره ، وعند قومه خاصة ؛ وأنهم التزموا الدفاع دون الهجوم ؛ فأراد أن يعبر عن هذا الاعتقاد بطريق الكناية والرمز ، فنظم المجموعة الغريبة من القصائد المعروفة بـ (الدرعيات) . . فالدرع أداة وقاية ، لا سلاح هجوم

وما أظن أن هذا هو السبب الحقيقي الباعث على إنشاء الدرعيات . ولعل السبب أنه وجد في الدرع مجالاً لإظهار عبقريته وتقننه ، وقدرته على التصرف بالمعاني والأخيلة .

على أنه وصف السيف في مواطن كثيرة من شعره ؛ وأبدع في وصف دقته ، وشطبه ، وغدده ؛ وأتى بالمعجب المعجاب ، من ذلك في قصائده :

يَا سَاهِرَ الْبَرْقِ أَتَقِظُ رَأَقَدَ السَّمْرِ ^(٢)

. . .

(١) سيأتي عن ياقوت والنفطي أن عون الجبل آخر كتاب أملاء أبو العلاء ، تأمل . (ج) .

(٢) صدر بيت هو مطلع قصيدة في السقط وعجزه : « لعل بالجزع أعواناً على السهر » .
انظر هرواح سقط الزند ، ق ١ ص ١١٤ .

أَعَزَّ وَخَدِ الْقِلَاصِ كَشَفَتْ حَالاً^(١)

. . . .

و :

كَفَى بِشُحُوبٍ أَوْجِهِنَا دَلِيلًا^(٢)

. . . .

وغيرها

شُروح السقط وسُرامه

ضوء السقط :

تقدم أن أبا العلاء أملى على الأصهباني شرح ما أشكل عليه من سقط الزند إلى الدرعيات ؛ وسمى شرحه (ضوء السقط) .
والظاهر أن هذا الشرح لم يستقص إيضاح كل غامض ، وتفسير كل مشكل ؛ وأن الناس كانوا ينزعون إلى تفسير السقط لشدة رغبتهم في الوقوف على ثقافة أبي العلاء ، وعبقريته فيه ؛ فشرحه جماعة في عصور مختلفة ، ليتنى لكل جيل الاطلاع على ما في شعره من المعاني النبيلة ، والأخيلة البديعة ، والأساليب الرائعة . وهذه أسماء جملة منهم :

(١) مجزة : « ومن عند الظلام طلبت مالا » . وهو مطلع لامية في السقط ، انظر

المروح ق ١ ص ٢٥ .

(٢) صدر مطلع قصيدته التي اجاب بها ابن فورجة البروجدي من قصيدة اولها :

ألا قامت تجاذبي عناني وتألني برمها غيلا

ومجز البيت : « على ازماعنا عنك الرجل » . انظر شروح السقط ق ٣ ص ١٣٦٩ .

٦ - شرح أبي زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي التوفي

سنة ٥٠٢ هـ :

وهو شرح مختصر ، أورد فيه المعاني ، وأقل من الاستشهاد ؛ وقد قال في مقدمته ^(١) : « لما حضرت أبا العلاء . . قرأت عليه كتباً كثيرة من كتب اللغة ، وشيئاً من تصانيفه ، فرأيت أنه يقرأ عليه شعره في صباه الملقب بـ (سقط الزند) . وكان يغير الكلمة إذا قرأت عليه شعره ، ويقول معتزلاً من تأبتيه وامتناعه من سماع هذا الديوان : مدحت فيه نفسي ، فأنا أكره سماعه . وكان يحثني على الاشتغال بغيره من كتبه كنزوم ما لا يلزم ، وجامع الأوزان ، والسجع السلطاني ، وغير ذلك . ثم اتفق بعد مفارقتي إياه أن بعض أهل الأدب سأله أن يشرح له ما يشكل عليه من سقط الزند ، فأملى عليه إلى الدرعيات . وكان قد لقّب هذا الديوان بـ (سقط الزند) لأن السقط أول ما يخرج من النار من الزند ؛ وهذا أول شعره ، وما سمح به خاطره ، فشبهه به .

وما أملاه فيه سماه (ضوء السقط) . غير أنه وقع فيه تقصير من جهة الاستملي ؛ وذلك أنه استمل معنى بعض أبيات منه ، وأهمل أكثر المشكلات ، وإذا استمل معنى بيت لم يستقص به البحث عن إيضاحه ، فجاء التفسير كأنه 'لمع' شتى ، لم يشف الغليل ولا يغرف من البرض ^(٢) إلا القليل .

وشعره كثير في كل فن . وميل الناس على طبقاتهم : من شاعر مفلق ، وكاتب بليغ ، إلى هذا الفن أكثر ، ورغبتهم فيه أصدق . وهو أشبه بشعر أهل زمانه مما سواه ؛ لأنه سلك فيه طريقة حبيب بن أوس الطائي ، وأبي الطيب المتنبي ، وهما هما في جزالة اللفظ ، وحسن المعنى .

(١) انظر هذه المقدمة في شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣ .

(٢) البرض : بالنسكين ، أقلل من الماء .

وأظهر المعجز في درعياته ؛ غير أنه لم يتفق أن تمرض بنفسه
شيء منها .

ورأيت جماعة من وجوه الكتاب والرؤساء من أهل الأدب وعيون
الناس ، يرغبون في شرح ما أهمل من أبياته ، وإيضاح مشكلاته ؛
فاستعنت الله - عز وجل - على شرحه ، من أوله إلى آخره . وأوردت
فيه ^(١) ما ذكر شيخنا أبو العلاء - رحمه الله - من ضوء السقط في مواضعه ،
ثم أوضحت مشكلاته ، وذكرت معانيه ، غير سالك طريقة أبي الفتح
عثمان بن جني ، في تفسيره شعر أبي الطيب ، في الإكثار من الاستشادات ،
وذكر اللغة الغريبة ، دون إيراد المعاني ، بما لا بد منه ، وما يفيد قاريه ،
إذا نظر فيه . فخير الشروح ما قلّ ودلّ ، ولم يطل فيمل . وعليه
التكلان « اه .

ويمكننا أن نستنتج من هذه المقدمة أموراً ، منها :

- ١ - أن التبريزي قرأ سقط الزند على أبي العلاء ، كله أو أكثره ؛
وسأله عن مواطن الإشكال والغموض .
- ٢ - أنه وقف على (ضوء السقط) وأورد ما ذكره فيه أبو العلاء ،
في شرحه هذا في مواضعه .
- ٣ - أن أبا العلاء لم يشرح جميع (سقط الزند) ولم يستقص إيضاح
كل مشكل فيه ؛ وإنما شرح ما سأله عنه الأصفهاني .
- ٤ - أنه وضع شرحه هذا بعد وفاة أبي العلاء .
- ٥ - أن الدرعيات جزء من (سقط الزند) . وإن نوهتم بعضهم أنها
ديوان مستقل .
- ٦ - أنه شرح الديوان كله ، وبين معانيه ، وأوضح مشكلاته .

(١) زيادة على الأصل .

٧- أن أبا العلاء كان يغيّر بعض الكلمات من (سقط الزند) فتكون رواية الديوان ، على الوجه الذي ذكره التبزي ، آخر ما عول عليه أبو العلاء .

٨- أن التبزي لم يبين ما هو اسم شرحه هذا ؛ وقد قال بعضهم : إن اسمه (الإيضاح في سقط الزند وضوئه) (١) .

. . .

٩- شرح عبد الله بن محمد البطليوسي النحوي المتوفى سنة ٥٢١ هـ :

وهذا الشرح ، لم يقتصر فيه صاحبه على (سقط الزند) ، ولا تقيد بترتيب القصائد وجمعها على نحو ما هي عليه في الديوان ؛ وإنما ضم إليه جملة من شعر أبي العلاء من غير سقط الزند ؛ كما صرح بذلك في مواطن من شرحه . ورتب قصائده على ترتيب حروف المعجم كلها ؛ فاضطر بسبب ذلك إلى أن يزيد على ما في (سقط الزند) من شعر (لزوم ما لا يلزم) وغيره ، ليستوفي جميع القوافي ؛ وبما زاده : قافية « الثاء » ، والحاء ، والذال ، والشين ، والصاد ، والطاء ، والغين ، والهاء « . ومع زيادته هذه ، نقص بعض الأبيات من شعر سقط الزند .

وبعد العلماء هذا الشرح أقوى الشروح وأوفاهها ، وأكثرها تعرضاً للتحقيق في المسائل اللغوية والنحوية .

وقد أكثر فيه من الموازنة بين المتنبي وأبي العلاء ؛ والمقابلة بين معاني كل منهما ، لأنه شرح ديوان المتنبي . وقد قال في مقدمة شرحه سقط الزند (٢) : « سألتني - واصل الله لديك نواصي النعم ، وبلغك أقاصي المهم - أن أشرح لك (سقط الزند) من شعر أبي العلاء المعروف بالمعري ، وذكرت

(١) قد شرعت لجنة إحياء آثار أبي العلاء في طبع هذا الشرح في مصر في نحو سنة ١٢٦٤ هـ وسنة ١٢٦٥ م شرح البطليوسي والحوارزي . (ج) ونمطه بأشبه الحلة في سنة ١٢٦٨ م .

(٢) انظر هذه المقدمة في شروح سقط الزند ، في ١ ص ١٥ .

أنك قرأت ضوء سقط الزند الموضوع فيه ، فلم تجده مستوفياً لجميع معانيه ، ورجوت أن تجد عندي ما يوافق مرادك ، ويطابق اعتقادك . ولعمري إنه اشعر قوي المباني ، خفي المعاني ؛ لأن فائده سلك به غير مسلك الشعراء ، وضمنه نكتاً من النحل والآراء ، وأراد أن 'يري' معرفته بالأخبار والأنساب ، ونصره في جميع أنواع الآداب . فأكثر فيه من الغريب والبدیع ، ومزج المطبوع بالمصنوع ، فتمتعت ألفاظه ، وبعدت أغراضه . وقد أجبته إلى ما سألت ، وكتبت لك من شرحه ما رغبت . ورأيت أن ترتيبه على نظم الحروف المعجمة أتم في الوضع ، وأجل للتصنيف ، فاحتجت لذلك أن أزيد فيه ما ينفي بالقرض ، وأن أستغفر الله من زور يعين على تحسين أمره ، وساعات نقطها بغير ذكره ؛ إنه غافر السيئات ، و- اتر الهفوات ، لا رب غيره . »

ويستنتج من هذه المقدمة :

١ - ما ذكرناه من زيادته على أصل (سقط الزند) ونقصه عنه ، وهذا إخلال بحق الكتاب ، وبترتيبه . وكان الحق أن يقتصر على أصل الكتاب وترتيبه ؛ وكأنه فطن إلى أن عمله غير حسن ، فعمد زورا ، واستغفر الله منه .

٢ - أنه اطلع على (ضوء السقط) ولم يطلع على شرح التبريزي .

٣ - أنه أدرك من مقاصد أبي العلاء في شعره ومن قدرته على التصرف في أنواع الآداب والفنون ، ما لا يستكثر معه أن يكون شرحه أوفى الشروح .

• • •

٣ - شرح علي بن أحمد بن محمد ، الإمام الواحدي الأديب المفسر

المتوفى سنة ٤٦٨ هـ :

قال في (أوج التحري) : إنه شرح سقط الزند ^(١) .

(١) أوج التحري عن حجة أبي العلاء المري ص ٨ تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني ، طبعة المعهد الانرسي بدمشق .

٤ - وشرح أبي وشاد أحمد بن محمد الاخسيكي ، نسبة إلى أخسيك ،

مدينة من فرغانة ، المتوفى سنة ٥٤٩ هـ :

وقد سمي شرحه : (زوائد في شرح سقط الزند) ذكر ذلك ياقوت ، وكشف الظنون .

٥ - وشرح أبي يعقوب يوسف بن طاهر الخوئي ، نسبة إلى خوي ،

من مدن أذربيجان ، المتوفى سنة ٥٤٩ هـ .

وقد أتم شرحه هذا سنة ٥٤١ هـ ، وقال في مقدمته : « ولم يتفق له شرح يشفي غلة الصادي ويحقق أمنية الشادي ، سوى ضوء السقط الذي نقله أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي [عن أبي العلاء] - رحمها الله - وهو غير واف بالمقصود ، ولا دال على الغرض المطلوب ، لتقاصره عن بلوغ ما يجب من الإبانة والإيضاح . . » (١) ويسمى هذا الشرح (التنوير . أو . تنوير سقط الزند) وهو ينقل كثيراً من كلام التبريزي ، ويشايه في كثير من المواطن . وهذا الشرح طبع في تبريز وفي مصر أكثر من طبعة .

٦ - وشرح الامام فخر الدين الرازي ، محمد بن عمر المتوفى سنة ٦٠٦ هـ :

كما ذكره في (كشف الظنون) .

٧ - وشرح صدر الأفاضل ، قاسم بن الحسين بن محمد الخوارزمي :

الملقب بصدر الأفاضل ، المقتول بيد التتار سنة ٦١٧ هـ . وقد سمي شرحه هذا : (ضرام السقط في شرح السقط) وفرغ من تسويده في أوائل المحرم سنة ٥٨٧ هـ . وقال في مقدمته (٢) : « وبعد ، فإن طائفة من أهل العلم ، قد قرعوا مسمعي غير مرة ، بالتاسمهم إلي أن أشرح لهم (سقط الزند) المنسوب إلي . . أبي العلاء . . المعري . . فشرحت فيه من مفردات اللغة ،

(١) مقدمة التنوير على سقط الزند من ٤ - ٥ طبعة دار السادة .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٧ - ١٨ .

والأبنية والاشتقاق ومسائل الإعراب والتعريف ، وأوردت من التراكيب المستعملة في كلامهم ، ومحاسن علمي المعاني والبيان ، وألقاب العروض والقوافي ، ونسب التواريخ والحكايات ، وأنساب العرب ، والأنواء ، والرموز الحكمية ، ونسب قليل من فقه الشافعي ، وأحاديث النبي ، وفوائد التفسير ، ما عسى أن يشكل عليهم ، ولم يلق حل معقوده إليهم . . . ثم توخيت أن أتكلم في كل مسألة بأخصر كلام . . . إلا في عدة مواضع لفرض . . . ثم قال : « أخبرنا بفتح هذا الديوان . . . أبو المظفر ناصر . . . المعروف بابن المطرزي [المتوفى سنة ٦١٠ هـ] . . . قراءة عليه ، قال : أخبرنا . . . الوالد . . . عبد السيد بن علي المطرزي قراءة عليه ، قال : أخبرنا أبو المكارم الأبهري قراءة عليه ، قال : أخبرنا [الفاضل] أبو العلاء وهو المثنى . . . » . وينصدي في شرحه هذا إلى الإكثار من سرد الحوادث التاريخية ، وبعض الأحاديث النبوية ، وأقوال المفسرين . ويكثر من الاستشهاد بكلام الأبيوردي (وهو أبو المظفر محمد بن أحمد المقرئ الأموي المتوفى سنة ٥٥٧ هـ) . ويعني كثيراً بذكر التجنيس والمقابلة والإيثار ، وبيان كل في موضعه ، ويعول في بيان المعاني والمجازات اللغوية ، على (أساس البلاغة) للزمخشري .

٨ — وشرح القاضي شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم البازي المتوفى

سنة ٧٣٨ هـ :

فإنه شرح سقط الزند ، وسمى شرحه (العمدة في شرح سقط الزند) .

٩ — وشرح الشيخ محمد الدراهمشي المتوفى سنة ١٠٩٥ هـ

وقد سمي شرحه هذا : (سقط العقبان والحلى ، لعروس أبي العلاء) .

أو (ضوء الفند من سقط الزند) ورتبه على حروف المعجم ، وأدخل فيه الدرعيات ، وقد رأيت نسخة من هذا الشرح في سنة ١٣٦٠ هـ ، وقد قصر صاحبه في مواطن كثيرة عن إدراك ما يرمى إليه أبو العلاء في قوله . وقد ترجمه المحي في (خلاصة الأثر) في الجزء الرابع ص ٢٤٩ وقال في

ص ٢٥٢ : « وعمل بمكة شرحاً على (سقط الزند) لأبي العلاء المعري ، وجعله برسم الشريف زيد بن محسن ، وصدره بقصيدة من نظمه ؛ ثم أدرجه المرض بمكة ولم يكمل الشرح .

. . .

٧٢ — كتاب سيف الخطبة :

وهو يشتمل على خطب السنة ، فيه خطب للجمع ، والعديد ، والخوف ، والكسوف ، والاستقاء ، وعقد النكاح . وهي مؤلفة على حروف المعجم . وفيها خطب عمادها الهمزة ، وخطب بنيت على الباء ، والتاء ، والذال ، والراء ، واللام ، والميم ، والنون ، وتركت الجيم والحاء ، وما جرى مجراها ؛ لأن الكلام المقول في الجماعات ينبغي أن يكون سجعاً سهلاً . وهو جزءان ، ومقداره أربعون كراسة ؛ وذكر أنه كان سأل في هذا الكتاب رجل من المتظاهرين بالديانة .

وقد جاء اسم هذا الكتاب في (كشف الظنون) « سيف الخطيب » وفي الذمعي « كتاب الخطب » وفي ياقوت ، وابن المديم « سيف الخطبة » وفي الففطي يعرف بـ « سيف الخطب »^(١) . وجاء في عبارات بعضهم في هذا المقام ، ما يخالف عبارات غيره .

٧٣ — كتاب شرف السيف :

عمله أمير الجيوش ، أنوشتكين الدزبري ، الذي ولي دمشق سنة ٤١٩ هـ ، للظاهر خليفة مصر ، وكان السبب في عمله أن أبا العلاء بلغه عنه كلام جميل ، وأنه كان يوجه إليه بالسلام ، ويحفي المسألة ، فأراد جزاءه على ما فعل ؛ فعمل له هذا الكتاب ، وهو جزءان ، وسماه في (كشف الظنون) « شرف السيف » وقال : مقداره عشرون كراسة .

(١) انظر ما ذكره الففطي وياقوت والذمعي وابن المديم في تعريف القدماء المصنفات :

٧٤ — شرح كتاب سيويه :

لم يته ، وفي الذهبي ^(١) « شرح بعض سيويه » ومقداره خمسون كراسة ؛ وقد تقدم أن له كتاب تفسير أمثلة سيويه .

٧٥ — شرح خطبة أدب الكاتب :

عمله لأبي الرضي ، سالم بن الحسن بن علي الحلبي ؛ وهو ابن أخت الوزير أبي نصر محمد بن الحسن بن النحاس الحلبي ، وكان من الفضلاء الأدباء الشعراء ^(٢) .

٧٦ — كتاب الصاهل والشاحج :

يتكلم فيه على لسان فرس وبغل ، مقداره أربعون كراسة ؛ وهو كتاب حسن ، صنفه للأمير عزيز الدولة أبي شجاع فاتك بن عبد الله الرومي ، مولى منجوتكين . وكان أبو شجاع هذا والي حلب من قبل المصريين في أيام الحاكم ، وبعض أيام الظاهر . وكان رومياً وقد قتل سنة ٤١٣ هـ . وكان سبب تصنيفه أنه رفع إلى فاتك أن حقاً يجب له على بعض أقرباء أبي العلاء ، وجب على أبي العلاء سؤاله فيه . وفي القفطي والذهبي « رسالة الصاهل والشاحج » ^(٣) .

٧٧ — لسان الصاهل والشاحج :

وهو كتاب لطيف في تفسير (الصاهل والشاحج) ، عمله أيضاً لمعز الدولة المذكور ومقداره ثمان عشرة كراسة .

(١) تعريف القدماء ص ٢٠٤ عن تاريخ الإسلام — للذهبي .

(٢) ذكره ابن العديم في الاضاف ، انظر تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٤٠ .

(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٥ ، ٢٠٢ .

قال ابن المديم : « وبعض الجهال يقول : إنه عمله لأبي الدوام ثابت بن محمود بن نصر بن صالح ، وكان يلقب عزيز الدولة ، وهو غير صحيح بل الذي عمله لأبي الدوام هو اللامع العزيزي وسيأتي ذكره » (١) . وابن المديم سمي الأول « رسالة الصاهل والشاحج » وصاحب كشف الظنون قال : « رسالة الصاهل . . تتضمن تفسير كتاب من تأليفاته » فقلعه اشتبه عليه الكتاب الأول بالثاني .

مثال من كلامه في (الصاهل والشاحج) : قال أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي ، من فصل المورثي : « وسميننا هذا النوع من الكلام المورثي ، لأن باطنه على غير ظاهره . . . وقد سلك أبو العلاء أيضاً هذا المسلك ، وجرى فيه ملء عنانه فأدرك ، فقال في رسالة الصاهل والشاحج : العلم يدل على أن الحسن لم يرَ الحسين (٢) قط ، وأن فاطمة — رضي الله عنها — لم تر في بيتها علياً (٣) ، وقد يجوز أن تكون أبصرته على باب البيت . وكان علي — رحمه الله — يرحم الأرملة ، ويتر اليتيم ، ويضرب بجد سيفه أم الصبيتين (٤) ، وقطع يد الغيل (٥) على السرق ؛ وجلده على ضرب الخمر . وكان يأمر بقتل الأعرج والأعمى (٦) »

(١) سيأتي أن اللامع العزيزي لأبي الدوام ثابت بن غالب بن صالح . على نحو ما ذكره

القفطي وابن المديم فقل في الكلام تحريفاً (ج) .

(٢) الحسن والحسين : كتيبان مروغان في بلاد خبة (ج) .

(٣) الي : الفرس الشديد (ج) .

(٤) أم الصيين : حامة الرأس ، والصبيان : العيان ، وهما الظنان القذان تنبت

عليها الحية (ج) .

(٥) الغيل : الضيف الرأي والحيس (ج) .

(٦) الأعمرج : التراب ، والأعرج : حبة صمغ لا تهل الرقة ، وتطفر كالأنفى ،

وهما من القواصق الحقة التي أسر بختها ، وهي التراب ، والحداة ، والقارة ،

والحبة ، والكلب الغور (ج) .

وما في الحرم . ويكره دخول الأعمى ^(١) المسجد ، وكان ينصف ^(٢) الخبيس من أهل الأقدار ، ويوطأ الجليل ^(٣) في زمانه بالقدم ^(٤) .

٧٨ — الطل الطاهري :

تقدم ذكره مع الحقيير النافع .

٧٩ — كتاب في النحو :

يتصل بالكتاب المعروف بـ (المضدي) واقبه « ظهير المضدي » ^(٥) ، كما في ياقوت . وفي ابن العديم : « وإملاء في النحو ، يتصل [بالمضدي] » . وفي كشف الظنون : « ظهر المصري » في النحو لأبي العلاء .

٨٠ — كتاب عبث الوليد :

وهو يتعلق بشعر البحتري ، وكان سبب وضعه أن بعض الرؤساء ، وهو أبو اليمن المسلم بن الحسن [الحسين] بن غياث الكاتب الحلبي ؛ وكان صاحب الديوان في حلب ، أنفذ إلى أبي العلاء نسخة من شعر البحتري ، ليقابل له بها ؛ فأثبت ما جرى من الغلط ليعرض عليه ذلك ، وبعض الغلط من الناسخ ، وبعضه من البحتري ؛ وهو جزء واحد ، ومقداره عشرون كراسة ^(٦) .

وقال ابن خلكان في ترجمة المعري ^(٧) : « واختصر ديوان البحتري ،

(١) الأعمى : الكافر (ج) .

(٢) المراد : يأخذ للخبيس حقه من أهل الأقدار ، فن منقطة ينصف (ج) .

(٣) الجليل : نبت وهو التام ، وجبل في بلاد الشام (ج) .

(٤) تعريف القدماء ص ٤٥٠ .

(٥) تعريف القدماء ص ١١٠ و ص ٥٤٠ .

(٦) ذكر ذلك ابن العديم في الإصناف والتحري انظر تعريف القدماء ص ٥٤١ .

(٧) وفيات الأعيان ، وانظر تعريف القدماء ص ١٨٣ .

وسماه (عبث الوليد) هـ . ونقل ذلك عنه صاحب (كشف الظنون) .
وقال بعضهم : إنه يتضمن أغاليط البحري في ديوانه . وقد طبع هذا
الكتاب في دمشق سنة ١٣٤٥ هجرية . ويظهر للمتأمل فيه ، أن أبا العلاء
تعرض للفظ الذي وقع من الناسخ ، وتعرض للغلط الواقع من البحري ،
كما قال ابن العديم ؛ وأنه اطلع على شعر البحري لم يذكر في ديوانه
المطبوع في الآستانة وبيروت .

٨١ — كتاب عظات السور :

يشتمل على مواعظ .

٨٢ — كتاب عون الجبل :

ينصل بكتاب الزجاجي ، شرح فيه شيئاً من كتاب (الجبل) (١)
كما في القفطي ، وابن العديم (٢) ، وفي كشف الظنون أنه شرح الشواهد ،
ولم يتم . وهذا الكتاب عمله لأبي الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم ؛ وكان
أبوه يتولى إثبات ما ألفه أبو العلاء من جميع هذه الكتب .
قال ياقوت ، وابن العديم : « وهو آخر كتاب أملاه » وفي القفطي :
« آخر شيء أملاه » (٣) . وهذا يناقض قول ابن الوردي في (تاريخه
ج ١ ص ٣٦٠) وقول التبريزي السابق : إن ضوء السقط خاتمة
كتبه . فتأمل .

٨٣ — كتاب غريب ما في جامع الأوزان :

مقداره عشرون كراسة كما تقدم (٤) .

-
- (١) الجبل الكبيرة في النحو ، لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي النحوي المتوفى سنة
٣٣٩ هـ ، هو كتاب مفيد شرحه كثير من العلماء ؛ كما في كشف الظنون (ج) .
(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٨ ، ٥٣٩ .
(٣) المصدر السابق وانظر أيضاً ص ١١٠ منه .
(٤) ذكره الذهبي والمفدي ، انظر تعريف القدماء الصفحات ٢٠٢ ، ٢٧٥ .

٨٤ - الفصول والغايات :

نقل ياقوت في (إرشاد الأريب) صورة فهرس كتب أبي العلاء ، وقال : « وهي على ضروب مختلفة ، فمنها ما هو في الزهد والمعطيات وتبجيل الله . . من المنظوم والمنثور . فمن ذلك الكتاب المعروف بـ (الفصول والغايات) والمراد بالغايات : القوافي ؛ لأن القافية غاية البيت أي منتهاه . وهو كتاب موضوع على حروف المعجم ؛ ما خلا الألف ، لأن فواصله مبنية على أن يكون ما قبل الحرف المعتمد فيها ألفا ؛ ومن الحال أن يجمع بين ألفين . ولكن تجيء الهزمة وقبلها ألف ، مثل : العطاء والكساء . وكذلك : الشراب والسراب في الباء . ثم على هذا الترتيب . ولم يعتقد فيه أن تكون الحروف التي يبنى عليها مستوية الإعراب ، بل تجيء مختلفة . وفي الكتاب قواف تجيء على نسق واحد . وليست المطلقة ^(١) بالغايات وجميعها على قريي ^(٢) واحد مثل أن يقال : عَمَامَا ، وَغَلَامَا ، وَغَمَامَا ، وَأَمْرَا ، وَتَمْرَا ، وما أشبهه ، وفيه فنون كثيرة من هذا النوع . وقيل : إنه بدأ به بعد عودته من بغداد ^(٣) . وقيل : إنه بدأ به قبل رحلته إلى بغداد ، وأنه بعد عودته إلى المعرة ؛ وهو سبعة أجزاء ، وفي نسخته مائة كراسة ^(٤) . واه . ونحو هذا في القفطي .

(١) في الإصناف والقفطي : « اللقبة بالغايات » . وفي القفطي بعد هذا : « وإنا سميت نهاية البيت ، وهي قافيته وجميعها . . » (ج) وانظر تعريف القدماء

ص ٣٨ ، ٥٢٧ .

(٢) أي نسق أو طريقة (ج) .

(٣) لم ترد هذه العبارة في تعريف القدماء .

(٤) انظر تعريف القدماء ص ١٠١ - ١٠٢ عن إرشاد الأريب لياقوت . و ص ٣٨ -

٣٩ عن الإنباه للقفطي .

وقال ابن المديم : إنه « في تمجيد الله والعظات . . . وهو الكتاب الذي افترى عليه بسببه . وقيل : إنه عارض به السور والآيات ، تعديا [عليه] وظلما ، وإفكاً به أقدموا عليه وإثماً . فإن الكتاب ليس من باب المعارضة في شيء ومقداره مائة كراسة » (١) .

وفي (كشف الظنون) : « الفصول والغايات ، في معارضة السور والآيات ، على ما ذكره ابن الجوزي لأبي العلاء . . (٢) وهو مائة كراسة » وفي تفسير غريبه كتاب (السادر) وهو عشرون كراسة . وله كتاب الفصول غير هذا ؛ وهو أربعمائة كراسة . وذكر ابن قاضي شبهة له كتاب (مختلف الفصول) وهو أربعمائة جزء .

وقال الباخري في (دمية القصر) في ترجمة أبي العلاء : « وإثماً تحدث الألسن بإساءته ، لكتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن ، وعنونه بالفصول والغايات ، وعحاذاة السور والآيات ؛ وأظهر من نفسه تلك الخيانة » (٣) اهـ إلى آخر ما تقدم .

وقال ابن الجوزي في (المنتظم) : « وقد رأيت للمعري كتاباً سماه (الفصول والغايات) يعارض به السور والآيات ، وهو كلام في نهاية الركة والبرودة . فبحان من أعمى بصره وبصيرته ؛ وقد ذكره على حروف المعجم في آخر كتاباته » (٤) . اهـ إلى آخر ما تقدم .

وقال الذهبي : « وكأنه معارضة منه للسور والآيات ، فقليل له : أين هذا من القرآن ؟ فقال : لم تصقله المحارب أربعمائة سنة » (٥) . اهـ

(١) تعريف القدماء ص ٢٧ .

(٢) وكذا في طبقات النحاة والفريقين (ج)

(٣) تعريف القدماء ص ٨ عن دمية القصر - للباخري .

(٤) تعريف القدماء ص ٢١ عن المنتظم - لابن الجوزي .

(٥) تعريف القدماء ص ١٩٥ عن تاريخ الإسلام - للذهبي .

وقال ابن سنان عبد الله بن محمد بن سعيد الشاعر صاحب أبي العلاء :
« وهذا الكتاب إذا تأمله العاقل علم أنه بعيد عن المعارضة ، وهو بمنزل
عن التشبيه بنظم القرآن العزيز والمناقضة ^(١) » . ا هـ

وأورد البديعي في (أوج التحري) جملة من كتاب الفصول والغايات .
ثم قال بعده (ص ٦٥) ^(٢) : « وهذا كلام إذا تأمله المتأمل علم أنه بعيد عن
المعارضة ، وهو بمنزل عن التشبيه بنظم القرآن العزيز والمناقضة » .
وزعم بعضهم أنه قيل لأبي العلاء : ما هذا إلا جيد ، إلا أنه ليس عليه
طلاوة القرآن . فقال : حتى تصقله الألسن في المحاريب أربعمائة سنة ، وعند
ذلك فانظروا كيف يكون ...

ويقال : إن الذين نسبوه إلى معارضة القرآن العزيز بهذا الكتاب :
(الفصول والغايات) كانوا من أهل زمانه ، يحدونه على فضله ومكانته ،
فقصدوا أذاه ؛ وتتبعوا كلامه ، وحملوه على غير المقصد الذي قصده ،
كما هو عادة أبناء كل زمان في افتراء الكذب ، واختلاق البهتان .
وقد ألف هو كتاباً في الرد على من نسب إلى معارضة القرآن ، والجواب
عن أبيات استخرجوها من نظمه ، ورموه بسببها بالكفر والظناني ؛ وسمى
الكتاب بـ (زجر النابح) رد فيه على الطاعن في دينه والقادح . وقد اجتزأنا
بهذا القدر من أقوال العلماء في هذا الكتاب .

انطلاقة :

ذهب أكثر المتقدمين إلى أن أبا العلاء وضع هذا الكتاب ليعارض به
السور والآيات ؛ ومنهم من جعل عنوانه (الفصول والغايات في معارضة
السور والآيات) . واحتذى أكثر المتأخرين على مثال المتقدمين في ذلك .

(١) تعريف القدماء - ص ٤٢٦ عن الصبح النبي - البديعي .

(٢) تحقيق الدكتور إبراهيم كيلاني - منشورات المعهد الفرنسي بدمشق .

وزعم بعض المعاصرين أن ليس في الكتاب معارضة للقرآن ، وإنما فيه مشابهة له ، وزاد على ذلك بأنه لم يذكر النبي ﷺ فيه ، إلا في خمسة مواضع . ومن البديهي أن المعارضة إما أن تكون في الألفاظ والأسلوب ، وإما أن تكون في المعاني والأغراض ، وإما أن تكون فيها معاً . وكذلك المشابهة ، إما أن تكون في أحدهما أو في كليهما .

ولم يصل إلينا من هذا الكتاب إلا الجزء الأول الذي طبع في مصر . وإذا تأملناه ، وأنصنا النظر فيه ؛ تبين لنا :

١- أن أبا العلاء التزم فيه أن يكون آخر كل غاية على حرف من حروف المعجم ؛ سوى الألف . وقد بناء على الردف (١) ، وربما أتى للحرف الواحد بغايات متعددة ؛ وقد تزيد أو تنقص عن غيرها في حرف آخر ، وأنه يقول في نهاية كل واحدة منها : « غاية » ، ويقول أحياناً بعد انتهاء الغاية : « تفسير » ثم يفسر الغامض من ألفاظها ، ثم يقول : « رجع » . ثم يأتي بنائية أخرى ، حتى يفرغ من الغايات التي على حرف واحد .

٢- أنه يذكر في أول كل غاية من حرف جديد هذه الجملة : « فصل غاياته باء » . ثم « فصل غاياته تاء » ثم . وثم . إلى آخر حروف المعجم . وأحياناً يقول بعد انقضاء الغايات من حرف واحد : « انقضت الهزمة » مثلاً . وأحياناً يقول : « مضى فصل التاء والله الحمد » . ثم يقول : « قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان » ثم يبدأ بغاية من حرف جديد .

٣- أنه أكثر من الألفاظ القليلة التداول على ألسنة البلغاء ، وأكثر من السجع ، حتى كاد يلتزمه في كثير من الغايات .

٤- أنه ذكر في الكتاب كثيراً من أبيات الشعر ، وأراجيز العرب ، وأمثالها ، وأقوال الصحابة الكرام ، والعلماء ، والحكماء .

(١) الردف في الغاية: حرف ساكن من حروف المد واللين قبل حرف الرومي ليس بينهما شيء.

هـ - أنه ذكر كثيراً من أسماء العلماء ؛ كالنضر بن شميل ، وأبي الأسود الدؤلي ، وأبي علي الفارسي وغيرهم ؛ وكثيراً من أسماء الشعراء ، والقبائل ، والرجال ، وكثيراً من أسماء الحيوان والنبات والأماكن . وليس شيء من هذا يعارض أو يشابه ألفاظ القرآن أو أسلوبه .

٦ - أنه ذكر فيه شيئاً من مباحث علم الصرف ، والنحو ، والعروض ، والموسيقى ، والطبقيات ، والعقائد ، وغيرها . وذكر كثيراً مما اصطلاح عليه أهل هذه العلوم .

٧ - أنه ذكر أشياء يعتقدونها في الله تعالى ، وفي قدرته على المستحيلات .

٨ - أنه أشار إلى كثير من الحوادث والوقائع التاريخية ، ومزاعم العرب ومعتقداتهم .

٩ - ذكر بلده معرة النعمان ، ووالده ووالدته .

١٠ - أنه أخبر عن نفسه ، بأنه حي كبت ، وأنه يقصر الصلاة ، ويحتاج إلى مسكن يأوي إليه . وذكر وصيته التي تقدمت في وصاياه . وذكر كنيته واعتزاله وسببه وكبره ؛ وما أشبه ذلك مما يتصل به . وليس في القرآن الكريم شيء من هذا كله .

واغراض الكتاب تكاد تنحصر في تقديس الله وتمجيده ، والحث على عبادته ، والزهادة في الدنيا ، وعمل الخير ونحو ذلك مما لا يخرج عن الوعظ والإرشاد .

وأن أغراض القرآن الكريم ومقاصده كثيرة متعددة ؛ من شرع للأحكام ، ونسخ بعض الشرائع السابقة ؛ ودعوة إلى الدين الحنيف ، والجهاد في سبيل الله ؛ ورد على المشركين والكفار ؛ وقصص لأخبار الأنبياء والأمم التي بادت ؛ وتبيان لعاقبة الكفر والبني ؛ وما شاكل هذا من أغراض القرآن الكريم . وليس في كتاب (الفصول والغايات) شيء من هذا إلا نادراً . وبينها فروق كثيرة غير ما ذكرنا . وإنما اجتزاناً بهذا القدر خشية الإطالة .

ربما ذكرنا يتبين أن كتاب (الفصول والغايات) ليست فيه معارضة ولا مشابهة للقرآن الكريم ، لا في ألفاظه وأسلوبه ، ولا في أغراضه ومقاصده . وأنه لا يراد به معارضة القرآن . وإنما هو كما قال أبو العلاء ، في الزهد والعظات وتمجيد الله سبحانه وتعالى .

ولعل كثيراً ممن قال : إنه عارض به السور والآيات ، لم يطلع عليه ؛ وإنما تابع غيره في ذلك ليشايحه على تكفير المعري . وأما زعمهم أنه قال : « لم تصقله المحاريب . . . » و « حتى تصقله المحاريب أربعمئة سنة » فيأتي من كلامه في القرآن الكريم ما يدحضه . ومن البعيد جداً أن يقول المعري مثل هذا .

وقد رأيت في هذا الجزء أنه ذكر النبي ﷺ في اثنين وعشرين موضعاً ؛ وكلما ذكره عقب ذكره بالصلاة عليه . وهذا يؤيد ما قلنا : إن الناس يطوون عاصمه ، وينثرون مساوئه ؛ ويتقولون عليه . وإن فيهم من لم يطلع على كتبه ، وإنما كثره تقليداً .

والذي أعتقد ، أن أبا العلاء أراد أن يعرض مثلاً واسعاً من علمه وإطلاعه ، وأن يبين صورة من عبقريته وقدرته على التصرف بالألفاظ والمعاني ؛ فوضع هذا الكتاب ، كما وضع البديع والحريري (المقامات) . واختار العظة والتزهيد في الدنيا ، لأنها ألصق بحياته من غيرها . وستأتي أمثلة من هذا الكتاب ، تدحض أقوال المفتريين على صاحبه .

من ألف هذا الكتاب :

وهذا الكتاب بدأ به بعد عودته إلى المعرة ؛ على الأرجح ، يدل على ذلك قوله في فهرست كتبه التي نقلها القفطي وياقوت وغيرهما : « لزم مسكني منذ سنة أربعمئة . . فأملت أشياء ، وتولى نسخها الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله . . » . وهي على ضروب مختلفة ، فمنها ما هو في الزهد

والعضات ، وتمجيد الله تعالى من النظم والمنثور ؛ فمن ذلك الكتاب المعروف بالفصول والغايات . وقال ابن العديم : « فأول ما ألف بعد انقطاعه في منزله بعد رجوعه من بغداد الكتاب المعروف بـ (الفصول والغايات) » . ويدل على ذلك أيضاً قول أبي العلاء في (الفصول والغايات ص ٢) : « ما آمل وقد فقدت أبوي » وقوله في (ص ١٤) : « وأصبت الوالدة قد سبق بها الحمام » وقوله في (ص ٣١) : « اعني ^(١) رب وأعني ، واعني بي حتى تغنيني عن أمي وأبي فقد ذهبوا... » . وأمه توفيت قبل عودته الى المرة .

. . .

٨٥ — كتاب السادن :

أنشأ في ذكر غريب (الفصول والغايات) وما فيه من اللغة ، ومقداره عشرون كراسة . وفي ياقوت : « وما فيه من اللغز » . وفي الذهبي : « كتاب الشادن » وفي كشف الظنون بعد ذكر الفصول والغايات : وفي تفسير غريبه كتاب السادر ، وكذا في القفطي ^(٢) . والسادن : الخادم . وقد تقدم أن لأبي العلاء كتاب (خادم الرسائل) .

٨٦ — كتاب قاضي الحق :

يتصل بالكتاب المعروف بـ (الكافي) الذي ألفه أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ وقد رأى القفطي من هذا الكتاب جزءاً من تجزئة سبع مجلدات ^(٣) .

٨٧ — كتاب القائف ^(٤) :

يذكر فيه أمثالاً على معنى (كائلة ودمنة) عمله لميز الدولة أبي شجاع

-
- (١) أعني : أي أخضعتي . النصول والنايات طبع القاهرة سنة ١٣٥٦ .
 - (٢) انظر ياقوت والذهبي والقفطي في تعريف القدماء الصفحات : ١٠٢ ، ٢٠١ ، ٣٩ .
 - (٣) تعريف القدماء ص ٤٦ عن الانباء القفطي .
 - (٤) ذكره القفطي وياقوت والذهبي وابن الدم وغيرهم ، انظر تعريف القدماء الصفحات

فاتك الذي تقدم ذكره ، ألف منه أربعة أجزاء ، ثم قطع تأليفه لموت الذي أمر بإنشائه ، وهو أبو شجاع ، فإنه قتل بقلعة حلب ، قتله بملوك له هندي يقال له تودون سنة ٤١٣ هـ كما تقدم .

٨٨ — منار القائف :

في تفسير ما جاء في (القائف) من اللغز والغريب . وفي الذهبي (١) :
« من اللغة والغريب مقداره عشر كراريس » .

أمثلة من كتاب القائف :

قال الوزير أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي ، من رجال القرن السادس ، في كتابه (إحكام صنعة الكلام) (٢) ومن الحكايات المختلفة ، والأخبار المزورة المنقحة ، كتاب (كلية ودمنة) وكتاب (القائف) لأبي العلاء المعري ؛ وقد تكلم فيه على السنة الحيوان وغير الحيوان .
فمن كلام أبي العلاء على لسان الحيوان الناطق قوله :

« ومن أجزى إلى غير مدى ، كان مثله مثل الشيخ الجاهل ،
لما سمع قول القائل :

أَصْبَحَ عَنِّي الشَّبَابُ قَدْ حُسِرَا (٣)

قال : ما أرى الشباب إلا قد ظعن مع الظاعنين ، لأخرجن في طلبه . فسار حتى لقيه رجل ، فقال له : أعندك خبر للشباب ؟

(١) تريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٠٣ عن الذهبي .

(٢) وانظر تريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٥١ - ٣ - عن الكلاعي .

(٣) هنا صدر بيت للربيع بن ضبع الفزاري ، وقامه :

« ان بنا عني فقد نوى عصرا » .

وهو من أبيات مذكورة في كتاب المعري ص ٦ (ج)

فقال: شبابك أو شباب غيرك؟ قال: بل شبابي. قال: إنه ذهب مع أمس، وأمس خلفك، فازرع ورائك واسرع؛ فلعلك تُدركه. فرجع الشيخ يعدو وراءه؛ فكلما عدا^(١) ازداد من أمس الشبيبة بعدا.

(فصل) «حَضَرَتِ النَّمْلَةُ الْوَفَاةُ؛ فَاجْتَمَعَ حَوَالِيهَا النَّمْلُ. فَقَالَتْ نَادِبَتُهَا: يَرْحَمُكَ اللَّهُ! أَمِنْ شَعِيرَةٍ مَجْرُورَةٍ، وَبُرَّةٍ مَمْطُورَةٍ، وَأَثَارِ سُفْرَةٍ مَنْشُورَةٍ؟ قَالَتْ لَهَا: لَا تَجْزَعَنَّ؛ فَقَدْ دَخَرْتُ عِنْدَ اللَّهِ دَخِيرَةً مِنْ دَخَرٍ مِثْلَهَا جَدِيرٌ بِالرَّحْمَةِ، وَذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَسْفِكْ دُمًّا قَطُّ».

(فصل) «زَعَمُوا أَنْ وَضَعَا^(٢) كَانَ يُجَاوِرُ حَيَّةَ رَقَشَاءَ، فَكَانَ ذَلِكَ الْوَضْعُ إِذَا فَرَخَ سَرَتِ الْحَيَّةُ لِأَكْلِ فِرَاحِهِ فِي الظَّلَامِ، فِي عَامٍ بَعْدَ عَامٍ. وَاللَّهُ يُجَازِي عَلَى الْخَيْفِ وَالْإِنْعَامِ؛ فَقَضَى بِتِلْكَ الْحَيَّةِ أَنْ كَفَّتْ فِي آخِرِ عَمَرِهَا؛ فَلَزِمَتْ الْوِجَارَ^(٣)، لَا تَذْعُرُ النَّائِي وَلَا الْجَارَ. فَقَالَ أَحْبَابُوه: أَلَا تَأْتِي الظَّالِمَةَ مُظْهِرًا

(١) فِي الْأَصْلِ عَادَ (ج).

(٢) الْوَضْعُ: وَيَمْرُكُ طَائِرُ أَمْرٍ مِنَ الصُّنُورِ.

(٣) الْوِجَارُ: بِالْكَسْرِ الْفَتْحُ جَدْرُ الضَّبِّ وَغَيْرُهُمَا.

للشّماة ؟ ! قال : لو كنت ، وهي المَبْصِرة ، أقدر على ضمير ،
لكنت إليها وَشِيكَ السَّير ؛ فَأَمَّا إِذْ كَفَتْنِيهَا الْأَقْصِيَّةُ ، فَإِنَّ
عيني عنها مغضية » .

(فصل) « عَمِيَ أَسَدٌ مِنْ عَوَامِّ الْأَنْسَدِ ، فَأَضَرَّ ذَلِكَ بِهِ .
فَقِيلَ لَهُ : لَوْ جِئْتَ مَلِكَ الْأَسَدِ فَسَأَلْتَهُ أَنْ يَصْلَكَ ، لَكَانَ ذَلِكَ
رَأْيَا لَكَ . فَذَهَبَ إِلَيْهِ ، وَسَرَدَ قِصَّتَهُ عَلَيْهِ . فَقَالَ لِحَازَنِهِ يُجْرِي
لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَضْوًا مُورَبًا ^(١) . فَقَالَ الْأَسَدُ الَّذِي التَّمَسُّ الْجَرَايَةُ :
أَصْلَحَ اللَّهُ الْمَلِكُ ! إِنِّي كُنْتُ اصْطَادَ الْوَعِلَ وَالْبَقْرَةَ الْأَهْلِيَّةَ فَلَا
أَكَاذُ أَذْرِكُ بِهَا الشَّبْعَ ؛ فَأَيْنَ مِنِّي هَذَا الْعَضْوُ يَقَعُ ؟ ! فَقَالَ الْمَلِكُ :
مَنْ أَتَكَلَّ عَلَيَّ كَيْسَبٍ غَيْرِهِ [وَجِبَ أَنْ] يَقْتَنَعَ بِقَلِيلٍ خَيْرِهِ . قَالَ
الْأَسَدُ : صَدَقَ الْمَلِكُ ، وَلَا حَاجَةَ لِي بِهَذَا الْعَضْوِ . قَالَ الْمَلِكُ :
فَمَا تَصْنَعُ ؟ قَالَ : اجْتَرَى ، بَنَيْتُ السَّحَابَ ، وَلَا أَفْتَقِرُ إِلَى
الْمَلِكِ وَالْأَصْحَابِ » .

ثم قال : ولأبي العملاء [المعري] في كتاب (القائف) إحسان
مشهور ، وإبداع كثير موفور . وهو أكثر من كتاب كاملة ودمنة ورّقا ،
وافتح طلقا ، وأطيب شميا وعبقا .

٨٩ — كتاب في القوافي :

مجلد ذكره ابن المديم^(١) ، ولم يسنه .

٩٠ — اللامع العزيزي :

في تفسير شعر المتنبي ، ويقال له « الثأني العزيزي » عمله للأمير عزيز الدولة أبي الدوام ثابت بن ثمال بن صالح بن مرداس . وبعض الناس يقول : إنه وضعه لمعز الدولة أبي شجاع فاتك العزيزي . وليس الأمر كذلك ؛ ومقداره مائة وعشرون كراسة . وذكره في (كشف الظنون) مرة « لامع العزيز » في شرح ديوان المتنبي . ومرة « لامع الغزنوي » وكلاما محرف . وفي (مرآة الزمان) : في شرح المتنبي . وذكر ابن خلكان أنه اختصر ديوان المتنبي وسماه (معجز أحد) وتكلم على غريبه ومعانيه وماأخذه من غيره ، وما أخذ عليه ؛ وتولى الانتصار له والنقد والتوجيه . وقال ابن خلكان : « لما فرغ من تصنيف كتاب اللامع العزيزي ، في شرح شعر المتنبي ؛ وقرئ عليه ؛ أخذ الجماعة في وصفه ، فقال أبو العلاء كأنما نظر إلى بلحظ الغيب حيث يقول :

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدِيمِي وَأَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ يَهْصِمُ^(٢)

واختصر ديوان أبي تمام وشرحه وديوان البحتري وديوان المتنبي ، وسماه : (معجز أحد) . وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها ، وماأخذه من غيرهم وما أخذ عليهم ، وتولى الانتصار لهم ، والنقد في بعض المواضع عليهم ، والتوجيه في أماكن لخطئهم^(٣) .

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء س ٤٠ عن الإصناف والعري . لابن المديم .

(٢) العرب الطيب س ٣٤٣

(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء س ١٨٣ عن الوفيات — لابن خلكان .

ونحو ذلك في (أوج التحري)^(١) . وأكثر من كتب في المعري بعد ابن خلكان احتذى على مثاله .

وكلامه يدل على أن للمعري كتابين في شعر المتنبي ، أحدهما : (اللامع العززي) والثاني : أخصر منه وهو الذي سماه (ممجيز أحمد) ويؤيد هذا أن ابن العديم ، ذكر في كتب المعري كتاباً في معاني شعر المتنبي ، مقداره ست كرارس . كما ذكر (اللامع العززي) ومقداره مائة وعشرون كراسة ، كما تقدم ، وفي القفطي : « اللامع العززي في شرح غريب شعر أبي الطيب » . . وفي الذهبي : « في شرح شعر المتنبي » . فتأمل^(٢) .

٩١ - لزوم ما لا يلزم :

وهو في المنظوم ، بني على حروف المعجم ؛ يذكر فيه كل حرف ، سوى الألف ، بوجوه الأربعة وهي : الضم ، والفتح والكر ، والوقف ، منظوماً .

قال ياقوت : « وهو ثلاثة أجزاء ، أو أربعائة وعشرون كراسة . ويحتوي على أحد عشر ألف بيت من الشعر »^(٣) وفي القفطي وابن العديم : مقداره أربعة أجزاء ، وهو مائة وعشرون كراسة^(٤) . وفي (كشف الظنون) : مائة وعشرون كراسة . وسيأتي الكلام فيه .

٩٢ - زجر التاج :

يتعلق بلزوم ما لا يلزم . وسبب تأليفه أن بعض الجهال تكلم على أبيات من لزوم ما لا يلزم ، يريد بها الشر والأذية ، وطعن عليه فيها

(١) الأوج ليوسف البديعي ص ٢٩ تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني .

(٢) انظر تعريف القدماء الصفحات : ٤٧ ، ٢٠٣ ، ٥٤٠ .

(٣) تعريف القدماء بأبي الملا ص ١٠٥ عن إرشاد الأريب - ليالوت .

(٤) انظر تعريف القدماء الصفحات : ٤١ ، ٥٣٦ .

ففسبه إلى الكفر ، فالزوم أبا العلاء أصدقاؤه كتاباً يرد فيه على من طعن عليه ؛
وبيّن وجوه الآيات ومعانيها ؛ فأنشأ هذا الكتاب ، وهو كله . وهو
جزء ومقداره أربعون كراسة .

قال ياقوت : « ومن غير خطة ... شرح الزوم » ، وهو جزء واحد
مقداره أربعون كراسة «^(١) وفي كشف الظنون : زجر النائح ؛ ولعله
محرف عن النايح .

٩٣ — نجر الزجر :

يتعلق بزجر النايح ، وهو أربعون كراسة في قول ياقوت ، والقفطي ،
والذهبي «^(٢) . وثلاثون في قول ابن العديم «^(٣) . واسمه عند ياقوت : « بحر
الزجر » والصواب : نجر الزجر والنجر الأصل ؛ يعني أصل الزجر ، وضعه بعد
الكتاب الأول ، يرد فيه على من طعن عليه في أبيات غير الآيات المذكورة في
(زجر النايح) وبعضها محرفة عن مواضعها ، فيبّين التحريف ، ويبين وجوه تلك
الآيات ومعانيها وفي الميمني : « مقداره عشر كراسات «^(٤) . فتأمل .

٩٤ — راحة الزوم :

كتاب شرح فيه ما في كتاب (لزوم ما لا يلزم) من الغريب ومقداره
مائة كراسة «^(٥) .

٩٥ — كتاب الراحلة :

ثلاثة أجزاء في تفسير (لزوم ما لا يلزم) كما ذكره ياقوت «^(٦) .

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٠٥ عن إرشاد الأريب .

(٢) انظر تعريف القدماء الصفحات : ١٠٥ ، ١٢ ، ٢٢١ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٣٧ عن الإخفاف والتجري .

(٤) أبو العلاء وما إليه ص ٢٧٥ وفيه : « بحر الزجر » .

(٥) ذكره القفطي وياقوت والذهبي وابن العديم وغيرهم ، انظر تعريف القدماء

الصفحات ٤٢ ، ١٠٩ ، ٢٠٢ ، ٥٣٧ .

(٦) تعريف القدماء ص ١١١ عن إرشاد الأريب .

٩٦ — مبهج الأمراء : لأبي العلاء ، مكذا قال في كشف الظنون ؛
ولم يبين ما هو .

٩٧ — مثقال النظم : في العروض ، جزء واحد (١) .

٩٨ — مجد الأنصار : في القوافي . كذا في ياقوت والصفدي . وقال ابن
الديم : « وكتاب في القوافي مجلد » (٢) .

٩٩ — كتاب المختصر الفتحى :

يتصل بكتاب محمد بن سعدان الكوفي النحوي المتوفى سنة ٢٣١ هـ ؛
عنه لأبي الفتح محمد بن الشيخ أبي الحسن علي بن أبي هاشم ، الذي كان أبوه
نولّى إثبات ما ألفه أبو العلاء من جميع هذه الكتب . وجاء في بعض
الكتب : « المختصر الفتحى » وفي بعضها المختصر الفسيحي (٣) .

١٠٠ — كتاب مختلف الفصول : نحو أربعمائة كراسة ، ذكره الذهبي (٤) .

١٠١ — كتاب ملى السيل :

وهو كتاب وعظ ، يشتمل على نظم ونثر على حروف المعجم ، على كل
قافية فصل نثر ، وأبيات شعر ، مقداره كراستان ، وفي كشف الظنون
والقفطي : أربع كراسات ، وقال الذهبي : مقداره ثمان ورقات (٥) ، وقد
طبع هذا الكتاب في مصر .

(١) ذكره ياقوت وابن الدم وغيرهما ، انظر تعريف القدماء ص ١١١ ، ٥٤٠ .

(٢) انظر ياقوت والصفدي وابن الدم في تعريف القدماء بأبي العلاء الصدقات ١٠٤ ،
٢٢٥ ، ٥٤٠ . عن معجم الادباء ، والوفائي بالوفيات ، والإيضاح والتحري .

(٣) ذكره القفطي وياقوت والذهبي وابن الدم وغيرهم . انظر تعريف القدماء
الصفحات ٤٧ ، ١٠٩ ، ٢٠٣ ، ٥٣٩ .

(٤) تعريف القدماء ص ٢٠١ عن تاريخ الاسلام — للذهبي .

(٥) انظر القفطي والذهبي في تعريف القدماء الصفحات ٤٣ ، ٢٠٢ .

١٠٢ - كتاب المواعظ الست :

وهو كتاب لطيف ، سأل فيه بعض الرعاظ ، ومعنى هذا اللقب أن الفصل الأول منه : في خطاب رجل ؛ والثاني : في خطاب اثنين ؛ والثالث : في خطاب جماعة ؛ والرابع : في خطاب امرأة ؛ والخامس في خطاب امرأتين ؛ والسادس : في خطاب نوبة . ومقداره خمس عشرة كراسة ، وفي كشف الظنون : « المواعظ الست » أوله : الحمد لله الذي عرف وفهم .. ، وفي القفطي : « يعرف بمواعظ الست » . وفي الذهي : « مواعظ ، خمس عشرة كراسة ^(١) » . . .

١٠٣ - كتاب ثمر شواهد الجهرة : ثلاثة أجزاء لم يتم ^(٢) .

وقد تقدم أن لأبي العلاء أمالي مقدارها مائة كراسة لم تتم ، ولم يفرد لها اسماً ، منها : « تفسير شواهد الجهرة » .

١٠٤ - نظم أو نظام السور :

وقد تقدم في نظم السور ^(٣) .

١٠٥ - كتاب وقفة الواعظ :

مختصر ، ونقل عن الذهي : « فقه الواعظ » ، وفي بعض نسخ ياقوت : « وقعة » والظاهر أنه (وقفة الواعظ) كما رواه ابن المديم ، وياقوت ، وابن قاضي شعبة ، والقفطي ^(٤) .

(١) انظر القفطي والذهي في تعريف القدماء ص ٤٣ ، ٢٠٢ .

(٢) ذكره ياقوت والمصدي انظر تعريف القدماء الصناعات ١٠٣ ، ٢٧٥ عن إرشاد الأريب ، والوافي .

(٣) انظر ما سبق ص ٧١٤ .

(٤) انظر الذهي وابن الدم وياقوت والقفطي في تعريف القدماء الصناعات ٢٠٢ ،

وذكر له ياقوت كتاباً في الرسائل الطوال ، فيها (رسالة الففران)
بعد أن ذكر ما تقدم في ديوان الرسائل . ونقل عن جماعة من أصحاب
أبي العلاء ، أن له بعض كتب في العرويس والشعر ، بدأ بها ولم تم .
وذكر ابن العديم أن أبا العلاء جمع شعر أخيه أبي الهيثم عبد الواحد
لولده زيد ؛ وقد توفي أبو الهيثم سنة ٤٤٢ هـ . وأنه جمع شعر الأمير
أبي الفتح بن أبي حصينة السلمي ، وشرح مواضع منه في ثلاث مجلدات (١) .
وأنا أقول : لعله جمع شيئاً من شعر أبي الفتح ؛ لأن أبا الفتح توفي
سنة ٤٥٧ هـ بعد وفاة أبي العلاء بنحو ثمانين سنوات . ورثى أبا العلاء
بقصيدته المشهورة التي مطلعها :

الْعَالَمُ بَعْدَ أَبِي الْعَلَاءِ مُضَيِّعٌ (٢)

وقد وجدت مجموعة من شعر الأمير أبي الفتح في مكتبة الأسكوريال
في أسبانيا ، ونُقِلَتْ بالتصوير إلى مكتبة المجمع العلمي العربي بدمشق ؛
وهي تحتوي على (١٧٣) صفحة وفيها (١١٥) قصيدة ومقطعة من
شعره ؛ كلها في مدح الأمير ثمال بن صالح بن مرداس .
ووجدت مجموعة أخرى في مكتبة دار الآثار في بغداد ، وهي أقل
شراً من نسخة دمشق ؛ إلا أنها أجزل فائدة ، وهي مجلدة واحدة .
وقد كتب في الصفحة الأولى منها : « النصف الأول من ديوان الأمير
الجليل أبو الفتح [كذا] الحسن بن عبد الله بن أحمد بن أبي حصينة السلمي » (٣) .
وفي الصفحة الثانية : « بسم الله الرحمن الرحيم . قال الشيخ الأجل
الأوحد أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التتوخي - رحمه الله - :

(١) تريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٤١ عن الإصناف - لابن العديم .

(٢) ديوان أبي الفتح ج ١ ص ٣٧٣ وهي قصيدة تشتمل على ستة عشر بيتاً .

(٣) فام بتحقيق ديوان أبي الفتح بن أبي حصينة الدكتور أسعد طلس وتم نشره مجزأه في
المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٧ م .

الدهر مديد طويل ، يجوز أن يحدث في آخره كما حدث في أوله ، لأن الله سبحانه قدير على الممتنعات ، كلما حكم به فهو آت . تقدست أسماءه ، وجلت نعمائه ، ولا يمتنع أن ينشئ في هذا العصر من الشعراء من هو لاحق بالمتقدمين ، وشبيه بمن سلف من الفحول الأولين . وكان مولاي الأمير الجليل أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة ، سألني أن أسمع شعره ، فقرئ علي ما أنشأه من أنواع القريض ؛ فوجدت لفظه غير مريض . ومعانيه صحاح مخترعة ، وأغراضه بعيدة مبتدعة ؛ وهو وإن كان متأخراً في الزمان ، فكأنه من فرط في عهد السمان . ومن سمع كلامه علم أنه لم يغير شهادة ، ولا خرم في إبداع الكلم سيادة . والحمد لله الذي خص بمداينحه السيد الأجل ، تاج الأمراء ، فخر الملك - أعز الله نصره ، وأعلى ذكره - . وقد جمع الله الألسن على مدائحه كل لسان ، يبلغ مجهود الإنسان : فعيبي يقدر على كلام قليل ، ويبلغ يصل إلى المقام الجليل . وثالث يقتصر على النية ، ويأمل بها بلوغ الأمنية . وما زالت العرب في قديم الزمان تفتخر بالشعر وتجله ، ويمظمه مكثراً الحي ومقله . وإنما عرضت الملوك أمواليها للأعطية ، رغبة في ثناء ، باق ، واستعباد من لا يمنح إلى الإباق . ويتفق في الزمان الواحد شعراء كثيرة ، لا يحمد منهم إلا قول الرجل أو الرجلين .

وقد كان علي بن عبد الله بن حمدان ، أقام سوقاً للشعراء ، وتفرّد بتقريبهم دون الأمراء ؛ فرحل إليه قريبهم والبعيد ، واتمس عنده النوال الرغيب لا الزهيد . فما اشتهر منهم إلا نفر قليل ؛ منهم أحمد بن الحسين المتني ، وأحمد بن محمد النامي ، والحارث بن سعيد المعروف بأبي فراس ، ورجل يعرف بابن كاتب البيكتمري ، وهو أقلهم حظاً في مسير القصيد . ولما كان السيد الأجل ، تاج الأمراء ، فخر الملك ،

مبرزاً في لفهم ، خالص الغريزة من التهم ، يعرف عقود الكلم معرفة الصيرفي - قبض الله له سبحانه من يشفي الغلة ، ويخلص مدى الدهر من الخلة - فحديثه يعبر على الدهور ، وإلى أن يؤذن بنسخ الصور . وقد قال القائل (١) :

يَمُوتُ رَدِيءُ الشَّعْرِ مِنْ قَبْلِ أَهْلِهِ وَجَيِّدُهُ حَيٌّ وَإِنْ مَاتَ قَائِلُهُ

قال الأمير الجليل أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أحمد بن أبي حنيفة السلي - أيد الله عزه - بمدح الأمير الأجل تاج الأمراء فخر الملك ، سيف الخلافة وعضدها ، شرف العالي ؛ بهاء الدولة العلوية ، وزعيم جيوشها المنتصية ، علم الدين ذا الفخرين ، مصطفى أمير المؤمنين ، أبا العلوان ثمال بن الأمير الأجل أسد الدولة ، ومقدمها وناصحها ، أبي علي صالح بن مرداس السلي ، رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة منزله ومنواه . وأنشئت بالرافقة سنة ثلاث وثلثين وأربعمائة :

هَلْ بَعْدَ شَيْبِكَ مِنْ عُذْرٍ لِمُعْتَذِرٍ فَازْجُرْ عَنِ الْغِيِّ قَلْبًا غَيْرَ مُنْزَجِرٍ

ثم ذكر بعدها قصائد يبلغ عددها ٦٢ ، وتزيد بيوتها على (١٧٠٠) بيت . وذكر له قصيدة قالها في شعبان سنة ٤٣٧ هـ وقصائد قالها سنة ٤٤٥ هـ . وفي ص ١٠٣ من هذه النسخة : « شرح ديوان ابن (٢) حنيفة ، للعلامة أحمد بن سليمان الشهير بأبي العلاء المعري - سألحه الله - . »

وفي ص ١٠٤ : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الشيخ الأجل الأوحى أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري - رحمه الله - في شرح القصيدة التي أولها :

(١) البيت لعمل الخزاعي ، انظر السدة ج ١ ص ٧٣ .

(٢) كنا . (ج)

هَلْ بَعْدَ شَيْبِكَ مِنْ عُنْزٍ لِمُعْتَذِرٍ

قوله : ما البيض ، يجوز فيه الرفع والنصب ؛ أما النصب فعلى أن يحمل مفعولا معه ؛ والرفع أجود . وهذا البيت ينشد على وجهين ، قال الشاعر (١) :

فَمَا أَنَا وَالسَّيْرُ فِي مَتَلَفٍ يُطِيحُ بِالذِّكْرِ الضَّاحِطِ

وقوله : عن وجد يخامره ، أي يخالطه ، وأصل ذلك من خمره اللبن . وأصل الخامرة أن تكون بين شيئين يصيب كل واحد منهما الآخر ما يصيبه منه . فأما قولهم : يخامر بمعنى مداح ؛ فأنما يريدون به كالذي يستتر بالخمر وهو ما وارك من شيء . قوله : بشعب تمار ، الشعب : الطريق في الجبال ، وتعار : امم جبل ، وهي تؤنث . قال الشاعر :

أَقْفَرْتُ مِنْ سُرُوبِ قَوْمِي تَعَارُ فَارُومَ فَشَابَةِ قَالِدِيَارُ

والضال : وهو غير مهموز ما ينبت من الصدر على غير شط نهر ، فإن كان على الماء فهو عبري . وأصل الأعشار من قولهم : قدر أعشار ، إذا كانت مكسرة قد تشعبت . ودو من جنس قولهم : جبل أرمات وأرمام . وأما قول الأعشى أو امرئ القيس : « في أعشار قلب مقتل » فقد قيل قولان : أحدهما ، أن يكون من أعشار القدر أي قلبه قد تقطع فكانه أعشار قدر . والآخر أن يكون من أعشار الجنود ، وهي الأنصبياء التي يضرب عليها بالقداح . والرخ : شجر كثير النار ، من قولهم : اقدح بمرخ أو عفار . ثم اشدد بديك أو ارخ . وأصل الحج :

(١) هو أسامة الهذلي وروى : « يرج بالذكر . . . » (ج)

القصد ، يقال : حج القوم الرجل ، إذا كثرت التردد إليه . قال الراجز
يصف فرساً بقوله :

ظَلَّ يَحْجُجُ وَظَلَّلْنَا نَحْجِبُهُ وَظَلَّ يَرْمِي بِالْحَصَى يُتَرَّبُهُ

. . .

وقد نشرت مجلة الجمع العلمي العربي في دمشق في الصفحة ٥٢٦ من
الجزء الرابع من المجلد الرابع والعشرين جملة من كلام أبي العلاء في مقدمة
هذا الشرح ؛ وجملة من الشرح نفسه . وقد نقلنا طائفة من ذلك لنستدل
بها على أمور :

١ — أن الأمير أبا الفتح هو سأل أبا العلاء أن يسمع شعره ، فقرأه
عليه ما أنشأه من القريض . وظاهر هذا أنه سمع كل ما كان نظمته إلى
ذلك الحين .

٢ — من القصائد التي سمعها ما كان نظمها في سنة خمس وأربعين
وأربعائة . ولم يتيسر لنا الوقوف على الشرح المذكور كله ، لنعلم هل
كان فيه ما نظم بعد هذا التاريخ أم لا .

٣ — إن ابن العديم قال : « إنه جمع شعر أبي الفتح وشرح مواضع
منه . . . » . ولعل لفظ « جمع » محرف عن لفظ « سمع » لقول
أبي العلاء في مقدمة الشرح المذكور : « سألتني أن أسمع شعره ، فقرأه
عليّ ما أنشأه . . . » . وهذا يدل على أن شعره كان مجموعاً وقرأه على
أبي العلاء بعد جمعه .

٤ — أن ما تقدم يؤيد ما قلناه من أنه جمع (سمع) شيئاً من شعره ،
لا شعره كله ؛ لأن الأمير عاش بعد أبي العلاء ونظم شعراً ولم يسمعه
أو يجمعه أبو العلاء ، ومنه مرثيته .

٥ — يوضح من الأمثلة المتقدمة ، أن أبا العلاء شرح الكلمات الغريبة ،
وعني ببيان وجوه الإعراب ، وردت الكلمات إلى أصولها ، والإشارة إلى

المناسبة التي بين المعنى الأصلي ، والمعنى الذي يريده الشاعر ؛ ولا نعلم ما في بقية الشرح لنستطيع الحكم عليه .

✱ ✱ ✱

مجموع كتبه وتآليفه

لم تتفق كلمة العلماء على مقدار ماله من الكتب والتصانيف ؛ وإنما كان بينها تفاوت عظيم . فقد قال القفطي ، بعد أن ذكر كتبه : « فذلك الجميع خسة وخون مصنفا . العدد بتقريب ، سوى ما لم يذكره ، أربعة آلاف ومائة وعشرون كراسة » ثم قال : « وأكثر كتب أبي العلاء هذه عدمت ، وإنما يوجد منها ما خرج من المعرة قبل هجوم الكفار عليها ، وقتل من قتل من أهلها ، ونهب ما وجد لهم ؛ فأما الكتب الكبار التي لم تخرج من المعرة فعدمت وإن وجد شيء منها فلأنما يوجد البعض من كل كتاب » (١) . ثم ذكر طائفة من الكتب التي رآها أو سمع بها . وقال ابن العديم بعد أن ذكر كتب المعري : « فذلك جميعه سبع وستون مصنفا » .

وقال ابن حجر في (لسان الميزان) : « إن تصانيفه نحو مائتي مجلد » (٢) .
آخر كتب أبي العلاء :

نوم بعض الأدباء أن آخر ما ألفه أبو العلاء هو شرحه لشعر الأمير أبي الفتح ؛ واحتج لذلك بأن ابن العديم ذكره في آخر ما ذكره من كتب أبي العلاء . وهذا وهم أو باطل ؛ لأن ابن العديم لم يلتزم فيما ذكره من الكتب ترتيب الحنين ؛ فقد ذكر (ضوء السقط) قبل (لزوم ما لا يلزم) و (زجر النابح) و (نجر الزجر) وغيرها وقد قدمنا أنه آخر ما ألفه وخاتمة كتبه .

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ١٨ - ٩٩ : عن إنباء الرواة - القفطي .
(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣١٨ من لسان الميزان وفيه : « وتصانيفه في اللغة والأدب أكثر من مائتي مجلد » .

نقته في تسمية كتبه

لأبي العلاء فوق خاص بتسمية كتبه ، يرمي بها إلى ما يريده من الأغراض . وإذا تأملت أسماء كثير منها تبين لك ما يتوخاه من التسمية . فقد سمى كتابا (تاج الحرة) لأنه في عظات النساء . وسمى كتابا في العروض (جامع الأوزان) وسمى ما أصلحه وشرحه من شعر البحتري (عبت الوليد) وشرح ديوان أبي تمام (ذكرى حبيب) وشرح ديوان المتنبي (معجز أحمد) ، وسمى الديوان الذي فيه شعر الصبا ، وبأكورة شعره (سقط الزند) وشرحه (ضوء السقط) ، وسمى كتابا (لزوم مالا يلزم) ، وسمى الكتاب الذي رد فيه على من انتقده في لزوم ما لا يلزم (زجر النابيح) ، وسمى الآخر (نجر الزجر) ، وسمى كتابا (تظلم السور) ؛ وهكذا جرى في تسمية كتبه . وإذا تأمل الإنسان ما يورثي عنه بهذه الأسماء ، وما يعرض بها ، عرف ما يريده واضعها منها ، ووجد فيها وخزاً ألبا ، وامتناناً عظيماً لخصومه .

على أن أكثر كتبه لم نطلع عليها ، لنفهم ما بين الاسم والمسمى من المناسبة فيها ، تأما ، وندرك الغاية من التسمية التي حملته على أن يسمى (رسالة الضميين) و (الصاهل والشاحج) و (القائف) وما أشبهها . ومع ذلك فإن القدر الذي عرفناه من بعضها كاف في الدلالة على أن المعري ذوقاً لطيفاً ومغزى دقيقاً في تسمية الكتب .

نقته في أشغال كتبه وأوضاعها وأساليبها

لأبي العلاء خيال واسع ، وفكر جوال ، وقريحة فياضة ؛ وهو حي تام في خياله وفكره وقريحته ؛ نزاع إلى الابتكار والتجديد في كل شيء ؛ مولع بالافتتان في كل أثر يحدته . ولما نجد له كتاباً أو رسالة أو

قصيدة ليس عليها مسحة من ابتكار وقفن ، سواء أكان ذلك في صوغ
الأثر وترتيبه ، أم في معانيه وأخيلته .

وإذا تأملت ما سبق ذكره من كتبه ، على قلة ما عرفنا حقيقته منها ،
لم تجدها كلها مطبوعة على غرار واحد ، من حيث التأليف والترتيب
والأسلوب والشكل ؟ بل لا تسكاد تجد اثنين منها على نبط واحد .

فمنها ما ألفه على غايات وفصول على حروف المعجم .

ومنها ما بناه على الهزمة والردف ، وعلى الهزمة في حالة انفرادها وإضافتها .
ومنها ما التزم فيه ذكر آية أو أكثر من آيات القرآن الكريم عند
انقضاء كل فصل .

ومنها ما التزم في آخر كل فصل منه بآه التأنيث ، أو الكاف ، أو
النون بعد ياء التأنيث .

ومنها ما التزم فيه على كل حرف من حروف المعجم خمس سجعيات
مضمومة ، وخمساً مفتوحة ، وخمساً مكسورة ، وخمساً موقوفة .

ومنها ما جعل الفصل الأول منه في خطاب رجل ، والثاني في خطاب
اثنين ، والثالث في خطاب ثلاثة ، والرابع في خطاب امرأة ، والخامس
في خطاب امرأتين ، والسادس في خطاب نسوة .

ومنها ما جعله عشر سجعيات على كل حرف من حروف المعجم .

ومنها ما التزم فيه قبل الروي ما لا يلزم من الحروف .

ومنها ما جعله على ألسن سور القرآن الكريم .

ومنها ما هو على لسان مَلَك أو ملائكة .

ومنها ما هو على لسان ألسنة الخيل .

ومنها ما هو على لسان بفل وفرس .

ومنها ما هو على ألسن الحمام ، والمصفور ، وغيرها من الطير .

إلى غير ذلك مما تقدم ذكره . ومنها رسائل أو كتب لم نطلع عليها لنعلم ما هي (كأدب المصغرين) . و (الضممين) وغيرهما . ولكن هذا القدر القليل الذي رأيناه في رسائله وكتبه التي وصلت إلينا ، أو عرفناه من التعريف بها ، يدلنا على أن لأبي العلاء خيلاً خصباً ، وفكراً فياضاً ، وذوقاً سليماً ، وقدرة على أن ينفث في روح الجهاد أو الحيوان الأعجم حياة وشعوراً ، ويبعث في كل منها عقلاً حتى ينطق بالحكمة الرائعة والكلم الطيب . وأنه يستطيع أن يفرغ كل رسالة أو قصيدة في قالب بديع تصبو إليه النفوس . ويلبس كل موضوع حلة قشبية تأخذ بجماع القلوب . وأنه مطلع على كل علم ، مضطلع بكل فن .

عنايته بأثره

عرف أبو العلاء ما لآثاره من القيمة العلمية والأدبية ؛ وعرف أن الناس يحدونه على فضله ؛ وأنه لا يسلم من كيد الحساد . وعرف أن غيره لا يحسن التصرف بآثاره كما يحسنه هو ؛ وأن كثيراً من الناس لا يستطيع أن يدرك مراميهِ البعيدة ، ومقاصده الدقيقة ، وخشي أن يقع منها شيء إلى قليل المعرفة أو كثير الكيد والحسد ، فتولى بنفسه ترتيبها ، وتبويبها ، وتفسير المبهم وإيضاح المشكل منها ؛ حتى لا تبعث بها أيدي الجهال أو الحساد . ولذلك نراه شرح سقط الزند ، ومواطن من اللزوم ، وفسر كثيراً من الفصول والغايات وغيرها مما يخشى عليه التلاعب والعبث والجهل . وتولى الرد على الطاعنين فيها ، أو العابثين بها ، أو المحرفين الكلم عن مواضعه فيها .

ولقد أحسن صنماً بذلك إلى نفسه وإلى أدبه ، وإلى الأدب العربي عامة . غير أن الأيام لم تحسن إلينا ، فذهبت بمعظم تلك الأعلاق النفيسة ، والمقائل الكريمة ، وفشت بذلك مجالاً واسعاً لالشك والطعن فيه ، وأوقعته فيما كان يخاف منه ويحذره .

المفاتيح السرية

الكلام في نشره

الشاعر أو الكاتب يستمد معانيه وأخيلته من فيض خاطره ، ومن وحي الطبيعة والبيئة التي تكتنفه ، ويحتذي أسلوبه على مثال الزمن الذي 'يظله' . وإذا رزق حظاً من المبقرة والنبغ ، تنق لنفسه طريقاً جديداً ؛ ولكنه لا يستطيع أن يتجرد من هذه المؤثرات ، ولا أن يعتمد عنها كل البعد ، مهما حاول ذلك .

وقد ترك أبو العلاء لنا آثاراً نثرية ، وآثاراً شعرية ، طبع في كل منها على غرار عصره ، واتخذ لنفسه في كل منها طريقاً طريفاً ، ومنهاجاً مبتكراً . ولكنه لم يستطع أن يتجرد عن تأثير البيئة والزمن ؛ فحماه أسلوبه جامعاً بين القديم المتبع ، والحديث المبتدع . وقد أردنا أن نبين طريقته ، ونذكر خصائصها ، ونواحي التجديد فيها ؛ وما يتوقف على ذلك ، وما يتوقف ذلك عليه ؛ ليسهل على الدارس معرفتها بوضوح واختصار . ولما كان النثر مقدماً في الوجود على النظم ، قدمنا الكلام فيه كما ترى .

نثر أبي العلاء

ظهر أبو العلاء بعد منتصف القرن الرابع للهجرة ؛ وهو الزمن الذي انتهت فيه ترجمة علوم اليونان ، وحيكم الهند ، وآداب الفرس .

ونضج فيه العقل العربي ؟ واستيقظت فيه أفكار الأمة ، وزخرت بحور العلم والأدب ، ونزع الكتاب والشعراء إلى الترف الأدبي ، والتنافس في التأنق والزخرفة ؟ حتى يكاد الإنسان يظن أن كل كتاب أو قصيدة معرض بين فيه صاحبه ما لديه من براعة وقدرة ، ويظهر ما عنده من حذق ولباقة .

وكانت جهرة الكتاب فيه تسير في صناعة الإنشاء على الطريقة التي ارتضاها أعلام الكتاب في ذلك العهد ، كابن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ هـ ؛ وأبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣ هـ ؛ والصاحب ابن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ؛ وبديع الزمان أحمد بن الحسين الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ وأشباههم . وإنما استعذبوا هذه الطريقة لما فيها من الطرافة والوحي والتنميق والأخيلة ، ولأنها كما قيل : شعر لا ينقصه إلا الوزن .

وقد حاول أبو العلاء أن يقتفي أثر هؤلاء ؛ ولكن غزارة علمه ، وحدة ذهنه ، وسعة خياله ، اضطرت إلى أن لا يتقيد بهذه الطريقة من كل وجه ، وأن يتخذ لنفسه طريقة جديدة يكون أبا عذرتها ، شأنه في كل شيء . وقد جثم نفسه عناء كبيراً ، وألزمها ما لا يلزمها من جراء ذلك . واليك بيان أسلوبه في نثره ، وخصائصه ؛ وما اشتمل عليه من الأغراض والمقاصد ، وما تضمنه من الصناعات البديعية والمسائل العلمية وغيرها .

لفظه ، ألفاظه المفردة

ذكرنا فيما سبق أن أبا العلاء كان يحفظ كثيراً من مفردات اللغة ؛ واستدلنا على ذلك بالبيتين الذين رواهما خلف الأحرر لأصحابه ، ثم غيّر أبو العلاء حرف الروي فيها على جميع حروف الهجاء (١) .

(١) هما بيتا النسر بن ثوب ، انظر ما سبق من ٦٠٥ الحاشية (١) .

وبما صنعه تلاميذه حين وضعوا بعض الألفاظ ليختبروا علمه فيبينها لهم^(١) .
وبما ذكره^(٢) في (رسالتي الملائكة والففران) وبقية كتبه ، ورسائله التي
وصلت إلينا ، وهي قل من كثر . وبقوله في مجلس الرضى : « الكلب
من لا يعرف للكلب سبعين اسما » . وبقول أبي زكريا التبريزي فيه :
إنه « يعرف كل ما تكلمت به العرب » . ونحو ذلك مما يدل على سعة
اطلاعه وحفظه .

وذكرنا أنه كان يحفظ كثيراً من أقوال البلغاء . وبيننا جملة من
الدواوين والكتب التي اطلع عليها . وأنه كان كثير الممارسة للتفة بسبب
الدراسة والتأليف . فكان لا يجد من الوحشة والغربة في كثير من الألفاظ
ما يجده غيره ممن هو أقل منه حفظاً واطلاعا ، وأتزر دراسة ومراسا .
وإن ارتياحه للجمع ، والمزاوجة بين الكلمات في النغم والجرس ،
والمطابقة والمقابلة ، وحب التورية والجناس ، وما مائل ذلك من الصناعة ،
حب إليه الإكثار من الألفاظ التي يقل تداولها . وربما كان يعتمد ذلك
أحيانا ليدل على معرفته ؛ لأنه كان يشرح بعض الألفاظ حتى في رسالته
الأخوية . ولم تكن كل كلماته غريبة بالنسبة إلى معاصريه ، لأن التاريخ لم
يحدثنا أن أحدا طلب منه إيضاح رسالة كلها أو بعضها ؛ ولا قصيدة أو
قطعة بأسرها من كلامه ، لغربة ألفاظها ؛ وإنما يستوضح منه اللفظ والمعنى .
وربما تعسر عليه وجود مرادف أسهل وأنس مما ذكره ، وهذا سبيله
في نثره ونظمه . وقد زعم فريق أنه كان يعتمد إيراد الوحشي والغريب
ليخفي تحته مقاصده ؛ وقد بيننا بطلان ذلك في الكلام على النقيصة ،
وذكرنا أنه استعمل السهل المأنوس ، والواضح المشهور في أمور هي أجدر
من غيرها بالإخفاء والتقية .

(١) انظر ما سبق ص ٦٠٣ .

مفصّل نثره

لا نريد مخصّص نثره أن كل واحدة ، بما سنذكره منها ، لا توجد في كلام غيره على الانفراد ؛ وإنما نريد أن مجموع هذه الخصائص تمثل لنا طريقته في نثره . ولا نرى من نوّفت جيمها في طريقته غيره . وهذه الخصائص كثيرة منها :

السجع

كأيف كتاب هذا المعر بالسجع ، واستطابوا نفقته ، ففشى في جميع الطبقات ؛ حتى كان سبباً في انحطاط الكتابة وتأخرها ، لأن بعض الكتاب استجاز لنفسه ما لا يجوز من أجله . وقد غري به أبو العلاء ، وقلتها نخل عنه حتى في كتبه المطولة ؛ ولعله كان يطرب لتقارب الحروف ، ووافق التبرات ؛ ويأنس سمه لوقعها . فيه ، ويمجبه مثل قوله : « إذا حاق القضاء ضاق الفضاء . صف النخيل ، خير من إسفاف البخيل » . وكثيراً ما اضطره السجع إلى تقديم ما حقه التأخير ، والإطناب في مواضع الإيجاز ، وإثارة الغريب على المأنوس المتداول . على أن قوله في (رسالة المنيع ص ١٢) : « قد كان فيمن مضى ، قوم جعلوا الرسائل كالوسائل ، وتزينوا بالسجع تزوين المَحْوِل بالرجع »^(١) . . . « يشعر بأنه لا يستحسن السجع .

(١) رسائل أبي العلاء لأعين عطية .

(٢) المحوّل : المي أنى عليه حول ، والرجع : خطوط الوم .

صناعة البديع

البديع في نثره ، الجناس :

لأبي العلاء ولم شديد بأنواع من البديع ، فهي تصاحب الجمع في كلامه ، لا سيما الجناس ؛ فإنه يكثر في كلامه .

وربما جره حرصه عليه إلى استعمال كلمات ، في المأنوس التداول ما يفتني عنها ، كقوله : « أَيْنَ النَّشْرَةِ مِنْ النَّشْرَةِ وَالْفَرْقَدُ مِنَ الْفَرْقَدِ » .
وقوله : « الساعي في أثره فارس عسا بصير ، لا فارس عسا قصير »^(١) .

لزوم ما لا يلزم :

ولزوم ما لا يلزم ، كقوله في رسالة المنيع : « المعنى الحسير ، في الوزن القصير » ، « إِنْ تَخَزَلَ حَمْنِ الْعُودِ أَوْ تَجَزَلَ فَهَدِيرُ الرَّعْدِ »^(٢) .

الترصيع :

والترصيع ، كقوله : « ضب الأفن ، لعب الصافن » .

الطباق :

والطباق ، كقوله : « راض صباب الأغراض حتى ذللتها ، فصار حزن كلام العرب إذا نطق به سلا » ، وقوله : « قبض ما شاء ربط ، وقسط وما أقط » .

(١) النثر : للفرج الرواسي ، وكوكبان في السه ، والنثر : وله البقرة الوحشية ، ولجم في السه . وصا البصير : مكاز الأمل ، وصا الثانية : اسم فرس بصير بن سعد الهنسي . ونس من رسالة الإنخريص (ج) انظر الرسائل لتاجين عطية ص ٤١ .

(٢) رسائل أبي العلاء - لتاجين عطية - ص ١٤ .

ومراعاة النظر : كقوله : « خلص من سبك النقد ، خلوص الذهب من الذهب » .

والاقتباس من القرآن الكريم : كقوله في كتابه لحاله أبي القاسم : « كتابي . . . من معرة النعمان ، ولكل ذباً مستقر ^(١) » .
وقوله من كتاب لأبي طاهر :

« . . بشرى تخيف لها الأحلام ، خفة القائل ولا ملام :
با بشرأي هذا غلام ^(٢) . . » .

وقوله في رسالة الهناء : « ولو جاز أن تذشق الطامية لغير الكلام ، لا نفرق لجتها له غير ملين . وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين ^(٣) » .

الاستطواد : عرفه جلال الدين القزويني في (الإيضاح المختصر تلخيص المفتاح ص ٢٥٢) بأنه هو : « الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به ، ثم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني . . . وقد يكون الثاني هو المقصود ، فيذكر الأول قبله ليتوصل إليه » .

ونقل ابن حجة في (الخزانة ص ٥٥) عن ابن المعتز تعريفه وتفسيره . وهذا النوع كثير في كلام أبي العلاء ، منه قوله في (رسالته إلى أبي عثمان النكتي ص ١١٣ ^(١)) من رسائله : « وأما النقص فقليل » ، كقيلة العقل . ثم أورد بيتين لابن قيس الرقيات ^(٢) ؛ ثم ذكر أنه كان

(١) رسائل أبي العلاء - شاهين عطية ص ٦٧ وآية « ولكل ذباً مطر » في الأنعام ٦٧/٦

(٢) المصدر السابق ص ٨٦ وفيها : « بشرى لها تخف . . وآية « يا بعراي هذا غلام » في يوسف ١٩/١٢

(٣) انظر ما سبق ص ٧٣٧ والآية « وغيض الماء . . . الظالمين » في هود ٤٤/١١

(٤) الرسائل - لشاهين عطية ص ١١٣ - ١٢٥ .

(٥) هما : ألا تبلغ أبا إسحاق أني رأت الباق دهماً مصنات
أري عني ما لم ترأياه كلانا عارف بالزعمات

يعرف قومه المختار فَحَدَّثَ في المَسْكَر أنه رأى قوماً على خَيْنٍ
'بَلَّتْ' ، يقاتلون مع أصحاب المختار ... يوم أنهم الملائكة ... ثم عاد
إلى رواية ما في البيت الثاني منها من النقص . وقال فيها : وعرفني أنه
من أهل البصرة .. ثم ذكر ما قيل في البصرة ، وأن أهلها ينسبون إلى
قلة الحنين ، ثم عاد إلى موضوعه الأول .

وفي (الفصول والغايات) ورسائله الأخرى كثير من هذا النوع .
وفي (رسالة الغفران) ذكر الحماسة ومرادفاتها ، ودنانير ، والثمانين ؛
وكان يذكر لكل لفظ ما يتعلق به ثم يعود إلى موضوعه الأصلي .

الأمثال وما يجري مجراها

في كتب أبي العلاء ورسائله عدد عظيم من الأمثال ، وما جرى
مجراها من الحكم الرائعة ، والكلام الطيب . وليس استعمالها في كلامه
على نمط واحد ؛ وإنما يأتي تارة بالمثل على الوجه الذي ورد فيه ، بلا
زيادة ولا نقص ولا تغيير . كقوله : « السعيد من وعظ بغيره . المصيف
ضيعت اللبن » .

وتارة يتصرف فيه بزيادة أو نقص بحسب الاقتضاء . كقوله : « يحول
الجريض دون القريض ^(١) . غير أن الرائد لا يكذب أهله . شفتة
من أخزم ^(٢) » .

(١) الجريض محركة : الرقيق والنصص ومنه الجريض ، وأجرته بريجه : أخفه .
والقريض : الشعر ، وحال الجريض دون القريض : مثل بضرب لأسر يموت
دونه عائق .

(٢) من رسالته إلى خاله . والشفتة بالكسر : الطيبة والماندة . أخزم : هو ابن أبي أخزم
الطائي جد حاتم أو جد جده ولد مات أخزم هذا وترك فيه فؤبوا يوماً على
جدم فأدموه فقال :

إن بني رملوني بالدم من يلق آساف الرجال يكلم
ومن يكن دره به يقوم شفتة أعرفها من أخزم
الحبيط (خزم) . وانظر الرسائل - إنجان عطفة ص ٧٥

وأحياناً يضيف من كلامه إلى المثل ما يقاربه في الغرض المقصود منه ؛
ويكسبه جالاً في اللفظ ، وسعة في المعنى . كقوله : « فإذا أعطيت
القوس بارياً ، والحيل فوارساً ، والقناة مصرفاً ، دحضت قدم الباطل
بثبات الحق » .

وقوله في كتابه إلى خاله : « عادت لعتريها ليس ، وذَكَرَ وجاره
ثُعالة ^(١) .. » وقوله : « ولكل مقام مقال ، ولكل أوان ثرة ، وفي
كل واد سمرة ^(٢) » .

وقد يسرد جملة من الأمثال كقوله : « لنفسي أقول : أعينني بأثر
فكيف بدُرْدُرٍ ؛ وعصيتني من شبه إلى دب . ليس بعُشْكٍ فادرجي ... » .
ومن استقرى ما في آثاره التي وصلت إلينا من الأمثال ، يعتقد أنها
استوفت معظم الأمثال . وهذا يدل على كثرة حفظه واطلاعه ؛ وعلى
قدرته على التصرف ، والاستشهاد بها ، متى أراد ، وفي أي موطن أراد .
وكثيراً ما يأتي بجملة أو جل تصلح أن تكون مثلاً أو قرينة من
المثل ؛ كقوله : « إذا حاق القضاء ، ضاق الفضاء . يَنْفَدَ الثَّغَبُ
بِالنُّغَبِ ^(٣) . أبي الجهمود قبول الطبع المحمود . ليس للـتـعير أن
يحب العارِية هبة . إنا نضل الطور بالكلم ، والمقام بأبراهيم . أوفاك
مُثَرٍّ ما أسديت ؛ وجزاك معترف الذي أوليت . - حال الفصص
دون الفصص » .

(١) الرسائل - لشاهين عطية ص ٧٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٧١ .

(٣) الثَّغَبُ : غدير في ظل جبل . وأكثر ما يفي من الماء في بطن الوادي .

والنُّغَبُ : جمع نُغْبَةٍ الجرعة . (ج)

ربما لا ريب فيه أن أبا العلاء أكثر الكتاب ضرباً للأمثال ، وإرسالاً
للفل والحكمة ، ولو كانت كلها مأنوسة الألفاظ ، بريئة من كلفة السجع
لكان منها خير ذخيرة ، وأعظم عدة للمتأدب . وقد تقدم أن له كتاب
(القائف) يذكر فيه أمثالاً على معنى (كناية ودمنة) ولم يتح لنا
الاطلاع عليه كله ، لنعلم ما هو ونعرفه .

التاريخ

يلجح بمض الكتاب في رسائلهم إلى شيء من الحوادث العظيمة في
التاريخ ؛ ويذكر بعضهم رجالاً اشتهروا فيه بوقائع مشهورة . ويمكن
أبا العلاء أكثر من ذلك حقاً بخيل إلى الواقف على بعض كتبه أنه تاريخ
ناطق بما وقع في الأيام الغابرة والحاضرة ، وأنه غير مبالغ في قوله :

مَا كَانَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بَنُوزَةٌ إِلَّا أَوْعِنْدِي مِنْ أَخْبَارِهِمْ طَرَفٌ^(١)

ولذلك نرى في نثره الذي انتهى إلينا ، على قلته ، حظاً وافراً
للتاريخ ؛ ويتمثل ذلك لك في (رسالة المنيع)^(٢) فقد أشار فيها إلى
موسى عليه السلام وآياته التسع ، وإلى إبراهيم ومقامه ، وآدم ، وما يزعم
الناس في أصل الطيب ، وإلى سليمان والهدد ، وشداد بن عاد وغيره .
وفي (رسالة الإغريض)^(٣) حيث ذكر أخا نمر ، وقصيرا ،
والعسا ، وعذرة ، وامراً القيس ، وإخوة يوسف ، وبني سدوس ،

(١) اللزومات ص ٢٩٠ .

(٢) اظر الرسائل - لشايعن عطية ص ٥ - ٣٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٥ - ٥٣ .

و [بني] عبد المدان وسباً ، وبني المنذر ، وعمر ، والثريا . ونحو ذلك
بما اشتملت الرسالة المذكورة عليه .

وفي كتابه الذي أرسله إلى خاله يعزوه بأخيه ، حيث ذكر الأنبياء
من آدم إلى محمد ﷺ ؛ ثم ذكر مصارع ملوك حمير ، وطسبا وجديس ،
وتغلب الحبشة على اليمن ، وجلاءهم عنها ، وملوك العرب في الشام والحيرة ،
ثم ملوك فارس . وذكر جماعة ممن اشتهروا بالجود ؛ وطائفة من الأبطال .
وهذه الرسالة تشبه أن تكون تاريخاً للعظماء . ولا أعرف رسالة توسع
صاحبها فيها بذكر الحوادث المتعلقة بالإنسان والحيوان والطير كهذه الرسالة^(١) .

المسائل العلمية وما اصطلاح عليه العلماء

أكثر أبو الملاء في رسائله من ذكر الأسماء التي اصطلاح عليها أهل
العلوم المختلفة ، والإشارة إلى المسائل العلمية . ففي (رسالة المنيع)^(٢)
ذكر الفاعل ، والمبتدأ ، والخفض ، وهاء العدد ، وما أشبه ذلك من
مصطلح النحاة .

وذكر الضرب ، والطويل ، والمنسرح ، والوافر ، والقبض ، والخبيل ،
والمعصب ، وما شاكل ذلك من مصطلح العروضيين .
وذكر الحروف المذلفة ، والمطبقة ، والشديدة ، والرخوة ، والجهر ،
والهمس ، ونحوها من مصطلح الصرفيين والقراء .

وفي (رسالته إلى أبي الحسين النكتي البصري)^(٣) ذكر من مسائل
العروض ، والقوافي ، والنحو المتعلقة بالأسماء والأفعال والأعلام ، وحروف
المعاني ، ما يحمل القارئ يظن أنها رسالة في العروض والقوافي والنحو .

(١) انظر هذه الرسالة في رسائله شرح شاهين ، طبة من ١٥٧ - ٢١٣ .

(٢) انظر الرسائل - شاهين طبة من ٥ - ٣٥ .

(٣) انظر رسالته هذه في الرسائل - شاهين طبة من ١٠٥ - ١٥٢ .

وقد يجد المتأمل في (رسالة الففران) كثيراً من مباحث اللغة والاشتقاق ، والصرف والنحو . وفي (الفصول والغايات) مباحث جلية في هذه العلوم ، وفي الموسيقى وغيرها . بما يدل على أن أبا العلاء استطاع أن يخضع العلم للنثر كما أخضعه للنظم . وأن يكثر من الإشارة والتلميح إلى مسائله وأحكامه .

النجوم

في القدر الذي وصل إلينا من آثار أبي العلاء ، على قلته ، ما يكفي للدلالة على أنه كان واسع الاطلاع في معرفة النجوم ، وما يتصل بها مما هو معروف في عصره مستطاع مثله . وأنه يجيد استعمال أسماءها وما إليها في كلامه . ففي (رسالة المنيع) ^(١) ذكر الشمس ، والقمر ، والسمي ، والففر ، والجوزاء ، والجبهة ، والقطب ، والنسر ، والمشتري ، والزهرة ، والسرطان ، وزحل ، والسماك ، والعيوق ، وسهلا ، والنعام وغيرها . وفي (رسالة الإغريض) ^(٢) ذكر كثيراً من غير ما تقدم ، كالثريا ، والبطين ، والشرطين ، والرشاء ، والنثرة ، والفرقد ، وسعد الأخيبة ، وغيرها . وفي (ج ١ ص ٣٩٤ من الفصول والغايات) ذكر طائفة كبيرة منها ، وهو لا يذكر كوكباً حتى يوطئ لذكره ، ويحكم المناسبة لوضعه ، ويحسن استعماله فيما يريد من الأغراض ، وما يتوخاه من التكت البديعية كالجناس والتلميح والتورية وغيرها .

(١) انظر الرسائل - لاهين عطية ص ٥ - ٣٥ .

(٢) للمصدر السابق ص ٣٥ - ٥٣ .

الترادف

يظهر للتأمل أن أبا العلاء كان يحب أن يظهر ثروته الأدبية والعلمية واللغوية في كل موطن ؛ وأنه يروقه تعاقب الكلمات المزدوجة في الوزن ؛ ويسره تتابع الألفاظ المتقاربة في الجرس ؛ ويطربه تقوية المعنى الواحد بإيراده في صور مختلفة من الألفاظ ، وأن في ذلك كله مظهراً من مظاهر الترف العلمي ، والقدرة على الافتنان في الألفاظ والمعاني .

فترى مثل قوله ^(١) في رسالة كتبها إلى صديق له سأل أن ينقصه في ترتيب المكاتب : « فإذا أعطيت القوس باريها ، والخييل فوارسها ، والقناة مُصَرَّفها ... » وقوله فيها : « ولما كان هو وسيدي قرين في طفاوة ، وشمين في هالة ، وبُشْرِيَّيْن في كلمة ... » وهو يريد من قوله الأول : إذا أخذ الشيء من يستحقه . وهذا القدر يحصل من قوله أعطيت القوس باريها ، أو من إحدى المجلتين اللتين بعدها . ويريد من الثاني : أنها في منزلة واحدة ؛ وهذا المعنى يحصل من قوله : قرين في طفاوة ، أو ما بعده .

ومن هذا النوع قوله في كتاب يشفع فيه في عامل يعرف بأخمين بن عنبه : « فانا ... وهذا الرجل فَرْعاً سَمُرة ، وقضيباً أراككة ، وطائراً وكر ، وأليفاً واد ؛ تنصرونا الغمامة الواحدة ، وتقضي لنا اللعة الفاردة ؛ بل نزيد على هذا التمثيل فنكون بناني يد ، وريشتي جناح ، وشعبي غصن ، إذا أماله النسيم ملت » ، وإن اعتدل له اعتدلت ^(٢) وهذا كثير في كلامه ، والحصول عليه ليس بالأمر السهل ؛ لأنه يحتاج إلى فكرة وقادة ، وقريحة فياضة ، وحافظة لا يفيب عنها شيء ،

(١) الرسائل - لتأمين عطية ص ٦٢ ، ٦٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٨ .

واطلاع واسع ، وقدرة على الانتقاء والتأليف ، ومراعاة الجعم والجناس ونحوه ؛ وإلى ذوق سليم يحسن جمع الشيء إلى ما يشابهه أو يقاربه ؛ ويحكم المناسبة بين الشيء ونظيره ، وقلماً تيسر هذا كله لغير أبي العلاء . وإكثاره من ذلك دليل على أنه أوتي من المواهب الفطرية والكسبية ما لم ينس لغيره ؛ ولذلك حسدته الناس على فضله .

الاستقصاء

من آثار ثروته اللغوية والعلمية ما تراه من الاستقصاء في البحث ، وذكر المتشابه ، والمتقارب ، والمضاد ، والمخالف ، وما أشبه ذلك . فقد تفر به الكلمة فيلح عليها بالبحث ، حتى لا يكاد يدع شيئاً يتعلق بها أو يحكمها إلا أتى عليه .

وأظهر موطن رأيته يتجلى فيه ولعه بالبحث والتحقيق ، وقدرته على التقصي وإيراد الأشباه والنظائر ، والشواذ والنوادر ، والاستشهاد على كل ما يورده من الأحكام المولفة والمخالفة ، (رسالة الملائكة) فلما تدل على أن صدره وعى كل شيء ، وحافظته لم يفتها شيء ، وذاكرته لم يغب عنها شيء ؛ وإذا رجعت إلى ما كتبه فيها في « اباك » و « ميهين » و « آبة » و « امم » و « اثنين » و « سيد » وجدت أعظم مما تتوقع . وذكر في أول (رسالة الغفران) لفظ « الحاطة » ثم أتبعه بلفظ « الحضب » و « الأسود » و « الأبيض » وفسر كل واحد منها ، وبين ما يتعلق به ، واستشهد لقوله وقال : « إن في منزله لأسود » وعلى ذكر الأسود سرد طائفة من أسماء من اشتهر أو اتصف بالأسود ، أو سويد ، أو سودة . وذكر جملة من معاني الأبيض في (ص ٨) (١)

(١) هذه الصفحات وما يتلوها مما يجبل إليها المؤلف في الرسالة طبعه أبين من سنة ١٣٢١ .

وذكر في (ص ١٩٥) منها كلمة « الدنانير » وعلى ذكرها نذكر دنانير مصر التي قالها معاوية لعمر بن العاص . والدنانير التي ألغز عنها الشاعر ، والدنانير التي ذكرها في شعره كل من المرقش ، والناطقة الجعدي ، ورداد الكلابي ، وابن قيس [الرقيات] ، وقيس بن الخطيم ، وربيع بن المكدم ، وسحيم ، والأخطل ، والضي ، والمنني .

وذكر آية من القرآن الكريم فيها لفظة الدينار وأبيانا من الشعر ذكر فيها الدينار أو الدنانير ؛ وأشار إلى الحوادث المرتبطة بها . كما ذكر دينار النخعة وهو ما يأخذه المصدق إذا فرغ من الجباية . ولو شاء الإنسان أن يجعل بما أورده في الدينار أو الدنانير رسالة مستقلة لاستطاع . وبعد أن ذكر ذلك عاد إلى غرضه الأول في رسالة الغفران .

وفي (ص ٢٠١) ورد في عرض كلامه لفظ « الثمانين » فذكر أبياتا فيها لفظ الثمانين لكل من الأعشى ، وعروة بن حزام ، وللعولوي البصري ، والصنبي ، وهام بن غالب ، وعوف بن الحلم ، والعتريف ، وذكر مثلا فيه لفظ الثمانين ، وقرية تعرف بثمانين . وفي (ص ٢٠٤) ذكر « الأخت » وأورد طرفا مما يتعلق بهذا اللفظ . وفي رسالة الغفران كثير من مثل ذلك .

وقد برر بالكلمة فيذكر جملة من المعاني التي وضعت لها ، أو المواطن التي استعملت فيها ، أو المعاني التي يجب أن تصرف إليها وتحمل عليها . كما ترى ذلك في لفظ (التاج) ، (والفريد) ، (والقضيب) ، (والمرجان) [وهي أسماء] كتب ابن الراوندي التي ذكرها في (رسالة الغفران ص ١٥٢) فما بعدها . وقد يناقش العلماء أو الشعراء ؛ ويبين مواضع الضعف فيها ذكره ؛ كما ترى ذلك (ص ٣٨) في لفظ « بعض » ولفظ « تأتاله » الآتي ذكرهما في مبحث النقد في كلام لبيد .

وكلامه في (رسالة النفران في ص ٩٩) في لفظ « البواسن » ،
وفي (ص ٧١) في كلمة « إوزة » وفي (ص ١٩٠) في لفظي
« أنطاكية رملطية » يشعر بأنه كان مولماً بالبحث عن أصل الكلمات
الذي اشتقت منه ، وعن أوزانها . وكذلك قوله في كلمة « ميهة وإياه »
وأفامي وإنسان » .

وفي (الفصول والغايات ص ٨٩) تصدى إلى ذكر الثقل والخفيف
من طرائق الغناء ، فاستوفى أقسامها وأوزانها . وفي (ص ٩٠) تعرض
إلى ذكر « الألف » فاستوفى أحكامها متوسطة ومنهية . وذكر « الفاصلة
الكبرى » فأفاض في العروض من (ص ١٣١ إلى ص ١٣٩) ثم عاد
إلى الكلام فيه من (ص ١٤٤ إلى ص ١٤٦) ومن (ص ٣١٨ إلى
ص ٣٢١) .

وفي جوابه إلى أبي الحسين النكتي استوفى كل ما يتعلق بتفسير الأسماء
وقصرها ومدها ، وما يعترضها من الضرورات . كما بينا ذلك في مواضعه ؛
وفي كتبه كثير من مثل هذا .

الخيال في شعره

١ لا نغالي إذا قلنا : إن أبا العلاء أخصب الكتاب خيلاً ، وأبرعهم
في إحكام الصور التخيلية والتفنن فيها ؛ وسيأتي في شعره ما يدل على
مدى خياله في النظم .

أما نثره فإن ما جاء ثامنه قليل ، وهو ، على قلته ، يدل على أن مداه
واسع ، وأن فيه قدرة على ابتكار الصور الرائعة . وأظهر موطن يمثّل
ذلك — فيما رأيناه من كتبه — (رسالة النفران) فقد مثل فيها القيامة ،
وعرض فيها أموراً بما يعتقد الناس فيها ، من جنة ، ونار ، وحور ،

وولدان ، وأنهار ، وأطيار ؛ وزاد على أحوال أهلها ما جرى من الخصومة بين ابن القارح وصادن الجنة ؛ وبين العلماء والشعراء والرواة من التناكر في رواية بيت ، أو تحريف كلمة عن موضعها ، أو نسبتها إلى غير قائلها ، أو تفسيرها بغير ما يريد صاحبها .

وأنشأ في الجنة التي أعدت للمتقين من الإنس جنة للمفاريث الذين آمنوا بمحمد ﷺ ، وهم من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض قبل ولد آدم ﷺ وليسوا من ولد إبليس . فيجتمع ابن القارح بشيخ منهم يقال له : الحينعور ، أحد بني الشيبان أبو هدرش ، ولد قبائل بعضهم في الجنة ، وبعضهم في النار ؛ فيسأله عن شعر الجن ، فيقول له : إن لنا آلافاً من الأوزان ، ما سمع بها الإنس ؛ وإني نظمت الرجز والقصيد قبل أن يخلق آدم ، وإنه يستطيع أن يمل عليه ألف كلمة على وزن « قفانبك » رويها مجرور ، وألفاً رويها منصوب ، وألفاً رويها مرفوع ، وألفاً من كل واحدة منها مع الماء وبدونها ، وكل ذلك لشاعر واحد منهم . ثم يسمه قصيدة على رويّ السين أبياتها ٦٧ بيتاً ، وهي بكلام الجن أشبه منها بكلام الإنس مطلبها :

مكة أقوت من بني الدردريس فما لجنتي بها من حسيس^(١)

ولا شك أن أبا العلاء هو الذي ابتكر هذه القصة ، ولم يحتد فيها على مثال غيره .

وقد زعم صاحب (ذكرى أبي العلاء) أنه اقتبسها من أقاصيص

(١) انظر الخبر والقصيدة في الرسالة طبعة أمين مندبة س ٧٥ - ٨٢ وفي الرسالة

تحقيق بنت الشاطي ط ١ س ١٩٧ - ٢١٤ .

الوعاظ ، وليس له فيها غير التنسيق والسخرية (١) . وهذا كلام باطل ؛ لأننا لا نعلم نحن ولا غيرنا في أقاصيص الوعاظ ذكراً لابن الفارح ، وصك توبته الذي كان يحمله ، ولا لمهاورته مع خازن الجنة ؛ ولا ذكراً للبحر الجلول الكفرطائي ؛ ولا أئماً لأبي هدرش وشعره في الجنة ؛ ولا لجنة المفايرت ، وجنة الرجز ، ولم ينقل لنا التاريخ ولا القصص شيئاً من الأحاديث التي دارت بين عدي بن زيد ، والأعشى ، والثابغة ، والمرقش ، وغيرهم . ولا ما رقع بين أبي عمرو والمازني والشيباني ، وأبي عبيدة والأصمعي وغيرهم من ذكره في (رسالة الففران) على الوجه الذي ذكره فيها . وجمع بينهم في وقت واحد ، وفيهم من كاث بينه وبين من حاوره أعوام كثيرة .

وليس في قصص الوعاظ أن إوزاً ينقلب جواري ، بأيديهن المزاهر ؛ ولا حية تقرأ القرآن ، وتنتقد قراءة الحسن . ونحو ذلك من القصص والحوادث والرجال الذين ذكروهم فيها .

وإنما تخيل أبو العلاء هذه القصة ، وذكر طرفاً مما يعتقد الناس فيها ليجعلها كأنها حقيقة واقعة ؛ شأن أصحاب القصص الذين يذكرون فيها شيئاً من أسماء الأماكن والأشخاص ليجعلوها شبيهة بالحقيقة . وكلها كانت القصة المتخيلة قديمة من الواقع والحقيقة كانت أدل على براءة واضعها . وقد تخير هذا النمط ليبين فيه ما يريده من النقد والتهكم وغيرهما ؛ لأنه أوقع في النفس من مرد الاعتراض والنقد . ولذلك جعل ابن الفارح يثر على حافتي طريقه جلا من التحقيق ، وطرفاً من النقد والتهكم .

على أن صاحب (الذكري) لم يلبث أن رجع إلى الصواب ، ونقض حكمه هذا حيث قال (ص ٢٩٥) : « وحسبنا الآن أن نقرر أن

(١) جاء في ذكرى أبي العلاء - له حين - ص ٢٩٤ - ما هو : « لم يجزع أبو العلاء في هذه الرسالة شيئاً كثيراً ، إنما وردت أقاصيص الوعاظ بأكثر ما نيا ، فإذا كان في الرسالة شيء . فهو التنسيق والسخرية . . . » .

هذه الرسالة هي أول قصة خيالية عند العرب . والفرنجة يشبهونها بكتاب دانتي الطلياني ، وكتاب ملتن الإنكليزي الذي سماه (الجنة الضائعة) . وعندنا أن لقصة المعراج صلة بهذه الأقاصيص .. « . ١٥

وسواء أكانت لقصة المعراج صلة بها أم لا ، فإن القصة خيالية ؛ ولتدما خيال أبي العلاء . على أن قصص المعراج متأخرة ، حدثت بعد عصر أبي العلاء . أما المتقدمون من المسلمين فلا يعرفونها منها ، إلا ما ورد في (صحيح البخاري) وغيره من كتب الحديث الصحيحة . وليس في هذه قصة أو شبه قصة تتصل بأبي العلاء أو بدانتي أو ملتن . وقد أثبت جماعة من المحققين المتأخرين أن دانتي وملتن اطلعا على (رسالة الغفران) وطبعا على غرار أبي العلاء فيها .

وقد ذكرنا في كتبه كتاب (الصاهل والشاحج) وهو يتكلم فيه على لسان فرس وبغل . و (رسالة الطير) على نهج (رسالة الغفران) ورسالة على لسان ملك الموت ، وكتاب (خطب) يتكلم فيها على ألسنة الخيل . وكتاب (تظلم السور) يتكلم فيها على لسان سور القرآن . و (سجع الحائم) يتكلم فيه على ألسن أربع حائم . ومقدمة (رسالة الملائكة) . و (رسالة الضبعين) . و (رسالة الهناء) . و (القائف) وغيرها . ولا شك أن كل هذه الكتب أو الرسائل من ثرات قريحته وخياله ، ولم يتسن لنا الاطلاع على شيء منها إلا رسالة الغفران ، ورسالة الملائكة . وأمثلة قليلة ذكرناها من الصاهل والشاحج ، والقائف ، والهناء ، وغيرها . وهذا القدر الذي رأيناه بدل وحده على خيال خصب ، وفكر واسع ، وقريحة وقادة ، وقدرة على الاختراع والتوليد . وعسى أن تسامح الأيام بإبراز البقية الباقية من كتبه ، لينضح للباحث مدى خياله

الغراض التي تناولها أبو العلاء في نثره

ينقسم نثر أبي العلاء إلى قسمين : علمي ، وأدبي .
أما النثر العلمي ، فهو الكتب أو الرسائل المختصة بعلم واحد أو أكثر
ككتبه الموضوعة في النحو ، والعروض ، والقوافي ونحوها . وهذا النوع
لم نطلع على شيء منه لنعلم سبيله فيه .
وأما النثر الأدبي فهو كثير ، والذي أمكننا الاطلاع عليه قليل .
وقد يتضح للناظر فيه أن أبا العلاء تناول في نثره أغراضاً كثيرة ؛ ولم
يقصر همه على غرض معين . فمنها :

المهرج

فقد كان يكثر منه في رسائله ، لاسيما الأجوبة منها ؛ لأنه كان
يجب أن يعظم شأن مخاطبه ، حتى يجعل كل شيء وفوق كل شيء .

التواضع

ويلازم هذا المدح تواضعه وتحقير نفسه أمام مخاطبه ؛ فإنه يصغر
شأنه ويتضائل ، حتى يكاد يكون أخفى من السه ؛ كما يتبين ذلك في
(رسالة المنيع) فإنه جعل الوزير أبا القاسم المغربي سيداً جبراً ،
مالكا أعنة النظم والنثر . وجعل قراءة كتابه نكاحاً . وأظهر أن أدبه
بالنسبة إلى أدب الوزير كالقطرة في المطرة .

وكذلك جمعه في (رسالة الإغريض) « نصب للآداب قُبَّةٌ صارت
الشام فيها كسام الميعب ، والعيراق كعيراق الشيب »^(١) . وجعل
نظمه في الذكاء مثل الزهر ، وفي البقاء مثل الجواهر . ووصف كتابه
(مختصر اصلاح المنطق) وبالغ في الثناء عليه . وجعل نفسه كهواء
الوقف ، وألف الوصل . إلى أن أظهر أدبه وفضله .
ومدح البنداديين في كتابه إلى خاله وإلى أهل المرة^(٢) . وهذا
سببه في كتابه إلى أبي طاهر^(٣) ، وأبي الحسين النكتي^(٤) . وفي مقدمة
(رسالة الملائكة) وفي (رسالة الغفران) وفي رسائله إلى داعي الدعاة ،
والوزير الفلاحى وغيرها . فهو يغمز رسائله بالثناء على مخاطبه ، كما يغمزها
بمواقف الحب والولاء والتواضع .

المنه

وفي رسائله رسالة يخفف فيها ببولود في (ص ٢١٣)^(٥) تتناول له باسمه
وكنيته ، وبولادته يوم الجمعة في أيام المعجوز عند انقضاء الشتاء ، واستقبال
الربيع . ولم تخل هذه الرسالة من طابعه العلمي الأدبي ؛ فإنه ذكر فيها
ما للفظ الجمعة والمعجوز من معان يتناول بها وما للزمن من مزبنة . وفتر
خلال كلامه شيئاً من الأمثال ، وأشار إلى حديث قَيْلَةَ^(٦) [التي وفدت
على الرسول ﷺ]

-
- (١) انظر الرسائل لشاهين عطية ص ٣٨ ولها : « صارت الشام فيها كسام الميعب ،
والعراق كعراق الشيب » .
 - (٢) انظر هذين الكتابين في رسائله - شرح شاهين عطية الصفحات ٦٧-٨١ ، ٨١-٨٢ .
 - (٣) الصدر السابق ص ٨٤ - ٨٧ .
 - (٤) الصدر السابق ص ١٠٥ - ١٠٢ .
 - (٥) الرسائل - شاهين عطية .
 - (٦) انظر الخبر في ص ٢١٣ - ٤ من الرسائل .

وقد قدمنا الكلام على (رسالة الهناء) التي هنا بها شخصاً ضافه
شخص آخر . وهي لم تتجرد من طابعه الملمى الأدبي ، ومن نواضحه
وتصاغره . وقد ابتكر فيها قصة الأسد والطائر الجارح ، وأشار إلى
رجال معروفين في التاريخ .

الشفاعة

وله رسائل تدل على براعة في الشفاعة ، عند ذوي الكلمة المطاعة ،
وقدرة على استمالة القلوب لقبولها . وسيله فيها أن يحمل المشفوع له بمنزلة
نفسه ، ويستميل المشفوع عنده إلى قضاء حاجته ، وقد كتب رسالة إلى
بعض أولياء السلطان ، يشفع عنده في صديق له كان عاملاً . استلها
بالدعاء له ، وتتمى باعترافه بالتقصير عما يجب عليه ، ثم أقسم أنه أشوق
إليه من الحمامة إلى هديلها ، واعتذر عن تصيره بترك مكاتبته . ثم بين
أنه هو المشفوع له « فرعاً سمرة ، وقضياً أراكة ، يميل بيله كرويعدن
بإستماله » كما تقدم (١) ويغيب إليه في إعادته إلى أطفاله ، بأسلوب يلين
الصخر ، ويفعل فعل السحر ، وهو موسوم بسمه العلمية أيضاً . وكتب
رسالة أخرى في محبوس ذبح لص أربع دجاجات لأمه الفقيرة ، وبين
منزلتين عندها ؛ وأن تأخر إطلاقه يفضي إلى أن يسرق الدقيق وغيره ..
واستطرد إلى ذكر الدجاج الذي زعم الاسكندر لملك فارس أنه كان
بييض ... ولم تخل هذه الرسالة من أمثال سائرة ، وطرف نادرة ،
وتحكم شديده ، شأن أمثالها من رسائله .

(١) انظر ما سبق ص ٨١٦ .

التعزية

وأيت في رسائله رسالتين في التعزية :
إحداها : كتبها بعد وفاة أمه إلى خاله أبي القاسم يعزیه فيها^(١) . وهذه الرسالة تفيض بالأسى ، وتم على حزن عميق ، ولوعة متقدمة . وقد مزج فيها حداثه بالدمع ، واستك سمعه ، وثقل لسانه وانقطع أمه من كل خير بعد أمه . ولقد أجاد غاية الإجابة في التعبير عن استمرار حزنه حين شبه بنعم أهل الجنة كلما نفذ تجدد .

وثانيها : كتبها إلى خاله هذا يعزیه بأخيه أبي بكر^(٢) . وهذه الرسالة لا تقل عن سابقتها في إظهار اللوعة والحزن ؛ إلا أنه أوجز في المقال ، ووقى المقام حقه حين قال فيها : « ولو كان الحزن مما يوزن ، ثم وزن أسفي بتبیر لرجح به ؛ وأنه لم يبق لي بعد ذلك الشاب 'لب' مُمل ولا لبيب 'مُستعمل' » .

وقد نغم فيها على الدنيا ، واعترض كثيراً من مصارع العظماء من الإنس ومن سباع الوحش ، وجوارح الطير ، وحيوان البر والبحر . على نحو ما ذكرناه في الكلام على هذه الرسالة ، وأثنى على الفقيد فجعله هادياً أميناً ، وأثنى على عقبه ، وقد جمع في هذه الرسالة المدح إلى التفعج ؛ وأفرغها في قالب صحيح ، ولهجة معربة ، وملاءم بالقصص والمبر ، ليلي خاله في مصابه ، ويخفف آلامه ؛ فهو في تعازيه النثرية بارع مثله في مرثيته الشعرية ، ولا تعرف العرب رسالة في التعزية على هذا الطراز قبل أبي العلاء . وقد قدمنا^(٣) أن له رسالة في التعزية ، ولكننا لم نطلع عليها .

(١) الرسائل - لثاين عتبة ص ٦٧ - ٨١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٧ - ٢١٣ .

(٣) انظر ما سبق ص ٧٣٧ .

الوصف

لأبي العلاء في باب الوصف آيات رائعة ، ومعان طريفة ؛ منها ما هو محسوس ، ومنها ما هو معنوي . أما معانيه المحسوسة فإنه يستمدّها من حفظ روعى ؛ ولكنه يتصرف فيها تصرفاً بديعاً ، يضيف عليها شيئاً محبباً من الرونق والطلاوة . وأما معانيه المعنوية فإنه يستمدّها من طبعه الفياض ، وخياله الخصب ، وقريحته المطاوعة ، ومادته الغزيرة . وانك لتراه يحوّث في الأوصاف المحسوسة الدقيقة كأنه يراها ؛ وهذا سبيله في وصفه الشعري . وصف كتاباً أنفذه إليه الوزير أبو القاسم المغربي ، فجعله « موشحاً بكل شذرة . أعذب من سُلالة المنقود . وأحسن من الدينار المنقود . جاء كلوانح البروق ، أو يوح^(١) عند الشروق » . وجعل لكاتبه « طبعاً راض صواب الأغراض حتى ذلّها ، وأبسّ بوحوش اللغات فأهملها ؛ فثله مثل جارة الكحلأ ، تدمع بالمساب والملاء ، تطمع القرب ، وتجوّد بالضرب . وتجنّي مرّ الأنوار ، فيعود شهداً عند الاشتبار^(٢) » ثم قال فيه : « شاهدنا فيما سمعناه المعنى الحصور ، في الوزن القصير ؛ كصورة كسرى في كأس المشروب ، وتمثال قيصر في الإبريز المضروب . لم يُزِرْ به ضيق الدار ، وقصر الجدار .. » إلى غير ذلك مما أتى به في (رسالة المنهج) .

(١) يوح : علم للشمس .

(٢) المراد بالجارسة : النحلة ، والكحلأ : بنت نزعاء ، والمساب : جمع ساب ، سقاء المل : والغرب : شجر ، والضرب : المل . وقد أشار إلى هذا المعنى بقوله من نصبة يجب بها أبا الخطاب الجلي :

رودت أنطافته وحيدة ذهنه وحش القنات أواناً بخطابه

والنحل يحني الرّمت من نور الربيع فيعود شهداً في طريق رطابه . (ج)

وفي الرسائل - لكاهن عطية : « بالسائب اللأ » انظر مر ٩ - ١١ .

وقال في (رسالة الإغريض) : « ووقفت على مختصر إصلاح المنطق ، الذي كاد بيسياتِ الأبواب ، يغني عن سائر الكتاب ؛ فمجبت كل المعجب من تنفيد الأجمال ، بطلاء الأحوال ؛ وقلب البحر ، إلى قلنتِ الثغر ، وإجراء الفرات ، في مثل الأخرات ؛ مرفأ له ' تصنيفاً شقاً ، الرئب ، وكفى من ابن قرئب ، ودل على جوامع اللغة بالإيماء كما دل المضمحل على ما طال من الأسماء » .

وقال فيها أيضاً : « وسيدنا . . القائل ' النظم في الذكاء مثل الزهر وفي البقاء مثل الجوهر . تحب بادِرته التاج ، ارتفع عن الحجاج . وغابره الجبل في الرجل ؛ يجمع بين اللفظ القليل ، والمعنى الجليل ، جمع الأقنوعان في لعابه بين القلّة ، وفقد البلّة ؛ خشن فحسّن ، ولان فاهان ، لين الشكير ، يدل على عتق المحضير ، وحرّش الدينار آية كرمِ التجار . . . » .

وقال فيها في وصف الكتاب : « فقد فاب في كلام المرّاب الصّم ، مناب مرآة المنجم في علم التنجيم ، شخصها ضئيل مملوم ، وفيها القمران والنجوم » .

ووصف نفسه بأنه لا يقعر بإجابة من بدأه بالمكاتبة فقال (١) : « لا معتبّة إن جاريّت بكيّ الفطر ، عن زكيّ القطر . هو بدائي بما لا أستحق ، فأجبت بما أودّمه علي الرق . ولم اكن كعافر الرمل ، أمطر فلا أروى ، وكحضير الميت ، أعوّه ولا أعوّه . لا أقل من كوني مثل وذيلة الغريبة ، وزلفّة المخير الأريّة ، يطلع فيها نو الوجه الجميل ، فتجتهّد له في التمثيل . . » .

(١) من رسالة الى صديق له بإله ان يخلصه في ترتيب المكاتبة ، الرسائل - لاهين طبع ١٣٦٤ .

النقد

درس أبو العلاء ما درس من العلوم ؛ واطلع على ما اطلع عليه من آراء العلماء ومذاهبهم . وقد كان دقيق الفطنة ، عميق التفكير ، مولماً بالتخصيص والتنقيب عن الأصول والأسباب والطلل . وكان فوق هذا يثق كل ما يقرؤه ، ويحفظ كل ما يسمعه ، وقد درس الحياة ، وخبر ما فيها من خير وشر . ودرس الناس وما عندهم من أخلاق وعادات ، في الأجيال المختلفة ، والأطوار المتباينة . ودرس الشرائع ، ورأى ما أدخله أصحاب كل شريعة عليها من العقائد والمزاعم . ورأى كيف اتخذ المتدينون الدين وسيلة لنيل الدنيا . وكيف سخر العلماء العلم لإشباع نجاتهم من الملاذ ، ولنيل الحظوة عند الملوك والكبراء ، ولاكتساب الشهرة والثروة .

وكان يحكم العقل في كل شيء ، ولا يعول في آرائه على غيره . وكان جريئاً في إبداء آرائه الحرة ، لا يطبق السكوت على ما لا يرضيه ، ولا يستطيع أن يتجاهل فيما يلمه ، أو يتغاضى فيما يفهمه .

فكوت هذه العوامل في نفسه ملكة قوية في النقد ، قائمة على ميزان العلم ومحك العقل . وقد استطاع أن يكون مجتلياً في هذا المضمار ، نسيج وحده فيه . ولم يعبأ بالناس أمام الحق ، ولا بما يقوله الناس فيه . بعد أن يكون قوله مطابقاً للعلم أو الواقع ، موافقاً للعقل .

وربما كان أبو العلاء أكثر الشعراء والعلماء نقداً وتخصيصاً لكل ما يعرض له من مسائل العلوم وغيرها ، ولا سيما العلوم العربية وما يتصل بها ، ولم أجد له كتاباً خاصاً بالنقد ، وإنما رأيت نقده موزعاً في كتبه المنظومة والمنثورة . أما المنظوم ، فقد اطلعت منه على (سقط الزند) وهذا خال أوفى حكم الحالي من النقد ، واطلعت على (لزوم ما لا يلزم) وهذا تناول فيه نقد الأخلاق ، والعادات ، والمعتقدات ، والمزاعم ، والأنظمة ،

وكثيراً من مسائل العلوم . وإذا قلت : إنه أعظم كتاب في هذا النوع ، فلا أكون مبالغاً ، وقد ذكرنا جلة منه في مواطن مختلفة من هذه الرسالة .
وأما المنشور فقد اطلعت على (رسالة الغفران) و (رسالة الملائكة)
وجزء من (الفصول والغايات) و (عبث الوليد) وبعض رسائل صغيرة
ورأيت في رسالتي الغفران والملائكة مسائل كثيرة انتقد فيها اللغويين ،
والنحاة ، والصرفيين ، والقراء ، والمفسرين ، والمحدثين ، والشعراء ،
والعروضيين ، والعلماء ، والرواة .

ومن يتأمل كتبه يتبين له أن النقد في نثره جاء على أشكال يمكن
إرجاعها إلى نوعين :

أحدهما : يتعلق بمسائل العلم وآراء العلماء .

والثاني : يتعلق بالأخلاق ، والعادات ، والمزاعم ، وما شاكل ذلك .
والفاظه في كلا النوعين عفيفة ، بريئة من البذاءة . ولكنها لا تخلو من
تهكم واستهزاء . والظاهر أنه كان يرى هذا النمط أشد إيلاًماً لخصمه
وأبلغ أثراً في نفسه ، وأرجى لعله على قبول الحق . ولو جاءنا كل نثره
لرأينا أضعاف ما رأينا ، ولكن قد يستدل بالقليل المتيسر على الكثير المنصر .
وسنتكلم الآن على نقده في نثره ، ونبين منهاجه في نقده فنقول :

سلك أبو العلاء في نقده طرقاً مضمورة بالفوائد ، حتى يكاد القارئ
لا يعلم من أين تأتيه الفوائد إذا سلك واحداً منها ؛ لأنه أحياناً يأتي
بالكلمة أو الجملة ، فيبين الوجه الذي يريد نقده فيها ؛ وقد يبين علة
حكمه فيها ، سواء أكان بالصحة أم بالفساد ؛ وأحياناً يضيف إلى ذلك
قاعدة عامة تتعلق بذلك الحكم أو بضده ، وقد يذكر ما يناقض
حكمها أو ما يشابهه . وأحياناً يفرغ النقد في قالب الاستفهام للتهكم ،
إلى غير ذلك من الصور المختلفة الجامعة لفوائد متعددة .

ويتضح لمن تأمل نقده أنه كان واسع العلم ، حريصاً على الإفادة .
ولذلك يورد كل ما يتعلق بالشيء لأدنى مناسبة ، أو يوجد مناسبة يتوصل
بسببها إلى ذكر فائدة أو فوائد ، كما أضربنا إلى هذا في موضع آخر .
وكان من الحق أن نقسم نقده إلى أصناف ، ونبين ما في كل
صورة من الفوائد ، لينضح لنا كيف يدمج فائدة في أخرى ، ولكن
هذا عمل طويل ، لا تتسع له هذه الرسالة . على أننا سنشير إلى بعض
ما ذكرنا في أضاف كلامنا وكلامه .

نقد الألفاظ المفردة

لم يسلك أبو العلاء في نقده الألفاظ المفردة سبيلاً واحدة ، وإنما يبحث
أحياناً عن كونها عربية أم غير عربية ؟ ويبحث عن رواها . وأحياناً
يذكر حكم اللفظ على تقدير أنه عربي ؟ وربما أورد البحث على شكل
حادثة وقعت .

مثال ذلك قوله في (رسالة النفران ص ٦٩) (١) : فيقول - أي ابن
القارح - لمن حضره من أهل العلم : ما تسمى هذه اللال بالعربية ؟ فيقول
بعضهم : هذه تسمى البواسن ، واحدها باسنة . فيقول قائل : من ذكر
هذا من أهل اللغة ؟ فيقول : قد ذكرها ابن درستويه ، وهو يومئذ في
الحضرة . فيقول له الخليل : من أين جئت بهذا الحرف ؟ فيقول ابن
درستويه : وجدته في كتب النضر بن شميل . فيقول الخليل : أتحت هذا
يا نضر ؟ فأنت عندنا الثقة ! فيقول النضر : قد التبس علي الأمر . ولم
يحتك الرجل - إن شاء الله - إلا حقاً .

(١) طبعة أمينة مصرية والنظر النفران تحقيق بنت القاضي ط ١ ص ١٨٤ - ٥ .

وقوله في (رسالة الغفران ص ١٩٠) (١) : « وقد مر بأنطاكية ، فتذكر قول امرئ القيس :

عَلَوْنَ بِأَنْطَاكِيَّةَ فَوْقَ عَقْمَةٍ كَجِرْمَةِ نَخْلٍ أَوْ كَجَنَّةٍ يَشْرِبُ

وخطر له أن « النطك » وهو اللفظ الذي يجب أن يشتق منه « أنطاكية » لو كانت عربية مهمل ، لم يحكه مشهور من الثقات

وذكر في (رسالة الملائكة في ص ٢٠) « جهنم » وفي (ص ٢٢)

« سقر » وفي (ص ٢٦) « كثري » وفي (ص ٢٧) « سندس » وفي (ص ٣٨) « استبرق » . وتكلم في كل لفظ بما لا مزيد عليه .

وزنه اللفظ واشتقاقه

وقد يذكر اللفظ ، ويبين وزنه واشتقاقه ، ويضيف إلى ذلك بيان

حكمه وغيره من الفوائد . مثال ذلك قوله في (الغفران ص ١٩٠) (٢) :

« ولما مر بملطية ، أنكر وزنها ، وقال : فَعَلِيَّةٌ ، مثال لم يذكر ، وإذا

حللناها على التصريف وجب أن تكون ياؤها زائدة ، لأن قبلها ثلاثة

من الأصول

وفي (ص ٧١ من الغفران) (٣) ذكر حواراً لطيفاً بين المازني والأصمعي

في وزن « إوزة » . وله بحث مفيد في « إوزة » في (رسالة الملائكة

ص ٧٩) وذكر في (الغفران ص ١٠٨) (٤) « أصل « إنسان » واشتقاقه وأسبابه .

وذكر في (رسالة الملائكة ص ٦) أصل « ملك » وفي (ص ٩)

« موسى » وفي (ص ٢٠) « غلين » وفي (ص ٢٨) « طوبى » وفي (ص ٣٤)

« حيوان » وفي (ص ٤٠) « عبقر » وفيها كثير من المباحث الدقيقة في

غير هذه الألفاظ .

(١) طبعة أمين هندية وانظر الغفران تحقيق بنت الناطح ط ١ ص ٤٠٥ - ٦ .

(٢) المصدر السابق

(٣) وانظر الغفران تحقيق بنت الناطح ط ١ ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(٤) وانظر الغفران تحقيق بنت الناطح ط ١ ص ٢٨١ - ٢ .

وهذه أمثلة من نقده الألفاظ المفردة

قال في (رسالة الغفران ص ١٠٠) : « وإني لكاره قولك :

..... وَالْحَيْلُ خَارِجَةٌ مِنَ الْقَنْطَالِ

أخرجت الاسم إلى مثال قليل ، لأن « فعللا . لم يميء في غير المضاعف ، وقد حكى : ناقة بها خَزَعَال . أي [بها] ظلع » (١) .

وقال في (رسالة الملائكة ص ٢١٢) : « وأما زيادتهم الألف ، فكقولهم « المقرب » في المقرب ، وهذا رديء لأنه يخرج إلى بناء مرفوض . وإنما يميء « فعللا » في المضاعف مثل « الزلزال والبلبال والسلسال » وقد جاء منه حرف واحد في غير المضاعف قالوا : بالناقة خزعال أي ظلع ، وحكم الضرورة ليس كحكم غيرها في الأبنية » .

وقال فيها (ص ٢٤٥) في بحث زيادة النون : « فيحكم على نون سكران ربابه بأنها زائدة ، لأنه ليس في كلامهم مثل « فعللا » في غير المضاعف نحو للزلزال ... » .

فقد انتقد لفظ « قسطال » وبين سبب ذلك ، وهو خروجه إلى وزن نادر أو مرفوض . ثم بين الحكم العام وهو عدم يميء « فعللا » في غير المضاعف . ثم بين ما شذ عن ذلك وهو « خزعال » وزاد على ذلك في « عقراب » أن حكم الضرورة ليس كحكم غيرها في الأبنية . وفي لفظ « سكران » زاد حكماً آخر وهو أن الألف والنون في مثل « سكران »

(١) يغير إلى قول أوس بن حجر في مربه :

ولم رقد اللوم بظفروه ولم نحو البرع والسريل

ولم مأوى للتخفيف إذا دعا والحبل خروجة من القسطال

الغفران تحقيق بنت العاطي ط ١ ص ٢٥٩ .

يحكم بزيادتها لفقد « فملال » في غير المضاعف ؛ فقد جمع في نقد كلمة واحدة فوائد متعددة .

وقال في (رسالة الملائكة ص ٢١٣) : « وقد ادعى قوم بأن قولهم « استكان » إنما هو من « استكن » أي افتمل من السكون ، ثم زيدت عليه الألف . وهذا نقض للقياس ، لا يجوز أن يذهب إليه ذاهب عرف أصول العربية ، لأنهم لم تجر عاداتهم بمثل ذلك ؛ ولو فعلوه في موضع لم يعملوه أصلاً يقاس عليه . وقد قالوا : « يستكين ومستكين ... » ، وإنما « استكان » استفعل و « مستكين » مستفعل ؛ ومو مأخوذ من قولهم : كان كذا وكذا أي المستكين ، كأنه شيء قد كان أي ذهب ومضى . ثم قال : « ... واستكان على القول الذي حكى وزنه « افتمال » و « يستكين » وزنه « يفتميل » و « مستكين » وزنه « مفتميل » وهذه أبنية مستنكرة ، وإنما يستعمل مثلها في الضرورة ، فأما في عمود اللفظ فلا يجوز أن تقع . وقد روي أن الحسن قرأ ﴿ وَأَعْتَدْتُ لَهُنَّ مَتَكًا ﴾^(١) بالمد فهذا « مفتعال » وهو بياهي في الألف باب « أفئدة » في الياء .

وهذه سبيله في كثير مما انتقده من الألفاظ المفردة . وقد تريد الفوائد وتنقص بحسب المواضع والحاجات . ورسالة الملائكة طائفة بمثل هذه الباحث والفوائد . ونجد منها شيئاً في (ص ٢٣٥) في الكلام على « مفرد » و « صفوق » و (ص ٢٤٥) عند الكلام في « ارحجن » و « افعلن » و (ص ٢٤٨) في الكلام على « تفعن » و (ص ٢٤٩) في « غرثان » و « غرائن » و (ص ٢٥٤) في « فعلون » .

نقد القراءات

وقد انتقد كثيراً من القراءات التي قرأها القراء ، وسلك في نفسه الطريق التي سلكها في نقد المفردات ، فذكر خلال كلامه كثيراً من العطل ، والأحكام ، والقواعد ، وغير ذلك بما ذكرناه قبل .

وكنا نود أن نذكر أمثلة كثيرة من ذلك ، ولكنها تستغرق وقتاً طويلاً كما تقدم ، فاكثفنا بالإشارة إلى مواطن بعضها في كنه . من ذلك ما قاله في (رسالة الفجران ص ١١٢) (١) : إن حية كانت تسكن في دار الحسن البصري ، فيتلو القرآن ليلاً ، فتلت منه الكتاب من أوله إلى آخره . فيقول لها ابن القارح : كيف سمعته يقرأ ﴿ فَالْيَقِ اصْبَاحَ ٢١ ﴾ ، فإنه روي عنه بفتح الهمزة كأنه جمع صبح ، وكذلك ﴿ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ١٣ ﴾ كأنه جمع بكر ... ؟ فتقول : لقد سمعته يقرأ هذه القراءة .. فلما توفي انتقلت إلى جدار في دار أبي عمرو بن العلاء ، فسمعت يقرأ ، فرغبت عن حروف من قراءة الحسن كهذين الحرفين ، وكقوله الإنجيل بفتح الهمزة فلما توفي أبو عمرو كرهت المقام ، فانتقلت إلى الكوفة ، فأقت في جوار حمزة بن حبيب ، فسمعت يقرأ بأشياء ينكرها عليه أصحاب العربية ، كخفض « الأرحام » في قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ الْأَرْحَامَ ١١ ﴾ وكسر الياء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْزِزِينَ ١٥ ﴾ وكذلك سكون الهمزة في قوله تعالى : ﴿ اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السُّيِّئِ ٦٦ ﴾ وهذا إغلاق لباب العربية ، لأن القرآن ليس بموضع ضرورة ، وإنما حكمي مثل هذا في المنظوم ...

- (١) طبعة أمجد حنيفة وانظر الفجران تحقيق بنت العاطي ط ١ ص ٢٨٨ - ٩ .
- (٢) سورة الأنعام الآية ٩٦
- (٣) سورة آل عمران الآية ١١
- (٤) سورة النساء الآية ١
- (٥) سورة إبراهيم الآية ٢٢ .
- (٦) سورة فاطر الآية ٤٣ .

وفي إيراد هذا النقد ومرد هذه الرواية على لسان الحية روعة وبراعة فائقة ؛ وكذلك رغبتها عن حروف من قراءة الحسن . ثم إنكارها أشياء من قراءة حمزة بن حبيب .

وذكر في (رسالة الملائكة ص ١٢٤) أنهم يقولون : « إعلم ، وإستعين ، وإختال » ، فيكسرون مع الهزمة كما يكسرون مع التاء والنون . وقد قرأ بذلك القراء يحيى بن وثاب وغيره ، ويروى أنه قرأ ﴿ فإمتمه قليلا ثم إضطره ^(١) ﴾ بكسر الهزمة من « اضطره » وكذلك يفعل في غيرها من حروف المضارعة ، فقرأ ﴿ يوم تبيضُ وجوهٌ وتَسودُ وجوهٌ ^(٢) ﴾ . ﴿ ولا تتركبوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ^(٣) ﴾ وهذه لفظة للعرب فيما كان على « فعلَ يفعل » وما جاوز الأربعة نحو « اسودوا واطشعوا » وإذا صاروا إلى الياء فقرأوا إلى الفتح ، فلم يقولوا « يعلم » كذلك يقول سيبويه ؟ وقد حكاهما القراء عن قوم من العرب وإن صحت فهي شاذة .. اه
وذكر في (رسالة الملائكة ص ٢٠٠) قراءة ابن عامر : ﴿ فاجعلْ أفتيدةً من الناسِ تهوي إليهم ^(٤) ﴾ وقال : وأفتيدة بناء مستنكر ، لم يحى مثله في الآحاد ولا في المجموع ، ولم يحك سيبويه ولا غيره ، فيما أعلم ، شيئا على مثال « أفعيلة » بفتح الهزمة ولا على مثال : « أفعيل » إلا ما روي في قراءة الحسن من أنه كان يفتح همزة الأنجيل ، وهذا في الشذوذ يشبه قراءة ابن عامر هذه .

ثم أفاض في بيان أصل « إنجيل » هل هو عربي أو أعجمي ؟ وبيان أصله الذي اشتق منه على فرض أنه عربي .

(١) سورة البقرة الآية ١٢٦ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٦ .

(٣) سورة هود الآية ١١٣ .

(٤) سورة إبراهيم الآية ٣٧ .

ثم قال : وأما « أفئدة » فإن صح أنها قرأ بها موقوف به في الفصاحة فإنها - والله أعلم - « أفئدة » في الأصل ، كما قرأت الجماعة ، ثم زيدت الياء بعد الهمزة ، لأن الكسرة فيها لازمة ؛ فتكون هذه القراءة مشاكلة لقراءة من قرأ ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ ﴾ .

ثم ذكر المواطن التي زادت العرب فيها الألفاظ ، والياءات ، والراوات ، وآراء المتقدمين فيها . وبين ما يقوّي قراءة ابن عامر . وذكر من الأشباه والأحكام التي تتعلق بهذه المباحث ما لا يحده الباحث في غير هذا الكتاب . وقد أوضحت ذلك في شرح رسالة الملائكة في (ص ٢٠٠) فابعدا . وقد انتقد في هذه الرسالة وفي (رسالة الغفران) كثيراً من القراءات بما يدل على أنه كان عالماً بها . كما أنه انتقد كثيراً من أبيات الشعر فيها .

النقد النحوي والصرفي

درس أبو الملا النحو والصرف درساً عميقاً ، وأمن في البحث عن القواعد الكلية وما شذ عنها ، وأطلع على كثير من الأحكام الراجحة وما يؤيدها ، والأحكام الضعيفة التي حاول أصحابها تقويتها بالأدلة الواهية ، والحجج الملفقة ، والشبه الزائفة . ورأى فيها ما لا تقبله العقول الصحيحة ، والنقول الثابتة ، كما رأى في كثير من الشواهد والنصوص والآراء ما يشهد بنفسه على نفسه أنه مكذوب موضوع أو محرف أو مصنوع ، وتشهد لبطلانه القواعد المشهورة والأقضية المؤيدة بالأدلة الواضحة والحجج الراجحة . فلم يرق له كثير من أقوال العلماء في هذين العلمين اللذين يعبر أحياناً عنها بعلم النحو ، وعن رجالها بالنحويين أو النحاة أو البصريين أو الكوفيين

أر البندادين . ورأى في أحلامهم ما يشبه الهذيان أو الضلال أو الأباطيل كما صرح بذلك في (رسالة الغفران ص ١٠٥) (١) .

وفي (رسالة الملائكة ص ٨ ، ١٥ ، ٤٢ ، ٤٢) (٢) .

وفي (لزوم ما لا يلزم ١ / ص ٣٧٣) (٣) .

وقد أكثر في رسالتي الملائكة والغفران من نقد النحويين ، وتزييف آرائهم وأقوالهم . وقد رأينا من المفيد اللازم أن نبين موقفه من النحويين قبل أن نورد أمثلة من نقده فنقول :

١ - إننا لم نر في كلام أبي العلاء ما يدل دلالة صريحة على أنه كان

(١) يقول أبو العلاء في الغفران على لسان خزنة النار : « ما النحويون وما الاستشهاد ، وما هذا الهذيان ... » . الغفران طبعة أمين هندية .

(٢) يقول أبو العلاء في ص ٨ : « فبقول مالك : من ابن أبي ربيعة ، وما أبو عبيدة ، وما هذه الأباطيل ... ؟ » .

وفي ص ١٥ : « قلت : ليس الياء كثيرها من الحروف لأنها وإن لحقها التشديد نفيها عنصر من الهمزة ، فإن قال : اليس قد زعم صاحبكم عمرو بن عثمان العروبي بيبوبه ان الياء إذا شددت ذهب منها الهمزة ... قلت : قد زعم ذلك إلا ان السامع من العرب لم يأت فيه نحو ما قال إلا ان يكون شاذاً ... » .

ويقول في ص ٤٢ : « فينهم إليهم رضوان ويقول ... فاضرفوا رحمكم الله ، أكثرتم الكلام فيما لا منفعة فيه ، وإنما كانت هذه الأشياء أباطيل زخرفت في الدار الثانية فذهبت مع الباطل ... » .

(٣) حيث يقول :

أرى ابن أبي إسحاق أسفه الردى	وأدرك عمر الدهر نفس الـ عمرو
تأهوا بأسر صروه مكاسباً	فناد عليهم بالحيس من الأسر
بكسوة برد أو باعطاء بلغة	من البش لاجم الطاء ولا عمر
ولم يصنوا شيئاً ولكن تازعوا	أباطيل تضي مثل حامدة الجر
الزوميات طبعة عزيز زند .	

على مذهب النحويين البصريين أو الكوفيين أو غيرهما ، وإذا كان عقله ينفر من متابعة إمام من أئمة المذاهب الدينية فيقول :

وَيَنْفَرُ عَقْلِي مُغْضَبًا إِنْ قَرَّكْتُهُ سُدِّي وَاتَّبَعْتُ الشَّافِعِيَّ وَمَا لِكَأ^(١)

فمن الأولى أن ينفر عقله من متابعة أحد غيره من أئمة اللغة ، لأنه في علم النحو أطول باعاً وأرسخ قدماً منه في العلوم الشرعية ، ويجوز أن نستدل على هذا بما نراه من انتقاده كل المذاهب على السواء ، من غير تحيز إلى فريق دون آخر .

٢ - إن أبا العلاء لم ينتقد من النحويين إلا العلماء الأعلام ، كالخليل ، وسيبويه ، والزمجاج ، والمبرد ، والفراء ، وسعيد بن مسعدة ، وأبي علي الفارسي ، وابن خالويه ، وابن السراج ، وأبي سعيد السيرافي ، والملازني ، والأصمعي .

وقد أثنى على جماعة من اللغويين والنحويين ، منهم النضر بن شميل في (القفران ص ٦٩)^(٢) والزمجاج في (الملائكة ص ١٣١)^(٣) .

٣ - إن أبا العلاء جمل أكثر نقده في (رسالة القفران) على لسان ابن القارح وأورد كثيراً من المسائل ، ولم يلتزم في إيرادها طريقة واحدة ؛ وإنما يذكر أحياناً موضع النقد ولا يزيد على ذلك شيئاً . وقد يذكر ما يدل على أنه حق ، وقد يبين رأيه في الحكم ، فيقره أو يدفعه . وأحياناً

(١) القزويات ٥ ص ١٨٥ .

(٢) حيث يقول أبو العلاء : « يقول الخليل : أثنى هذا بالنضر ؟ فأنت عندنا ... » .

(٣) يقول أبو العلاء في رسالة الملائكة : « وزعم أبو إسحاق الزجاج أنه لم يشكلم فيه في اشتقاق ، ولا سرية في أنه كما قال ، لأنه الكفة في هذا وغيره ... » .

يعد هذا الأمر كله من الأباطيل ونحوها ، وقد يذكر مشابهاً للشيء أو مناقضاً له ؛ وربما أتى بالنقد على طريق الاستفهام ، أو على طريق المحاررة ، أو تصوير حادثة ، أو نحو ذلك .

وكان من الحق والواجب أن نورد نصوصه بمجرها وبمجراها ، لأن الاختصار يفقدها كثيراً من الإشارات اللطيفة ، والوخزات الدقيقة ، والتمكيم ، والإيحاء إلى حادثة ، وغير هذا مما تحمله في طياتها من النكت والفوائد ، فضلاً عما يفقدها من الإيضاح والأسلوب الرائع .

ولكن ذلك يضطربنا إلى إطالة لا تسمح بمثلها هذه الرسالة الصغيرة ، كما لا تسمح بإمال الصور المتعددة التي أوردناها وملأها بالمباحث التي تمل جلة من عبقريته ورسومه في هذا العلم .

ولقد حاولنا أن نجتمع بين الأمرين بقدر الطاقة ، فذكرنا طائفة قليلة من المباحث على الشكل الذي أوردناها عليه ؛ وأشرنا إلى مواطن طائفة أخرى في كتبه ليبل الاطلاع عليها .

وهذه جلة من النوع الأول :

ذكر في (رسالة الغفران ص ٢٦) (١) : أن الشيخ [ابن القارح] قال لعدي بن زيد المبادي : « ولقد ممت أن أسالك عن بيتك الذي استشهد به سيويه وهو قولك :

أَرْوَاحٌ مُودَّعٌ أَمْ بُكُورٌ أَنْتَ فَانْظُرْ لِأَيِّ حَالٍ تَصِيرُ^(٢)

فإنه يزعم أن « أنت » يحوز أن ترفع بضم مضمر يفسره قولك « فانظر » وأنا أستبعد هذا المذهب ولا أظنك أردته . فيقول عدي بن زيد : « دغني من هذه الأباطيل . . » .

(١) طبعة أمين مندية ، وانظر بنت العاطي . ط ١ ص ٧٦ .

(٢) البيت من شواهد سيويه انظر الكتاب ج ١ ص ٧٠ ونه : « .. لأي ذاك نصير » .

وذكر (في ص ٣٥) ^(١) أن الشيخ يقول للنافذة الجمدي: «كيف تشدقوك:

وَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا صِحَّاحًا وَلَا مُسْتَنَكِرًا أَنْ تُعَقَّرَ» ^(٢)

أقول : « ولا مستنكرا » أم « ولا مستنكرا » ؟ فيقول الجمدي : بل « مستنكرا » فيقول الشيخ : فإن أنشد فتشد « مستنكرا » ما تصنع به ؟ قال أزجره وأزبره ، نطق بأمر لا يخبره ، فيقول الشيخ : « ما أرى سيئويه إلا وهم في هذا البيت » لأن أبا ليلى أدرك جاهلية وإسلاما ، وغذي بالفصاحة غلاما . . . » .

وذكر في (ص ٥٧) ^(٣) أن الشيخ قال : « وكنت قد رأيت في الحشر شيخاً لنا ، كان يدرس النحو في الدار العاجلة ، يعرف بأبي علي الفارسي ، وقد امترس به قوم يطالبونه ، ويقولون : تأولت علينا وظلمتنا . فلما رأني أشار إليّ بيده ؛ فجسته فإذا عنده طبخة ؛ منهم يزيد بن الحكم الكلبي ، وهو يقول : ويحك ! أنشدت عني هذا البيت برفع الماء ، يعني قوله :

فَلَيْتَ كَفَافًا كَانَ شَرُّكَ كُلُّهُ وَخَيْرُكَ عَنِّي مَا زَقَوَى الْمَاءُ مُرْتَوًى ^(٤)

(١) رسالة النفران طبعة أمين حنيفة وانظر النفران تحقيق بنت العاطي، ط ١ ص ١٠٠ .

(٢) البيت من شواهد سيبويه ، انظر الكتاب ج ١ ص ٣٢ .

(٣) انظر النفران تحقيق بنت العاطي، ط ١ ص ١٥٣ .

(٤) البيت وقالبه من قصيدة ليزيد في سببه ومصرعين يتأوردما بناتها البزدادي في الحزاة ١/٤٩٦ - ٤٩٧ (ولان) خلا عن « المسائل البصرية » لأبي علي الفارسي . ومنها أبيات في أساطير الهاملي ١/٦٧ - ٦٨ ، (الطبعة الثالثة) والأغانى ١١/١٠٠ - ١٠١ ، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ ص : ٣٩٦ - ٣٩٧ ، وأساطير ابن العبري ١/١٧٦ - ١٧٧ ، (طبعة الهند) وقد حكى الأخير ص : ١٨١ ، أثناء شرحه للقصيدة أن أبا العباس البرد قال فيها : « إن في هذه القصيدة شذوذاً في مواضع وخروجاً عن القياس . . » وانظر كلامه على هذا البيت وتأويل أبي علي له ص : ١٨٤ لما بعدها .

ولم أقل إلا الماء ، وكذلك زعمت أني فتحت الميم في قولي :
تَبْدُلْ خَلِيلًا بِي كَشَكَكَ شَكْلُهُ فَإِنِّي خَلِيلًا صَالِحًا بِكَ مَقْتَوِي^(١)

وإنما قلت : « مقتوي » بضم الميم .
وإذا هناك راجز يقول : تأولت علي أني قلت :

يَا إِبْلِي مَا ذَنْبُهُ فَتَأْيِيهِ مَاءَ رَوَاهُ وَنَهْيٌ حَوْلِيهِ .

فحركت الياء في « فتأْيِيهِ » ووافقه ما فطت ولا غيري من العرب^(٢) . وإذا
رجل آخر يقول : ادعيت علي أن الماء راجعة على الدرس في قولي :

- (١) كما قال أبو العلاء : نسب إلى أبي علي أنه أاعد هذا البيت بفتح الميم من « مقتوي »
ولكن قل البغادي في الخزانة ٣/٣٢٨ (بولاق) ما قاله أبو علي في هذا البيت في
كتابه (للسائل البغادي) وفيه يصرح بأن الميم مضمومة ، وأورد على صحة ذلك
حجبا يمكن القاري أن يرجع إليها فيه ، كما أن ابن جني ذكر في الخصائص ٢/٦٠٤
أن أبا علي أئده هذا البيت وقرأ عليه في القصيدة . ثم قال : « فهذا عندنا « مضمل »
من « الفتور » وهو للرعاة والخدمة » . اهـ وقد قل البغادي في الخزانة عقب كلمة
أبي علي كلاما لابن جني في « المحتجب » أيضاً يشبه أن يكون تلخيصاً لكلام شيخه .
- (٢) يريد أبو العلاء أن صحة الإنشاد بكون الياء في قوافي الأبيات : والفتح والإسكان
روايتان في الأبيات ، لس على ذلك ابن جني في الخصائص ١/٣٣٢ ، وذلك قوله
بد أن ساق الأبيات مضبوطة بفتح الياء . « مكنا رويانا عن أبي زيد ، وأما
الكوفيون فرووه على خلاف هذا ، يقولون : « فتأْيِيهِ » و « نهي حَوْلِيهِ »
و « حتى تأْيِيهِ » و « فوق الزازِيهِ » فينشدونه من السريع لأن الرجز
كما أئده أبو زيد . اهـ . يريد بقوله : « فينشدونه من السريع » أن اضرب
الأبيات على رواية الكوفيين تح « مفلان » أو « مفلوان » وهما من اضرب
السريع دون الرجز ، فتكون الأبيات على هذه الرواية من السريع ، وأما رواية
أبي زيد فالأضرب فيها ما بين « مفاعن » و « مستعلن » وكلاما من اضرب
الرجز دون السريع .

هَذَا سُرَاةٌ لِلْقُرْآنِ يَذُرُّهُ وَالْمَرْءُ عِنْدَ الرُّشَايْنِ يَلْقَاهُ ذَيْبٌ^(١)

أفمنون أنا حتى أعتقد ذلك ؟

وإذا جماعة من هذا الجنس ، كلهم يلومونه على تأويله . فقلت :
يا قوم ، إن هذه أمور هيئنة ، فلا تغتروا هذا الشيخ ، فإنه يَمُتُ بكتابه
في القرآن المعروف بـ (كتاب الحجة) وإنه ماسفك لكم دماً ،
ولا احتجن عنكم مالاً ، فتفرقوا عنه ... » .

وذكر في (رسالة الغفران ص ٦١)^(٢) أن الشيخ يقول لراعي الإبل :
« أحقَّ ما روى عنك سيبويه في قصيدتك اللامية التي تمدح بها عبد الملك
ابن مروان ، من أنك تنصب الجماعة في قولك :

أَيَّامَ قَوْمِي وَالْجَمَاعَةَ كَالَّذِي لَزِمَ الرَّحَالَهَ أَنْ تَعِيلَ مَيْلًا^(٣) ؟

فيقول : حق ذلك » .

وذكر في (الغفران ص ٨٧)^(٤) أنه يقول لامرئ القيس :
« أخبرني عن قولك :

كَبُرَ الْمَقَانَاةُ الْبَيَاضُ بِصَفْرَةٍ^(٥)

(١) البيت من شواهد سيبويه التي لم يذكر قائلها ، انظر الكتاب ج ١ ص ٤٣٧ .

والغفران تحقيق بنت الشاطي ط ١ ص ١٥٢ .

(٢) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطي ط ١ ص ١٦٣ .

(٣) سيبويه ، الكتاب ج ١ ص ١٥٤ .

(٤) الغفران تحقيق بنت الشاطي ط ١ ص ٢٢٦ .

(٥) صدر بيت من مقلته ، وعجزه : « غفاها غير الله غير محلل » . ديوانه ص ٣٧ .

ماذا أَرَدْتَ بالبكر ؟ فقد اختلف المتأولون في ذلك ؟ فقالوا : البيضة ، وقالوا : الدرة ، وقالوا : الروضة ، وقالوا : الزهرة ، وقالوا : البرديّة ؟ وكيف تنشد : « البياضِ أم البياضِ أم البياضِ » ؟ فيقول : كل ذلك حسن ، وأختار « البياضِ » بالكسر ، فيقول : .. لو ضحيتُ لك ما قال النحويون في ذلك لمعجب .

وذكر في (ص ١٠٠) (١) أنه يقول لأوس بن حجر : « كُنتَ في عزمي أن أسألك عما حكاه سيوبه في قولك :

تَوَاهِقُ رِجْلَاهَا يَدَاهُ وَرَأْسُهُ لَهَا قَتَبٌ خَلْفَ الْحَقِيبَةِ رَادِفٌ (٢)

فلني لا أختار أن ترفع « الرجلان واليدان » ولم تدعُ إلى ذلك ضرورة ، لأنك لو قلت : « تَوَاهِقُ رِجْلَيْهَا يَدَاهُ » لم يَزِغِ الوزن ؛ ولعلك إن صح قولك لذلك ، أن تكون طلبتِ الشاكبة ، وهذا المذهب يقوى إذا دوي « يداها » بالإضافة إلى الثؤث ، فأما في حالة الإضافة إلى المذكر فلا قوة له . . .

وهذه طاقة من النوم الثاني :

ذكر في (رحالة الغفران ص ٨٥) (٣) خمسة أبيات من أرجوزة

بشار ، آخرها :

الْحَرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ (٤)

ثم قال له : « قلت في هذه القصيدة « السبد » في بعض قوافيها ؟

(١) وانظر الغرر المحمّدة لمحيى بن العاطم ط ١ ص ٢٥٨ .

(٢) سيوبه ، الكتاب ج ١ ص ١٤٥ .

(٣) وانظر الغرر المحمّدة لمحيى بن العاطم ط ١ ص ٢٢٣ .

(٤) ديوانه ج ٢ ص ٢٢١ .

فإن كنت أردت جمع « سَبَدِر » وهو طائر فإن « فَعَلًا » لا يُجْمَعُ على ذلك ؛ وإن كنت سكنت الباء فقد أسأت ، لأن تكين الفتحة غير معروف ، ثم أورد بيتاً للأخطل ، وثانياً لجمل ، وثالثاً لشاعر آخر . وبينت أن لا حجة له فيها ؛ وبينت سبب ذلك .

وفي (ص ٩٧) (١) يقول لطرفة : « شد ما اختلف النحاة في قولك :

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرَ الْوَعَى

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي » (٢).

وبينت أن سيويه يكره نصب « أحضر » بأن مقدرة ، وأن الكوفيين ينصبون بها ؛ وقد قوى قولهم . . .

وفي (ص ٣٨) (٣) من الغفران يقول للبيد : « أخبرني عن قولك :

تَرَاكَ أَمَكِنَةً إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضُ النَّفُوسِ حَمَامُهَا » (٤)

هل أردت « ببعض » معنى « كل » ؟ فيقول لبيد : كلا إنما أردت نفسي .. فيقول له : أخبرني عن قولك : « أو يرتبط » هل مقصودك « إذا لم أرضها أو لم يرتبط » ؟ . فيقول لبيد : الوجه الأول أردت .

ثم يقول له : « فما مفزك في قولك :

وَصَبُوحٍ صَافِيَةٍ وَجَذْبِ كَرِينَةٍ بِمَوْتَرٍ تَأْتَالُهُ لِبَهَامُهَا » (٥)

(١) وانظر الغفران تحقيق بنت الساطي . ط ١ ص ٢٥١ .

(٢) انظر كتاب سيويه ج ١ ص ٤٥٢ .

(٣) وانظر الغفران تحقيق بنت الساطي . ط ١ ص ١٠٧ .

(٤) ديوان تحقيق الدكتور إحسان عباس ص ٣١٣ وفيه : « أو يبتلي .. »

(٥) المصدر السابق ص ٣١٤ .

فإن من الناس من يثدده « تأثله » يجعله « تفتعله » من « آل الشيء » إذا ساءه ، ومنهم من يثدده : « تأثله » من الإتيان . فيقول لبيد : كلا الوجين يحمله البيت .

ثم ذكر قول أبي علي الفارسي في هذا البيت ، وتهكم به ، حتى قال لبيد : « معترض ليعتنن لم يعنه ^(١) . الأمر أيسر مما ظن هذا المتكلف » .

وذكر في (الفجران ص ١٠٤) ^(٢) أن الشيخ ينادي في الموقف : « أين عدي بن ربيعة (مهمل التخلي) . . . الذي يستهد النحويون بقوله :

ضَرَبَتْ صَدْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ يَا عَدِيًّا لَقَدْ وَقْتُكَ الْاَوَاقِي ^(٣)

وقد استشهدوا له بأشياء . . . ثم ذكر بيتين له . ثم أنشأ على قصيدته الرائية ؛ ثم سأله عن سبب تسميته « مهلاً » فشفى صدره . وذكر في (الفجران ص ١٨٧) ^(٤) أبياتاً منها قوله :

اَتُوبُ إِلَيْكَ يَا رَبَّاهُ مِمَّا جَنَيْتُ فَقَدْ تَظَاهَرَتِ الذُّنُوبُ ^(٥)

ثم قال : « فيقول : أليس قال البصريون : إن هاء الندبة لا تثبت في الوصل ، والهاء في قوله : « يا رباه » مثل تلك الهاء ليس بينها فرق ؟ » .

(١) مثل مضرب للمعترض لما ليس من شأنه ، ر. الفارس :

لنا فتى نبشأ به معترض لنفنه لم يهنه

المحيط (عن)

(٢) وانظر الفجران تحقيق بنت العاطي ط ١ ص ٢٧٠ .

(٣) من قصيدة للمهمل التخلي مطلقاً :

طفة ما أبنة الجلال يضا . لعوب لربنة في الضاق

انظر شعراء النصرانية ص ١٧٧ وانظر البيهقي حاشي الخزانة ج ٤ ص ٢١١ .

(٤) وانظر الفجران تحقيق بنت العاطي ط ١ ص ٤٩٨ .

(٥) البيت المجنون لبيد ، انظر ديوانه ص ٤ .

ثم ذكر أبياتا منها قوله :

عَسَى فَارِجُ الْكَرْبِ عَنْ يُوسُفٍ يُسَخَّرُ لِي رَبَّةَ الْمُحَمَلِ (١)

فقال : ما أيسر لفظ هذه الأبيات ، لولا أنه حذف « أن » من خبر « عسى » .

الانقراض في العروض والقوافي

ربما كانت هذه المسألة من أدق المسائل ، وأكثرها غموضاً وتعقيداً ؛ وأشدّها خطراً ، لما يترتب عليها من تخطئة الشعراء ، وتلحين البغضاء الذين يحتج بأقوالهم لإثبات أصل اللغة وقواعدها ؛ ولما ينفزع عليها من مخالفة المشهور من قواعد النحاة ، وتعارض القواعد الكلية ، وتضارب آراء العلماء ، والحاجة إلى تكلف وجوه بعيدة ، والتباس تأويلات ملفقة ، لتصحيح الرواية أو إصلاح الفاسد منها ، ونحو ذلك .

وإيضاح هذا يتوقف على ذكر مقدمات لا بد من معرفتها ، لتبين مواطن المخالفة والمعارضة وأسبابها . وهذا يحتاج إلى بسط وتوضيح ، لا يتسع له صدر هذا الكتاب . فاضطررنا تحت تأثير هذين العاملين إلى أن نوجز في القول ، ونقتصر على أشد ما تدعو الحاجة إلى ذكره منه فنقول :

١ - لا شك أنه وردت في أشعار الجاهليين والمخمرمين أبيات أوزانها مخالفة للمشهور المتداول عند شعراء المصريين المذكورين ؛ كما وردت أبيات في قوافيها ما لا يستحسنه شعراء المصريين ، ولا العلماء بالشعر ، وفيها ما تأباه قواعد النحر ونقول اللغة .

٢ - ذهب بعض العلماء إلى أن شعراء هذين المصريين كانوا ينظمون أشعارهم على أوزان يدركونها بغرائزهم ، ويحسون بما يقع فيها من الخلل

(١) البيت لسر بن أبي ربيعة

بطباعهم ؛ وأن غريزة الشاعر أو السامع تدله على مواطن الخلل في الوزن ، كما تدله على مواطن الخروج عن الأسلوب المرتضى في القوافي . ونوسع أناس في تأييد هذا الزعم حتى قال قائلهم :

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعُولُ مَسَائِلُ كُلُّهَا فَعُولُ
قَدْ كَانَ شِعْرُ الْوَرَى صَحِيحًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْخَلِيلُ
وهناك فريق لم يرتض هذا الرأي ، ولكنه لم يبتن ما هو الميزان الذي كان الشعراء يزنون به أشعارهم ؛ وما هو الشيء الذي كانوا يقولون عليه في تمييز الصحيح من الفاسد في القوافي .

٢- إن العلماء بالشعر من صدر الدولة العباسية إلى هذا اليوم ، لم يطلعوا على جميع الأشعار التي نظمها أهل هذين العصرين الأولين ؛ بل كل ما اطلعوا عليه قلٌّ من كثير ؛ فقد ذكر ابن قتيبة في (الشعر والشعراء ص ٦) : « أن أبا ضمضم أنشد جماعة لمائة شاعر كلهم اسمه عمرو . قال الأصمعي : فمددت أنا وخلف الأحمر فلم نقدر على أكثر من ثلاثين ... ثم قال : هذا ما حفظه أبو ضمضم ، ولم يكن بأروى الناس . وما أبعد أن يكون من لا يعرفه من المسين بهذا الاسم أكثر ممن عرفه . هذا إلى من سقط شعره من شعراء القبائل ؛ ولم تحمله إلينا الرواة والعلماء » اهـ . وعلى هذا تكون جميع أحكام العلماء على الشعر والشعراء مبنية على استقراء ناقص ، وهو لا يفيد اليقين .

٣- ذكر بعض العلماء أن بعض القبائل تنف بالكون على كل متحرك . ولم تبين الرواة لغة كل شاعر ، ليعلم هل لفته كذلك أم لا ، وأن الشاعر الذي يقف على الروي المطلق بالكون لا يظهر في كلامه إقواء ولا إضراف .

٥ - يتضح من كلام المروضين أن البيت الذي يكون فيه إقواء مثلاً يجب أن تقرأ كلمة الروي فيه على حسب ما يقتضيه العامل فيها من وجوه الإعراب ، مع قطع النظر عن حركة روي القصيدة ، وبذلك يتبين الإقواء وغيره . وقصة النسابة في أبياته الدالية^(١) تشهد لذلك ، لأنها لو قرئت على ما تقتضيه القافية لم تتبين فيها عاهة . ويتضح من كلام النحاة أن البيت المذكور ، يجب أن تقرأ كلمة الروي فيه على الوجه الذي تقتضيه قافية القصيدة ، وإن كان مخالفاً لقواعد النحو ؛ لأنهم قالوا : إن من جملة المواضع التي يقدر فيها الإعراب ، كما اشتمل آخره بحركة القافية ؛ ومقتضى هذا أن كلمة الروي تحرك بحركة القافية ، وتقدر فيها الحركة التي يقتضها العامل للتعذر لاشتغال المهمل بحركة القافية .

وقد استوفينا الكلام في هذا البحث في كتابنا (النهل الصافي في العروض والقوافي) .

٦ - ذكر النحاة ، في مباحث التنوين ، أن قسماً من التنوين يقال له : « تنوين الترغم » وهو الذي يلحق القوافي المطلقة بحرف علة في لغة قيس وتميم بدلاً من حرف المد . ومثلوا لذلك بقول الشاعر :

أَقْلِي اللُّومَ عَاذِلَ وَالْعَتَابِينَ وَقُولِي إِنَّ أَصْنَبَ لَقَدْ أَصَابِينَ^(٢)

وقول الشاعر :

أَزِفَ التَّرْحَلُ غَيْرَ أَنْ رَكَابَنَا لَمَّا تَزَلْ بِرَحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدِينَ

(١) انظر البيت الذي وقع فيه الإقواء في دالية النابعة في مختار الشعر الجاهلي - مصطفي السقا ج ١ ص ١٨٣ .

(٢) البيت مطم فصيحة لجرير يجهوياً الفرزدق ، وفي ديوان جرير ص ٦٤ طبعة السوي ١٣٥٣ هـ أنه يجهوياً الراعي النجدي وهي في نقائش جرير والفرزدق ص ٤٢٢ انظر سيبويه ج ٢ ص ٢٩٨ فاجمعا (باب وجوه القوافي في الإنشاء) .

وقسم آخر منه يقال له : « التنوين الغالي » وهو الذي يلحق القوافي المقيدة التي يكون رويها حرفاً صحيحاً ساكناً كقول رؤبة :

وقاتم الأعماق خاوي المخترق^(١)

ولم تبين الرواة هل كان هذا التنوين يلحق كل قافية ؟ أم يلحق بعضاً دون بعض ؟ والقافية التي يلحقها التنوين لا تظهر عليها حركة الإعراب أحياناً فلا يبين فيها إقواء ولا غيره .

٧ - إن فريقاً من العلماء ، ذهب إلى أن الإقواء لا يجوز على امرئ القيس وأمثاله .

٨ - وقع في كلام بعض شعراء العصر المبامي شيء من الإخلال بالوزن ، وبعض عيوب القافية .

ونحن إذا استقرنا معظم ما انتهى إلينا من أنواع الشعر المنقول عن أهل هذين العصرين ، وأنعمنا النظر في أوزانه وقوافيه ، تبين لنا أمران : أحدهما يتعلق بالأوزان ، والثاني يتعلق بالقافية .

أما ما يتعلق بالأوزان : فإننا نجد قسمًا من أوزان الشعر تستطيع الغريزة السليمة وحدها أن تدرك ما فيه من خلل زيادة أو نقصاً . كبعض الأبيات التي جاءت من الطويل ، والبسيط ، والكامل ، والوافر ، ونحوها . ونجد قسمًا آخر لا تستطيع الغريزة وحدها أن تدرك ما فيه ، بل لا تمكن معرفته ولا مراعاته إلا بواسطة ضوابط ومقاييس ، تميز الغريزة على معرفته وإدراكه ، وذلك كبعض الأبيات التي جاءت من ضروب المديد ، والسريع ، والمنسرح ، والخفيف ، والمجث . وبعض الضروب

(١) البيت من ارجوزة لرؤبة بن البجاج وهي بيتها في أراجيز العرب ص ٢٢ فا بعدها .

والأعاريض التي دخلت عليها الزخافات والعلل من بحور مختلفة فإن كثيراً منها يستحيل على الغريزة وحدها أن تدركه .

ولكن الرواة لم ينقلوا إلينا شيئاً يدل على تلك الضوابط والمقاييس ؛ ولا نستطيع أن ندعي وجودها لأسباب ، منها :

١ - عدم وجود نصوص تثبت وجودها عند المتقدمين .
ومنها :

٢ - أن جماعة من فحول الشعراء أخلتوا بالوزن في مقلدات أشعارهم ، كمبيد بن الأبرص ، وعدي بن زيد ، والمرقش الأكبر ، وطرفة ، وغيرهم . ولو كانت لديهم قواعد معروفة لأدركوا بسببها ما في أشعارهم من خلل ، قبل أن تدركه الرواة وغيرهم . ولكانت الرواة اتفقت على تصحيح الروي على وجه واحد في غالب الأحيان . ولم يقع تضارب في الروايات يؤدي إلى ارتكاب ما لا يجيزه قواعد اللغة ، أو إلى خروج الكلمة من معنى إلى معنى آخر بعيد عما يريده الشاعر ؛ فيلتمسون لذلك وجوهاً متكلفة ، وآراء ملفقة ؛ يرى الباحث كثيراً منها في كتب العروض والنحو والأدب . وأما ما يتعلق بالقافية ، فإننا نجد في كلام أهل المصريين المذكورين شيئاً يدل على ضعف في ملكة الشاعر اللغوية والأدبية . وضعفاً في غريزته التي يدرك بها ؛ وهو ما يسميه المتأخرون : (عيوب القافية) وذلك كالتضمين (١) في قول النابغة :

وَهُمْ وَرَدُوا الْجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمٍ عُكَظَ إِنْـي^(٢)
شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ

(١) التضمين : هو ألا يتم معنى البيت إلا بالذي يليه . المحبط (ضمن)

(٢) غام البيت الثاني : « أتيتهم بود الصدر مني » والبيان من نونه التي مطلبها :

غشيت منازلًا بمرينات فاعلى الجزع لحي اللب

مخار الشعر الجاهلي - مصطفى السكا - ج ١ ص ٢٠٠ .

والإبطاء [وهو أن تكرر القافية لفظاً ومعنى كما] في قول النابغة أيضاً :
 أو أضع البيت في خرساء مظلمة تقيّد العيز لا يسري بها الساري^(١)
 ثم قوله بعد :

لا يخفصر الرز عن أرض ألم بها ولا يضل على مصباحه الساري
 والإقواء [وهو مخالفة القوافي في القصيدة برفع قافية وجر أخرى كما] في قول النابغة :
 بمخضب رخص كان بنائه عثم يكاد من اللطافة يعقد^(٢)
 والإصراف [وهو مخالفة القوافي بفتح مع ضم أو فتح مع كسر كما] في
 قول امرئ القيس :

فطل طهاة اللحم ما بين منضج صفيف شواء أو قدير معجل^(٣)
 وفي قول جرير :

عرفنا جعفرأ وبني أبيه وأنكرنا زعاف آخرين^(٤)
 وسناد التأسيس [وهو أن يأتي بيت مؤسس وآخر غير مؤسس كما] في قول
 امرئ القيس :

إذا قلت هذا صاحب قدر ضيئه وقرت به العينان بدلت آخرأ^(٥)
 كذلك جدي لا أصاحب صاحباً من الناس إلا خاني وتغيرا

(١) مختار النثر الجاهلي - مصطفى الفا - ج ١ ص ١٧٧ - ٨ وفيه : « وفي سوداء مظلمة » .

(٢) انظر ما سبق ص ٨٤٩ .

(٣) البيت من مظنة امرئ القيس مكسورة لام القافية ، ديوانه ص ٥٨ (بيروت) .

(٤) البيت من قصيدة مكسورة نون القافية بخاطب جرير فيها فضالة حين أوعمه بلفظه

ومعني في ص ٥٧٧ من ديوانه طبع الصاوي ١٣٥٣ هـ وأول القصيدة :

مرثى من مرثية ليس منا برئت إلى مرثية من مرثى

(٥) ديوانه ص ٩٧ (بيروت) .

ونحو ذلك بما هو مبين في كتب العروض والأدب . وأكثر ما وقع في كلامهم الإقواء ، حتى قال الأخفش : الإقواء رفع بيت وجر آخر ، وقد سمعت هذا من العرب كثيراً لا أحصي ، وقلت قصيدة ينشدونها إلا وفيها إقواء ، ثم لا يستكرونها ، لأنه لا يكرر الشعر : وأيضاً فإن كل بيت على حياله ؛ وقد أشرنا قبلاً إلى أن بعض العلماء أنكروا جواز الإقواء على امرئ القيس وأمثاله . والحق أنه وقع في كلام امرئ القيس في معلقته كقوله :
 كَانَ ثَبِيرًا فِي عَرَايِنٍ وَبَلَهْ كَبِيرُ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ^(١)
 وكقوله في غير المعلقة :

جَالَتْ لَتَصْرَعَنِي فَقُلْتُ لَهَا اقْصِرِي إِنِّي أَمْرٌ صَرَعَنِي عَلَيْكَ حَرَامٌ^(٢)
 فَجَزَيْتِ خَيْرَ جَزَاءٍ نَاقَةٍ وَاحِدٍ وَرَجَعْتَ سَالَةً الْقَرَا بِسَلَامٍ
 وفي معلقة زمير كقوله :

وَلِإِنْ سَفَاهَ الشَّيْخَ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ وَإِنْ لَقِيَ بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمُ^(٣)

(١) البيت من معلقة امرئ القيس مكسورة اللام ، وفي رواية البيت ضم لام (مزمل) الواو عند الكثيرين ، وقد خضع آخرون هذه اللام على المجاورة لـجاء ومثله ما روي من قول الرب : صفا جبر ضير خرب ومثله أيضاً قول الأخطل :

جزى أمة على الأمور ملامة وفروة ثمر الثورة للضاجم
 بحر الضاجم على جوار الثروة . الظر بـجاء الجميع المحي الذي ص ١٦٧ من المجلد
 ٣٨ ج ١ . سنة ١٩٦٣ .

(٢) ديوانه ص ١٦٣ (بيوت)

(٣) اللغات - فصح الزولاني (بيوت) ص ٨٩ .

وفي معلقة الحارث بن حذافة كقوله :

فَمَلَكْنَا بِذَلِكَ النَّاسَ حَتَّى مَلَكَ الْمُنْذِرُ بِنُ مَاءِ السَّمَاءِ ^(١)

وفي شعر النابغة الذبياني كثيراً كقوله :

زَعَمَ الْغُرَابُ بَأْنَ رَحَلَتْنَا غَدَاً وَبِذَلِكَ خَبَرَنَا الْغُدَاةُ الْأَسْوَدُ

.....

..... عَنْهُمْ يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يَعْقِدُ ^(٢)

وفي شعر حسان بن ثابت كقوله :

لَا بَأْسَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ عِظَمٍ جَسْمُ الْبِغَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ ^(٣)

كَأَنَّهُمْ قَصَبٌ جُوفٌ أَسَافِلُهُ مُثَقَّبٌ تَفَخَّتْ فِيهِ الْأَعَاصِيرُ

وفي شعر دريد بن الصمة كقوله :

فَدَاقَعْتُ عَنْهُ الْحَيْلَ حَتَّى تَنْفَسَتْ

وَحَتَّى عَلَانِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدُ ^(٤)

(١) غنار الشعر الجاهلي - كيلاني - ج ٢ ص ٣٤٦ والمطابقة مضمومة الفاية .

(٢) صدر البيت : « بمخضب رخص كان بنانه .. » واليتان من دالية النابغة المكسورة الفاية . انظر ما سبق ص ٨٤٩ .

(٣) اليتان من قصيدة لسان في عجايب الجاهلي وقومه بني عبد الدان وهي لـ ديوانه ص ٢١٣ طبع البرقوق ، ورواية البيت الثاني فيه :

كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ جُوفٌ أَسَافِلُهُ مُثَقَّبٌ فِيهِ أَرْوَاحُ الْأَعَاصِيرِ

ولا إقواء في هذه الرواية .

(٤) البيت من قصيدة طوية يرثي دريد بن أخواه عبد الله وهي مكسورة الفاية وراجعها في الأغاني طبع دار الكتب ٩/١٠ . ورواية الحاشية ٣٤٤/١ : « أسودي » ياء النسب المختفة فلا إقواء عندئذ .

وفي كتب الأدب ودواوين الشعر كثير من الأمثلة التي خالف فيها أصعابها المشهور من قواعد النحر لأجل القافية . . ولم نجد في كلام العلماء ما يدل على أن المتقدمين كانوا قد وضعوا مثل هذه المسائل قواعد عامة ، أو ضوابط كلية ، يرجعون إليها في معرفة القوافي السالمة من العيوب ، وغير السالمة منها . وإن وجد في كلام بعضهم الإقواء ، والإضجاع ، والسناد . وإذا قلنا : إنهم كلوا يدركون ذلك بطباعهم وغرائزهم ، فإن بعض الحوادث لا يدل على ذلك ؛ لأن العقل يستبعد أن يخطئ النابغة مثلاً في لفته الفطرية ، وأن لا يدرك ما في شعره من العاهات ؛ ثم يدركه من هو أدنى منه في غريزته ، وأضعف منه في لفته وأدبه .

وكذلك يستبعد من مثل زهير بن أبي سلمى أن ينظم شعره وينقحه ويعرضه حولا كاملاً ، ثم يبرزه وهو مخالف لأصول لفته الواضحة ، وقواعدها المشهورة ، ولأسلوب الشعر المعروف في عهده . ويخفى ذلك عليه وعلى من عرض عليه شعره ، وهكذا يقال في شعر امرئ القيس ، والحارث بن حنظلة ، ودريد بن الصمة ، وأمثالهم ممن جاءت أشعارهم مؤرقة . وأغرب ما في الأمر أن علماء اللغة يحتجون لإثبات معانيها ، وقواعد إعرابها ، بكلام هؤلاء الشعراء الذي يتكلمون به ، على الوجه الذي يتكلمون به ، لأنهم يستمدون قواعد اللغة ومعانيها من أقوالهم ، فكيف يعدون إقواءه مثلاً غلطاً في لفته ؟ وهو قد تكلم به كما تكلم بغيره من الكلام الذي اتخذ حجة في إثبات معنى اللغة وإعرابها . وهذا يقتضي أن تكون لهم أصول يرجعون إليها في تمييز الخطأ من الصواب ، ويعملون عليها في تمييز الصحيح من الفاسد ؛ وبسببها استطاعوا أن يدركوا ما لم يدركه الشاعر بغيره من العاهات . وما ذكرناه يتضح أن موقف الناقد في العروض والقوافي دقيق جداً ، وعنفوف بالمتناقضات ، لأنه إذا رأى بيتاً أو أبياتاً لشاعر ، فيه أو فيها عاهة من العاهات ، لا يستطيع أن يحكم عليه أو عليها بشيء حتى يعلم جا (٢٠)

لغة الشاعر ، هل يقف بالسكون على كل متحرك أم لا ؟ ثم يعلم كيف روي الشعر ، هل كان على وفق ما يقتضيه قول العروضيين أو قول النحاة ؟ وهل روي مع أحد التدرينين التزم أو الفالي أم لا ؟ ثم يحكم عليه بعد ذلك بالإقواء ونحوه ، مع علمنا أن بعضهم لا يميز الإقواء على امرئ القيس وأمثاله ، وأن بعضاً آخر قال بوجود الإقواء والإصراف والسناد وغيرها في شعر المتقدمين .

موقف أبي العلاء في هذه القضية

لا شك أن أبا العلاء كان يعلم كل ما ذكرناه ، ويعلم غيره مما لم نذكره من وجوه الاختلاف والتضارب المثيرة للشكوك ، والباعثة على التردد والحيرة . ولذلك لم نعث في كلامه على نص صريح ، يبين ما استقر عليه رأيه في هذه القضية ، وإنما وجد في كلامه ما يدل على أنه لم يعول على رأي واحد .

فقد قال في (رسالة الغفران ص ٥٥) ^(١) : « الشعر كلام موزون تقبله الغريزة » .. وقال (ص ٨٧) ^(٢) لامرئ القيس : « إن رواة البغداديين يفتشون قولك :

وَكَأَنَّ تُرَى رَأْسِ الْجَيْمِرِ ^(٣)

. . .

[وكذلك] : وَكَانَ مَكَكِيَّ الْجَوَاءِ ^(٤)

(١) الغفران ط أمين حندية وانظر بنت الشاطئ . ص ١٤٨ .

(٢) الغفران ط أمين حندية وانظر بنت الشاطئ . ص ٢٢٥ .

(٣) تمام البيت :

غداة من الليل والنساء فلسكة مغزل ،

ديوانه ص ٦٢ (بيروت) .

(٤) المصدر السابق وقام البيت :

صبغ سلافاً من رجبى مطلق ، غداة

زيادة الوار في أولها ، فيقول امرؤ القيس : أبعد الله أولئك ، لقد أساءوا الرواية ، وإذا فعلوا فأبي فرق يقع بين النظم والنثر ؟ وإنما ذلك شيء فعله من لا غريزة له في معرفة وزن القريض ، فظنه المتأخرون أصلاً في المنظوم . وهيأت هيأت ١١ . ويقول له (في ص ٨٧) : « وبعض المعلمين ينشد قولك :

مِنَ السَّيْلِ وَالْغُثَاءِ فَلَكَّةٌ مِّمَّنْ

فيشدد الثاء . فيقول : إن هذا لجهول ، وهو نقيض الذين زادوا الوار في أوائل الأبيات ، أولئك أرادوا النسخ ، فأفسدوا الوزن . وهذا البائس أراد أن يصحح الزنة فأفسد اللفظ . وكذلك قولي :

فَجِئْتُ وَقَدْ نَهَضْتُ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا^(١)

منهم من يشدد الضاد وإنما حلهم على التشديد كراهة الزحاف ، وليس عندنا بمكرهه ... » .

ثم يقول له (في ص ٨٨) : « أخبرني عن كلمتك الصادية ، والصادبة ، والنونية^(٢) لقد جئت فيها بأشياء ينكرها السمع » . ويورد من كل كلمة

(١) قام البيت : « لهي الزى إلا لبة للفضل » انظر النثران لمحقق بنت الناطق ص ٢٢٧

(٢) ثلاث قصائد لامرئ القيس مطالبها :

أمن ذكر سلمي إذ تأتت توس تنصر عنها خطوة أو نبوس

.

أعني على يرك أراء وميض ضيحي حياً في شاربخ يرض

.

لن ظل أجبره لفيالي كنط زيور في صيب بمان

دوراه الصفحات ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٧٠ (حيون) .

بيئاً ثم يقول : « ... في أشباه لذلك ، هل كانت غرائزكم لا تحس بهذه الزيادة ؟
أم كنتم مطبوعين على إتيان منامض الكلام ، وأنتم عالمون بما يقع فيه ؟ .
كما أنه لا ريب أن زهيراً كان يعرف مكان الزحاف في قوله :

يَطْلُبُ شَأْوَ امْرَأَيْنِ قَدْ مَاحَسَبَا نَالَا الْمُلُوكَ وَبَدَأَ هَذِهِ الشُّوْقَا^(١)

فإن الغرائز تحس بهذه المواضع فيقول امرؤ القيس : أدركنا الأولين
من العرب لا يحفلون بمجيء ذلك ، ولا أدري ما شجن^(٢) عنه . فأما أنا
وطبقي فكنا نمر بالبيت حق فأتى إلى آخره ، فإذا فني وقارب تبين
أمره للسامع .

ثم يقول له : « أخبرني عن قولك :

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُمْ صَالِحٌ^(٣)

أنتشده (لَكَ مِنْهُمْ صَالِحٌ) فتزاحف بالكف ، أم تنتشده على
الرواية الأخرى^(٤) فيقول : أما أنا فما قلت في الجاهلية إلا بزحاف : « لك
منهم صالح » ؟ وأما الملون في الإسلام فغيروه على حسب ما يريدون ، ولا
بأس بالوجه الذي اختاروه .

(١) من قصيدة لزهير بن أبي سلمى يمدح بها هرم بن سنان مطلعها :

ان الحليط اجد البين فاقربا وعلق القلب من أمها ما علقا

وهي في ديوانه (بفرح الشننري طيبة القاهرة) ص ٣٤ و (حباً) فيه (حناً) .

(٢) شجن : منع وجس .

(٣) قوله : « . . . ولا سيما يوم بشارة جليل » .

واليت من سلفه امرؤ القيس انظر ديوانه ص ٣٢ (يرون) .

(٤) روي هذا البيت على الوجه المذكور ، وروي هكذا : « الارب يوم من البيش

صالح ، وروي هكذا ايضاً : « الارب يوم صالح لك منها » وعلى الرواية الأولى

فيه كـف النصبة الثانية : وهو على الروايتين الآخرين سالم من زحاف الكف . (ج)

ويقول له في (ص ٩٠)^(١) كيف تشد :

جَالَتْ لِتَصْرَعَنِي فَقُلْتُ لَهَا اقْصِرِي^(٢)

أقول : « حرام » فتقوي أم تقول : « حرام » فتخرجه نخرج « حدام
رقطاع » وقد كان بعض علماء الدولة الثانية يحملك لا يجوز الإقواء عليك ؟ .
فيقول امرؤ القيس : لا نكرة عندنا في الإقواء ، أما سمعت البيت في
هذه القصيدة :

فَكَانَ بَذْرًا وَاَصِلُ بِكُتَيْفَةٍ وَكَانَمًا مِنْ عَاقِلٍ إِرْمَامُ

فيقول : لقد صدقت يا أبا هند ، لأن « إرماما » هاهنا ليس واقعا
موقع الصفة فيحمل على المجاورة ، لأنه محمول على كأنما

وقال في (ص ٢٨) لعدي بن زيد ، وقد أنشده قوله في ولده علقمة :

أَنِعْ صَبَاحًا عَلَقَمَ بْنَ عَدِي أَتَوَيْتَ الْيَوْمَ لَمْ تَرَحَلْ^(٣)

(١) الفران ط أمين هندية وانظر بنت الشاطي ص ٢٢٢ .

(٢) في بنت الشاطي : « ... فقلت لها قري .. » وقام البيت : « إني اسهرؤ مرعي
عليك حرام » وهو من مبيته التي مطلها :

لن الديار غشيتا بحام فهاينين ، نهضب ذي العام ؟
ديوانه ص ١٦٣ (بيروت) .

(٣) هذا البيت من قصيدة لعدي مطلها :

تعرف امس من ليس طلال مثل الكتاب الدارس الأحوال
وهو من السريع ، جات عروضة بخبولة مكشوفة « فتلن بدلا من مفعولات »
وجاء الضرب اسلم « فتلن بدلا من مفعولات » وأليت مصرع وحق المصراع ان
تجي العروض فيه مشابهة للضرب ، ولم تجيء هاهنا كذلك .

وكذلك قوله : الم صباحاً علقم .. جات عروضة بخبولة مكشوفة ، وجاء ضربه
اسلم والمشهور ان عروض السريع هفه لها ضرب واحد مثلاً . (ج)
وانظر الفران تحقيق بنت الشاطي ط ١ ص ٨٣ .

وإني لأحار بأعاصر العرب في هذه الأوزان التي نقلها عنكم الثقات
وتداولتها الطبقات . ومن كلمتك التي على الراء وأولها :

قَدْ أَنْ أَنْ تَصْحَوْ أَوْ تُفْصِرَ وَقَدْ أَتَى لِمَا عَهَدْتَ عُصْرُ
عَنْ مُنْبِرَاتٍ بِالْبُرَيْنِ وَتَبْدُو بِالْأَكْفِ اللَّامِعَاتِ سُورُ
بَيْضٌ غَلِيظٌ الدِّمَقْصُ وَبَالُ أَغْنَاكِ مِنْ تَحْتَ الْأَكْفَةِ دُرٌّ^(١)

(١) وهذه الأبيات من السرج ، جاء في مروض البيت الأول العلم (فتلين بدل مفعولات)
وجاء الضرب مخبولا مكشوبا (فتلين بدل مفعولات) والبيت مصرع ، ولم تنأه
عروضه ضربه . وجاءت العروض في البيت الثاني وما بعده مخبولة مكشوفة ، وجاء
الضرب مماثلة لها .

وقد ذكر الروضيون أن السرج أربع أعارض : الأولى مطوية مكشوفة ، ولها
ثلاثة أضرب ، الأول : مطوي موقوف . والثاني : مطوي مكشوف ، والثالث :
اسلم . والعروض الثانية مخبولة مكشوفة ، ولها ضرب واحد مثلها كقول الرقش :

النَّشْرَ سَكَّ وَالْوَجْهَ دَنَا نَبْرَ وَأَطْرَافَ الْأَكْفِ نَخَمُ

هذا هو المختار المشهور ، وقد أثبت بعض العلماء العروض الثانية ضربا اسلم ؛ ونقل من
الحليل والجمهور : وقيل إنه هو ضربها المكشوف المخبول النقول إل (فتلين) لكنه
زوخ بالإختار صار (فتلين) .

وقلوا : يجوز اجتماع هذا الضرب الأصام مع الضرب الآخر المخبول المكشوف في
قصيدة واحدة ، كما وقع ذلك في قصيدة الرقش جث يهول فيها :

الْفَارُ هَرَّ وَالرُّسُومُ كَا رَقْشٌ فِي ظَهْرِ الْأَدِيمِ ظَلَمُ

وَبَارُ أَسْمِهِ الَّتِي تَبَلَّتْ ظَلَمِي فَمِنْ مَأْوَئِهِ جَمُ

وهو هنا يكون اعتراض أن اللاء على عدي والرقش وطرفة في غير محله وإيضاح

هنا هي كتابنا للنهل الصافي . (ج)

وقال في (ص ٩٨)^(١) لطرفة : « ولقد جئت بأعجوبة في قولك :

لَوْ كَانَ فِي أَفْلَاكِنَا مَلَكٌ يَفْصِرُ فِينَا كَالَّذِي تَفْصِرُ
لَا جَبْتَبْتُ صَخْنِي الْعِرَاقِ عَلَى حَرْفِ أُمُونِ دُقْهَا أَزُوزَ
مَتَعْنِي يَوْمَ الرَّحِيلِ بِهَا فَرَعٌ تَنْقَاهُ الْقِدَاحُ يَسْرَ^(٢)

ولكنك سلكت مسالك العرب فجئت بقريء كلية المرقش :

هَلْ بِالْدِّ يَارَ أَنْ تُجِيبَ صَمَمٌ لَوْ كَانَ حَيًّا نَاطِقًا كَلَمَّ^(٣)
وقول الأعشى :

أَقْصِرْ فَكُلُّ طَالِبٍ سَيَمَلَّ^(٤)

على أن مرقشاً خلط في كلامه ، قال :

مَاذَا عَلَيْنَا أَنْ غَزَا مَلَكٌ مِنْ آلِ جَفْنَةَ ظَالِمٌ مُرْغَمٌ^(٥)

(١) من رسالة الطرمان طاجين حندية وانظر بنت الناطلي ص ٢٥٣ .

(٢) هذه الأبيات من الريح ، جاءت الروض فيها بخبولة مكسوفة ، وجاء الضرب في البيت الأول والثاني أصل ، وفي الثالث بخبولا مكسوفاً كالروض . وقد ذكرنا قول الروضيين فيه . (ج)

(٣) هذا البيت مصرع ، ولكن جاءت عروضه بخبولة مشكولة ، وجاء ضربه أصل . (ج)
والبيت للمرقش الأكبر ، انظر للفضليات تحقيق - شاكر ، وهارون ص ٢٣٧
وفيه : « .. لو كان رسم ناطقاً كلم » .

(٤) غام البيت : « إذ لم يكن على الحبيب قول » . ديوان طاوربا ص ١٨٩ .

(٥) هنا البيت شطره الأول من الريح ، عروضه بخبولة مكسوفة ، والقطر الثاني منه من الكامل في أول تنبئة منه إهمار ، والثانية تامة ، والثالثة فيها إهمار وحذف . وإذا جئت الشطر الأول من الكامل فيكون في الضبعة الأولى إهمار ، وتكون عروضه حذاء ، وحذف لا شاهد فيه . (ج)

ورواية البيت في الفضليات ص ٢٣٩ :

« ما ذهبت في أن هزاهك من آل جنة لحزم مرهم »

وهذا خروج عما ذهب إليه الخليل .
وقال في (ص ٩٦) (١) للعرث اليشكري : « لقد [أتبت الرواة في
تفسير قولك :

زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْنَ رَمُومًا لَنَا وَأَنَا الْوَلَاءُ
وما أحسبك أردت إلا العير المحار . ولقد [شئت هذه الكلمة
بالإقواء في ذلك البيت (٢) ويموز أن تكون لفتك أن تلف على آخر
البيت ساكناً ، وإذا فطمت ذلك أشبه المطلق بالمقيد .
وقال في (ص ٩٥) (٣) لعمرو بن كلثوم : « لوددت أنك لم
تسأني في قولك :

كَانَ مُتَوْنُهُنَّ مُتَوْنُ غُذِرٍ تُصَفِّقُهَا الرِّيحُ إِذَا جَرَيْنَا (٤)
وقال في (لزوم ما لا يلزم ص ٢٠) (٥) : « ومن الحركات الجري ،
وهي حركة الروي ، فإذا اختلفت فهو الإقواء ، وأكثر ما يجيء في المرفوع
والمخفوض ، ويقال : إنهم اجتروا على ذلك لأنهم يقفون على الروي بالسكون .
وإنما أجازوا ذلك في المرفوع والمخفوض ، وكرهوا الفتحة أن تجيء مع
الكرة أو الضمة .

فأما الخليل وابن معدة فلم يذكرهما . وقد جاءت أشياء في الشعر

(١) من النفران ط أمين حندية وانظر بنت العاطية ص ٢٤٨ .

(٢) يريد قوله للمعلم :

فلنكا بذلك الناس حتى ملك للنسرين ماء النار (ج)

(٣) من النفران ط أمين حندية وانظر بنت العاطية ص ٢٤٤ .

(٤) قبل هذا البيت :

إذا وضعت من الأبطال يوماً رأيت لها جلود النجوم جوتا

وفيه سناد الحنو ، وهو اختلاف حركة الحرف التي قبل الرفع بالفتح مع الضمة (ج)

انظر مرجع اللغات السبع للزوزني ص ١٣٢ (بيروت) ولها : « كأن غصونين

متون ... » .

(٥) شرح عز زنديط المحروسة بمصر ، وانظر الزوحيات ص ١٠ .

القديم بعضها منصوب ، وبعضها مرفوع أو مخفوض وإنما يُحتمل ذلك على الوقف لأنه يبعد أن يقول عربي فصيح له علم بالشعر :

الْمُتَغَمِّضُ عَيْنَاكَ لَيْلَةً رَمَدًا وَبَتَّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدًا
فيجيء بالألف ، ثم يجيء بيت مرفوع أو مخفوض ، إذ كانت الألف منافية للوار والياء .

وإذا حكم بالوقف على القافية ، فلا فرق بين الحركات الثلاث ، على أن تعاقب الحركتين الكسرة والضمة أكثر من معاينة القعة لإحدى هاتين « اهـ » . وذكر في (رسالة الغفران)^(١) قول أبي الهندي :

سَيُعْنِي أَبَا الْهِنْدِيِّ عَزَّ وَطَبَّ سَالِمٍ أَبَارِيقُ لَمْ يَغْلُقْ بِأَوْضُرِّ الزُّبْدِ
مُفَدِّمَةٌ قَرَأَ كَانَ رِقَابُهَا رِقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ أَفْرَعَهَا الرِّعْدُ

ثم قال : « هكذا ينشد على الإقواء ، وبعضهم ينشد : « رقاب بنات الماء خافت من الرعد » والرواية الأولى إنشاد التحرين . وأبو الهندي إسلامي واسمه عبد المؤمن بن عبد القدوس^(٢) ، وهذان اسمان شرعيان ، وما استشهد بهذا البيت لإيقاظه عند المستشهد فصيح . فإن كان أبو الهندي من كتب وعرف حروف المعجم ، فقد أساء في الإقواء . وإن كان بنى الأبيات على السكون فقد صح قول سعيد بن مسعدة في أن الطويل من الشعر له أربعة أضرب » .

وظاهر كلامه أنه لا يلحق شعراء الدولة الثانية بالإقواء ، ولا يندرم في غيره كما مر قوله في البحري .

(١) الغفران طابعت حندبة وانظر بنت العاطي ص ١٨ .

(٢) في الشعر والشعراء ص ٢٦٢ اهـ : عبد القدوس بن شيب . وفي الأغاني اهـ غالب بن عبد القدوس بن شيب ، وكذلك في فوات الوفيات وروى ابن خبيرة في الشعر والشعراء : « رقاب بنات الماء تفرغ للرعد » وتوفي نحو سنة ٨١٨٠ (ج)

وقال في (رسالته إلى التكتي البصري ص ١٠٩)^(١) : « أيعرض أفانين القريض ، على ضروب الأعاريض ؛ أم يقولها بفريزة ، غير مؤتسبة^(٢) النعيزة . فإن كان يبني البيت كما بناء أهل الجاهلية بطباع ، لا يعرف مكان توجيه ولا إشباع ؛ فكيف نافي المي^(٣) ، ولم يكف^(٤) السباعي . وقد كفته فصول الشعراء ... » .

وقال في (ص ١١٩) : « ولست أحده على مجانية إقواء أو إكفاء ، ولا أعد ذلك في الفريزة من الوفاء . لأن من عرف حروف المعجم ، من شعراء العرب والمعجم ، وجب عليه أن يحجر ذلك » .
وفي (ص ١٢٢) انتقد أبا عبادة البحتري لقوله :

لَمْ تُدْعَ ذَا السِّيفَيْنِ إِلَّا نَجْدَةً بِكَ أَوْجَبْتَ لَكَ أَنْ تُقْلَدَ آخَرًا^(٥)
في قصيدته التي يقول في مطلعها :

لله عَصْرٌ سَوِيْقَةٌ مَا أَنْضَرَا^(٦)

ثم قال فيه : وقد دخل فيها هو أشنع من هذا ، أليس هو الذي يقول :
لَا تُلْحِقَنَّ إِلَى الْإِسَاءَةِ اخْتَهَا شَرُّ الْإِسَاءَةِ أَنْ تُسَيَّءَ مُعَاوِدًا^(٧)

(١) هو أبو الحسين أحمد بن عثمان التكتي البصري ، انظر الرسائل شرح شاهين عظة ص ١٠٥ - ١٥٢ .

(٢) مؤتسبة : أي مختلطة ، والنعيزة : الطبيعة .

(٣) ديوانه ٢٤٣/١ ط الجوائب وفيه :

« ما قلده السيفين إلا بمجدة في الحرب نوجب أن يلد آخرًا »

(٤) وقام البيت : « إذ جاور البادون فيه الخضرا »

(٥) ديوانه ١٦٣/٢ .

وَارْقَعْ يَدَيْكَ إِلَى السَّمَاحَةِ مُفَضِّلًا

إِنَّ الْعُلَىَّ فِي الْقَوْمِ لِلْأَعْلَىٰ يَدًا ۝

ثم أورد بيتاً آخره « أبعدهما مدى » وبمده بيت آخره « يكرم والداه »^(١) .
ثم قال : « فظن أبو عبادة أن الألف التي في الكلمة المنفردة عن أختها ،
وليت الثانية من المتصلات بالضير ، أو المضرات نفوسها ، يصلح أن يكون
تأسيباً فتجيه مع والد وصاعد . وذلك يجمع على رفضه عند من تقدم .
وغيره لا يحملون الألف المنفصلة تأسيباً ، أليس قد قال المبحج :

قَدْ هَاجَ أَحْزَانًا وَشَجَوًّا قَدْ شَجَا

ثم قال :

قَمْنٌ يَغِكْفَنَ بِهِ إِذَا حَجَا

وقال عنتره :

الشَّاتِمِي عِرْضِي وَلَمْ أَشْتَمُهُمَا وَالنَّاذِرَيْنِ إِذَا لَمْ الْقَهْمَا دَمِي^(٢)

والقصيدة ليست بنؤسة . وإنما تضعف بعض الغرائز في غير المؤسس ؟
فتجيه بالتأسيس أو فيما بني عليه ؟ فتجيه بما هو خال منه .

ثم قال في (ص ١٢٥) : « وإن كان - أدام الله عزه - يقول الشعر بقياس
المروض ، فكيف تفرع هذه الأوزان التي هي سليمة قوية .. ؟ وقد شاهدنا
بعض من يقول الشعر بالمروض ، ربما ركب وزن قصيدة المرقش ، وعنده

(١) البيانها :

شروى أبي الصبر الذي مدته شيان في الحنات أبعدهما مدى
ويردني أن ليس بكرم شبة من مشر من ليس بكرم والداه

(٢) فرح المقات السج لزوزني ص ١٥٣ (بيروت) .

أن غرائز الناس اليوم لا تنفر من مثل ذلك . وأحسبه - جل الله به -
قد جمع بين طبع كالبحر الخضم ، وعلم اكتسبه جم .. « .
وذكر في (رسالة الغفران ص ١٤١) (١) قول الحكمي (٢) :

تِيَهُ مُغْنٍ وَظَرْفُ زَنْدِيقٍ

ثم قال : « فقد عيب عليه هذا المعنى » ثم قال : « وقوله في صدر
هذا البيت :

نَدِيمٌ قَلِيلٌ مُحَدِّثُهُ مَلِكٌ (٣)

فهو نحو من قول امرئ القيس :

فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ (٤)

وليس ينبغي أن يحمل على قول من وقف على الماء ، كما قال :

يَا بَيِّنْدَرَةَ يَا بَيِّنْدَرَةَ يَا بَيِّنْدَرَةَ

وكما قال الآخر :

يَارُبَّ أَبَارٍ مِنَ الْعُصْمِ صَدَعُ تَقْبُضَ الظِّلِّ عَلَيْهِ فَاجْتَمَعَ
لَمَّا رَأَى إِلَّا دَعَا وَلَا شَبَعَ مَالٌ إِلَى أَرْطَاةٍ حَقَفَ فَاضْطَجَعَ

(١) طبعه ابن خلدون وانظر بت القاطي . ص ٣٦٩ .

(٢) هو أبو نواس الحسن بن حازم .

(٣) صدر البيت هنا وميزد التي سببه مما بيت من قصيدة في مدح الباس بن
الفضل مطلقا :

كنت من الحب في فوايق
الظر ديوان أبي نواس ص ٨٩ .
(٤) البيت من لامية التي مطلقا :

بأدار ماوية بالمائل
ديوانه ص ١٤٨ (بيروت) .

لأن هذا أحسن فيه إظهار الماء ، إذ كان الكلام تاماً يحسن عليه الكوت ، وقوله : « محدث ملك » مضاف ومضاف إليه فلا يحسن فيه مثل ذلك إذ كان الاسمان كاسم واحد .
وقال فيها (ص ١٥٠) (١) في الكلام على الحلاج : « وأما الأبيات التي على الباء :

يَاسِرٌ سِرٌّ يَدِيقُ حَتَّى يَجِلَّ عَنْ وَصْفِ كُلِّ حَيٍّ
وظَاهِراً بَاطِناً تَبْدَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لِكُلِّ شَيْءٍ
يَا جُمْلَةَ الْكُلِّ لَسْتُ غَيْرِي فَمَا اُعِذَارِي إِذَا إِلَى
فلا بأس بنظمها في القوة ، ولكن قوله : « إلى » عاهة في الأبيات ؛ إن قُبِدَ فالتقييد لمثل هذا الوزن لا يحوز عند بعض الناس ، وإن كسر الباء من « إلى » فذلك رديء قبيح . وأصحاب العربية يجمعون على كراهة قراءة حمزة (وما أَنتُمْ بِمُعْزِرِي) (٢) بـ كسر الباء . . .

وقال في (الفجران ص ١٦٤) (٣) : « والبيتان اللذان رواهما الناجم عن ابن الرومي مُقْتَدَان ، وما علت أنه جاء عن الفصحاء هذا الوزن مقيداً ، إلا في بيت واحد يتداوله رواة اللغة والبيت :

كَأَنَّ الْقَوْمَ عُشُّوا لَحْمَ ضَائٍ فَمَنْ نَهَجُونَ قَدَمَالَتَ طُلَاهُمْ (٤)

(١) النفران ، تحقيق بنت الساطي، ص ٣٩٣ .

(٢) سورة ابراهيم الآية (٢٢) .

(٣) وانظر النفران تحقيق بنت الساطي، ص ٤٢٧ .

(٤) البيت لذی الرمة انظر ديوانه ص ٦٧٢ ط كالمبرج

ونص الرجل : كروح قل من أكل لحم الضأن : والطلي : كلامي الأعزاء مفردا مُطْلَبَةٌ ومُطْلَاةٌ .

وهذا البيت مؤسس ، والذي قال ابن الرومي بغير تأسيس^١ .
فهذه نصوص متعددة نقلناها من كلام أبي العلاء . وليس فيها ما يدل
دلالة صريحة على أن للشعراء قبل العروض مقاييس معروفة ، يعملون عليها
في ضبط الأوزان ، وتمييز القوافي الصحيحة من غيرها .
وأكثر كلامه يشعر بأن ذلك مما يدرك بالغريزة . ولقد وقف موقف
الحيرة في بعض الأوزان التي نقلتها الثقات ؛ وهي مخالفة للشهور بين
الشعراء ، واستبعد أن يرتكب بعض أولئك الشعراء ما يخل بفصاحة
الكلام ، ويدركه بالبداهة من هو أدنى منهم منزلة في البلاغة ، وأضعف
غريزة في نظم الشعر وفهمه .

لمبرقة في اثبات الشعر ونفيه ، وفي التثبت مع الرواية الصميمة وترجيح

رواية على غيرها

قد يتعرض أبو العلاء في نقده الشعر إلى البحث والتحقيق في شعر نب
إلى غير قائله ، فيثبته أو ينفيه ، كما يتعرض أحياناً إلى ترجيح رواية على
غيرها ، وقد يأتي بدليل يؤيد به ما يريد ، وقد يناقش الدليل ، وأحياناً
يقتصر على النفي أو الإثبات من قبل الشاعر أو غيره ، وقد ملك في ذلك
طرفاً مختلفة منها :

١ - أن يجعل الشاعر هو السائل عن الرواية ، وهو المرجح لرواية على
غيرها وأحياناً يكون غير السائل والمسؤول مثبتاً للشعر أو نافياً . مثال
ذلك قول النابغة الذبياني في (ص ٣٥ من رسالة الغفران)^(١) : « وكيف ينشدون :

(١) وانظر الغفران تحقيق بنت الشاطئ ط ١ ص ٩٤ .

وإِذَا نَظَرْتَ رَأَيْتَ أَقْمَرَ مُشْرِقًا^(١)

وما بعده ؟ فيقال بفتح التاء على الخطاب ، فيقول : قد يسوغ هذا ، ولكن الأجود أن تجعلوه إخباراً عن المنكلم ، ثم يوضح ذلك ؛ ثم تستدعي الرواة ، ويقال لهم : كيف تروون قول النابغة هذا ؟ فيقولون : بفتح التاء . فيقول : هذا شيخنا أبو أمامة يختار الضم . فيقولون : هو كما جاء في الكتاب الكريم ﴿ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾^(٢) . [فيقول ابن القارح] : مضى الكلام في هذا يا أبا أمامة ، فأنشدنا كلمتك التي أولها :

أَلِمَّا عَلَى الْمَمْطُورَةِ الْمُتَابَّدِ أَقَامَتْ بِهَا فِي الْمَرْبَعِ الْمُتَجَرَّدِ

ويذكر أربعة أبيات منها^(٣) . فيقول أبو أمامة : ما أذكر أني سلكت هذا القريّ قط . فيقول الشيخ : من الذي تطوع ففسحها إليك ؟ فيقول : إنها لم تنسب على سبيل التطوع ، ولكن على معنى الغلط [والتوم] . ثم ذكر النابغة الجعدي أنها لرجل من بني ثعلبة ، أنشد إياها لنفسه .

(١) صدرت من دالته في التجرده التي مطلها :

أمن آلية رائح أو مستدي عجلان ذازاد وغير مزود

انظر ما سبق ص ٨٤٩ .

(٢) سورة النمل الآية (٣٣) .

(٣) الأبيات الثلاثة الأخرى هي :

مضخنة بالسك مخضوبة العمى	بدرٍ وإاقوت لها مثقله
كان تباها وما ذقت طسها	جاجة غل في كبت مبرده
ليفرر بها الثمان جناً فانها	له نمة في كل يوم مجده

٢ - وقد يكون السائل غير الشاعر ؛ ويكتفي بإنكار الشعر المنسوب إليه . وذلك مثل قول الشيخ للناطقة الجمدي : يا أبا ليلى أنشدنا كلمتك التي على الشين . وينشد تسعة أبيات منها (١) . فيقول الناطقة : ماجعت الشين قط روتيا . وفي هذا الشعر ألفاظ لم أسمع بها قط . وذكر ثلاثة منها (٢) . فقال له : شغلك ... وثمنتك لحوم الطير ... فنييت ما كنت عرفت . ثم فر له تلك الألفاظ (٣) .

وقريب من هذا قوله لأعشى قيس : يا أبا بصير أنشدنا قولك :

أَمِنْ قَلَّةٍ بِالْأَنْقَا ۖ دَارٌ غَيْرُ مَحْلُولَةٍ

(١) الأبيات : ولقد أغدو بقرب أنت	قبل أن يظهر في الأرض ريش
من زق إلى سمة	تريق الأكال من رطب ومن
فقلنا بليج مفر	منه طل من الدجن ورش
ولدينا قينة ممة	ضخمة الأرداف من غير عش
وإذا نحن بالجل فافر	ونعام نخيطه مثل الحبش
فعلنا ما هنا بنمنا	فوق بسوب من الجبل أجش
ثم قلنا : دولك العيد به	تترك المحبوب منا ونعش
فأنا بسوب فاشط	وظليم معه ام خشن
فاشتونا من فريض طب	غير ممنون وأبنا جبش

(٢) وهي : « ريش ، وسمة ، وخشن » .

(٣) الثرثران ط أبن حنيفة ص ٣٤ . (ج) . وانظر بنت الناطق ص ٩٧ - ٩٨ .

وقد أورد منها ثمانية أبيات^(١) ؛ فقال له الأعشى : ماهذه بما صدر عني ، وإنك منذ اليوم لمولع بالتحولات . ويقرب من هذا ما ذكره في (الغفران ص ٦٨) أن الشيخ سمع الجواليري يرقصن على أبيات أربعة أولها :

إِنَّ الْخَلِيطَ تَصَدَّعَ فَطَرَ بِدَائِكَ أَوْ قَع^(٢)

فيقول للخليل : لمن هذه الأبيات ؟ فيقول الخليل : لأعلم . فيقول : إنا كنا في الدار العاجلة نروي هذه الأبيات لك . فيقول الخليل : لا أذكر شيئاً من ذلك .

٢ - وقد يجعل السائل غير الشاعر ؛ والمثبت للشعر غيرهما . ومن هذا ما ذكره في (الغفران ص ٦٨) أن قينة غنت جماعة بأبيات

(١) وهي :
 أم قصة بالأقا دار غير محولة
 كأن لم نصب المي بها يضاء عطوله
 أذا ينزل القوم هي منها منظر محوله
 وما صباه من عانة في الفارح محوله
 تولى كرمها أصم ببقه ويندو له
 نوت في الحرس أعواماً وجاءت وهي مشغولة
 بماء الزينة الفراء راحت وهي مشغولة
 بأشهى منك قطاً ن لو انك مشغولة

الغفران تحقيق بنت الساطي ط ١ ص ١٠١ .

(٢) قايها : لولا جوار حان مثل الجأذر أربع
 أم الرباب واسما والبروم وبوزع
 تلك قطامن الظن إذا بدا لك أو دغ

الغفران تحقيق بنت الساطي ط ١٨٣ .

لجران العمود؟ فلما عجبوا من إحسانها قالت : أتدرون من أنا؟ فيقولون :
لا والله الحمد ! فتقول : أنا أم عمرو التي يقول فيها القائل :

تَصُدُّ الْكَأْسَ عَنَّا أُمُّ عَمْرٍو وَكَانَ الْكَأْسُ بَجَرَاهَا الْيَمِينَا
وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمُّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَا

فيقولون : لمن هذا الشعر ، عمرو بن عدي اللحي ، أم لعمرو بن كلثوم ؟
فتقول : أنا شهدت ندما في جذبية ، مالكا وعقيلا ، وصَبَحَتْهُمَا الْحَرُّ الْمَشْتَعَةُ
لما وَجَدَا عَمْرٍو بنَ عدي ، فكنت أصرف الكأس عنه ، فقال هذين البيتين ؛
فلعل عمرو بن كلثوم حَسَنَ بها كلامه ، واستزادها في أبياته ^(١) .

٤ - وقد يستدل على أن الشعر لشاعر بكلمة استعملها هذا الشاعر
في موضع آخر من شعره . مثال ذلك ما ذكره في (الفجران ص ١٠٧) ^(٢)
أنه قال لتأبط شراً : أحق ما روي عنك من نكاح الفيلان ؟ فقال :
كنا في الجمالية نتقول ونتغزى . فما جاءك عنا بما ينكره العقول ،
فإنه من الأكاذيب ؛ والزمن كله على سجية واحدة فيقول له : نقلت
إلينا أبيات تنسب إليك :

أنا الذي نَكَحَ الْفِيلَانَ فِي بَلَدٍ مَا طَلَّ فِيهَا سِمَاكِي وَلَا جَادَا
فِي حَيْثُ لَا يَغْنَمُ الْغَادِي عَمَّا يَتُّ وَلَا الظَّلْمِيمُ بِهِ يَنْفِي تَهْبَادَا

(١) الفجران ط ٥ ص ٦٨ والفجران - بنت العاطي ط ١ ص ١٨٢ .

(٢) انظر الفجران تحقيق بنت العاطي ط ١ ص ٢٧٩ .

(٣) في الفجران تحقيق بنت العاطي : وفيه ، وتذكر البلد أنصح وكذا جاء في التذييل
وقد يؤت على معنى المار .

إلى آخر الأبيات الأربعة ^(١) . ثم قال : فاستدلت على أنها لك لما قلت : « تهتادا » مصدر تهتد الظلم : إذا أكل الحبيد . فقلت : هذا مثل قوله [في القافية] :

طَيْفُ ابْنَةِ الْحَرِّ إِذْ كُنَّا نَوَاصِلَهَا ثُمَّ اجْتَنَيْتُ بِهَا بَعْدَ التَّفَرَّاقِ ^(٢)
مصدر تَفَرَّقُوا تَفَرُّقًا ؛ وهذا مطرد في تَفَعَّلَ ، وإن كان قليلا في الشعر . . فلا يحببه تأبط شرأ بطائل .

هـ — وقد يحمل الشاعر هو المسؤول ؛ فيتولى نفي الشعر عن نفسه ويقيم الأدلة على ذلك من شعره المسؤول عنه ومن غيره . ومثال هذا ما ذكره في (الفران ص ١٠٨) ^(٣) حيث قال : فيلقى « الشيخ » آدم (عليه السلام) في الطريق ، فيقول يا أبانا — صلى الله عليك — قد روي لنا عنك شعر منه قولك :

فَحْنُ بَنُو الْأَرْضِ وَسُكَّانُهَا . مِنْهَا خَافْنَا وَإِلَيْهَا نَعُودُ
وَالسُّعْدُ لَا يَبْقَى لِأَصْحَابِهِ وَالنَّحْسُ نَمَحُوهُ لِيَالِي السُّعُودِ

فيقول : إن هذا القول حق ، وما نطقه إلا بعض الحكماء ، ولكني لم أسمع به حتى الساعة . فيقول له : فلعلك يا أبانا قلته ثم نسيت . . فيقيم آدم الأدلة على أنه كان يتكلم بالسرانية بعد أن هبط إلى الأرض .

(١) تمامها : ولله لحن بمقول حواشها بكر فازعن كلاً ومعداد

ثم اغضى عصرا من وأطبه صر للعب قل في صالح باها

(٢) رسالة الملائكة ص ٩٠ (ج) وفيها : « ... ثم اجتنت » . وفي الفصل اجبت العلوم في الفران ط أمين حندية ، ولجهول في بنت الكاظمي .

(٣) وانظر بنت الكاظمي ص ٢٨٠ - ٢٨٢ .

ثم يقول له : زعم بعض أهل الير أن هذا الشعر وجدته بعرب
في متقدم الصحف بالسريانية ، فقله إلى لسانه ، وهذا لا يمتنع أن يكون .
٦ - وقد يحمل الشاعر هو المسؤول ، ويكتفي بنفيه الشعر عن
نفسه ، ومثال ذلك ما ذكره في (الفجران ص ١٠٩) (١) أن الشيخ ابن
القارح يقول لآدم : وكذلك يروون لك - صلى الله عليك - لما قتل
قابيل هابيل :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا

البيتين (٢)

فيقول آدم عليه السلام : أعزّز عليّ بكم معشر أبيني ! إنكم في
الضلالة 'متهوّ' كون (٣) . آليت ما نطقت هذا النظم ؛ ولا نطق في
عصري . وإنما نظمه بعض الفارغين ... كذبتكم على خالقكم ثم على آدم أبيكم ،
ثم على حواء أمكم ؛ وكذب بعضكم على بعض ، ومآلكم في ذلك إلى الأرض .
وقد قال في (ص ٧٥) (٤) لاخيتعور أحد بني الشيبان : « أخبرني عن
أشعار الجن ، فقد جمع منها المعروف بالمرزباني قطعة صالحة . فيقول
ذلك الشيخ : إنما ذلك هذيان لا معتمد عليه . . » وقد ذكر في غير
هذا الموضع .

(١) وانظر الفجران تحقيق بنت الشاطي ، ص ٢٨٣ .

(٢) ما : تغيّرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر ليح

وأودى ربح أهلها فبانوا وغودر في الترى الوجه اللبيح

(٣) تهوك : غمير واضطرب .

(٤) من الفجران ط أبين هندية ، وانظر بنت الشاطي ط ١ ص ١٩٧ - ٨ .

وعلى هذا المثال احتذى في إثبات الشعر ونفيه ، وفي قبول الرواية وردّها ، وفي ترجيح رواية على أخرى . ويمكن أن يقاس عليه ما جاء في (التفرائد ص ٨٩) ^(١) أنه يقول لامرئ القيس : أخبرني عن التسيط المنسوب إليك ، أصحيح هو عنك ؟ وينشده الذي يرويه بعض الناس :

يَا صَحْبَتَا عَرَّجُوا تَقِفْ بِكُمْ أُسْجُ

إلى آخر الأبيات ^(٢) فيقول : لا والله ما سمعت هذا قط ، وإنه لقريء لم أملكه ، وإن الكذب لكثير ، وأحسب هذا لبعض شعراء الإسلام ، ولقد ظفني وأساء إلي ؟ أبعد كلتي التي أوتها :

الْأَعْمُ صَبَا حَاتِيهَا الطَّلُّ الْبَالِي ^(٣)

(١) وانظر الفران تحقيق بنت الساطي ص ٢٣٠ .

(٢) تمامها : مَهْرِيَّةٌ دَلِجٌ فِي سِرِّهَا سَجٌ

طَلَّتْ بِهَا الرُّجُلُ

فَرَّجُوا كَلِمَ وَالْمَمُ بِشَنَاهُمْ

وَالْبَيْسُ تَحْمَلُهُمْ لَيْتَ نَدَاهُمْ

وَعَاجَتِ الرُّؤُلُ

يَا فَوَيْدُ إِنْ الْهَوَى إِذَا أَصَابَ الَّذِي

فِي الْقَلْبِ ثُمَّ ارْتَقَى نَهْدٌ بَعْضُ الْهَوَى

قَدْ هَوَى الرَّجُلُ

(٣) عجزه : د وهل بمنى من كان في الصر الخالي ، ديوانه ص ١٣٩ (بيروت) .

وقولي

خَلِيلِي مُرَّاي عَلَى أَمٍّ جُنْدُبٍ^(١)

يقال لي مثل ذلك ؟ والرجز من أضعف الشعر ، وهذا الوزن من أضعف الرجز ..

ويقول له (ص ٩٠) كيف يُنشد :

جَالَتْ لَتَصْرَعَنِي فَقُلْتُ لَهَا أَصْرِي إِنْني امرؤٌ صَرَعِي عَلَيْكَ حَرَامُ^(٢)

أقول : حرامٌ فتقوي ؟ أم حرامٍ فتخرجه مخرج حذام وقطام .

ويقول له (ص ٩١) : إنا لنروي لك بيتا ما هو في كل الروايات ، وأظنه مصنوعا ، لأن فيه ما لم تجر عادتك بمثله ، وهو قولك :

وَعَمْرُوبُ بْنُ ذَرْمَاءٍ الْهُمَامُ إِذَا غَدَا
بِصَارِمِهِ يَمْشِي كَمِشْيَةِ قَسُورَا^(٣)

فيقول : أبعد الله الآخر ، لقد اختص . وإن نسبة مثل هذا إلى لأعده إحدى الروحات

وكذلك ما رواه في (الفران ص ٢١) من أبيات للأعشى ميمون

ابن قيس في مدح للنبي (ﷺ) آخرها قوله :

نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَوْنَ وَذِكْرُهُ أَغَارَ لَعْمَرِي فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا^(٤)

(١) حيزه : د هـ لبانت الخوادم للجنب ، . ديوانه ص ٦٤ (بيروت) .

(٢) انظر ماسبي ص ٨٥٣ .

(٣) انظر ماسبي ص ٢٥٦ .

(٤) روى أبو اللؤلؤة عدة أبيات من مائة الأعمى اجدها ما باليت الآتي :

ألا أيذا الساتلي أين يَجَّتْ فان لها في أهل يرب موعدا

انظر الفران تحقيق بنت العاطية ط ١ ص ٦١ - ٦٢ .

ثم قال : حكى الفراء وحده « أغار » في معنى غار إذا أتى الغور .
وإذا صح هذا البيت للأعشى فلم 'يرد بالإغارة إلا' ضد الإجماد ، وروى
عنه الأصمعي روايتين ^(١) : إحداهما أن « أغار » في معنى عداً عدواً
شديداً ... والأخرى أنه كان يقدم ويؤخر فيقول :

لَعَمْرِي غَارَ فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدًا

فيجيء به على الزحاف . وكان سعيد بن مسعدة يقول :

غَارَ لَعَمْرِي فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدًا

فيخرمه ^(٢) في النصف الثاني .

كذلك ما رواه في (ص ١٠٥) أنه قال لمهلل التظلي : أخبرني
عن هذا البيت الذي يروى لك :

أَرْعَدُوا سَاعَةَ الْهَيَّاجِ وَأَبْرَقَ — نَاكَمَا تُوعِدُ الْفُحُولُ الْفُحُولَا ^(٣)

فإن الأصمعي كان ينكره ويقول : إنه مولد ؛ وكان أبو زيد يستشهد
به ويثبت . فيقول : طال الأبد على لبد ، لقد نيت ما قلت في الدار
القانية ، فما الذي أنكر منه . فيقول : زعم الأصمعي أنه لا يقال :
« أَرعد وأبرق » في الوعيد ولا في السحاب . فيقول : إن ذلك خطأ
من القول ؛ وإن هذا البيت لم يقله إلا رجل من جذم ^(٤) الفصاحة . إما
أنا وإما سواي فخذ به وأعرض عن قول السفهاء .

(١) في النثران تحقيق بنت الساطي : « وروى من الأصمعي روايان » .

(٢) الحرم في وزن السر : ذهب الفاء من مسولن أو البم من ساعقن .

(٣) النثران تحقيق بنت الساطي . ص ٢٧٣ - ٤ .

(٤) في الأصل وفي النثران ط أبن حنفة : خنم . ولكنها في بنت الساطي وأصول

أخرى جنم . والجنم كجنم : الأصل .

النقد الأدبي

يتبين للتأمل أن معظم الأمثلة التي أوردناها بما انتقده أبو العلاء في رسائله وكتبه ، يرجع نقدها إلى مخالفة بعضها لأبنية الألفاظ وأوزانها المشهورة ، وأقيمتها المعروفة ؛ أو مخالفة بعضها المشهور أو الراجح من قواعد الإعراب ؛ أو شذوذ بعضها عما اصطلاح عليه العروضيون في أوزان الشمر وقوافيه . وهذا كله يرجع إلى أن النقد بسبب المخالفة لقواعد العلوم المعروفة .

وهناك أبيات انتقدها أو غيرها مع أنها سالمة من المخالفة والشذوذ السابق ذكرهما . ولكن بعضها يخالف لما يقتضيه المقام ، أو غير ملائم لما يقتضيه الذوق السليم والغريزة الصحيحة المجردة عن التأثير بما يكتنفها من العوامل الخارجية .

وقد رأينا أن نسمي القسم الأول : النقد العلمي ، لابتناؤه على قواعد علمية . والقسم الثاني : النقد الأدبي ، لابتناؤه على سلامة الذوق والغريزة ، ومراعاة ما يقتضيه المقام .

وقد ذكرنا للقسم الأول أمثلة كثيرة ، وبيننا سبب النقد في معظمها ، وذكرنا طرفاً من أمثلة القسم الثاني ، ولكننا لم نفردّه ببيان خاص ، ولم نشر إليه بعنوان مستقل ، ونشير الآن إلى أمثلة منه بما تقدم ذكره أو بما لم يذكر .

فنه ما ذكره في (رسالة النفران ص ٣٢) (١) على لسان ابن القارح

(١) وانظر النفران مخبئ بنت العاطل ط ١ ، ص ٩٢ - ٩٦ .

حيث قال للنابغة : يا أبا أمامة ! إنك لحصيف الرأي لبيب ، فكيف
حسن لك لبك أن تقول للنعمان بن المنذر :

زَعَمَ الْهُمَامُ بَأْنَ فَأَمَّا بَارِدٌ عَذْبٌ إِذَا مَادُّقَتُهُ قُلَّتْ أَرَدَدَ
زَعَمَ الْهُمَامُ وَلَمْ أَذُقْهُ بِأَنَّهُ يُشْفَى بِبَرْدِ لَثَائِهَا الْعَطِشُ الصَّدْي

ثم استمر بك القول حتى أنكرو عليك خاصة وعامة ؟ . فيقول
النابغة بذلك وفهم : لقد ظلمني من عاب عليّ ؛ ولو أنصف لعم انني
احتوت أشد احتراز ، وذلك أن النعمان كان مستهتراً بتلك المرأة ،
فأمرني أن أذكرها في شعري ، فأدرت ذلك في خلدي ؛ قلت : إن
وصفتها وصفاً مطلقاً ، جاز أن يكون بغيرها معطفاً ، وخشيت أن
أذكر اسمها في النظم ، فلا يكون ذلك موافقاً للملك ، لأن الملوك يأنفون
من تسمية نساءهم ؛ فرأيت أن أسند الصفة إليه ، فأقول : « زعم الهمام »
إذ كنت لو تركت ذكره لظن السامع أن صفتي على المشاهدة . والأبيات
التي جاءت بعد ذلك داخلة في وصف الهمام ، فن تأمل المعنى وجده غير مختل .
وكيف ينشدون :

وإِذَا ظَنَرْتَ رَأَيْتَ أَقْمَرَ مُشْرِقاً

وما بعده ؟ . فيقول : ينشد « وإذا نظرت » « وإذا لمست »
« وإذا طمنت » « وإذا نزع » على الخطاب . فيقول النابغة : قد يسوغ
هذا ، ولكن الأجود أن تجعلوه إخباراً عن التكلم ، لأن قولي : « زعم
الهمام » يؤدي معنى قولنا : « قال الهمام » فهذا أسلم ، إذ كان الملك
إنما يحكي عن نفسه . وإذا جعلتموه على الخطاب قبَّح أن نسبتموه إليّ ،
فهو مُندبة ، وإن نسبتموه إلى النعمان ، فهو إزراء وتنقص .

ثم يتنى حضور الرواة الذين صحفوا على النابغة شعراً ، فيحضرون .
 فيقول لهم : كيف تروون أيها المرحومون قول النابغة في الدالية :
 « وإذا نظرت . وإذا لمست . وإذا طعنت . وإذا تزعت » أيفتح التاء
 أم بضمها ؟ فيقولون : بفتحها . فيقول : هذا شيخنا أبو أمامة . يختار
 الضم ، ويخبر أنه حكاه عن النعمان . فيقولون : هو كما جاء في الكتاب الكريم :
 ﴿ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ ^(١) إلى آخر ما تقدم .

قد انتقد البيتين الأولين ، من جهة إسناد الزعم إلى الهمام ، وليس
 فيها شيء من إخلال بوزن ، أو مخالفة لقياس أو قاعدة . وقد أجاب
 على لسان النابغة ، وبين الأسباب التي حملته على إسناد الزعم إلى الهمام .
 ثم نقد الأبيات الأربعة : « وإذا نظرت وإذا لمست . . . » وبين
 على لسان النابغة جواز الفتح والضم في « نظرت ولمست » وأخواتها .
 وبين أن الرواة صحفوا عليه . وليس في الأبيات الأربعة شيء مخالف
 لقواعد الصرف والنحو ، ولا شذوذ عن مذاهب العروضيين .

واتضح من كلامه أن الأبيات الأربعة داخلة في وصف الهمام ؛ فكانه
 قال : قال الهمام : « وإذا نظرت . . . » وأن أبا العلاء يرجع الضم
 للأسباب التي ذكرها . وفي ذلك نظر من وجوه منها :

١ - أن بين قول النابغة : « زعم الهمام . . » وبين قوله : « وإذا
 نظرت » خمة أبيات أولها :

أَخَذَ الْعَذَارَى عِقْدَهَا ^(٢)

والثاني :

لَوْ أَنَّمَا عَرَضَتْ لِاشْمَطَ رَاهِبٍ ^(٣)

(١) سورة النمل الآية ٣٣ .

(٢) قامة : « . . . نظنته من لؤلؤ متابع مسرد »

(٣) قامة : « . . . عبد الإله سرورده مصيد » .

والثالث :

لَرَنَّا لِرُؤُوسِنَا وَحَسَنَ حَدِيثِنَا^(١)

والرابع :

بِتَكْلَمٍ لَوْ تَسْتَطِيعُ حِوَارُهُ^(٢)

والخامس :

وَبِفَاحِمٍ رَجُلٍ أَثِيثٍ نَبْتُهُ^(٣)

ثم يأتي قوله : « وإذا لمست » و « وإذا نظرت » وإذا جعلنا قوله : « وإذا نظرت » . داخلا في قوله : « زعم الهام » صبب تعيين المحل الذي يعطف عليه قوله : « وإذا لمست » ووجب أن تكون الأبيات الخمسة داخلة في قوله : « زعم الهام » حتى لا يلزم الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه يحمل أجنبية مختلفة المبنى والمعنى . وليس من السهل تأويل الأبيات الخمسة وإدخالها في قوله : « زعم الهام » .

٢ — أن البلغاء أحيانا يستعملون الجملة الفعلية الماضية التي تتصل بها تاء الخطاب ويريدون بها المخاطب وحده ، وأحيانا يريدون بها كل من يتأق منه الفعل المتصل بالتاء . وكذلك الفعل المضارع المبني بالتاء ؛ ففي مثل هذه الأبيات يجوز أن لا يكون المقصود بالخطاب الهام ، بل كل من تأثر منه النظر ، واللس ، والظمن ، والتزع . وقد قال جماعة من المفسرين : إن الخطاب في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴾^(٤) لكل مخاطب ، وكذلك في قوله ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى .. ﴾^(٥)

(١) غمامه : « ولحاله رشداً وإن لم يرشد » .

(٢) « : لدنت له أروى المضارب الصند » .

(٣) « : كالكرم مال على الهام الصند » .

(٤) سورة الدهر الآية ٢٠ .

(٥) سورة الشق الآية ١١ .

وكذلك قالوا في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾^(١) فإن الخطاب لكل أحد ممن يصلح له كائنا من كان . لأن المراد بيان حالهم وبلوغها من الغضاعة إلى درجة لا يختص باستفظاعها راء دون راء آخر .

ومنا يريد أن الرئي بلغ في حسنه درجة لا يختص باستحصانها فاطر دون فاطر آخر ؛ بل كل من يكون له نظر يدرك ذلك كما يدركه غيره . وقد حذف مفعول « نظر » لأن القصد كل من تكون فيه حاسة النظر يدرك جمال المنظور وإشراقه ؛ وعلى هذا يحمل مثل قول بشار :
إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِباً^(٢)

وقول المتنبي :

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ^(٣)

وقول المعري :

إِذَا كُنْتَ تَبْغِي الْعِزَّ قَابِغٍ تَوْشِطًا

وقول النابغة :

وَأَنْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ^(٤)

(١) سورة البقرة الآية ١٢ .

(٢) قامه : « صديك لم تلق الذي لا تعابه » ديوانه ج ١ ص ٣٠٩ .

(٣) قامه : « وإن أنت أكرمت القيم فمرها » . الريف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج ١ ص ٣٨٧ .

(٤) قامه : « طي شئت أمي الرجال الهذب » . مختار الشعر الجاهلي ١/١٢٦ .

إذ ليس المراد حصر الحكم في المخاطب فقط ، بل ذلك كناية عن بلوغ الأمر درجة عظيمة من الاستحسان أو الاستفطاع ، يتجلب منها كل من ينأى عنه ذلك الفعل ، سواء أكان نظراً أم لمسا أم غيرهما .

وإذا قرأنا « نظرت » وأخواتها بالرفع ، لاتأتى هذه الكسابة ، وربما يتبين عند التأمل أن إسناد « الهام » النظر واللمس والطمع والنزع إلى نفسه لا يخلو من قبح ، لأن الملوك إذا كانوا يأنفون من تسمية ناسمهم ، كما قال ، أفلا يأنفون من ذكر ما هو أفظلم شيء في ناسمهم ؟ فتأمل بإيمان .

ومن القسم الثاني ما ذكره في (ص ٤٧ من الغفران) ^(١) أن حسان ابن ثابت ^(٢) يمر بجماعة ، فيقولون : أهلاً يا أبا عبد الرحمن ، ألا تحدث معنا ساعة ؟ فإذا جلس إليهم قالوا : أين هذه الثروبة من سبيبتك التي ذكرتها في قولك :

كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مِزَاجَهَا عَمَلٌ وَمَاه

ويذكرون بعده ثلاثة أبيات ^(٣) . ثم يقولون له : ويحك ! ما استحييت أن تذكر مثل هذا في مدحتك رسول الله ﷺ ؟ فيقول : إنه كان اسبح خلقاً بما تظنون ، ولم أقل إلا خيراً ، ولم أذكر أني شربت

(١) طبعة أمين حنابلة والطبعة الفاضلة ط ١ ص ١٢٨ - ٩ .

(٢) حسان بن ثابت بن النضر الخزرجي ، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم توفي في خلافة معاوية . للؤتظف والمخطف للشمسي ص ٨٩ .

(٣) وهي قوله :

على أبيابا أو طم فخره	من الطاح صره اجتهاد
على فيها إذا ما الليل لالت	كواكب ومالها النظار
إذا ما الأهراب تذكر يوماً	فمن لطيب الراح العباد

خراً ، ولا ركبت بما حُطِرَ أمراً ؛ وإنما وصفت ريق امرأة ؛ يجوز أن يكون حلاً لي ، ويمكن أن أقوله على الظن

ومنه أيضاً قوله لمرو بن أحر^(١) في (ص ٥٠ من الغفران)^(٢) :
ولقد يمجني قولاك :

وَلَقَدْ غَدَوْتُ وَمَا يُفَزُّعُنِي خَوْفٌ أَحَازِرُهُ وَلَا ذَعْرُ^(٣)

ثم ذكر من هذه القصيدة عشرة أبيات آخر منها قوله :

كَثْرَابٌ قِيلَ عَنْ مَطِيئِهِ وَلِكُلِّ أَمْرٍ وَاقِعٍ قَدْرُ^(٤)

وقوله :

وَمُسِفَةٌ دَهْمَاهُ دَاجِنَةٌ رَكَدَتْ وَأَنْسَبِلَ دُونَهَا السَّرُّ

وَجَرَادَتَانِ تُغْنِيَانِيهِمْ وَتَلَأُلَا الْمَرْجَانُ وَالشَّنَرُ

وَيُجْلَجَلُ دَانَ زَبَرَجْدُهُ حَدِبٌ كَمَا يَتَحَدَّبُ الدَّيْرُ^(٥)

(١) هو مرو بن أحره الناعلي شاعر نصيب ، وكان أحر مر نحو ٩٠ سنة ، انظر المؤلف والمختلف ص ٣٧ .

(٢) طبعة أمين حنيفة والطبعة الفاطمية ط ١ ، ص ١٣٦ - ١٤٢ .

(٣) بدء : رؤود العباب كأنني غصن بحرام مكة فاعم ضر

(٤) بدء : مدة النهار له وطال عليه الليل واستنمت به الحمر

(٥) بد هذه الأبيات :

وَتَانِ خَنَافَانِ يَنْهَانِي	وَنَرِ أَجْشَرُ خَنَافَةٍ زَمَرِ
وَجَبْرَمُ سَاجٍ يَجْرِمُهُ	لَمْ يُوَفِّهِ غَرَّتْ وَلَا عَمَرِ
فَإِنَّا نَحْمَرُ شَقَّ بَازِلِهِ	وَأِنَّا أَمَاحُ فَاغٍ بِكَمَرِ
خُلُوطِطِيقِ الدَّيْدُونِ لَقَدْ	وَلِ الصَّبَا وَهَاطُونَ التَّجَرِ

وقال له : فما أردت بقولك : « كشراب قيل » الواحد من الأقيال ، أم قيل بن عتر من عباد ؟ فيقول عمرو : إن الرجلين ليُصوران . فيقول الشيخ . . : مما يدل على أن المراد « قيل بن عتر » قولك : « وجرادتان تغنيانهم » لأن الجرادتين - فيما قيل - مغنيان غننا لو قد عاد عند الجرهمي بككة ، فشفلوا عن الطواف بالبيت وسؤال الله سبحانه وتعالى فيها قصدا له ، فهلك عاد وهم ساعدون .

ثم ذكر أنه وجد في بعض كتب الأغاني صوتاً يقال : غننه الجرادتان ، وهو :
أَقْرَرُ مِنْ أَهْلِهِ الْمَصِيفُ قَبْطُنُ عَرْلَةٍ فَالْغَرِيفُ
وذكر بيتين آخرين ^(١) ثم قال : وهذا شعر على قري :

أَقْرَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ ^(٢)

ومن الذي نقل الى الغنين في عصر هارون وبمده أن هذا الشعر غننه الجرادتان ؟ ان ذلك لبعيد عن المعقول ، وما أجدره أن يكون مكتوباً ... ثم يسأله عن قوله : « ومفتة دماء » ما أراد به ؟ وكذلك عن قوله : « وجلجل دان زبرجده » . فيقول ابن أحر : أما ذكر الجرادتين ، فلا يدل على أي خصت قيل بن عتر ، وإن كان في الوفد الذي غننه الجرادتان ؛ لأن العرب صارت تسمي كل قينة جراداة ، حملا على أن قينة في الدمر الأول كانت تدعى الجراداة . قال الشاعر :

تَغْنِيَانَا الْجَرَادُ وَنَحْنُ شَرِبُ نَقْلُ الرِّاحِ خَالَطَهَا الْمَشُورُ

(١) هما : حل بلسي ديار لوي مربة سرحا ظيف

أ أم مكن نولبي حل بنم النائل الطيف

(٢) صرحت هو مطلع مطلة عيد بن الأبرس ومجزة :

« فاطمات ملحوب » الطر ديوانه ص ٢٣ (بيروت) .

وأما « المسفة الدهاء » فانها القمر . وأما « المجلجل الداني زبرجده » فهو العود ، وزبرجده : ما حسن منه . أما تسمع القائل يسمي ما تلون من السحاب « زبرجاً » ومن روى « مجلجل » بكسر الجيم أراد السحاب . . ثم يقول له الشيخ : . . تزعم أن الزبرجد من الزبرج . ثم يدور حوار بين الشيخ وبين ابن أحر في اشتقاق الزبرج وما يترتب عليه ؛ وهو حوار بديع مفيد قلما يجد الإنسان مثله في كتاب وهو في (ص ٥٢ من الغفران) ^(١) فراجعه .

ومن هذا القسم إنكار الأشعار المنحولة لغير أصحابها ، والمقولة على لسان آدم والجن ونحو ذلك ، مما لم يكن نقده بسبب مخالفة لقواعد علم من العلوم .

ومنه تعريفه الشعر الذي تقدم ، وحكمه على الرجز والرجاز .
ويتبين لنا مما ذكرناه في النقد ، أن أبا العلاء أحياناً يسأل عن الشيء ثم يبين أنه حق . ومثال ذلك قوله في (الغفران ص ٦١) ^(٢) لراعي الإبل : أحق ما روى عنك سيويه في قصيدتك اللامية التي تمدح بها عبد الملك بن مروان من أنك تنصب الجماعة في قولك :

أَيَّامَ قَوْمِي وَالْجَمَاعَةِ كَالَّذِي لَزِمَ الرَّحَالَةَ أَنْ تَعْمِلَ مِمِّيلًا؟^(٣)
فيقول : حق ذلك .

وأحياناً يأتي بالشيء فيشير فيه الشك ، ولا يبدي فيه رأياً ، ومثال

(١) طبة أبين حنبة .

(٢) طبة أبين حنبة وانظر بت العاطية ط ١ ص ١٦٤ .

(٣) سهره - الكتاب ج ١ ص ١٥٤ ، وفيه : « أزمان قومي . . . » .

هذا قوله في (الفران ص ٥٣) (١) : أَيْكُمْ نِمِ بْنِ أَبِي ؟ فيقول رجل منهم :
ما أنا ذا . فيقول : أخبرني عن قولك :

يَا دَارَ سَلَمَى خَلَاءَ لَا أَكَلْفُهَا إِلَّا الْمَرَاةَ حَتَّى تَسَامَ الدِّينَا (٢)

ما أردت بالمرأة ؟ فقد قيل : إنك أردت اسم امرأة ؛ وقيل : هي
اسم أمة ؛ وقيل : العادة . فيقول نيم : والله ما دخلت من باب الفردوس
ومعني كلمة من الشعر ولا الرجز .

ومثله سكوت تأبط شرأ عن نسبة الأبيات التي أولها :

أَنَا الَّذِي نَكَحَ الْغِيلَانَ (٣)

وأحيانا يصرح بالشئ الذي يختاره ويرجسه ؛ وقد تقدم ذلك في
ترجيحه ضم التاء في كلام النابغة « وإذا نظرت » ، « وإذا لمست » (٤) .
وأحيانا يزيد على التصريح والترجيح بما يدل على قوة ما اختاره
وضعف ما سواه . وذلك كقوله للنابغة الجعدي : فإن أنشد ملشد :
« ولا مستنكر » ما تصنع به ؟ فيقول : أزجره وأزبره ، نطق بأمر

(١) طبعة أمين حنابلة . وانظر بفت العاطي ط ١ ص ١٤٣ .

(٢) هو نيم بن أبي نعل ، والبيت في ديوانه الذي خلفه عزة حسن من قصيدة مطلقا :
طاف الخيال بنا ركبا يمانينا ودون ليل مواد لو تحدينا
وروايته فيه :

يَا دَارَ لَيْلٍ خَلَاءَ لَا أَكَلْفُهَا إِلَّا لِلرَّافَةِ حَتَّى تَمُوتَ الدِّينَا
(٣) الفران طبعة أمين حنابلة ص ١٠٧ - ٨ والأبيات :

أَنَا الَّذِي نَكَحَ الْغِيلَانَ فِي بَدْ مَا طَلَّ فِيهِ سَمَاكِي وَلَا جَلَا
فِي حَيْثُ لَا بَسْتَ النَّادِي مِمَّا جِه وَلَا الظُّلُمِ بِهِ بَنِي تَبَادَا
وَقَدْ لَهَوْتُ بِمَقُولِ مَوَارِثِهَا بِكَر تَارِمْ كَأَسَا وَمَتَادَا
ثُمَّ أَهَضَى صَرَحًا مَعِي وَأَعْطَى صَرَّ الشَّيْبِ ظِلُّ فِي مَالِحِ بَادَا

وانظر بفت العاطي ط ١ ص ٢٧٩ - ٨٠ .

(٤) انظر ما سبق ص ٨٧٩ .

لا يخبره ^(١) . وقول الراجز لأبي علي الفارسي : حركت الياء في قولي « فتأبيه » وواؤه ما فطمت ولا غيروي من العرب ^(٢) .

وأحياناً يذكر ما يفيد جواز الوجهين أو الوجوه بصورة صريحة ، كقوله لعنترة بعد أن ذكر قوله :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ بَعْدَ مَا رَكَدَ الْهَوَا جَرَّ بِالشَّوْفِ الْمُعْلَمِ
فما أردت « بالشوف المعلم » ، آلديزار « أم الرداء » ؟ يقول : أي الوجهين أردت فهو حمن ولا ينتقض ^(٣) .

وأحياناً يذكره بطريق الكناية . ومثال ذلك في (الففران ص ٥٠) حيث قال لعمرو بن أحرر : أنشدني قولك :

بَانَ الشَّبَابُ وَأُخْلِفَ الْعَمَرُ وَتَغَيَّرَ الْإِخْوَانُ وَالْدَّهْرُ
وقد اختلف الناس في تفسير « العمر » بالفتح ؛ ف قيل : إنك أردت البقاء ، وقيل : إنك أردت الواحد من « عمور الأسنان » ؛ وهو اللحم الذي بينها . فيقول عمرو متمثلاً :

خُذَا وَجْهَ هَرَشَى أَوْ قَفَاهَا فَإِنَّهُ
كَلَّا جَانِبِي هَرَشَى لَهْنٍ طَرِيقُ
ولم تترك في أهوال القيامة غيباً للإشاد ^(٤) .

(١) الففران طبعة أمين حنينة ص ٣٥ و « لامتنكر » هي في بيت الناجية : وليس بمرووف لنا أن زدها صحاحاً ولا مستنكر أن ننقرا وانظر الففران - بنت الشاطي ط ١ ص ١٠٠ .

(٢) الففران طبعة أمين حنينة ص ٥٧ و « فتأبيه » في الأرجوزة : يا إيلي ما ذنبه فتأبيه ماء رواء ونصي حوله وانظر ما سبق ص ٨٤٢ .

(٣) البيت أول بيتين في الففران طبعة أمين حنينة ص ٩٢ . وتأتيها : بزجاجة صفراء ذات أسرة قرنت بأزهر في العمال مقدم وانظر بنت الشاطي ط ١ ص ٢٣٦ .

(٤) وانظر الففران تحقيق بنت الشاطي ط ١ ص ١٣٥ والنبر : بنية النسي .

وأحياناً يقيم في بعض المسائل دليلاً على شيء ، ثم يذكر ما يعارضه أو يناقضه ؛ وقد يردّ المارضة ويكثر الحوار والجدل لتحصيل الحقيقة . ونرى شيئاً من ذلك في لفظ « إنسان » واشتقاقه ^(١) وفي لفظي « تأتاله » و « استنحى » ^(٢) وفي لفظ « زبرجد » ^(٣) وفي لفظ « إوزة » ^(٤) .

وكتب إليه أبو الحسين أحمد بن عثمان النكتي البصري كتاباً بدل فيه اسمه وقصر كنيته ، فجعله محمداً بدلاً من أحمد في النظم والنثر ، وجعل كنيته أبا علي أو أبا علاء بدلاً من أبي العلاء ، أي بحذف الألف واللام من أول العلاء والهمزة من آخرها . فأساء أبو العلاء الظن بأبي الحسين وظن أنه تمسّد ذلك لحاجة في نفسه إما لاستهزاء به أو تهاون بشأنه ونسيان لمحبته . فكتب إليه جواباً يقول فيه ^(٥) :

« ودلني كتابه على أنه يحسبني قد أضعت رذّة ... لآني إذا لمينَ الظالمين . عرفني بنفسه أنه من أهل البصرة ؛ وقد صَحّ معي أنه من أهل البصرة ... وتلك أجلّ من البصرة بلدة ، وهل البصرة إلا حجارة

(١) انظر الفهران طبعة أمين هندية ص ١٠٨ وبنت الشاطي ط ١ ص ٢٨١ - ٢ .

(٢) جاء لفظ « تأتاله » في البيت :

وسبح صافية وجذب كربة بمونر تأتاله إياهم -

انظر الفهران طبعة أمين هندية ص ٣٨ - ٩ وبنت الشاطي ط ١ ص ١٠٨ - ٩ .

(٣) هو في بيت عمرو بن أحر :

ومجلجل دات زبرجده حـدب كما يتحدب الدبر

الفهران طبعة أمين هندية ص ٥٢ وبنت الشاطي ص ١٤٠ - ٢ .

(٤) رسالة الفهران طبعة أمين هندية ص ٧١ وبنت الشاطي ط ١ ص ١٨٨ . انظر

رسالة اللاتكة تحقيق المؤلف ص ٨٩ .

(٥) الرسائل - لشايع عطة - الصفحات ١٢٥ - ١٣٨ .

بيض ، يطؤها إنسان ورييض^(١) ؟ وآمل البصرة ... ينسبون إلى قلة
الحنين . أليس قد مرت به [هذه] الحكاية ؟ وهي أنه وجد على
حجر مكتوب :

مَا مِنْ غَرِيبٍ وَأَنْ أَبْدَى تَجَلْدَهُ إِلَّا سَيَذْكُرُ عِنْدَ الْغُرَبَةِ^(٢) الْوَطَنَا

وقد كُتب تحته : إلا أهل البصرة ؛ فإذا كانت تلك سجيته مع
أهلهم وأوطانهم ، فكيف بالذين عرفهم من إخوانهم ؟ والدليل على
ما قلت أنه — أدام الله عزه — لم يُثبت اسمي بل^(٣) جلني محمداً ،
واسمي أحمد .

ثم افاض في بيان مذاهب العلماء والشعراء في تعدد الأسماء لِلرَّجُلِ
وتغييرها ؛ واستشهد لذلك بأبيات من الشعر ثم قال :

« وأنا أقامح له .. بهنه ، وأعدما زينا لاشينا ، إذ كانت قذاة^(٤) في
بحر مزبد ، بل أثر سجود في وجهه^(٥) متعبد ، وله أن يقول : [إنه] ثبث
بالكنية فاستغنى بها عن الاسم . فأما أنا فحفظت اسمه وكنيته ونسبه ،
ولم أنس أيلمه ولا مذاكرته ... وما عيت على أهل البصرة قلة التفاتهم
إلى الأوطان ، وإنما وصفهم بقوة القلوب والأكباد ؛ لأن العرب تصف
نفوسها بذلك ... »

ثم مدح شعره ببراهته من الضرورات ، وعدم مخالفته الشائع من أبنية
الأسماء إلا اسمه . ثم قال : « فكيف استجاز أن يقصر كنية صديقه ؛
أما السمة فغيرها ، وأما الكنية فقصرها ... هذا أمر من الله ، وليس

(١) في الرسائل : « إس ورييض » . والرييض لغة : الغم برحمتها .

(٢) في الرسائل : « الله .. » .

(٣) ليست (بل) في الرسائل .

(٤) في الرسائل : « جبة » .

[هو] من ضعف الشاعر [ولا ومن الغائل] لكنه من سوء حظ
المخاطب^(١) ... ولو كان استعمل ضرورة غير تلك لقبلت حجته ...
ولعل سيدي الشيخ .. ظن أني مكنتي بعلتي التي هي من حروف^(٢)
الحفص ... ولو كان^(٣) كذلك لوجب أن يقال : « أبو علي » ...
ولمكة ... يتأول أن الألف واللام دخلت عليهما كما دخلت على عمرو ...
واليزيد ... وإن كان ... تأول أني مكنتي بـ « علا » الذي هو فضل
ماض ، فهو في التعرية من التصريف بالألف واللام مثل الأول ...
ثم ذكر حروف المعاني إذا خرجت من أبوابها ، وحكم دخول
« الـ » على الأفعال ..

فقد حمل كلام صاحبه النكتي على محامل لاوجه لها ، ويتن له مذاهب
الملاء فيما يحوز من ذلك وفيما لا يحوز .

وقد ذكر في هذه الرسالة مزاعم العرب في شر الجن ، وشياطين
الشعراء ، وذكر ماوقع في كلام الشعراء المولدين وغيرهم من الحرم والحلف
في عروض الطويل ، والعقل والنقص وغيرها مما أؤخذ به الشعراء أو
الملاء الذين أجازوا ذلك ، وهو يدس التهم والسخرة في أضعاف كلامه .
ولم يقدر لي الاطلاع على رسالة النكتي البصري إلى أبي الملاء ، ولكنني
أعتقد أن فيها شيئاً من الوخز والتمز ، لأن الذي عرفته من أسلوب
المعري في أجوبته أنه يكثر التواضع ويعظم شأن مخاطبه ، وهو في
جوابه هذا خالف طريقته وملا رسالته تهكماً وغمراً ، وإذا تأملت جوابه
هذا ، وجدت في كل جملة لونا من التهكم ، وقد يصاحبه شيء من
الاستخفاف والتعريض بفضلة النكتي أو جهله .

(١) في الرسائل : « من سوء المظلمن خطب » .

(٢) في الرسائل : « التي هي حرف حفص » .

(٣) في الرسائل : « ولو كنت » .

التقليد والتجديد في نثره

إذا نظرنا إلى ما في نثر أبي العلاء من الاعتراض بالجلل الدعائية في أضعاف كلامه ، والاستطراد من غرض إلى آخر ثم الرجوع إلى الأول ، وترادف الجمل المختلفة الألفاظ على معنى واحد ، وحل المسائل العلمية ، والاستقصاء في البحث ؛ ظننا أن أبا العلاء يجري على طريقة الجاحظ ، بل ربما كان أكثر منه إتياناً بالجلل الدعائية .

وإذا نظرنا إلى ما فيه من إكثار السجع في معظم رسائله ، ومن تعمّد الصناعات البديعية ، كالجناس ، والمطابقة ، ولزوم ما لا يلزم ، والاقتباس من القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وتضمن الأمثال وأبيات الشعر كلها أو بعضها ، مع التصرف في شيء من لفظها أو بدونه ، والتلميح إلى الحوادث التاريخية ، والإشارة إلى بعض المصطلحات والمسائل العلمية ، والافتتان في أنواع المجاز والكتابات ، وبعض الصور الخيالية الرائقة ونحو ذلك ؛ خيل إلينا أنه يطبع على غرار ابن العميد في طريقته .

وإذا نظرنا إلى شدة ميله إلى مزاجية الألفاظ في الوزن ، وحرصه على أن تكون متقاربة في الجرس والنغمة ، قوية الأسلوب ؛ ومحاولته أن يكون أكثر كلامه من الحكيم ، أو ما يقرب منها من جوامع الكلم ؛ توهمنا أنه يحذو على مثال ابن المقفع .

ولكن عند التحقيق يتبين للتأمل أن أبا العلاء لم يعتمد إيراد شيء مما ذكرناه بقصد المتابعة لأحد ؛ وإنما كان هذا النوع من الإنشاء سبيل أهل ذلك العصر ، وأن أبا العلاء جمع ما تفرق من أساليب غيره ، وساعده

على أن يجمع بين تلك الطرق ويزيد عليها غزارة علمه وسعة لغته ومواهبه وكثرة ما كان يحفظه ؟ فهو في أسلوبه هذا تابع لحكم زمانه ومواهبه ، لا يقصد به متابعة ولا تقليدا .

التجديد في نثره

في نثر أبي العلاء أشياء يحوز أن يقال : إنه أبو عذرتها وابن يحدتها .
منها النثر العلمي : فقد كان الكتاب قبله يتصدون في رسائلهم الأخوية لذكر مسألة أو مسائل قليلة من علم اللغة أو غيره ؟ وأبو العلاء قد يفهم الرسالة بمباحث متعددة من علم واحد ، أو علوم مختلفة ؟ وبلح أحيانا عليها بالتحقيق والتفقد تصريحاً أو تلميحاً ؟ ويكثر من التمثيل بالقضايا العلمية ، والتلويح الى أحكامها كقوله في (رسالة الإغريض)^(١) : « كهاء العدد لزمت المذكور^(٢) . . » ، « يراني . . كالف الوصل^(٣) . . » « وحال كالهزمة ، تبدل العين وتعمل بين بين^(٤) » ، « ونواب ألحقت الكبير بالصغير ، كأنها ترخم تصغير . . »^(٥) .

« . . ما دام الضرب الأول من الطويل صحيحاً . . وقبض الله بين عدوئهما . . قبض العروض من أول وزن . . »^(٦) ، « وخبل كساعي

(١) الرسائل - لكاهن عظة ص ٣٥ .

(٢) الرسائل ص ٣٦ .

(٣) الرسائل ص ٣٦ وألف الوصل ثبت في الابتداء ونقط في درج الكلام .

(٤) الرسائل ص ٣٧ والبن هاما : الذات .

(٥) للمدر السابق وفيه : « .. ترخم الصغير » .

(٦) الصدر السابق .

البيط ، وَحَسَبَ اللهُ الشَّرَّ بِهَامَةِ شَانِهَا وَهُوَ غَزْرٌ ، عَصَبُ الْوَافِرِ وَهُوَ
يَجْزُرُ . . . »^(١) « وَلَا عِيبَ بِسَنَادٍ وَلَا تَضْيِيقٍ »^(٢) .

« إِنْ حَكَمَ التَّأْلِيفَ فِي ذِكْرِ الْكَلِمَةِ مَرَّتَيْنِ ، كَالْجَمْعِ فِي النِّكَاحِ
بَيْنَ أُخْتَيْنِ . . . »^(٣) .

وَأَشَارَ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ إِلَى كَثِيرٍ مِمَّا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ الْقُرَاءُ وَالصَّرْفِيُّونَ ،
مِنْ مَدِّ الصَّوْتِ ، وَتَخْفِيفِ الْهَمْزِ ، وَحَذْفِ أَلْفِ السَّلَامِ خَطَأً ، وَذِكْرِ
الْحُرُوفِ الْمَذْلُوقَةِ ، وَالْمَطْبُوقَةِ ، وَالشَّدِيدَةِ . . .

وَكَذَلِكَ فِي (رِسَالَةِ الْمَنِيحِ) ذِكْرُ حَكَمِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْقَهَارِ ،
وَالِاسْتِقَامِ بِالْأَزْلَامِ ، وَأَدَاءِ الْفَرْضِ قَبْلَ دُخُولِ الْوَقْتِ ، وَالْإِحْرَامِ بَعْدَ
مَجَاوِزَةِ الْمِيقَاتِ ، وَصَلَاةِ الْأُمِّيِّ ، وَأَنْ الْهَوَاءَ يَحْتَذِبُ أَجْزَاءَ الْبَخَارِ ،
فَيَسْتَفِي مَنْ تَحْتَهُ الْأَمْطَارُ الْعَذِيبَةُ . وَذِكْرُ مَنَازِلِ الْقَمَرِ ، وَمَزَاجِ الْمُنْجِمِينَ
وَبَعْضِ الْفَلَسَفَةِ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . وَالْبَيْتِ وَالْقَافِيَةِ وَالرُّوْيِ وَالتَّوْجِيهِ .
وَالدِّ الْجَزْرِ . وَنَقْلُ الْكِيْمِيَاءِ مَا خَالَطَ مِنَ الْمَزَابِقِ .

رَقَدَ بَيْنَا مَا فِي رِسَالَتِهِ الَّتِي كَتَبَهَا إِلَى أَبِي الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ مِنَ الْمَسَائِلِ
الْعِلْمِيَّةِ^(٤) .

وَفِي رِسَالَتِهِ إِلَى الْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ^(٥) « . . . لَقِبَ الْجُزْءُ السَّالِمُ مِنَ
الرِّجَافِ . وَلِسَانِي بِشُكْرِهِ كَثِيرَ الْحَرَكَةِ . . . كَأَنَّهُ الْكَامِلُ مِنَ الْأَوْزَانِ .
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَفْتَقَرُ إِلَى عَقْدِ بَيْعٍ . . . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ [وَعُتْرَتِهِ]
حَتَّى يَسْتَفْنِي فَرَضَ الْحَجِّ عَنْ طَوَافٍ ؛ وَقَرِيبُضَ عَنِ الْقَوَافِ . . . » .

(١) الرِّسَالَةُ ص ٣٨ .

(٢) الرِّسَالَةُ ص ٤١ .

(٣) الرِّسَالَةُ ص ٤٩ .

(٤) انْظُرْ مَا سَبَقَ ص ٨٨٩ .

(٥) الرِّسَالَةُ - لِتَاْمِينِ عَطِيَّةٍ ص ٩٩ - ١٠٠ .

وفي رسالة أبي الحسن بن سنان (١) ذكر الفرض ، والأداء ، والأوقات ،
والحج ، والميقات ، وقضاء الصوم في الميدين وكرامة الصلاة في البردتين (٢) ،
وحرمة صوم عيد الفطر ، وتضمن الحرم بمطر . . .

إلى غير ذلك مما هو مذكور في رسائله التي لم يصل إلينا منها إلا
القليل ، وأكثر ما وصل منها ناقص .

الأسلوب الغيالي : ومنها الأسلوب القصصي الخيالي في الرسائل الأخوية ،
والرسائل العلمية ؛ فإنه لا يعرف للمتقدمين رسالة تشبه (رسالة الغفران)
في أسلوبها وسعة خيالها مع ما فيها من تحقيق ومناقشة في المسائل العلمية .
كما لا تعرف لهم رسالة أو مقدمة رسالة تشبه مقدمة (رسالة الملائكة)
في ذلك . وفي كتاب (القائف) كثير من الصور الخيالية .
ولعلنا لو اطلعنا على بقية رسائله لرأينا فيها أعظم وأجل من هاتين
الرسالتين وهذا الكتاب .

النقد : ومنها النقد ، فإنه كان عند المتقدمين محصوراً في الغالب في
كتب العلم ، أو في الرسائل المختصة بمسألة أو مسائل قليلة محدودة . ولا
أعرف رسالة لأحد من المتقدمين تشتمل على مثل ما اشتملت عليه (رسالة
الغفران) و (رسالة الملائكة) وجوابه إلى أبي الحسين البصري (٣) من
المباحث العلمية ، والنقد في الألفاظ ، والمعاني ، والأوزان ، والقوافي ،
ونسبة الأبيات والقصائد ، وما شاكل ذلك .

الخلاصة

يسوغ لنا بعد ما تقدم أن نقول : إن أبا العلاء لم يقلد ابن المقفع ،

(١) الرسائل شرح شامخ عطية ص ٢٣٠ .

(٢) البردان بفتح أوله كالأبردبن : الفداء والمعني .

(٣) أبو الحسين أحمد بن عثمان النكتي البصري ، انظر ماسبق ص ٨٨٩ .

ولا الجاحظ ، ولا ابن الصيد في نثره ، ولم يتقيد بطريقة واحدة ، وإنما اختار طريقة تختارها من كل طريقة ما أحب ، فطريقته جامعة لمعظم ما في تلك الطرائق وقد تزد عليها . ويسوغ لنا أن نقول : إنه مجدد في نثره في نواح متعددة ، كما ذكرنا ذلك في مواضعه .

هروب نثره

لا يكاد يجد الباحث في نثره ما يعاب به ، إلا تكلف السجع ، واستعمال كثير من الكلمات التي يقل تداولها . على أن السجع كان مرغوباً فيه في ذلك العصر ؛ وأن كثيراً من الألفاظ التي نعدّها اليوم غريبة بالنسبة إلينا لم يكن غريباً في عصره ، كما بينا ذلك . ولو قدر لنا الاطلاع على جميع نثره لرأينا فيه صنوفاً من الأدب الساحر ، والعلم الزاخر ، والبراعة الرائعة ، والخيال الخصب .

وقد ذكر باقوت وغيره أن رسائله القصار أربعون ^(١) جزءاً ، أو ثمانمائة كراسة ، وما طبع منها في بيروت يبلغ ٢٣٦ صفحة وفيها الشرح الذي يبلغ نحواً من ربعها ^(٢) .

وكنيت كتبت مقالة عنوانها (نواحي التجديد والتقليد في نثر أبي العلاء) ونشرت في الصفحة ٩٤٣ من الجزء الثامن من المجلد ٤٦ في العدد الخاص بأبي العلاء الذي نشرته مجلة الهلال المصرية في سنة ١٩٣٨ م وفيها جملة ما ذكرناه هنا .

(١) ذكر ذلك بالوت في إرشاد الأريب وابن الدم في الانصاف والصري وهيرما
انظر تريف القدماء بأبي العلاء الصفحات ١١١ ، ٥٣٤ وهيرما .
(٢) شرحها شاحن عطية وطبعت في بيروت في المطبعة الأدبية سنة ١٨٩٤ .

تقسيم نثره بحسب الزمن

من الحق أن يقسم نثر أبي العلاء إلى ثلاثة أقسام :
الأول : نثره في الطور الذي كان يدرس فيه إلى أن انتهى من
التعلم وبلغ عشرين سنة وذلك إلى سنة ٣٨٣ هـ .
الثاني : نثره من سنة ٣٨٣ هـ إلى يوم رجوعه إلى المعرة من بغداد
سنة ٤٠٠ هـ .

الثالث : نثره من سنة ٤٠٠ هـ إلى آخر حياته .
ولكن كثيراً من رسائله لم يعين زمن كتابته ؛ ومنها ما لم يصل إلينا
تماماً حتى نتسكن من معرفة زمنه . وكذلك شأن كتبه ، فإنت معظمها
لا نعرف إلا اسمه في كتب للتاريخ والأدب ؛ وهذا يحول بيننا وبين
معرفة أسلوبه النثري في كل فن وفي كل طور . وإذا تعذر إدراك ذلك
كله علينا ، فإن من الممكن معرفة بعضه ، ولو على سبيل التقريب .
فتقسم نثره بحسب الزمن إلى قسمين : القسم الأول : نثره إلى حدود
سنة ٤٠٠ هـ . والقسم الثاني : نثره من سنة ٤٠٠ هـ إلى نهاية عمره . ثم نبين
خصائص نثره في كل طور منها .

الطور الأول

ما عرفناه من رسائله في الطور الأول قليل للأسباب التي ذكرنا .
منها رسالتاه (النسيح والإغريض) اللتان كتبها إلى الوزير أبي القاسم
المغربي ، لأنه ذكر اسم أبيه في الآخرة منها ، وقد قتل أبوه سنة ٤٠٠ هـ .

ومنها كتابه إلى خاله أبي طاهر المشرف ابن سبيكة وهو ببغداد .
ومنها كتابه إلى القاضي أبي الطيب طاهر بن عبد الله . وقيل : إنه بدأ
في كتاب (الفصول والغايات) قبل رحلته إلى بغداد ، وأتمه بعد عودته
إلى المعرة .

وماعدا ذلك فيغلب على الظن أنه كاه في الطور الثاني ..

الطور الثاني

ومنه ما أمكنت معرفته على التقريب كوسالته إلى أهل المعرة وإلى خاله :
فإنها في سنة ٤٠٠ هـ .

ورسالة الصاهل والشاحج ، ولسان الصاهل والشاحج ، والقائف ومنار

القائف : فإن هذه الرسائل عملها لعزير الدولة فاتك الرومي . وهذا ولي
حلب من سنة ٤٠٧ هـ إلى أن قتل سنة ٤١٣ هـ فتكون هذه الرسائل
خلال هذه المدة .

والرسالة السندية : عملها لسند الدولة ، وكان والياً على حلب سنة ٤١٤ هـ .

وقاج الحوة : إذا صح أنه عمل لزوجبة صالح بن مرداس ؛ وهذا

تولى حلب من سنة ٤١٤ هـ إلى سنة ٤٢٠ هـ .

وفي رسالة الضوان في (ص ٥٨) و (ص ١٤٩) ^(١) ما يشعر بأنه

وضعها سنة ٤٢٤ هـ لأنه ذكر في الأولى « قاضي حلب في أيام شبل
الدولة » ^(٢) . وذكر في الثانية أنه « لا يجوز أن يخبر بخبر منذ مائة

(١) من الرسالة طبعة أمين حندبة وانظر بنت الشاطي ط ١ ص ١٥٥ و ٣٨٧ .

(٢) قاضي حلب في أيام شبل الدولة من سنة ٤٢٠ - ٤٢٩ هو عبد النعم بن

عبد الكريم . انظر الرسالة تحقيق بنت الشاطي ط ١ ص ١٥٥ .

سنة أن أمير حلب . . في أربع وعشرين وأربعمائة اسمه فلان
وقد كانت ولاية شبل الدولة حلب من سنة ٤٢٠ هـ إلى سنة
٤٢٩ هـ .

وكتاب شرف اليف : لأنوشتكين الدزيري ، وهذا ولي دمشق
للفاطم سنة ٤١٩ هـ ثم ملك حلب سنة ٤٢٩ هـ إلى سنة ٤٣٤ هـ وقد
وضع له هذا الكتاب وهو وال على دمشق ، أي ما بين سنة ٤١٩ هـ
وسنة ٤٢٩ هـ .

ورسالة الضمير : كتبها إلى معز الدولة ثمال بن صالح الذي ولي
حلب سنة ٤٣٤ هـ .

ورسالة الملائكة : وضعت نحو سنة ٤٣٥ هـ تقريبا .

وذكرى حبيب : ابتداء قراءة الجزء الثاني منه على أبي العلاء أبو الحسن
يحيى الكرداني سنة ٤٤٦ هـ .

وضوء اللقط : عمله لتلميذه أبي عبد الله محمد بن محمد الأصباني الذي
لازمه من نحو سنة ٤٤٦ هـ إلى أن مات سنة ٤٤٩ هـ .

وعون الجمل : يقال : إنه آخر كتاب أملاء ؛ ويقال : إن آخر
كتاب أملاء هو (ضوء اللقط) .

ورسائله إلى داعي الدعاة بصر : وقد كانت بعد سنة ٤٤٥ هـ
كما سيأتي .

وقد قدمنا أن أول كتاب وضعه أو أتمه بعد عودته من بغداد هو
(الفصول والغايات) ثم (الأيك والفصول) ولكن لم يمتن لنا زمن
كل منها على التحقيق .

الفروق بين نثره في الطور الأول والطور الثاني

يشارك نثر أبي العلاء في الطورين في أمور كثيرة اتضحت بما قدمناه كاستعمال الكلمات اللغوية القليلة التداول ، والسجع والبديع ، واستخدام المسائل والاصطلاحات العلمية ، والأمثال والحكم ، والاستشهاد ببيت من الشعر أو بعض بيت أو أبيات ، والإشارة إلى الحوادث التاريخية والرجال المعروفين في التاريخ وما شاكل ذلك . وفي كلا الطورين يتمثل للقارى حرص أبي العلاء على تحكيم العقل وقبول ما يقبله ، ورفض ما يرفضه من غير استسلام للقول العلماء أو غيرهم . فقد تبرأ في (رسالة المسيح) من مزاعم المنجمين وبعض الفلاسفة الزاعين أن « المشتري والزهرة ... يلفان الحباب من تولياء » . وصرح فيها بأنه لا يعتقد أن « الهواء يجتذب أجزاء البخار ، فيقي من تحته الأمطار العذبة » كما صرح بهذا في قصيدة في السقط حيث يقول :

وَقَدْ يُجْتَدَى فَضْلُ الْغَمَامِ وَلَئِنَّمَا

مِنَ الْبَحْرِ فِيمَا يَزْعُمُ النَّاسُ يُجْتَدَى^(١)

وليس من غرضنا الآن أن نبين أن هذا الرأي صحيح أم باطل ؛ وإنما نريد أن نثبت أن أبا العلاء فضحت حريته العقلية في الطور الأول ، خلافاً لما ذكره صاحب (الذكري) ،^(٢) وأنه يقبل ما يقبله عقله ، ويرفض ما سواه ، مهما كانت منزلة القائلين به . وفي كلا الطورين يمثل نثر أبي العلاء شخصه وعواطفه . وكتابه الذي أرسله إلى أهل المعرة برهان ساطع على

(١) فروع سطر الزند ، ق ١ ص ٣٥٥ .

(٢) انظر ذكرى أبي العلاء - لطف حسين - ط ٢ ص ٢٣٦ - ٩ و ٢٨٢ - ٦ .

ذلك ؛ ويحرص في كلها على إخفاء شخصه في رسائله ، ويتشاهل أمام مكاتبه ، ولكن غزارة علمه وسعة أدبه تظهران ما يريد أن يخفيه .

عفة الفاظه وسببها : والفـاظـه في كلا الطورين عفيفة بريئة من الكلمات التي ياباها الأدب وإن لم يابها الأدباء والكتّاب في عصره . وسبب ذلك أنه التزم في حياته كلها الجدة والصدق ، والاعتصام بجبل المروءة والدين ؛ وبالغ في التشدد على نفسه في ترك كثير من الأمور المباحة . ومن كانت سجيته كذلك فمن الحق أن يعف لسانه كما عفت نفسه عن الملاذ واللهو والمجانة .

مميزات الطور الثاني

ويمتاز الطور الثاني من الأول بأمر :

١ - منها سعة الخيال : فليس فيها رأينا من رسائل المعري أوسع خيالا وأكثر افتئانا في الصور الخيالية من (رسالة الغفران) و (رسالة الملائكة) ولعل في رسائله التي تكلم فيها على ألسنة السور ، والخييل ، والحمام ، والطير ، ونحوها من أنواع الحيوان ما لا يقل عن هاتين الرسالتين ؛ وهي كلها مما كتب في هذا العهد .

٢ - ومنها الاستقصاء : فإن أبا العلاء في هذا الطور إذا ألمّ بمسألة لغوية أو غيرها استفرغ فيها أكثر ما يعلمه ، ولا يفارقها حتى يحيط بها من كل وجه .

٣ - ومنها الأسلوب القصصي : الذي مثله (رسالة الغفران) و (الملائكة) ورسائله إلى خاله في تعزيتيه بأخيه ورسالة التهنية أو (الهناء) والأمثلة التي رأيناها من كتاب (القائف) وغيرها .

٤ - ومنها النقد والتهكم : فإن حظ نثره منها في الطور الثاني أكثر

منه في الطور الأول كما يظهر ذلك في (رسالة الغفران) و (الملائكة)
ورسالته الى أبي الحسين النكتي البصري .
وهذا الحكم قائم على استقرار ناقص ، بناء على ما رأيناه من آثاره
التي وصلت إلينا ، وهي قل من كثر . ولعلنا لو اطلعنا على جميع آثاره
لرأينا غير ذلك .

مألف العلماء من الكتب في الاعتناء على مثاله أو في معارضته

مشابهة الصاهل والشاحج :

ذكر في (نفع الطيب ج ٢ ص ٣٢٦) عن (مطمح الأنفس)
أن للوزير أبي القاسم محمد بن عبد الغفور رسالة سماها بـ (الساجعة والغريب)
هذا بها حنر أبي العلاء في (الصاهل والشاحج) صنفها للوزير الفقيه
أبي أيوب بن أمية .

معارضة خطبة الفصيح :

وذكر في (ج ٢ ص ٥٨٧^(١)) أن للحافظ أبي الربيع الكلاعي صاحب
(الاكتفا في مغازي الرسول والخلفاء) كتاباً سماه (جهد النصيح ، وحظ
النصح ، من مساجلة أبي العلاء في خطبة الفصيح) وقد تصرف في نسخته
فسماه (جهد النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح) .

معارضة ملقى السبيل :

وأن له كتاباً آخر سماه (مفاوضة القلب العليل ، ومنابذة الأمل الطويل ،
بطريقته المعري في ملقى السبيل) .

وللحافظ محمد بن الأتبار القضاعي معارضة أخرى سماها (مظاهرة
السمي الجليل ، ومجاورة المعري الوبيل ، في معارضة ملقى السبيل) وقد
ضبطت فيها كلمة « ملقى » بضم الميم وفتح اللام وتشديد القاف المفتوحة .

ولأبي عبد الله ابن أبي الخصال وزير يوسف بن تاشفين جزء في معارضة (ملقى السبيل) بنظم بديع ، ونثر سنيح ، في معنى الزهد الرفيع .
ولأبي الطاهر محمد بن يوسف التميمي السرقطي خون مقامة ، بناها على (لزوم مالا يلزم) وهذا توفي سنة ٥٣٨ هـ .
ولابن غَلِينْدَه الأموي السرقطي المتوفى سنة ٥٨١ هـ لزوميات [حاكي فيها أبا العلاء في لزومياته]^(١) .

اختيار شعره

ذكر ياقوت (ج ٥ ص ٢٣)^(٢) في ترجمة علي بن منجب بن سليمان الصيرفي المتوفى بعد سنة ٥٥٠ هـ أن له اختيارات كثيرة لسواين الشعر ، كميوان ابن السراج ، وأبي العلاء المعري .



(١) ترك المؤلف في الأصل بعض الأسطر أيضاً وله كان يود أن يستوفي ذكر كل من احتفى على مثال أبي العلاء أو عارضه .
(٢) لإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب .

أبو العلاء والشعر

أبو العلاء وابن خلدون

اتفقت كلمة العلماء بالشعر على أن أبا العلاء شاعر مجود ، ولم يشذ عنهم إلا ابن خلدون وشيوخه ؛ فإنه ذكر في (مقدمته) (١) شيئاً من أحكام الشعر ، وطريقة نظمه ، ومنزله عند العرب ؛ ثم قال : « لا يكفي فيه ملكة الكلام العربي على الإطلاق ، بل يحتاج بخصوصه إلى تلاف ، ومحاولة في رعاية الأساليب التي اختصته العرب بها واستعمالها » . ثم ذكر سلوك الأسلوب عند أهل هذه الصناعة . ثم قال : « وإذا تقرر معنى الأسلوب ماهو ، فلنذكر بعده حداً أو رسماً للشعر ، به تفهم حقيقته على صعوبة هذا الغرض . فإما لم نقف عليه لأحد من المتقدمين فيما رأيناه . وقول المروزيين : إنه الكلام الموزون المقفى ليس بحدٍ ولا رسم لهذا الشعر الذي نحن بصدده .. فلا بد من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثية فنقول : الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي ، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وي بعده ، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به » اهـ .

هذا [هو] التعريف الذي ارتضاه وزعم أنه يعطيه حقيقة الشعر ، ثم بيّن أن قوله : الكلام البليغ جنس ... وقوله : المبني على الاستعارة ...

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٥٠٢ ط المطبعة الأزهرية .

فصل . وقوله : الفصل بأجزاء متفقة فصل . وقوله : مستقل كل جزء منها .. بيان للحقيقة . وقوله : الجاري على أساليب العرب المخصوصة .. فصل له عما لم يجر منه على أساليبهم المعروفة ، فإنه حينئذ لا يكون شعراً إنما هو كلام منظوم . لأن الشعر له أساليب تخصه لا تكون للشعر؛ وكذا أساليب المنثور لا تكون للشعر . فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الأساليب فلا يكون شعراً . ثم قال : « وهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء » ، لأنها لم يجرى على أساليب العرب .. » . ثم قال : « إنهم كانوا يصيرون شعر المتنبي والمعري لعدم النج على الأساليب العربية ، فكان شعرهما كلاماً منظوماً نازلاً عن طبقة الشعر والحاكم بذلك هو النوق . » إلى آخر كلامه .

وخلاصة ما يرمي إليه في كلامه هذا ثلاثة أمور :

الأول : إن تعريف الشعر الذي عرفه به العروضيون ليس بحدٍ

ولا رسم .

الثاني : إنه ذكر تعريفاً للشعر يعطيه حقيقة الشعر .

الثالث : بناؤه على هذا أن نظم المتنبي والمعري ليس من الشعر في شيء .

وكلامه في الثلاثة غير سديد ولا صحيح .

أما الأول : فإن قول العروضيين المتقدم هو حد للشعر المطلق .

لأن قولهم : « الكلام جنس قريب » وقولهم : « الموزون فصل وكذلك المفتى » ولكنه لم يكن حداً تاماً لعدم استيفائه جميع الذاتيات ، لأن بعضهم اشترط أن يكون الوزن قصداً لا اتفاقاً وأن يكون بوزن عربي . وبعضهم ألغى قيد التلفية ، لأن البيت الواحد ، والشعر المشتل على عيب

الإكفاء أو الإجازة ، شعر باتفاق العلماء ، وبهذا الاعتبار لم يكن الحد جامعاً ولا مانعاً على أقول الجمهور .

وأما الثاني : فإن قوله في تعريف الشعر: « هو الكلام البليغ » غير صحيح ، لأن معظم القصائد الممدودة من عيوب الشعر كالمعلقات وأشباهاها مملوءة بالإقواء ، والإصراف ، والغرابة ، ومخالفة القياس ، وأمثال ذلك مما ينافي شروط البلاغة ، والعلماء في القديم والحديث مجمعون على أنها من الشعر بل من مقلدات الشعر .

وكذلك قوله : « المبني على الاستعارات والأوصاف » فإن كثيراً من الأبيات خال من إحداها أو كليهما ؛ والناس مجمعون على أنها من الشعر الجيد .

ومثله قوله : « الفصل بأجزاء متفقة في الوزن .. » لأن البيت الواحد قد تأني أجزاؤه مختلفة في الوزن بسبب ما يدخل على بعضها من زحاف أو علة دون بعض آخر ؛ وكذلك أجزاء البيت الواحد مع أجزاء بيت آخر من قطعة واحدة أو قصيدة واحدة قد تكون مختلفة في الوزن . وهذا كله يسمى شعراً بإجماع العلماء .

وقوله : « ... والروي ... » فيه نظر ، لأن جمهوراً من العلماء يعدون البيت المفرد شعراً ولذلك لا يشترطون التقفية في تعريف الشعر والبيت الممدد ليس فيه اتفاق في الروي . والجمهور أيضاً يعدون الأبيات التي فيها اختلاف الروي شعراً ، ويعدون ذلك الاختلاف عيباً من عيوب الشعر ، ولو لم تكن شعراً لما عُد ذلك عيباً فيها كالأبيات التي يكون فيها الإكفاء والإجازة .

وقوله : « مستقل كل جزء منها ... » غير صحيح ، لأن العلماء الذين يعتد بهم مجمعون على أن قول الأعشى :

مَارَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَظِلٌ^(١)
يُشَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا كَوْكَبٌ شَرْقٌ

مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ الثَّنْبِ مُكْتَبِلٌ
يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ وَلَا بِأَحْسَنِ مِنْهَا إِذْ دَنَا الْأَصْلُ

من الشعر الجيد ، والبيت الأول منها مرتبط بالثالث ؛ لأن فيه خبر « ما » المذكورة في أول البيت الأول . وليس في هذه الأبيات الثلاثة بيت مستقل عما بعده في غرضه ومقصده ، ولا ما بعده مستقلا عما قبله هنا ؛ بل لا يتم الغرض المقصود إلا بجموع الأبيات الثلاثة . وكذلك قول الأعشى في هذه القصيدة :

وَبَلَدَةٌ مِثْلُ ظَهْرِ التُّرْسِ مُوَحِّشَةٌ لِلْجِنِّ بِاللَّيْلِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلٌ

فإنه مرتبط بالبيتين اللذين بعده^(٢) ، وهما مرتبطان به ؛ لأن قوله : « وبلدة » لا يتم معناه وإعرابه إلا بالبيت الثالث . ومن هذا القبيل قول النابغة في مدح النعمان :

(١) الأبيات من لامية الأعشى الكبير ميون بن فيس ومطلما :
ودع هريرة إن الركب سرغل وحل تطبق وداعاً أيما الرجل

(٢) ها :

لا يندى لها بالهبط يركبها إلا الذين لم نبا أنوا مَهَل
جاوزتها بطليح جرة سرح في سرحها إذا استرضتها نخل

فَمَا الْفُرَاتُ إِذَا جَاشَتْ غَوَارِبُهُ تَرْمِي أَوَاذِيَهُ الْعَبْرَيْنِ بِالزَّبَدِ^(١)

فانه مرتبط بالبيت الثالث الذي بعده ، والثالث مرتبط به . وليس واحد من الأبيات الأربعة مستقلاً عما قبله مستغنياً عما بعده . وكذلك قوله في هذه القصيدة :

وَأَحْكَمْ كَحُكْمِ قَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ

إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الشَّمَدِ^(٢)

فإن أبياته الخمسة^(٣) مرتبط بعضها ببعض . وأمثال هذا كثير في أشعار المتقدمين والمتأخرين .

وقوله : « الجاري على أساليب العرب المخصوصة به » غير صحيح ، لأنه يقتضي أن يكون الشعر كله مطبوعاً على غرار واحد . وأن يكون

(١) من مطوكة التي مطلعها :

يَادَارُ مَيَّةً بِالطَّيَّاسِ قَالِدِ أَقْوَتٍ وَطَالَ عَلَيْهَا - الْفَالُ الْأَبْدِ
انظر مختار الشعر الجاهلي - مصطفى القا - ج ١ ص ١٤٩ فما جدما ورواية الأبيات به :

فَا الْفُرَاتُ إِذَا هَبَ الرِّيحُ لَهُ تَرْمِي غَوَارِبُهُ الْعَبْرَيْنِ بِالزَّبَدِ
يَحْدُ كُلُّ وَادٍ مَرْتَعٌ لَجِبِ فِيهِ رَكَامٌ مِنَ الْيَبُوتِ وَالْخُضْدِ
يُظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَّاحُ مَتَصِّمًا بِالْخَيْزِرَانَةِ بَدَدِ الْأَيْنِ وَالنَّجْدِ
يَوْمًا . بِأَجُودِ مَتَّ سَبَبُ فَائِلَةٍ وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ الْيَوْمِ دُونَ غَدِ

(٢) في مختار الشعر الجاهلي :

أَحْكَمْ كَحُكْمِ قَتَاةِ الْحَيِّ إِذَا نَظَرَتْ إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الشَّمَدِ

(٣) الأبيات الأربعة بعد البيت السابق :

يَحْدُ جَانِبًا نَقِيرٍ وَتَجْهُ مِثْلُ الزَّجَاجَةِ لَمْ يَكْمَلْ مِنَ الرَّمْدِ
قَالَتْ : الْإِلَيَّا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَامَتِنَا وَضَعَهُ قَدْ
فَعْبُوه فَالْفُوهُ كَمَا حَبِثَ نَسًا وَنَعِينِ لَمْ تَقْسُ وَلَمْ تَرْدِ
فَكَلَّتْ مَتَّ فِيهَا حَامَتَهَا وَأَسْرَعَتْ حَبَّةً فِي ذَلِكَ السَّعْدِ

تقليديا في ألفاظه ، وأوزانه ، وبعض أغراضه ، وأخيلته . وهذا يسد باب الاختراع والابتكار . والواقع يشهد بأن شعراء العصر الأموي وصدر العصر العباسي لم يلتزموا أساليب الشعراء الجاهليين ؛ ولذلك كان شعروهم أحسن ديباجة ، وأحكم تأليفا ، وأكثر تثقيفا ، وأروع خيالا من شعروهم من تقدمهم . ولو أنهم لم يجيدوا عن أساليب الجاهليين لجاء شعروهم نسخة عما قبله ، ولما رأينا فيه تلك الصور والأخيلة والمعاني التي لم يطل إلى مثلها عقل الجاهلي وتفكيره .

وفي تعريف ابن خلدون المتقدم وجوه أخرى يؤاخذ بها ؛ ولكننا اجتزأنا بهذا القدر خشية الإطالة . على أننا أوضحنا القول في هذا في كلمة نشرناها في الصفحة (٥) من العدد (٨) من المجلد الأول من مجلة الأوقاف الإسلامية التي صدرت في دمشق سنة ١٣٦٥ هـ وسنة ١٩٤٦ م .

ويتضح من خلاصة ما ذكرناه هنا وهناك أن تعريف الشعر الذي ارتضاه ابن خلدون غير صحيح . وإذا تبين بطلان هذا بطل ما بني عليه ، وهو الامر الثالث لأن المبنى على الفاسد فاسد . على أن للتنبي والمرعي من الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف كثيرا مما يمجز عنه المتقدمون والمتأخرون .

الشعر عند أبي العلاء

قدمنا ما قاله المتقدمون في تعريف الشعر . وقد عرفه أبو العلاء تعريفاً غاير به طريقة من قبله ؛ وذلك حيث قال في (رسالة الغفران ص ٥٥) (١) : « والشعر كلام موزون تقبله القرينة على شرائط إن زاد أو نقص أبانه الحسن » .

(١) الغفران ط أمين حنيفة وانظر تحقيق بنت الناطل ط ١ ص ١٤٨ .

وهذا التعريف على ما فيه من طرافة وطلاوة لا يخلو من نظر . وذلك أن أبا العلاء يشير إلى أن الغريزة وحدها تستطيع أن تدرك معرفة الأوزان ، وتميز الصحيح من الفاسد منها ، كما تستطيع أن تميز الجيد من الرديء من الشعر ، فتقبل الاول ، وتأبى الثاني .

ونحن لا ننكر أن شيئاً من هذا قد تدركه الفطرة الصحيحة والذوق السليم ، إذا استطاعت أن تحافظ على الموازنة بين فترات الالفاظ وجرسها الموسيقي ، وعلت من مؤثرات آخر .

ولكن لا يتأتى لها أن تدرك كل شيء يسمى شعراً .

وإن قوله : « تقبله الغريزة » يحتمل أن يرجع إلى الوزن فقط ، فيكون المراد أن وزنه تقبله الغريزة وتدركه . ويحتمل أن يراد به الشعر عامة ، فيشمل الوزن واللفظ والمعنى . وهو على كلا التقديرين غير سديد ؛ لأن بعض الأوزان لا يمكن أن تدرك بالغريزة وحدها ، ولا تقبلها الغريزة كما ينضج ذلك في بعض البحور ، كالضارع ، والمقتضب ، وبعض أعاريض المنسرح . حتى أن بعض الطعاه بالعروض نفى أن تكون هذه من الشعر .

ولأن كثيراً من الابيات قبلها الغريزة من حيث الوزن ، ولكن لا قبلها من حيث اللفظ أو المعنى ، إما لغرابة أو تعقيد في اللفظ ، وإما لغموض في المعنى ؛ مع أن ذلك كله يسمى شعراً .

وقوله : « على شرائط . . . » إحالة على مجهول لا تمكن الإحاطة به إلا بعد بيانه . ومثل هذا لا يجوز أن يقع في التعريف .

والأولى أن يرجع قوله : « تقبله الغريزة » إلى الوزن فقط ، ليلتزم مع قوله : « إن زاد أو نقص أبانه الحسن » . وفي كلام أبي العلاء كثير مما يؤيد هذا :

٦ - منه أنه ذكر في (ص ٢٠٥ من رسالة الفخران) (١) أن رجلاً كان يحفظ القرآن ، ويأمن بأشياء من العلم . وكان ينجم على الطريق ، وله قرعة فيها أشعار يستند حفظها ويدرسها في بيته ، ولا غريزة له في معرفة الأوزان . فيكر البيت ، فتقول له امرأته : ما هذا جيد ! فإذا أصبح سأل من يعرف ذلك ، فأخبره أن الصواب معها ، وعرفه كيف يجب أن يكون . فإذا عاد في الليلة الثانية ، ذكره على الوجه الذي أصلح عليه ، فتقول له امرأته : هذه الساعة جيد .

٧ - ومنه أنه ذكر أنه كان له كرى لا يعرف موزون الأبيات من غيره ، وله امرأة تحسن بذلك . وقد مات لها طفل يدعى رجلاً فكانت تتأسف عليه ، وتلشد هذا البيت :

إِذَا كُنْتَ مِنْ جَرِّ أَحَبِّبِكَ مُوجِعاً فَلَا بُدَّ يَوْمًا مِنْ فِرَاقِ حَبِيبٍ
فَقَالَتْ هِمًّا :

إِذَا كُنْتَ مِنْ جَرِّ رَجِينٍ مُوجِعاً
فلت أن الوزن مختل فقالت « من جرِّ رَجِينٍ » ، فعركت النون وأنكرت تحريكه بالطبع . فقالت :

إِذَا كُنْتَ مِنْ جَرِّ رَجِينِكَ مُوجِعاً
فأضافته إلى الكاف ، فاستقام الوزن واللفظ .

٢ - ومنه ما ذكره في (رسالة الفخران ص ٨٧) (٢) أن ابن الفارح

(١) وانظر الفخران تحقيق بنت العاطي ط ١ ص ٤٨٨

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٥ .

قال لامرئ القيس : إن رواة البغداديين ينشدون في « قفانك » هذه
الآيات بزيادة الوارد في أولها أعني قولك :

وَكَانَ ذُرَى دَأْسِ الْمُجْنَمِ غُدْوَةً (١)
وَكَانَ مُكَامِي الْجَوَاءِ غُدْيَةً
وَكَانَ السَّبَاعَ فِيهِ غَرْقَى عَشِيَّةً

فقال له : أبعد الله أولئك ! لقد أساءوا الرواية ؛ وإذا فعلوا ذلك
فأي فرق يقع بين النظم والنثر ؟ وإنما ذلك شيء فعله من لا غريزة له في
معرفة وزن القريض ، فظنه المتأخرون أصلاً في المنظوم ، وهيئات هيئات .
وقال له في (ص ٨٨) (٢) : « فأخبرني عن كلمتك التونية ، والصادية ،
والضادية . . . لقد جئت فيها بأشياء ينكرها السمع كقولك :

فَإِنْ أَمْسَ مَكْرُوباً فَيَارُبَّ غَارَةً شَهِدْتُ عَلَى أَقْبَرِ رِخْوِ اللَّبَانِ (٣)

(١) أحجاز الآيات على التوالي :

- « من الليل والنهار فلكة منزل »
- « صبحن سلاماً من رحيق مقل »
- « بأرجانه القصوى أنايش عسل »

انظر ديوانه ط التمام ص ٣٧ - ٨ و ط (بيروت) ص ٦٢ - ٣ .

(٢) من الشفران ط أبين هندية وانظر بنت الساطي ط ١ ص ٢٢٧ .

(٣) البيت من نونية التي مطلعها :

لن تطل أجرتي فشباني كخط زبور في عيب جان

ديوانه ص ١٧٠ (بيروت) وفيه : « وإن .. » .

وقولك :

عَلَى نَفْسِي هَيْقِي لَهُ وَلِعَرْسِهِ بِمُنْقَطِعِ الْوَعْدِ يَنْضَرُّ صَيْصٌ^(١)

وقولك :

فَأَسْقِي بِهِ أُخْتِي ضَعِيفَةً إِذْ نَأَتْ وَإِذْ بَعْدَ الْمَزْدَارِ غَيْرَ الْقَرِيضِ^(٢)

في أشباه لذلك هل كانت غرائزكم لا تحس بهذه الزيادة^(٣) ؟ أم كنتم مطبوعين على إتيان مفاوض الكلام ، وأنتم عالمون بما يقع فيه . كما أنه لا ريب أن زهيراً كان يعرف مكان الزحاف في قوله :

يَطْلُبُ شَأْوَ امْرَأَتَيْنِ قَدْ مَاحَسَبَا نَالَا الْمُلُوكَ وَبَذَا هَذِهِ الشَّوَقَا^(٤)

فإن الغرائز تحس بهذه المواضع اهـ

٤ - ومنه أنه ذكر في (لزوم ما لا يلزم ج ١ ص ١١)^(٥) حكم

(١) البيت من صديقه ومطلها :

أَمِنْ ذَكَرٍ سَلِمَى أَنْ تَأْتِكَ تَوَسَّ قَفْصَرٌ عَنْهَا خَطْوَةٌ وَتَبُوسٌ
ديوانه ص ١٢٣ (بيروت) . وفيه : « يخرج الوعاء » .

(٢) من صديقه التي مطلها :

أَعْنِي عَلَى بَرَقِ أَرَاهُ وَبَيْضِ بَيْضِي حَيًّا فِي شَمَارِخِ بَيْضِ
ديوانه ص ١٢٧ (بيروت) وفيه : « وإذ بعد الزار غير .. » .

(٣) كذا في الأصل ، والذي في هذه الآيات من نوع التمس لا من نوع الزيادة :
ولله يريد الزيادة على الأوزان المرونة في عهده (ج) .

(٤) البيت من قافيتها التي يمدح بها هرم بن سنان وأباه وإخوته ومطلها :

إِنْ الْحَلِيطُ أَجَدَ الْبَيْنِ فَانْفَرَا وَعَلَى الْقَلْبِ مِنْ أَسْمَاءِ مَاعَلَا

انظر ما سبق ص ٨٥٨ .

(٥) طبعة عزيز زند وانظر القزوينيات ص ٢ .

ألف التأسيس إذا كانت منفصلة ، وجاء بعدها كلمة مضمرة أو فيها حرف إضممار . ثم قال : « فإذا كانت الألف في كلمة ، وبعدها كلمة ، ليست كما تقدم ذكره ، فإنها لا تجمل تأسيساً ، كما قال العجاج :

فَهِنْ بَعِيفَنْ بِهِ إِذَا حَجَا عَكَفَ النَّبِيطِ يَلْعَبُونَ الْفَنَزَجَا

فألف « إذا » ليست ألف تأسيس ، لأن حجا ليست كلمة مضمرة ، ولا فيها حرف إضممار . فهذا رأي المتقدمين ، ولا يتمتع في حكم الغريزة أن تكون الألف تأسيساً وبعدها كلمة ليس فيها إضممار مثل رشم وطر . . .

٥ - ومنه أنه قال في (ج ١ ص ٢٩ من لزوم ما لا يلزم) (١١) : « ومن تدبر ما ذكر من له أيسر غريزة علم أن وَرَنْتُ مع ضربت في القوافي أضعف من آخبت وسمت ، لأن هذه التاء من السخ » .

٦ - ومنه أنه قال في (ج ١ ص ٣٠) (١٢) : « وأصحاب هذا القول أي جعل تاء التانيث وكاف الإضممار وصلًا يعتقدون في قول الراجز :

سُلْتُ بَدَا فَارِيَّةَ فَوْتَمًا وَسَخِثْتُ عَيْنُ الَّتِي أَرَنْتَهَا

أن الروي التاء وهي ساكنة ، والهاء وصل ، وهي متحركة . ولو جاء على مذهبهم في هذه القوافي « خذها ومنها » لكان عيباً ، والغريزة تشهد بما زعموه . وقياس أقوال المتقدمين يوجب أن الروي الهاء . . وأن الراجز لو جاء في مثل هذه القوافي : « عنها ومنها » لكان ما فعله غير معيب .

(١) طبعة عزيز زند وانظر التروبيات ٥ ص ١٢ .

(٢) المصدر السابق وانظر التروبيات ٥ ص ١٣ .

رأي أبي العلاء في معاني الشعر ومقاصده وفنونه

زعم بعض العلماء أن الشعراء المتقدمين ما تركوا باباً من أبواب الشعر إلا ولجوه ، ولا غرضاً من أغراضه إلا وقد تناولوه واقتنوا فيه . ويلخص آراءهم في هذا الموضوع قول بعضهم : ما ترك الأول للآخر شيئاً . واحتج هؤلاء ومن لف لفهم بمثل قول امرئ القيس :

عُوجًا عَلَى الطَّلَلِ الْحِيلِ لَعَلَّنَا نَبْكِي الدِّيارَ كَمَا بَكَى ابْنُ خِذَامٍ^(١)

وقول عنتره العبسي :

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفَتِ الدَّارُ بَعْدَ تَوَهُمٍ^(٢)

وقول زهير :

مَا أَرَانَا نَقُولُ إِلَّا مُعَارَا أَوْ مُعَادَا مِنْ لَفْظَنَا مَكْرُورَا

وذهب المحققون من المتقدمين والمتأخرين إلى أن الشعر بحر لا ينكش ، ومعين لا ينضب ؛ وأن المعاني الشعرية لا تحدد ولا تنفذ ، والصور الخيالية لا تنقطع مادتها ، ولا تنحصر أشكالها .

وأبو العلاء من أصحاب هذا الرأي . ولقد أعرب عن رأيه وأيده بأسلوب رائع حيث قال في (رسالة الغفران ص ٩٢) ^(٣) على لسان ابن الفارح لعنترة العبسي :

(١) من قصيدة يجب يا صبيح بن حوف بن مالك مطلقها :

لن الديار عفتها بحلم فباين فحسب ذي ألقام
ديوانه ص ١٦٢ (بيروت) وفيه : .. الهيل لأنا .. ، ،

(٢) مطلع مبيطة التي كانت نسبها العرب للنخبة .

نظائر الشعر الجاهلي ١/ ٢٦٩ ،

(٣) طبعة ابن حنبلية وانظر بنت العاطية ط ١ ص ٢٣٩ = ٨ .

« وإني إذا ذكرت قولك :

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ

لأقول إنما قيل ذلك وديوان الشعر [قليل] محفوظ . فاما الآن فقد كثرت على الصائد الضباب . وعرفت مكان الجهل الرباب . ولو سمعت ما قيل بعد مبعث النبي [ﷺ] لعنيت نفسك على ماقلت ، وعلت أن الأمر كما قال حبيب بن أوس :

فَلَوْ كَانَ يَفْنَى الشَّعْرُ أَفْنَاهُ مَا قَرَّتْ

حِيَاضُكَ مِنْهُ فِي الْعُصُورِ الذَّوَاهِبِ ^(١)

وَلَكِنَّهُ صَوَّبُ الْعُقُولِ إِذَا انْجَلَّتْ سَحَابُ مِنْهُ أَعْقَبَتْ بِسَحَابِ

فيقول : وما حبيبيكم هذا ؟ فيقول : شاعر ظهر في الإسلام . وينشده شيئاً من نظمه ، فيقول : أما الأصل فمربي ، وأما الفرع فنطق به غبي . وليس هذا المذهب على ما تعرف قبائل العرب . فيقول وهو ضاحك مستنشر : إنما ينكر عليه المستعار ، وقد جاءت العارية في أشعار كثيرة من المتقدمين ؛ إلا أنها لا تجتمع كاجتماعها فيما نظمه حبيب بن أوس هـ . اهـ . فكلامه هذا صريح في أن الشعراء الذين كانوا في عهد زهير ، وعنزة وامرئ القيس ، ومن تقدمهم لم يأتوا من أبواب الشعر وأغراضه وأخيلته وصوره إلا بالنزر اليسير بالنسبة لمن جاء بعدهم في عصر الإسلام والعصور التي تلتها ، ونحن لا نتكر أن ماجاءنا من شعر العصور التي كانت قبل الإسلام كانت قلاءً من كثر . ولكننا مهما تصورنا كثرته فإن ماجاء من الشعر في عصر الإسلام والذي بعده أضعاف ما تقدمه .

(١) البيتان من بآية أبي غام التي يمدح بها أبا ذلف المجلي ، ديوانه ص ٤٤ .

وقد أشار أبو العلاء إلى رأيه في مواطن من شعره كقوله :

تَدُودُ عُلَاكَ سُرَادَ الْمَعَانِي إِلَيَّ فَمَنْ زُهَيْرٌ أَوْ زِيَادُ^(١)
إِذَا مَا صَدَقَتْهَا قَالَتْ رِجَالُ أَلَمْ تَكُنِ الْكَوَاكِبُ لَا نُصَادُ
مِنَ اللَّاتِي أَمَدٌ بَيْنَ طَبَعٍ وَهَذَيْنِ فِكْرٌ وَاتِّقَادُ
وقوله في جواب قصيدة :

أُيْبَا الدَّرُّ إِنَّمَا فَضَّتْ مِنْ بَحْرِ مُخْلَى الطَّرِيقِ لِلْجَرَبَانِ^(٢)
وقد صرح به في قوله :

وَلِإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْآخِرَ زَمَانُهُ لَأَتِي بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ^(٣)

(١) من قصيدة في السقط يمدح بها بعض الأسراء وكان قد شكى من علة ، مطلبها :
أفوق البدر يوضع لي مهاد أم الجوزاء تحت يدي وساد
شروح سقط الزند : ق ١ س ٣٢١ - ٣ .

(٢) من نونته التي أجاب بها العريف أبا إبراهيم الطوسي عن قصيدة أولها :
غير مستحسن وصال القواني بعد سنين حجة وثلاث
ومطلب قصيدة أبي العلاء :

علالي فان يرض الأمانى فليت والظلام ليس بمان
شروح سقط الزند : ق ١ س ٤٥٩ .

(٣) من لايته التي يخاطب بها بعض أهل الشام ، وكان نزل عليه فأساء ممالكه
ولبه إلى التطيل ، ومطلبها :

ألا في سبيل المجد ما أفا فاعل عفاف وإقدام وحزم وثائل

شروح سقط الزند : ق ٢ س ٥٢٥ .

أصل أبي العود في الرجز والرجز

أصل الرجز في اللغة : تتابع الحركات ، ومن ذلك قولهم : فاقة رجزاء . ومن هذا رجز الشعر ، لأنه أقصر أبيات الشعر والانتقال من بيت إلى بيت سريع ، ورجز كقتل : قال شعر الرجز ، وارتجز ارتجأزاً مثله . وهي أرجوزة ، والجمع أراجيز ، وارتجزوا ورتاجزوا : تعاطوا بينهم الرجز ، وهو راجز ، ورجتاز ، ورجازة .

وقد اختلف في الرجز فقليل : هو شعر ابتداء أجزائه سبيان ثم وتند . وقيل : كل ما كان على ثلاثة أجزاء . وقيل : كل شعر تركيب تركيب الرجز ، والرجز بحر من بحور الشعر ، قيل : سمي بذلك لتقارب أجزائه ، وقة حروفه ؛ ومن ثم يطلق الرجز على كل شعر قلت حروفه وقصرت بيوته . وقيل : لأن أكثر ما تستعمل العرب منه المشطور الذي هو على ثلاثة أجزاء ، فشبه بالراجز من الإبل ، وهو الذي نشد إحدى يديه ، فيبلى على ثلاث قوائم . وقيل غير ذلك . واختلف فيه أيضاً ، فقليل : إنه شعر صحيح ؛ وقيل : ليس بشعر وإنما هو أنصاف أبيات وأثلث ...

أولية الرجز ومصدره

لم نجد دليلاً قاطعاً يدل على أول من قال الشعر من العرب ، ولا على أول زمان ومكان قيل فيها ، ولا على أية صورة ابتداء ؛ وإنما قال كل فريق مادار في خلد من غير أن يستند إلى دليل مقنع^(١) .

(١) راجع كتابنا النمل الصافي في العروض والقوافي (ج) .

فقد زعم صاحب (الروض الأنف) أن يمين وهو يعرب بن قطان أول من قال القريض والرجز^(١) . وزعم غيره أن الشعر كان كله رجزاً وقطعاً . وإنما قُصِدَ على عهد هاشم بن عبد مناف ؛ وأول من قصده مهمل وامرؤ القيس الكندي ؛ وهما قبل الإسلام بنحو قرن ونصف^(٢) .

وزعم آخرون أن مصدر الرجز حذاء الإبل ، وأن مضر بن نزار أول من قاله حين سقط غن جل وانكسرت يده ، فجعل يقول : وايداه وايداه ، وكان حسن الصوت ؛ فأصفت إليه الإبل ، وجدت في السير ، فجعلت العرب مثلاً لقوله : « هايدا هايدا » يحدون به الإبل . وقبل غير ذلك .

وذهب فريق إلى أن العرب كانت تتكلم أولاً بالكلام المرسل ، ثم تدرجت منه إلى الكلام المسجع ، ثم منه إلى الرجز ، ثم إلى القصيد ، ثم نوعت القصيد بحسب أغراضه ، حتى بلغت الأوزان التي جمعها الخليل وهي خة عشر وزناً ، ثم استدرك الأخفش وزناً آخر فكانت ستة عشر .

(١) وزعم قوم أن آدم عليه السلام روي عنه شعر ، من قوله :

نحن بنو الأرض وسكانها منها خلقنا واليا خود ...
وانه لا قتل لاييل هايل قال :

تنيرت البلاد ومن عليا فوجه الأرض منير ليح ..

وعنى ذلك على لسانه أبو اللاد في رسالة النثران ص ١٠٨ الى ١١٠ وقال فيها : إن بني أهل البر يزعم أن هذا الشعر - أي الأول - وجده يرب في متقدم الصحف السريانية نقله إلى لسانه . وهذا لا يتفق أن يكون (ج) .

(٢) زعم بعضهم أن مهملاسمي بذلك لأنه أول من حمل الشعر أي وهه . وقد عنى ذلك في رسالة النثران ص ١٠٥ (ج) .

وهذا القول قريب من القبول ، جارٍ على سنن التكامل الطبيعي ؛ وإن لم يقم عليه دليل قاطع . وقد كان الرجز عند المتقدمين قصيراً حتى منتصف القرن الأول للهجرة ، ثم أخذ الرجاز يبارون الشعراء فأطالوا الأواجيز واقتنوا في أغراضها حتى عظم شأن الرجز والزجّاز عند الأدباء والعلماء ، وزاحوا الشعراء في انتجاع الخلفاء والكبراء ، وتم ذلك على أيدي المعاج ، وابنه روضة ، والأغلب المعجلي ، وأبي النجم وأضرابهم .

أول من رجز الأواجيز الطوال :

ويقال : إن المعاج أول من رفع الرجز وشبهه بالقصيد ويقال : إن الأغلب المعجلي أول من رجز الأراجيز الطوال .

رأي أبي العلاء في الرجز

لم أجد في كلام أبي العلاء نصاً صريحاً في تعريف الرجز ، وإنما يدل ظاهر كلامه على أنه يعد من الرجز كل ما قلت حروفه وقصرت بيوته ، والدليل على هذا أنه قال في (رسالة الغفران ص ٨٩) (١) :
إن ابن القارح يقول لامرئ القيس : أخبرني عن التسيط المنسوب إليك ،
أصحيح هو عنك ؟ وينشده الذي يرويه بعض الناس :

يَا صَحْبَنَا عَرُّجُوا تَقِفْ بِكُمْ أَسْجُ (٢)
مَهْرِيَّةٌ دُلْجُ فِي سَيْرِهَا مَعَجُ
طَالَتْ بِهَا الرَّحْلُ

(١) ط أ بين هندية وانظر تحف بنى الطاهر ط ١ ص ٢٣٠ .

(٢) انظر ما بيني ص ٨٧٥ .

إلى آخر الأبيات . فيقول : ما سمعت هذا قط . . . أبعد كلمتي
التي أولها :

الَاعِمَّ صَبَاحاً بِهَا الطَّلُّ الْبَالِي^(١)

وقولي :

خَلِيلِي مُرَّابِي عَلَوِّمٌ جُنْدُبٍ^(٢)

يقال لي مثل ذلك ؟ والرجز من أضعف الشعر ، وهذا اليزن من
أضعف الرجز ...

وقال في (ص ١٢٧)^(٣) : قال الراجز :

اليَوْمَ يُبْنَى لِدَوَيْدَ بَيْتُهُ^(٤)

أنواع التلبية : وكلامه في (ص ١٨٦)^(٥) يدل على أن تليبات

(١) قامة : « وحل يسن من كان في الصر الحالي » . انظر ما سبق ص ٨٧٥ .

(٢) قامة : « قض لبائن الخوادم للفتب » . انظر ما سبق ص ٨٢٦ .

(٣) الفران ط أمين حندية وانظر الفران تحقيق بنت العاطل ص ٣٣١ - ٢ .

(٤) قامة : باب بيت حبر بينه

وسم فتي برة لوجه لو كان لدمر على آليت

أو كان قرله واحداً كبت

والرجز لوحيد بن زيد ، جاهلي أدرك الإسلام مناً لا يطل وارتميز وهو يحضر .

وحده الأبيات : اليوم بين ... على اختلاف وزادة في روايتها واردة في القاموس

المحيط (دود) .

(٥) الفران ط أمين حندية وانظر تحقيق بنت العاطل ص ١٩٣ - ٥٠٥ .

للعرب جاءت على ثلاثة أنواع ، الأول : مسجوع لا وزن له ، كقولهم :
« لبيك ربنا لبيك . والخير كله بيديك » . والثاني : منهوك ، وهو
على نوعين ، أحدهما من الرجز ، كقولهم :

لَبَيْكَ إِنِّ الْحَمْدَ لَكَ وَالْمَلِكَ لَا شَرِيكَ لَكَ

والثاني من المنسرح ، وهو جنسان : أحدهما في آخره ساكنان ، كقولهم :
لَبَيْكَ رَبِّ هَمْدَانٌ مِنْ شَاحِطٍ وَمِنْ دَانٍ
والآخر لا يجتمع فيه ساكنان ، كقولهم :

لَبَيْكَ عَنْ بَجِيلَةِ الْفَخْمَةِ الرَّجِيلَةِ

وربما جاءوا به على قواف مختلفة .

والثالث مشطور ، وهو جنسان : أحدهما عند الخليل من الرجز ،
كما روى في تلبية نعيم :

لَبَيْكَ لَوْلَا أَنْ بَكَرْنَا دُونَكَ يَشْكُرُكَ النَّاسُ وَيَكْفُرُونَا

والآخر : من السريع ، وهو نوعان : أحدهما يلتقي فيه ساكنان ،
كما يروون في تلبية همدان :

لَبَيْكَ مَعَ كُلِّ قَبِيلٍ لَبَوْكَ هَمْدَانُ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ تَدْعُوكِ

والثاني : لا يجتمع فيه ساكنان كقولهم :

لَبَيْكَ عَنْ سَعْدٍ وَعَنْ بَنِيهَا وَعَنْ نِسَاءِ خَلْفَهَا تَعْنِيهَا

ثم قال : والموزون من التلبية يجب أن يكون كله من الرجز عند
العرب ، ولم تأت التلبية بالقصيد ؛ ولعلمهم قد لبوا به ولم تنقله الرواة .
فظاهر كلامه أنه عدد الأنواع المتقدمة من الرجز ، مع أن فيها ما هو
من الرجز ، وما هو من المنسرح ، ومن السريع .

منزلة الرجز والعلاء عن أبي العلاء

ينظر أبو العلاء إلى الرجز والرجاز نظر استخفاف وازدراء ، ويحتقر منزلتها بالنسبة إلى الشعر والشعراء ، ويتهكم بمن يرفع شأنها .
وقد أشار إلى ذلك في (رسالة الغفران) فقال في (ص ٩٠) (١) :
« والرجز من أضعف الشعر » كما تقدم . وذكر (في ص ١١٥) (٢) أن ابن القارح يمر بأبيات ليس لها سموق أبيات الجنة ، فيأل عنها ، فيقال : هذه جنة الرجز ... وفيها كل من غفر له من الرجز . فيقول : تبارك العزيز الوهاب ! لقد صدق الحديث المروي : « إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفافها » (٣) وإن الرجز لمن سفاف القريض قصّرتم أيها النفر فقصر بكم .

ثم يعرض له رؤية فيقول له : « ما كان أكافك بقوافٍ ليست بالمعجبة ! تصنع رجزاً ... من الحروف النافرة . ولم تكن صاحب مثل مذكور ، ولا لفظ يستحسن . فيقول له رؤية : أتقول لي هذا ، وعني أخذ الطليل ، وأبو عمرو بن العلاء ، وقد كنت في الدار الحافلة تفتخر باللفظة تقع إليك مما نقله أولئك عني وعن أشباهي ؟ فيقول له : لو شُبِّكَ رجزك ورجز أبيك لم تخرج منه قصيدة مستحسنة ، وقد كنت تأخذ جوائز الملوك بغير استحقاق ... » ثم يأتي العجاج فيأل الهاجزة .

(١) ط أمين هندية وانظر بنت الناطيء ص ٢٢٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٧ - ٨ .

(٣) هذا الحديث رواه الطبراني عن الحسين بن علي وروايته : إن الله يحب معالي الأمور وأشرفها ويكره سفافها . قال الهيثمي : فيه خالد بن الوليد ضمه أحد وابن مدين والبخاري والنسائي ، وبنيته رجال ثقات : وقال الرازي : رواه البيهقي متصلاً ومنصلاً ورجلها ثقات . (ج)

فأبو العلاء جعل الرجز أضعف الشعر ، ومن سفايف الأمور ؛ وغير
رؤبة وغيره من الرجاز بالازدراء والتهكم والسخرية ، وأشرك معهم من كان
يمنج بأهوالهم ويعظميم السلات ويحمل لهم شأنا في الأدب واللغة ؛ وجاوز
ذلك إلى أراجيزهم فجعلها من الحروف النافرة ، والألفاظ المستكرهة ،
والقوافي المكلفة ؛ وهي مع خلوها من الأمثال لا تصلح للمدح ، ولا تفضل
عن القطران ، بل هي كالجندل تصكّ السامع ، ولا يحسن أصعابها
الانتقال من غرض إلى آخر .

ولم يقتصر في هذا الباب على هذا القدر ، بل جعل في (لزوم ما لا يلزم)
لارجز والرهجاز حظا وافرا من الغمز والانتقاص ، فأشار إلى انتقاص رتبة
الراجز عن الشاعر بقوله : (١)

وَمَنْ لَمْ يَنْزِلْ فِي الْقَوْلِ رُتْبَةَ شَاعِرٍ تَقْنَعُ فِي نَظْمٍ بَرُتْبَةَ رَاجِزٍ
وقوله (٢) :

وَلَمْ أَرْقَ فِي دَرَجَاتِ الْكَرِيمِ وَكَلَّ يَبْلُغُ الشَّاعِرَ الرَّاجِزُ
وأشار إلى انحطاط رتبة الرجز عن الشعر بقوله (٣) :

قَصُرَتْ أَرْزُودُكَ الْعُلَمَاءِ فِي شَرَفٍ إِنَّ الْقَصَائِدَ لَمْ يَلْحَقْ بِهَا الرَّجْزُ

وقال في (الفصول والغايات ج ١ ص ٣١٩) : « والرجز أخفض طبقة
من الشعر ، حتى يروى عن الفرزدق أنه قال : إني لأرى طَرْفَةَ (٤) الرجز

(١) الزووبات ٥ ص ١٧٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٣ .

(٣) المصدر السابق ص ١٧١ .

(٤) كذا في الأصل والفصول ، ولها « طرفة » بالهاء الوحدة وهي الاسم من الطرف .

ولكنني أرفع نفسي عنه . وقال اللعين المقرئ للمحتاج :
أَبَا أَرَا جِيزِ يَا بَنَ اللَّؤْمِ تُوعِدُنِي وَفِي الْأَرَا جِيزِ خَلْتُ^(١) اللَّؤْمُ وَالْخَوَرُ

وقال في (ص ١٣٨) في المنهوك خامس الرجز : « وإنما يحىء في شذوذ
من الشعر ، ولم تسمع فيه أرجوزة طويلة من المتقدمين ... وزعم بعض
الناس أنه لا يحسب شعرًا .. وقال قوم : الرجز كله ليس بشعر » اهـ

اختصاص العرب بالشعر

وقع في كلام طائفة من العلماء المتقدمين ما يشعر بأن الشعر فضيلة العرب ،
وأن هذه الفضيلة مقصورة عليهم ، ونحو هذا من عبارات الدالة على
اختصاصه بالعرب .

من ذلك قول الجاحظ في كتاب (الحيوان) : « وفضيلة الشعر مقصورة
على العرب ، وعلى من يتكلم بلسان العرب^(٢) » .

ومنه قول الثعالبي في (بتيمة الدهر)^(٣) : « الشعر عمدة الأدب وعلم العرب
الذي اختصت به عن سائر الأمم » .

ووقع في كلام طائفة أخرى ما يدل على أن الشعر لا يختص
بقوم دون آخرين .

ومن هؤلاء عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ فإنه قال في
كتابه (الشعر والشعراء ص ٧) : « ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة

(١) عقب أبو الملا على ذلك فقال : « قلت ها هنا مائة ، ويجوز إلناؤها
في الكلام والشعر إذا نوسخت : فأما إذا ظممت فلا » . وعلى هذا يكون
« اللؤم » بالرفع على أنها مبتدأ مؤخر .

(٢) الحيوان ج ١ ص ٧٤ - تحقيق (هارون) .

(٣) طبعة بيروت ج ١ ص ٢ .

على زمن دون زمن ، ولا خص بها قوماً دون قوم ؛ بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده ، وجعل كل قديم منه حديثاً في عصره ، وكل شريف خارجياً في أوله ... » .

وقد وقع في كلام أبي العلاء شيء في هذا الموضوع ، منه قوله في (رسالة الغفران ص ٦٣) ^(١) على لسان حميد بن نور : « ولقد كان الرجل منا يعمل فكره السنة والأشهر ، في الرجل قد آتاه الله الشرف والمال فربما رجع بالخبية . وإن أعطي فمطاء زهيد ، ولكن النظم فضيلة العرب . . » . ومنه قوله في (الغفران ص ٥٥) أيضاً على لسان ابن القارح بعد يأسه من رضوان وإخفاؤه في مدحه ^(٢) . . : « فتركته وانصرفت إلى خازن آخر يقال له زفر ، فعملت كلمة ووسمتها باسمه ... ولم أترك وزناً مقيداً ولا مطلقاً يجوز أن يروم بزفر إلا وصمته به ، فما نجح ولا غير ؛ فقلت : رحلك الله ! كنا في الدار الذهبية نتقرب إلى الرئيس والملك بالبيتين أو الثلاثة ، فبعد عنده ما نحب . وقد نظمت فيك ما لو جمع لك ديوانا ، وكأنتك ما سمعت لي زجامة — أي كلمة — . فقال : لا أشعر بالذي سمعت — أي قصت — وأحسب هذا الذي تحيطني به قرآن إبليس المارد ، ولا ينفق على الملائكة ، إنما هو للجان وعلموه ولد آدم ، فما بُغِيَّتْكَ ؟ فذكرت له ما أريد ، فقال : والله ما أقدر لك على نفع ... فن أي الأمم أنت ؟ فقلت : من أمة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، فقال : صدقت ، ذلك نبي العرب ومن تلك الجهة أتيتني بالقريض ، لأن إبليس اللعين نفثه في إقليم العرب فتمله نساء ورجال ... » .

فقول أبي العلاء على لسان حميد : « لكن النظم فضيلة العرب . . »

(١) ط أمين مندي وناظر بنت العاطي ص ١٦٨ .

(٢) وناظر الغفران تحقيق بنت العاطي ص ١٤٩ .

يحتمل أن يراد به أن النظم فضيلة عند العرب من جهة الفضائل ، كما يحتمل أن يراد به أنه فضيلة العرب لا غيرهم . والأول هو الظاهر ، لأن المقصود من كلام حميد أن يبين أن للشعر مكانة سامية عند العرب ، لا أن يبين منزلة الشعر عند العرب وغيرهم ، وعلى هذا لا يدل دلالة قطعية على أن هذه الفضيلة مقصورة على العرب أو مختصة بهم .

وقوله الآخر على لسان زفر : « ومن تلك الجهة أتيتني بالقريض ، لأن إبليس اللعين ... » لا يدل على أنه فضيلة عند العرب ولا أنه مختص بهم ، بل يدل على احتقاره ، لأنه من نفث إبليس .

شعر الملائكة والجن

نفى أبو العلاء الشعر عن الملائكة ، لأن أعمالهم مبرورة صالحة ، وأثبتته للشياطين على لسان غيره ، لأن عملهم غير صالح ، وإن كان هو لا يعتقد صحة نسبته إليهم ولا إلى الملائكة ، فقد قال في رسالته إلى أحمد بن عثمان النكفي البصري : « وله .. أن يحتج بقول النبي ﷺ لحسان ... لما أمره بإجابة شعراء قريش : روح القدس معك . فلدّع أن يقول : إن حسان ومن جرى مجراه من قالة الحق تعينهم الملائكة على ذلك ^(١) » .

وقال فيها : « والملائكة لا تنطق بمنزل شعره ، ولا نعلم أحداً روى شعراً عن الملائكة ؛ فأما الجن فقد ورد عنها ما يعلمه » . ثم ذكر بيتاً فاحت به الجن على عمر بن الخطاب ، ^(٢) وبيتين قالتها الجن لما مات سعد ابن عباد ^(٣) . ثم قال : « ولا ينكر ما ذكرته من أمر الجن ، فقد علم أنه

(١) الرسائل - شرح شامخ عطية - ص ١٠٦ .

(٢) وهو :

فَضَيْتَ أُمُورًا ثُمَّ خَلَّدْتَ بَدَنَهَا بِرَائِحٍ فِي أَكْثَانِهَا لَمْ تَنْتَقِ (ج)

(٣) مما في الحاشية منسوبان إلى الصانع وهما :

لَدَ قَلْبَانَا سَيِّدَ الْخَزَرَجِ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ

فَرَمِينَاهُ بِسَهْنٍ قَلَمٍ نَحْطِي: فَوَادَهُ (ج)

مشهور عند العرب أن لكل شاعر شيطاناً يقول الشعر على لسانه ...
وقد زاد ادعاءهم لذلك حتى ستموا الشياطين بأسماء يعرفونها بينهم .

وذكر في (الفجران ص ٧٤) (١) أن ابن القارح رأى في الجنة مدائن
ليست كمدائن الجنة ، فقال ما هذه ؟ ف قيل له : جنة العفاريت الذين آمنوا
بمحمد ﷺ وهم عدد كثير . وأنه رأى منهم شيخاً اسمه الخيتمور أحد
بني الشيبان ، وكنيته أبو هدرش وهو من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض
قبل ولد آدم ، وليس من ولد إبليس . وذكر حديثاً دار بينها في الشعر
وقلته عند البشر وكثرته عند الجن .

وأبو العلاء يتوخى من ذكر جنة العفاريت والجن بأشعارهم والحوار
الذي كان بين ابن القارح وأبي هدرش أموراً ، منها :

١ - أن يذكر طرفاً من مزاعم الناس في الجن في الجاهلية والإسلام .

٢ - أن يبين أن ما جمعه المرزباني من أشعار الجن هذيان لا معتمد عليه .

٣ - أن يبين أن الشعر قديم العهد .

٤ - أن يبين أن الإنس يلهجون بقصيدة امرئ القيس « قفانبك »
ويحفظونها أولادهم ، وفي رسع أبي هدرش أن إلي ألف قصيدة على وزنها لشاعر
واحد من رجاله .

٥ - أن يبين أن جميع الأدب في الدنيا نوع من الشقاء لا يحظى صاحبه
بطائراً في الدنيا والآخرة ؛ وأن الشعراء يجهدون أنفسهم في اقتزاع
ما يأخذونه من المدوحين مع قلته .

٦ - أن يبين أن رجم النجوم كان قبل الإسلام ، وزاد في أوان المبعث .
وأبو العلاء يقر بوجود الجن ، كما يقر بوجود الملائكة ، ولكنه لا يقر

(١) ط أمين هندية ، وانظر تحقيق بنت الناطق ط ١ ص ١٩٦ - ٢١٤ .

بما يزعمه الناس عن الجن وأحوالهم وأقوالهم ولحومهم ؛ يدل على ذلك قوله :
 قَدْ عَشْتُ ذَهْرًا طَوِيلًا مَا عَلِمْتُ بِهِ حَتَّى يُحْسِنَ الْجِنِّي وَلَا مَلَكٌ ^(١)

وينكر أن يكون الرجم حدث أو ان البحث ، إذ يقول :
 وَلَسْتُ أَقُولُ إِنَّ الشُّهْبَ يَوْمًا لِبَغْثٍ مُحَمَّدٍ جُعِلَتْ رُجُومًا ^(٢)

كما ينكر أن يكون للمرأة تابع من الجن ، حين يقول :
 مَا صَحَّ عِنْدِي أَنْ ذَاتَ خَلَاخِلٍ تُقْفَى مِنَ الْجِنِّ الْفَوَاةِ بِتَابِعٍ ^(٣)

أما احتقاره الشعر والشعراء ، والاستخفاف بهن فكثير . منه قصيدته ^(٤)
 التي ذكرها في (لزوم ما لا يلزم) وفيها يقول :

وَمَا شُعْرَاؤُكُمْ إِلَّا ذَنْبٌ تَلَصَّصُ فِي الْمَدَائِحِ وَالسَّبَابِ
 ومنه قوله :

وَيَبِيعَتُ بِالْفُلُوسِ لِكُلِّ خَزْيٍ وَجُوهٌ كَالدَّنَائِيرِ الْحَسَانِ ^(٥)
 وقد ذكرنا شيئاً من هذا في الكلام على الشعراء .
 وفي (رسالة الغفران ص ٥٥) ^(٦) دل على احتقاره الشعر واستخفاره .

(١) اللزومات ص ١٨٩ وفيها : « قد عشت عمراً . . . » .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٨٨ .

(٤) مطلقها :

« بني الآداب غررتكم قديماً زخارف مثل زينة القباب »

اللزومات ص ٥١ .

(٥) اللزومات ص ٢٧٩ .

(٦) انظر ما سبق ص ٩٢٩ .

شأن الشعراء بصور مختلفة ، منها عدم اكتراث رضوان بابن القارح وبما مدحه به من الشعر .

ومنها أن زفر لم يعبأ بما مدح به من الشعر ، وسماه قرآن إبليس ، وقال : إنه لا يَنْفُتُقُ على الملائكة ، إنما هو للجان . إلى آخر ما تقدم عن (النفران ص ٥٦) (١) .

ومنها قول حرة لما أنشدته الأبيات : « أفي مثل هذا الوطن تحبيني بالمديح . » .

ومنها قوله (ص ٨٤) (٢) على لسان الحطيئة في الزبرقان بن بدر :
هو رئيس في الدنيا والآخرة ، انتفع بهجائي ولم ينتفع غيره بمدحي .
وقوله على لسان رجل (٣) : أنا فلات .. من أهل حلب ، كانت صناعتي الأدب ، أنقرب به إلى الملوك . فيقول : بش صناعة ! إنها تهب غفنة من العيش لا يتسع بها العيال ، وإنها لمزلة القدم ، وكم أهلكك مثلك .
وقوله (ص ٩٤) (٤) لعلقة بن عبدة : ما أغنى عنك سِمْطًا لؤلؤك ، يعني قصيدته التي على الباء ، والتي على الميم .

هل أبو العلاء شاعر ؟

بيئنا فيما تقدم أن ابن خلدون لم يوفق إلى السداد في تعريف الشعر . ولم يوفق هو وشيوخه إلى الصواب في نفي الشعر أو الشاعرية عن المتنبي والمعري . وإذا بطل قول هؤلاء ، فهل يكون أبو العلاء شاعراً في قول غيرهم أم لا ؟ .

(١) انظر ما سبق ص ٩٢٦ .

(٢) من النفران ط أمين حندية وانظر بنت العاطي ط ١ ص ٢١٨ .

(٣) انظر النفران تحقيق بنت العاطي ط ١ ص ٢٢٠ .

(٤) من النفران ط أمين حندية وانظر بنت العاطي ط ١ ص ٢٤١ .

الجواب عن هذا يحتاج إلى بسط في القول ؛ لأن بعض العلماء جعل الوزن والقافية من مقومات الشعر وفصوله ، وبعضاً آخر جعل اللفظ والمعنى منها ، وثالثاً جعل التشبيه والاستعارة منها ، ومنهم من جعل أركانه المدح وغيره على نحو ما تقدم ، ومنهم .. ومنهم . ونحن نسين منزلة أبي العلاء من كل واحد مما ذكره ، لتضح منزلته منها منفردة ومجمعة ، فنقول :

الوزن والقافية

ليس في شعراء العرب عامة من المتقدمين والمتأخرين من يساري أبا العلاء أو يدايه في معرفة الأوزان والقوافي ، ومعرفة الجائز والمتنع منها ، ولا من ألف في هذا العلم مثل ما ألف فيه ، وإن لم يصل إلينا كله . وفيما انتهى إلينا من أقواله ، وما ذكره في مقدمة (لزوم ما لا يلزم) و(الفصول والغايات) وفي «رسالته إلى أبي عثمان النكتي البصري» و«رسالته إلى أبي القاسم المغربي» دليل قاطع على صحة ما قلناه . وليس في شعره كله على كثرتة ما يخل بشيء من أحكام الأوزان والقوافي ؛ بل أنكر على كثير من العلماء والشعراء إخلالهم بالوزن ، واستعمالهم أنواعاً من الشعر مفقودة في كلام العرب .

الوصف والمفردة

أما الألفاظ المفردة ، ففي شعره طائفة كبيرة من الألفاظ ، كل منها مقدر على قدر المعنى ، ولا يستطيع أحد أن يجد في اللفظة على سعتها خيراً منها أو ما يقوم مقامها كقوله :

تَقُولُ الْهِنْدُ آدَمُ كَانَ قَدَا لَنَا فَسَرَى إِلَيْهِ مُخَبِّبُهُ (١)

وقوله :

تَكَادُ سَوَابِقُ حَمَلَتِهِ تُغْنِي عَنْ الْأَقْدَارِ صَوْنًا وَابْتِدَالًا ^(١)

وقوله :

نَهَارًا كَانَ الْبَدْرَ قَاسِي هَجِيرَهُ فَقَادَ بِلَاوُنٍ شَاحِبٍ مِنْ سَهَامِهِ ^(٢)

وقوله :

وَنَحْنُ السَّفَرُ فِي عُمُرٍ كَمَرْتِ تَصَافِنَ أَهْلُهُ جُرْعَ الْحِمَامِ ^(٣)

يقال : خيب الرجل عبده غيره : إذا أقصده وخدعه . ويقال : صان الفرس عدوه وجريه : إذا ذخّر منه ذخيرة لأوان الحاجة إليه ، ويقال : فرس ذو صون وابتدال : له تحضر قد صانه لوقت الحاجة إليه ، وعدّوه قد ابتذله . قال لبيد :

يرأوح بين صون وابتدال ^(٤)

(١) شروح سقط الزند ق ١ ص ٤٤ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٤٩٩ وفيه : « نهاراً كان سواهيم » . والسهم : بفتح السين ، الربيع الحارة .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٤٧٢ . والمرث : الأرض التي لا نبات فيها . والتصافن : تقاسم الماء القليل .

(٤) من العجب أن الفراح لم ينتهوا إلى ما ذكرناه في معنى « الصون والابتدال » ، ولقد كان ، التبريزي في شرح هذا البيت : المعنى أن سوابق المدح بلغت مقاصده وأتته مراده حتى كأن أهلها الأعداء ، أو تربت أهلها من الغادير . ثم بين ما حياها بقوله : سونا وابتدالا . أي في صيانة ما يريد صيانته وحفظه وابتدال عدوه أي إباحة دمه وإتساع حرمة ، أي تكاد سوابقه تنفي عن الأعداء في صيانة ما يصون وابتدال ما يبتذل ، كأنه يريد في حفظ المقام وإباحة العدو . وطبع صاحب التنوير على هذا الفرار ، وقال البطليوسي : يقول تكاد خيله . . تحمل —

والسَّهَام : الريح الحارة . والترت : مقازة لا نبات فيها . وتضافن القوم الماء : إذا كلوا في سفر فقل عندم ، فانكسروه على حاة يلقونها في الإناء ، ثم يصب فيه من الماء بقدر ما ينمر الحصة فيُطاه كل رجل منهم ، ويقال لهذه الحصة : « المقلّة والمقلّة » و « حاة القسَم » .

فكل من كلمة « غيبوه » في البيت الأول ، و « الصون والابتدال » في البيت الثاني ، و « السَّهَام » في البيت الثالث ، و « تصافن » في البيت الرابع ، لا يحد الإنسان خيراً منها في موقعها ؛ ولا ما يقوم مقامها . وهذا النوع كثير في شعره .

مَوْضُاعُ الْمَرْكَبَةِ

وفي شعره أبيات جمعت إلى جلال اللفظ متانة التركيب ، وصفاء الديباجة ، وحسن الوقع في السمع ، وشرف المقصد مما يندر مثله في شعر غيره . كقوله :

فِي بَلَدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ الظَّنْبِيِّ بَتَّ بِهَا
كَأَنِّي فَوْقَ رَوْقِ الظَّنْبِيِّ مِنْ حَذَرٍ^(١)

— مانع أهدار الله من صونها لأوليائها واجفائها لأعدائها لأن من ركبا سديا أو لأنها تحس بمركوبه إياها . وما ذكرناه أولى ، لأنه يريد أن هذه الجبل تعبر القصر في سرعتها وهادما في كلتا حالتها الصون والاجفان ، فإذا لمع على قوم فيهم على يد للمصوح فإن هذه الجبل تصل القوم في سرعة القصر وعفاه ، فهي تشبه من هذه الجهة ، وإذا كانت تعبر في ذلك في حالتها الصون والاجفان ، فهي هامة في السرعة . وفي ذكر الصون والاجفان في هذا اللوح مع ذكر السوابق والمحل مراعاة الظير على وجه ليس له ظير ، مع البالغة في وصفها (ج) .

(١) شروح سقط الزند : ج ١ ص ١٣١ .

وقوله :

أَرَى جُرْعَ الْحَيَاةِ أَمْرٌ شَيْءٌ فَشَاهِدٌ صَدَقَ ذَلِكَ إِذْ تَقَاءُ (١)

وقوله :

وَالنَّجْمُ نُسْتَصْفِرُ الْأَبْصَارَ رُؤْيَتَهُ

وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّغَرِ (٢)

وهذا كثير في شعره .

الغريب في شعره

ولعل قائلًا يقول : إن المعري كان يكثر من استعمال الغريب في شعره ونثره . ونحن لا ننكر وجود الغريب في كلامه ، ولكن أكثر ما نراه غريباً في عهدنا هذا لم يكن غريباً في عصر أبي العلاء ، لأننا في حكم الأعاجم ، لا نعلم من الفصح والمأنوس إلا النزر اليسير ، ونتعلم كل شيء من اللغة كما يتعلمها الأعجمي ، وأبو العلاء كان واسع الاطلاع على اللغة ، كثير الحفظ لمفرداتها ؛ فلم ير غريباً كل ما نعهده غريباً . وهناك شيء آخر ، وهو أن أبا العلاء قد يذكر اللفظ ، ثم يأتي بشيء من مشتقاته أو مرادفه أو ضده أو ما يناسبه أو يحاكيه ، فيحدث بذلك معنى طريفاً ، أو نكتة بديعية ، أو نحو ذلك . على أنه في أكثر المواطن لا يلجأ إلى ما نعهده نحن غريباً إلا إذا اضطرته القافية ، أو لزوم ما لا يلزم ، أو غيره من المحسنات البديعية ، أو إذا استعمل عليه من الكلمات المأنوسة ما يقوم مقامه في الدلالة على مراده . وسيأتي القول في هذا في موضع آخر .

(١) المزروعات ص ٢٣ .

(٢) شروح الخط في ١ ص ١٦٢ .

الفن

قال بعض العلماء : التشبيه أشد ما تكلف الشاعر صعوبة ، لما يحتاج إليه من شاهد العقل واقتضاء العيان . وليس بغريب أن نرى أبا العلاء مجوداً بارعاً في التشبيه الذي لا يتوقف على مشاهدة بحانة البصر كقوله :

إِذَا أَلْفَ الشَّيْءِ اسْتَهَانَ بِهِ الْفَتَى فَلَمْ يَرَهُ بُؤْسَى تُعَدُّ وَلَا نَفْسَى^(١)
كَأَنَّفَاقِهِ مِنْ عُغْرِهِ وَمَسَاغِهِ مِنْ الرِّيقِ عَذَابًا لَا يُحِسُّ لَهُ طَفْعًا
وقوله :

فِدَاهُ مَنْ كَالْتَنَّبِتِ أَضْيَافُهُ إِذْ تَشْرَبُ الْمَاءَ وَلَا تَقْطَعُ^(٢)

وإنما الغريب أن نجد في تشبيهاته المحسوسة من الدقة والإحكام ، وتصوير الحركة والألوان ، ما يعجز عن مثله البصراء كقوله :

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ النُّجُومَ كَانَهَا دُرٌّ طَفًا مِنْ فَوْقِ بَحْرِ مَائِجٍ^(٣)

• • •

وَكُلُّ أَيْضٍ هِنْدِيٍّ بِهٍ شَطْبٌ مِثْلُ التَّكْسْرِ فِي جَارٍ بِمُنْحَدَرٍ^(٤)

• • •

فِي حُلَلٍ عُغْرٍ وَكَمْ اشْتَبَهَتْ ثِيَابُهَا حُلَّةَ طَاوُوسٍ^(٥)

(١) القرويات ٥ ص ٢٣٩ .

(٢) شروح سطر الزند : ق ٢ ص ٨٦٥ .

(٣) القرويات ٥ ص ٧٩ . وفيها : « سبحان من برا النجوم .. » .

(٤) شروح سطر الزند : ق ١ ص ١٥٦ .

(٥) القرويات ٥ ص ٣٢٤ .

الاستعارات

في شعر أبي العلاء كثير من أنواع الاستعارات ، وهو في كل موضع يستعير للشيء ما يقرب منه ويليق به ويناسبه ، فتنقبه النفوس والأذواق ، وتأنس به الأسماع . ولا يجد المتأمل بين المستعار والمستعار له منافرة ولا تناكرا ؛ ويقم قرينة تدل على المعنى المراد ، حتى لا يحتاج في فهمه إلى تكلف أو تأويل ، كقوله في السيوف والدروع :

أَقْبَلُوا حَامِلِي الْجَدَاوِلِ فِي الْأَغْـسَاقِ مُسْتَلْثَمِينَ بِالْفُـدْرَانِ^(١)
وقوله :

شَرُّ أَشْجَارٍ عَلِمْتُ بِهَا شَجَرَاتٌ أَثْمَرَتْ نَاسًا^(٢)
وقوله :

أَحَاضِنَةُ الْغَلَامِ ذَمَعَتْ مِنْهُ أَذَاهُ فَأَرْضِعِي حَنْشًا وَضَعِي^(٣)

الكنائيات

وفي شعره صور رائعة من أنواع الكنائيات ، كل منها سهل العبارة ، لطيف الإشارة ، واضح المقصد ؛ وليس فيها ما تنبو عنه الأسماع ، أو تنفرز منه الطباع ، كقوله يكتفي عن شدة الظلمة في مواطن :

(١) هروح سبط الزند : ق ١ ص ٤٥٤ . وفيها : « ... الجداول بالأغـياد » .

(٢) الزروبيات ٥ ص ٢٩٦ .

(٣) الزروبيات ٥ ص ٢٥١ . وفيها : « ذممت منه أفاكـر ... » .

بِلَادٍ يَصِيلُ النَجْمُ فِيهَا سَبِيلَهُ وَتَشْنِي دُجَاهَا طَيْفَهَا عَنِ لِمَامِهِ^(١)
 حَنَادِيسُ تُغَشِّي الْمَوْتَ لَوْلَا أَنْجِيَا بِهَا عَنِ الْمَرْءِ مَا هُمُ الرَّدَى بِاخْتِرَامِهِ
 رَجَا اللَّيْلُ فِيهَا أَنْ يَدُومَ شَبَابُهُ فَلَمَّا رَأَاهَا شَابَ قَبْلَ احْتِلَامِهِ

الأمثال والحكم

ذكر أن بعض العلماء استخرج أمثال أبي تمام من شعره ، فوجدها
 ثلاثمائة بيت ، وأربعة وخمسين بيتاً ، وقسمين نصفاً ، واستوعب أمثال
 أبي الطيب ، فوجدها أربعمائة بيت ، وثلاثة وسبعين نصفاً . منها ما رثده
 من أمثال أبي تمام ، ومنها ما هو وليد قريحته .

ونحن لا نستطيع أن نحدد ما لأبي العلاء من هذا النوع ؛ لأننا لم
 نطلع على جميع شعره ، ولكننا إذا استقصينا ما في (سقط الزند)
 و (لزوم ما لا يلزم) و (ملقى السبيل) وجدنا فيها أكثر مما في
 كلام أبي تمام وأبي الطيب ؛ لأن أبا العلاء يرسل الأمثال وينثر الحكم
 على حافتي كلامه في كل غرض من أغراض الشعر ، فترى مثل قوله في الغزل :

لَوْ اخْتَصَرْتُكُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ زُرْتُكُمْ

وَالْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَصْرِ^(٢)

(١) هرواح سقط الزند : في ٢ ص ٤٩٩ - ٥٠١ وفيها :

« بِلَادٍ يَصِيلُ النَجْمُ فِيهَا سَبِيلَهُ وَتَشْنِي دُجَاهَا طَيْفَهَا عَنِ لِمَامِهِ »

(٢) هرواح سقط الزند : في ١ ص ١٢٠ . والحصر : يشحن ، البرد .

وفي المدح :

وَأَقْتَسَمُوا فِي اخْتِلَافٍ مِنْ زَمَانِكُمْ
وَالْبَدْرُ فِي الْوَهْنِ مِثْلُ الْبَدْرِ فِي السَّحَرِ^(١)

• • •

وَقَدْ يَنْمِي كَبِيرٌ مِنْ صَغِيرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ نَوَى الْقَسْبِ الْيَأْسُ^(٢)
وفي الرثاء :

كَمْ صَائِنٍ عَنْ قُبْلَةٍ خَدَهُ سُلْطَتِ الْأَرْضُ عَلَى خَدِهِ^(٣)

• • •

وَرَبُّ ظَلَمَانٍ إِلَى مَوْرِدٍ وَالْمَوْتُ لَوْ يَعْلَمُ فِي وَرْدِهِ
وفي الوصف :

وَمَنْ تَعَلَّقَ بِهِ حُمَةُ الْأَفَاعِي يَعِشُ إِنْ قَاتَهُ أَجَلٌ عَلِيلًا^(٤)

المعاني المبكرة

وفي شعر أبي العلاء كثير من المعاني التي لم أرها لمن تقدمه من الشعراء
وهي نوعان :

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٤٢ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٩٥ وفيها : « ... وبنيت من نوى ... »
في المعنى : بني ونحو : إذا عظم وزاد . والقص : ضرب من السر نواه
أصلب النوى . والبيان : مفردا لينة وهي النخلة . وقيل : ضرب من النخل ،
وقيل : هي الطويلة .

(٣) شروح سقط ق ٣ ص ١٠٢١ .

(٤) للمصنف السابق ص ١٣٨٩ .

أحدهما : انتزعه من مسائل العلوم المختلفة ، كقوله فيما انتزعه من العلوم الرياضية :

سَمَا نَقَرَّ ضَرْبَ الْمِثْنِ وَلَمْ أَزَلْ
بِحَمْدِكَ مِثْلَ الْكَسْرِ يُضْرَبُ فِي الْكَسْرِ^(١)

ومن العلوم الطبيعية :

وَقَدْ يُجْتَدَى فَضْلُ النِّعَامِ وَإِنَّمَا
مِنَ الْبَحْرِ فِيمَا يَزْعُمُ النَّاسُ يُجْتَدَى^(٢)

ومن الصرف :

بِتْ كَالْوَاوِ بَيْنَ يَاءٍ وَكَسْرِ
لَا يُلَامُ الرَّجَالُ إِنْ أَسْقَطُونِي^(٣)

ومن النحو :

تَزَوَّجَ إِنْ أَرَدْتَ فَتَاءَ صَدَقَ
كَمْ ضَمَرَ نِعْمَ دَامَ عَلَى الضَّمِيرِ^(٤)

ومن التجويد :

فَإِنْ تَقَفَ الْحَوَادِثُ دُونَ نَفْسِي
فَمَا يَتْرُكُنْ إِشْمَامِي وَرَوْمِي^(٥)

(١) الزوبيات ٥ ص ١٤٦ .

(٢) شروح سطر الزند : ق ١ ص ٣٥٥ .

(٣) الزوبيات ٥ ص ٢٨٢ . وفيها : ... الرجال ان يسطوني .

(٤) الزوبيات ٥ ص ١٥٥ .

(٥) الزوبيات ٥ ص ٢٥١ وانظر ماسبق ص ٥٨٢ .

ومن العروض :

كَالْبَيْتِ أَفْرَدَ لَا إِطَاءَ يُذَرِّكُهُ وَلَا سِنَادَ وَلَا فِي اللَّفْظِ إِقْوَاهُ^(١)

ومن المنطق :

جَرَتْ الْقَضَايَا فِي الْأُمُورِ وَأُمُضِيَّتْ

صُدُفًا بِأَسْوَارٍ وَلَا أَسْوَارٍ^(٢)

ومن الفلسفة بأقسامها المختلفة :

وَلَيْسَ اعْتِقَادِي خُلُودَ النُّجُومِ وَلَا مَذْهَبِي قَدَمَ الْعَالَمِ^(٣)

. . .

مِنْ نُجُومٍ نَارِيَّةٍ وَنُجُومٍ نَاسِبَتْ تَرْبَةً وَمَاءَ وَرِيحًا^(٤)

. . .

جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ آدَمُ هَذَا قَبْلَهُ آدَمٌ عَلَى إِثْرِ آدَمٍ^(٥)

. . .

أَمَّا الْمَكَانُ فَثَابِتٌ لَا يَنْطَوِي لَكِنْ زَمَانُكَ ذَاهِبٌ لَا يَثْبُتُ^(٦)

. . .

(١) القزوينيات ٥ ص ٢٢ وانظر ما سبق ص ٦٣٤ .

(٢) القزوينيات ٥ ص ١٥٩ وفيها : « ... القضايا في الأقسام ... » .

(٣) القزوينيات ٥ ص ٢٥٥ .

(٤) القزوينيات ٥ ص ٨٤ .

(٥) القزوينيات ٥ ص ٢٥٨ .

(٦) القزوينيات ٥ ص ٦١ .

وَالنُّورُ فِي حُكْمِ الْخَوَاطِرِ مُخَدَّثٌ

وَالْأَوَّلِيُّ هُوَ الزَّمَانُ الْمَظْلَمُ^(١)

أُثْبِتُ لِي خَالِقًا حَكِيمًا وَلَسْتُ مِنْ مَعْشَرٍ نَفَاقَةٍ^(٢)

وَإِنْ سَأَلُوا عَنْ مَذْهَبِي قَهْوَ خَشْيَةٍ مِنْ اللَّهِ لَا طَوْفًا أُبَتُّ وَلَا جَبْرًا^(٣)

وَجِسْمِي شَمْعَةٌ وَالنَّفْسُ نَارٌ إِذَا حَانَ الرَّدَى خَمَدَتْ بِأَفٍّ^(٤)

وَقُدْرَةُ اللَّهِ حَقٌّ لَيْسَ يُعْجِزُهَا حَشَرٌ لَجِسْمٍ وَلَا بَقِيَّةٌ لَأَمْوَاتٍ^(٥)

والنوع الثاني : انتزعه من بيئته الطبيعية والاجتماعية وما كان يكتنفه

من الحوادث والتجارب أو ينتهي إليه من الأخبار أو يحفظه من التاريخ أو أقوال المتقدمين أو نحو ذلك كقوله :

كَتَجَاوَرَ الْغَيْنَيْنِ لَنْ تَلَاقِيَا وَحِجَارُ بَيْنَهُمَا قَصِيرٌ جِدَارٍ^(٦)

• • •

(١) الزوميات ٥ ص ٢٣٥ . وفيها : « والنون في حكم الخواطر ... » .

(٢) الزوميات ٥ ص ٦٧ .

(٣) الزوميات ٥ ص ١٢٦ .

(٤) الزوميات ٥ ص ٢٩٥ .

(٥) ٥ ص ٦٧ وفيها : « حشر لحق .. » .

(٦) ٥ ص ١٦٤ .

وَلَوْ يُرْجَى مَعَ الشُّرَكَاءِ خَيْرٌ لِّمَا كَانَ الْإِلَهُ بِإِلَهِ شَرِيكَ^(١)

. . .

وَالشُّرُ يُجْلِبُهُ الْعَلَاءُ وَكَمْ شَكَا نَبَأَ عَلِيٍّ مَا شَكَا قَنْبَرُ^(٢)

. . .

وَالنَّحْلُ يَجْنِي الْمَرْءَ مِنْ نَوْرِ الرَّبِّ فَيَعُودُ شَهْدًا فِي طَرِيقِ رُحَابِهِ^(٣)
عُرِفَتْ جُدُودُكَ إِذْ نَطَقْتَ وَطَلَمَا لَفَظَ الْقَطَا فَأَبَانَ عَنْ أَنْسَابِهِ

وله أبيات تدل على قدرة واسعة على التصرف في الألفاظ والمعاني ،
وفراغ المعاني العظيمة والأخيلة الواسعة في قوالب موجزة من الألفاظ ،
مع انسجام في الأسلوب ، وطلاوة في الديباجة ، واستيعاب للمعنى المقصود ،
وذلك كقوله في وصف منهل^(٤) :

يَمْرُؤُهُ رَأْدُ الصُّحَى مُتَنَكِّرًا خَافَةَ أَنْ يَفْتَالَهُ بِقَتَامِهِ

(١) الزمويان ، ص ١٨٩ . وفيها : « ولو يرجى ... » .

(٢) « ص ١٢٦ » .

(٣) البتان من بآية في السط مطلبها :

أشقت من عبء البقاء وعابه

وملأت من أرى الزمان وصابه

انظر شروح السط ق ٧ الصفحات ٧٢٠ ، ٧٢٥ ورواية البيت الأول فيها :
« ... فبصر شهراً ... » .

(٤) جث يقول لي بيت سابق من مبيته منه :

وكم ين ريف الغمام والكرخ منهلاً موارد مزوجة بسامه

انظر شروح السط ق ٢ ص ٤٩٨ .

وفي وصف تحرق (١) :

وَتَكْتُمُ فِيهِ الْعَاصِفَاتُ نَفُوسَهَا فَلَوْ عَصَفَتْ بِالنَّبْتِ لَمْ يَتَأَوَّدْ

وفي وصف إبل قطعت مفازة صعبة مظلة :

وَكَئِنْ يَرَيْنَ نَارَ الزَّنْدِ فِيهِ فَلَمْ يُنْصِرْنَ إِذْ وَرَّتِ الزُّنَادُ (٢)

لَوْ أَنَّ بَيَاضَ عَيْنِ الْمَرْءِ صُبِحَ هُنَالِكَ مَا أَضَاءَ بِهِ السَّوَادُ

فهذه الأبيات مع تتمتها ، وكثير من أمثالها في شعره ، ترينا من هذا الشاعر قدرة فائقة على ابتداع معان لم يسبق إليها ؛ وتصغير العظيم من الأشياء ، وتعظيم الصغير منها ، إلى حد لا يصدقه العقل ، ولكن يستعذبه الذوق لطرافته وروعته ؛ ولأن هذا النوع من المبالغة كان مألوفاً في ذلك العصر ، محبوباً عند اللطماء والأدباء فيه . ولقد أجاد فروق الإجازة ، وأحسن فوق الإحسان ، حين جعل لرأد الضحى حياةً وشعوراً بالخوف من هول ذلك المكان ، وأثبت له التنكر مخافة ذلك ، فكأنه حيٌّ عاقل فمآل ما يقتضيه العقل .

وكذلك جعل للعاصفات حياةً وشعوراً بالخوف وتوقياً بكم نفوسها من الهلاك .

وفي البيتين الأخيرين أثبت للابل قوة في النظر ، ترى فيها النار وهي كامنة في زندها قبل أن تدخل في هذه الظلة ؛ ثم صارت بعد

(١) حيث يحول في بيت سابق في دالته :

بحرق بطل الجنح فيه سجوده وللأرض زيّ الرامب التجدد

انظر شروح اللط ق ١ ص ٣٧٧ .

والحرق من الأرض : يجمع فكون الحلة الواسة .

(٢) شروح لسط الزند : ق ١ ص ٢١٣ - ٢١٥ .

الظلة لاتبصر النار بعد خروجها من الزناد ؛ وذلك كناية عن حدة بصرها في الأول وشدة الظلة في الثاني . ومثل هذه المعاني الجسيمة والأخيلة الواسعة لا يتسنى لغير أبي العلاء أن يوردها في هذه الألفاظ القليلة ، السهبة المتنعة ، الوافية بالفرض ، والدالة على كل ما يريده الشاعر ، مع سلامة وانسجام وصفاء ديباجة .

وفي كلام أبي العلاء كثير من أمثال هذا ، ولكننا الآن اجتزأنا بهذا القدر . ومنه يتضح أن أبا العلاء شاعر بل شاعر مفلق على كل تعريف للشعر ، وعلى كل قول قاله العلماء في حده أو رسمه أو إيضاح حقيقته ، وأن إيمان أبي العلاء في تثقيف شعره وتهذيبه ، وإحكام رصفه ، والتأسي الأساليب البليغة ، والإشارات اللطيفة ، والأخيلة الرائعة ، والمعاني الدقيقة ، جعلت شعره بعيد المنال لا يدرك ما فيه منها إلا الراسخون في علم الشعر ، العالمون بدقائق الصناعة فيه ، المدركون لأمرار البلاغة في أساليبه البليغة . فابو العلاء شاعر في رأينا ، وفي رأي العلماء والأدباء عامة ، وفي رأي العلم والأدب ؛ وإن لم يرض ذلك ابن خلدون وشيوخه . ومثل هذا يقال في المتنبي فنحكم على نظمها بأنه شعر ، وندع لابن خلدون وشيوخه أن يسموا الشعر ما كان فيه تشبيه الميرون بالترجس ، والصفائر بالأفاعي ، والأصداع بالمقارب ، والقوام بفصن البان ، والمجيزة بالكثيب .

أبو العلاء شاعر خنثي

قال بعض العلماء : الشعراء أربعة :

شاعر خنثي : وهو الذي يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره ؛

وشاعر مُقلِّق : وهو الذي لارواية له ، إلا أنه مجود في شعره كالخنثي ؛

وشاعر فقط : وهو فوق الرديء بدرجة ؛

وشُعُرور : وهو لاشيء .

وقال آخرون : الشعراء أربعة :

شاعر مطلق : وهو الذي يأتي في شعره بالليلق ، وهو العجب . وقيل :
الفلق : الداهية ؛

وشاعر مطلق ، وشويعر ، وشعورور .^(١)

وإذا أنعمنا النظر في شعر أبي العلاء ، واسترينا ما وصل إلينا في
كلامه من أسماء الشعراء الذين اطلع على أشعارهم ، وانتقدها واستشهد بها
أو لها ، أو أشار إليها في شعره وفتوه ، تبين لنا أنه جمع بين جودة الشعر ،
ورواية الجيد الكثير من شعر غيره . فهو إذن شاعر خنْذِيذٌ على القول
الأول ، وشاعر مطلق على القول الثاني .

أبو العلاء معرق في الشعر ومع بيت شعر

إذا قال الرجل الشعر ولم يكن في آبائه شاعر قبله يقال له : شاعر .
فإذا كان أبوه قبله شاعراً فقط يقال له : الثانيان . وإذا كان أبوه وجده
شاعرين فقط ، أو كانا هما وامن فوقهما من آبائه شعراء فهو معرق في
الشعر . وإذا عم الشعر أكثر أهل بيته أو جميعهم ، فهو من بيت شعر .
والفرق بين المعرق وذي البيت أن المعرق من تكرور الشعر فيه وفي
أبيه وجده فصاعداً ، ولا يكون معرقاً حتى يكون الثالث فما فوقه شعراء .
وذو البيت من عم الشعر أكثر أهل بيت أو جميعهم .

وأبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان . وقد حدثنا

(١) المصنف ١ - ٧٣ وفيهما . والخنْذِيذ : العمل والحشي أيضاً ، فهو من الأضداد .

والخنْذِيذ : الشاعر المتعاليق . وجه بمعنى الخطيب الصم . ويقال : شاعر مطلق ، أي مجيد عجم .

بالجانب في شعره (ج) .

التاريخ أن هؤلاء الخمسة كانوا كلهم شعراء ، وهم على عمود واحد ، ولم
نقف على تاريخ من فوقهم ؛ وربما كان فيهم شعراء .

وكان أخيراً أبي العلاء محمد وعبد الواحد شاعرين ، وفي أولادهما
وحفظتهما عدد عظيم من الشعراء . نعرف منهم طائفة غير قليلة . منهم :
اسماعيل بن إبراهيم بن شاعر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد
أخي أبي العلاء بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان .

فهؤلاء أحد عشر أباً على عمود واحد ، وكلهم شعراء ، ولم نقف على
بقية أعقابهم ، وربما كان فيهم عدد كبير من الشعراء . وقد ذكرنا في
(تاريخ المعرفة) طائفة من أمثالهم من بني المهذب ، وبني حسين ، وبني
زريق ، وبني حواري ، وغيرهم ، وهؤلاء كلهم من قنوج . وما فاتنا
ذكره منهم أضاع ما ذكرناه . ولولا أن أبا العلاء قطع جبل النسل لرأينا
في أعقابهم عدداً عظيماً من الشعراء .

ومن هذا يتبين لنا أن أبا العلاء شاعر معرق في الشعر ، ومن بيت شعر ؛
وأنه أجدر الناس بهاتين الصفتين .

ابنهم فريد الشعر

انضمت كلمة الطاء على أن أبا العلاء قال الشعر وهو صبي صغير ؛ ولكنهم
اختلفوا في تحديد السنة التي قاله فيها ، فجزم فريق منهم بأنه قال الشعر
في السنة الحادية عشرة من عمره .

ومن هؤلاء : ابن الجوزي في (المنتظم) ، وياقوت في (إرشاد الأريب) ،
وابن خلكان في (الوفيات) ، والنعمي في (تاريخ الإسلام) وابن الوردي
في (تنقيح المحرمات) ، والصدقي في (الوافي بالوفيات) ، والياضي في (مرآة

(الجنان) ، وابن تغري بردي في (النجوم الزاهرة) ، وابن العماد في (شذرات الذهب)^(١) .

وشك فريق آخر ، فقال : إنه قال الشعر في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره . ومن هؤلاء ابن الأنباري في (نزهة الألباء) ، وسبط ابن الجوزي في (مرآة الزمان) ، وابن فضل الله العمري في (مسالك الأبصار) والصفدي في (نكت الهميان) ، وابن كثير في (البداية والنهاية) ، والمني في (عقد الجنان) والسيوطي في (بغية الوعاة) ، والصبامي في (معاهد التنصيص) ، والمكي في (نزهة المجلس) ، وابن العديم في (الإنصاف)^(٢) . والخطب يسير بين هذا الجزم والشك ، ولم أر أحداً زاد على الثانية عشرة . وقد ذكرت في الكلام على بدعته ونباهته أن جماعة من الحليين جاءوا ليختبروه ، فقال لهم : هل لكم في المقافة بالشعر ؟ وكان كلما أنشده واحد منهم بيتاً أجابه من نظمه على قافيت ، حتى قطعهم كلهم . وكان إذ ذاك صبياً صغيراً يلعب مع الصبيان .

ونقلت عن ابن خلكان أن شخصاً قال له : رأيت في تأليف أبي العلاء ما صورته : أصلحك الله وأبقاك ، لقد كان من الواجب أن تأتينا اليوم ... ثم تبين له أن هذه الكلمات تخرج من بحر الرجز . وهذا وأشباهه مما ذكرناه في بدعته وارجحاله بدلنا على أن أبا العلاء شاعر بفطرته منذ نشأته ، وأنه هو والشعر رضيعا لبان .

(١) انظر في ذلك تعريف العلماء بأبي العلاء الصفحات : ١٨ ، ٦٨ ، ١٨٤ ،

١٩١ ، ٧٠٨ ، ٢٦٦ ، ٢٩٩ ، ٣٢٠ ، ٣٤٨ .

(٢) تعريف العلماء بأبي العلاء ، الصفحات : ١٧ ، ١٤٤ ، ٢٢٤ ، ٢٨٧ ،

٣٠١ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣٦ ، ٣٥٤ ، ٥٥١ .

شعر أبي العلاء

لم ينتج لنا الوقوف على شعر أبي العلاء كله ، كما أننا لم نوفق إلى الاطلاع على جميع آثاره العلمية ورسائله النثرية . وما لا شك فيه أن له شعراً كثيراً لا يعرف مثله لشاعر غيره قبله ولا بعده . فقد قيل : إن أبيات (سقط الزند) تزيد على ثلاثة آلاف بيت . وإن في كتاب (استغفر . . واستغفري) نحواً من عشرة آلاف بيت . وكتاب (لزوم ما لا يلزم) يحتوي على أحد عشر ألف بيت . وفي كتاب (جامع الأوزان) نحو من تسعة آلاف بيت . ولكن لم يتبين لنا هل هي كلها من شعره ، أم بعضها ، أم هي من أشعار غيره . وذكر البديعي أن (ديوان الألفاز) ضخم . وفي كتاب (ملقى السبيل) كثير من الأبيات .

وزعم الرحالة الفارسي ناصر خسرو أن أبا العلاء نظم من الشعر مائة ألف بيت (١) . وقد كانت رحلته نحو سنة ٤٣٨ هـ . وعاش أبو العلاء بعدما نحواً من إحدى عشرة سنة . ولا شك أنه نظم في خلالها شيئاً كثيراً . وإذا صح ما قاله الرحالة الفارسي ، وأن أبا العلاء قال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ؛ وأسقطنا من عمره أيام التعلم والتعليم ، والفقر والمرض ، ومقابلة الزوار وما شاكل ذلك ؛ وقسمنا شعره على أيام حياته الباقية ، أصاب كل يوم منها نحواً من عشرة أبيات ، وهذا ليس بقليل ولا يقدره حتى قدره إلا من عانى صناعة الشعر ، لا سيما مثل شعر أبي العلاء الطافح بالمائل العلمية ، والنكت الأدبية ، والإشارات التاريخية ، والحكم ، والنقد ، والتهكم ، وما أشبه هذا .

ومن المؤسف جداً أننا لم نتمكن من معرفة شيء من كتبه الشعرية

(١) تعريف العلماء بأبي العلاء من ٤٦٣ عن سفرنامه - ناصر خسرو .

غير (سقط الزند) و (لزوم ما لا يلزم) و (ملقى السيل) و شيء
تزر من (ديوان الألفاظ) ؛ و ديوانه الذي قيل : إنه قاله في بغداد ؛
إن صح أنه له .

تقسيم شعره بحسب الزمن

حاول بعض الأدباء المتأخرين أن يقم شعر المعري بحسب أطوار
حياته إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : طور الحداثة ، ومدته عثرون سنة تنتهي في سنة
٣٨٣ هـ وهي المدة التي ما حدثته نفسه منذ فارقتها باجتماع علم من عراقي
ولا شام .

القسم الثاني : الشعر الذي قاله بعد انقضاء الطور الأول إلى أن
رجع من بغداد سنة ٤٠٠ هـ ، ومدته سبع عشرة سنة . وهي التي انضج
فيها علمه ، واستحصف عقله ، ورحل إلى بعض البلدان ، واطلع على كثير
 مما لم يطلع عليه من العلم أو من العلماء وخزائن الكتب .

القسم الثالث : الشعر الذي قاله بعد رجوعه من بغداد إلى أن
فارق الحياة سنة ٤٤٩ هـ ومدته تسع وأربعون سنة وهي التي أخصب
فيها فكره ، وأثر أدبه وعلمه ، وألزم نفسه فيها ما لا يلزمها .
وهذا التقسيم حسن جداً ، لكنه يتوقف على معرفة زمن كل قصيدة
أو قطعة من شعره ؛ ولم يساعد التاريخ على معرفة ذلك كله ، والحكم
المبني على استقراء ناقص أو شبه واهية لا قيمة له في نظر العلم .

خصائص شعره

حاول صاحب (ذكرى أبي العلاء) أن يحمل لشعر المعري في كل

طور طالباً خاصاً به ، وسمية تميزه من شعره في طور آخر . ولكنه لم يوفق حيث قال :

شعره في الطور الأول :

« فأما شعره في طور الحدائة ، فتكثر فيه المبالغة ، ويظهر فيه التكلف ، وتنقصه متانة اللفظ ، ورصانة الأسلوب وإتقان المعنى . ولا يكاد الباحث يتوسمه حتى يرى فيه سذاجة الطفل ، وعيب الوليد ... والتقليد في شعر الحدائة ظاهر ... والتكلف بإظهار التفوق والنبوغ يعلن نفسه إلى الناس ، لذلك لا يكاد يخطر له الخاطر القيم^(١) حتى يذهب التكلف بقيته^(٢) .

واستشهد لذلك بيت من مرثية أبيه^(٣) وهو :

وَنَادِبَةٌ فِي مِسْمَعِي كُلِّ قَيْنَةٍ تُغَرِّدُ بِاللَّحْنِ الْبَرِيِّ مِنَ اللَّحْنِ

وبيت من مرثية أبي حمزة التنوخي^(٤) وهو :

أَبَكْتَ تِلْكَمُ الْحَمَامَةَ أَمْ غَنَّمْتُ عَلَى فَرْعٍ غُضْنَهَا الْمِيَادِ

ثم أفاض في تفضيل البيت الثاني على الأول .

(١) كذا . (ج)

(٢) ذكرى أبي البلاد - طه حين - ط ٢ ص ٢٣٧ - ٨ .

(٣) مطلقها :

قمت الرضا حتى على ضاحك الزن فلا جادني إلا عبوس من الدجن

شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٩٤٠ .

(٤) مطلقها :

خير مجد في ملتي واعطادي نوح باك ولا نزم شادي

شروح سقط الزند : ق ٣ ص ٩٧٢ .

شعره في الطور الثاني :

ثم قال في (الذكري) : « فأما شعره في الطور الثاني ، فتكاد تغلب عليه المبالغة ؛ ولكن حظه من التكلف ينقص ، وقطه من المثانة يزيد ، وتمثله لعواطف الشاعر يصح ، فإذا جاوز الخامسة والثلاثين ، ورأيناه ببفداد ، بدأنا نودع المبالغة في شعره ، ونستقبل الاقتصاد في اللفظ والمعنى جيماً ؛ ورأينا ظاهرة ينبسط ظلها على الرجل ، وهي التجمل بالاصطلاحات العلمية ... » .

ثم قال : « في هذا الطور نظم أبو العلاء أكثر ما يشتمل عليه (سقط الزند) [من الشعر] ولا سيما المدح ... وإنما نحكم هذا الحكم لأننا نجد في هذا الشعر مئاة قصير عنها شعره الأول ، ومبالغة جلّ عنها شعره الثالث ، ومعاني لا تلائم شاعراً يفرزم ، ولا نوافق فيلسوفاً يتجنب الكذب ... وفي هذا الطور عبثت الضرورات بشعر أبي العلاء ، فوقع فيه بعض الخطأ التحوي : فانظر إليه كيف سكتن لام الفصل مع « أن ، في قوله :

فَكَادَ أَنْ يَشْجُو الرُّحَالَا

وكيف وضع أن بعد كاد . . . وفي هذا الطور نب [أبو العلاء] وتنزل ، واقتصر لأنه في الطور الثالث لم يمل إلى هذين الفنين . وفي هذا الطور وصف الأشياء المختلفة ^(١) .

شعره في الطور الثالث :

وذهب في (الذكري) إلى أن أبا العلاء في هذا الطور كان متشدداً في كل شيء ، ملتزماً ما لا يلزم في أعماله العقلية ، وحياله المادية ، فامتنعت منه المبالغة والضرورات ، والتزم القوافي الصعبة ، وكان يتشدد في محاكاة المتقدمين من العرب ، فيؤثر الألفاظ البدوية الجزلة ، والمعاني البدوية

(١) ذكرى أبي العلاء - له حين - ط ٢ ص ٢٣٩ - ٢٤٢ .

الفخمة، ولا يتحضر في شعره إلا إذا اضطر . وكان يتخير غروب اللغة وفادرها ... ويكاد التكلف لا يوجد في شعره في هذا الطور إلا أن يضطر ... ثم لخص رأيه بقوله : « أبو العلاء في هذا الطور بدوي اللفظ والآلوب . قليل التكلف والمبالغة ، ولكن شعره يمثل شخصه ... ويمثل عواطفه » .^(١)

إلى آخر كلامه في هذا الباب .

ابطال ما قاله صاحب التذکرہ

وفي كل ما ذكره صاحب (الذكري) هنا نظر يضعفه ، وشك
بطله . وبيان هذا :

١- ان المبالغة لا تفارق شعر المعري في جميع أطواره ، وإذا لم تكن في الطور الثاني مثلها في الطور الأول فهي أكثر منها فيه . والأدلة على ذلك كثيرة ، منها قوله في مدح سعيد الدولة (٢) :

وَقُلْتُ لَهَا هَلَا هَبَّتْ شَمَالًا
لَأَزْمَعَ عَنْ حُلَّتِهِ اِرْتَحَالًا

يُذِيبُ الرُّغْبَ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ فَلَوْلَا الْغَمْدُ يُنْسِكُهُ لَسَالَا

وهذه القصيدة بما قاله في الطور الثاني ؛ وهي طافعة بالمبالغة في وصف
الفرس ، والخيول ، والسيف وفي المدح . . . وقبلما خلت قصيدة له في مدح ،
أو تشويق ، أو رثاء ، أو فخر من المبالغة .

(۱) ذکرى ابن اللہ ط ۲ ص ۲۴۳ - ۲۴۶ .

(٢) من لابت في سبط الزند ومطلها :

أعز وخد القلام كفتِ حالا ومن عند القلام طلبتِ مالا
انظر خروج السط ق ١ ص ٩٣ - ٩٤ ، ١٠٤ .

وقوله من قصيدة قالها في الطور الثالث :

وَنَبَّالَةٍ مِنْ مُحْتَزٍّ لَوْ تَعَمَّدُوا بِلَيْلِ أَنَايِ التَّوَاظِرِ لَمْ يُنْخَطُوا^(١)

وقوله منها يصف امرأة بطيب الرائحة ، حتى سكر الحادي بها من طيب ريحها ، كأنه شرب من خمر بابل :

وَقَدْ تَمِيلَ الْحَادِي بِهَا مِنْ نَسِيمِهَا كَأَنَّ غَالَهُ مِنْ كَرَمِ بَابِلٍ لَمْ يَسْفَنْطُ^(٢)

٢ - ان التكلف يظهر في شعر أبي العلاء في كل طور ، انظر إلى قوله :

أَلِفَتْ خَوْضَ الْمَنَايَا إِنْ مَنَكْرَةً إِنْ الْفُ الْغَزَالَ مَقَالِيَتَا مَقَالِيَتَا^(٣)

وقوله :

وَحَرْفٍ كَنُونٍ تَحْتَ رَاهٍ وَلَمْ يَكُنْ بِبَابِلٍ يَوْمَ الرِّسْمِ غَيْرَهُ النَّقْطُ^(٤)

(١) من طائفة التي يخاطب بها خازن دار الدم ينداد وصف حال الفتنة بالتمام وأسر الزورق الذي كان نزل به إلى بندان وماونة أبي أحمد الهكاري له على تعليمه من أصحاب الأعتار ومطلعي :

لَمِنْ جَبْرَةٍ سَبَّحُوا التَّوَالِ فَلَمْ يَنْطُوا بِظِلِّهِمْ مَا ظَلَّ يَنْبَتُهُ الْحَطَّ

انظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦٧٩ ، ١٦٥٨ .

واسفط : من أسماء الحر .

(٢) من قصيدة يخاطب بها القاضي أبا القاسم علي بن الحسن بن أبي التهم التوخي ، وكان حمل إليه وهو ينداد جزءاً من شعر توخ ، فخلق عند عبد السلام البصري ، ومطلعي :

هَاتِ الْحَدِيثَ عَنِ الزُّورَاءِ أَوْ هِنَا وَمَوْعِدَ النَّارِ لَا تَكْرِي جُكْرِيهَا

انظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦١٨ . وبه :

« أَلَفَتْ خَوْصَ لِلطَّيَا إِنْ . . . » .

(٣) شروح السط : ق ٤ ص ١٦٥١ .

وهذان البيتان من قصيدتين قالهما في الطور الثالث . وفي (لزوم ما لا يلزم) قصائد وأبيات مضمورة بالتكلف كقوله :

خَوَى دَنْ شَرْبٍ فَاسْتَجَابُوا إِلَى التُّقَى

فَعَيْسُهُمْ نَحْوَ الطَّوْافِ خَوَادِي^(١)

وهذا البيت من قصيدة أبياتها عشرون ، وليس فيها بيت خال من مثل هذا التكلف .

وقوله :

عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ عَافٍ لَعْلَهُ يُجَابُ وَأَنْتِ وَالِدٌ يَارُ عَوَافٍ^(٢)

وهو من قصيدة أبياتها اثنا عشر بيتاً مضمورة بالتكلف . وفي (لزوم ما لا يلزم) وغيره كثير من الأبيات بل القصائد التي لا تخلو من مثل هذا ، وكلها بما قاله في الطورين الأخيرين .

٣ - إن أراد بقوله : تنقصه مائة اللفظ ، ورصانة الأسلوب ، وإتقان المعنى ، أن هذه الأشياء كلها لا توجد في كل بيت من أبيات شعره ، فهذا صحيح ؛ ولكنه غير محصور في شعره في هذا الطور ؛ بل غير محصور في هذا الشاعر . فإن شعر كل شاعر لا يخلو من تفاوت في قوة الأسلوب وجلالة المعنى ، ومع هذا لا نلتم أن معانيه غير متقنة ، وأسلوبه غير رصين . فهذه مريثته في أبيه فيها أبيات من عيون الشعر كقوله^(٣) :

حَجَى زَادَهُ مِنْ جُرْأَةٍ وَسَمَاحَةٍ

وَبَغْضُ الْحَجَى دَاعٍ إِلَى الْبُخْلِ وَالْجُبْنِ

.....

(١) الزويات ٥ ص ١٠٧ . وعيس خواد : سراح في البحر .

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٤ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٩١٢ - ٩٢٢ .

إِذَا غُيِّبَ الْمَرْءُ اسْتَسَرَّ حَدِيثُهُ وَلَمْ تُخْبِرِ الْأَفْكَارُ عَنْهُ بِمَا يَغْنِي

.....

وَجَدْنَا أَدَى الدُّنْيَا لَدِيداً كَأَنَّمَا جَنَى النُّحْلُ أَصْنَافَ الشَّقَاءِ الَّذِي نَجَنِي

.....

وَحَوْفُ الرَّدَى آوَى إِلَى الْكَهْفِ أَهْلَهُ

وَكَلَّفَ نُوحاً وَابْنَهُ عَمَلَ السُّفْنِ

ولو عرفنا كل ما قاله في هذا العهد ، لرأينا كثيراً من الأبيات الرائعة ، والآيات البارعة .

٤ - ان التقليد في شعره في الطور الثاني أكثر منه في الطور الأول ، إن كان هناك تقليد .

٥ - ان إظهار التفوق لا يفارق شعره في الطور الثاني ؛ بل هو أكثر منه في الطور الأول ، كما سيوضح ذلك من الأمثلة الآتية .

٦ - ان النجمل بالاصطلاحات العلمية لا يخلو شعره منه في كل طور . يدل على ذلك قوله في مرثية أبيه :

تَنْزِئُ وَنَحْضِي فِي أَيْنِكَ وَاجِبٌ

كَمَا وَجِبَ النَّصْبُ اعْتِرَافاً عَلَى إِنْ^(١)

٧ - انه تغزل في (ثائيته) التي أرسلها إلى التنوخي^(٢) ، وفي

(١) شروح سبط الزند : ق ٢ ص ٩٣٢ .

(٢) القلط ج ٢ ص ١١٢ (ج) ومطلبها :

هات الحديث عن الزوراء أو حينا وودع النار لانكرى بشكرنا

وانظر ما سبق ص ٩٥٣ .

(الطائفة) التي أرسلها إلى خازن دار العلم ^(١) وكتابهما في الطور الثالث .

٨ - أن الوصف أكثر منه في الأطوار الثلاثة ، كما نرى في وصف السيف في (الثانية) المذكورة ، وفي وصف الطير في (الطائفة) ووصف الأسد ، والحية ، والسيف ، في (الميمية) التي رثى بها أمه ^(٢) وفي أبيات الوصف التي جاءت في (لزوم ما لا يلزم) .

٩ - أن ما ذكره من الضرورات وقع مثله في (لزوم ما لا يلزم) وهو قوله :

وَاللَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يُفْنِيَ بَرِّيَّتَهُ مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ وَلَكِنْ جُنْدَهُ الْعِلَلُ ^(٣)

وقد وقع مثل هذه الضرورة في كلام المتقدمين كقول عامر بن الطفيل :

فَمَا سَوْدَتْ نِيَّ عَامِرٍ عَنْ وَرَائِهِ أَيْمَى اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بَأْمٍ وَلَا أَبٍ ^(٤)

وقول كعب بن زهير :

أَرْجُو وَأَمَلُ أَنْ تَذْنُو مَوَدَّتَهَا وَمَا إِحْالُ لَدَيْنَا مِنْكَ تَنْوِيلٍ ^(٥)

(١) الفط ج ٢ ص ١٢١ (ج) : وانظر ما سبق ص ٩٥٣ .

(٢) الفط ج ٢ ص ٨٧ (ج) مظهرها :

سمت نبيها سمي مآم . وإن قال المواصل لا آهـام

وانظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٤٥٢ .

(٣) الزويمان ٥ ص ١٩٦ .

(٤) انظر ما سبق ص ٦٢٤ .

وقول الآخر :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْهُو بِبَعْضِ حَدِيثِهَا رَفَعْنِ وَأَنْزَلْنِ الْحَدِيثَ الْمَقْطَعًا^(١)

ورفع كثير مثلها في أقوال المتأخرين أيضاً كقول المتنبي :

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْمُو بِلُخِيَةِ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقُّ^(٢)

وللنحاة في مثل هذا قولان ، الأول : إهمال « أن » المصدرية حملاً على ما المصدرية ، والثاني : إجراء الفتحة على الواو مجرى الضمة للضرورة ، قال المبرد : وهو من أحسن الضرورات . وقد جاء اسكان الواو في النثر ، وقرأ الحسن قوله تعالى : « وَالْأَنفُ يَعْفُونَ أَوْ يَمْفُونَ »^(٣) الذي بيده « عَفْدَةٌ » التَّكَاخُ^(٤) بسكون الواو في يمْفُونَ . قال الزخشي : وإسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالآلاف لأنها أختاهما .

٦٠ — ان محاكاة العرب وإيثار الألفاظ البدوية غير محصورة في طور واحد من أطوار شعره . وأكثر (سقط الزند) مطبوع على هذا القرار ، مع اختلاف الزمن الذي قيلت فيه قصائده .

٦١ — ان المعاني البدوية مستفيضة في أكثر قصائده ، وقلما خلت قصيدة له منها ، لاسيما ما كان منها في مدح ، أو هجاء ، أو نشوق ، أو فخر ، أو رثاء .

٦٢ — ان غريب اللغة الذي ذكره مبعوث في أكثر أقواله ؛ ولعل السبب في ذلك رفقاً قبله أنه كان لا يراه غريباً كما قدمنا ؛ وأنه الكثرة ما كان يحفظه من كلام العرب في أغراض مختلفة تأثر بالفاظهم ومعانيهم . انظر إلى قصيدته :

(١) انظر ما سبق ص ٦٢٤ .

(٢) العرف الطب في شرح ديوان أبي الطيب ٣٦٢/٢ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٤٧ .

أَرَى الْعَنْقَاءَ تَكْبُرُ أَنْ تُصَادَا^(١)

فإنها طافعة بالألفاظ والمعاني البدوية .

وفي الجملة لم يوفق صاحب (الذكري) إلى ما أراده من التقسيم ، ولا فيما أورده من الخصائص لكل طور .

التقسيم الغريب من القبول والهمزة

ويظهر للتأمل أن تقسيم شعره بحسب الزمن تقسيماً صحيحاً غير متيسر ، لأن ذلك يتوقف على معرفة شعره كله ، وعلى معرفة زمن كل قصيدة أو قطعة أو بيت منه ؛ وكلا الأمرين بعيد المنال . وإذا لم يكن بد من تنسيبه لتقريب البحث على الدارس بقدر الإمكان ، فالأقرب أن يقسم شعره إلى عهدين :

الأول : شعره من أول حياته الشعرية إلى حين رجوعه من بغداد ، ومدة هذا العهد نحو سبع وثلاثين سنة .

الثاني : شعره بعد رجوعه من بغداد إلى نهاية عمره ، ومدة هذا العهد نحو تسع وأربعين سنة .

العهد الأول

أما شعره في العهد الأول ، فهو كثير المبالغة ، له حظ وافر من التكلف ، وفيه شيء من المصطلحات العلمية تقل في أوله وتكثر في آخره ، وأسلوبه فيه متين قوي الأسر ، وعلى مدحه وفخره مسحة البداوة ،

(١) عبزه : « فأنه من تطبق له عنادا » . وهو مطلع دالية في اللفظ ، انظر خروج سطر الزند : في ٢ ص ٦٥٣ .

وللحكيم فيه نصيب وافر ، وفيه قصائد من عيون الشعر وآياته في الرثاء والمدح والفخر وغيرها .

وهذا الحكم إجمالي لأننا لم نقف على كل شعره ، ولم نعرف زمن كل قصيدة منه .

الأغراض في هذا المهد

أما الأغراض التي نظم فيها الشعر في هذا المهد فهي : الفجيب ، والمدح : والفخر ، والهجاء ، والرثاء ، والوصف ، والحنين إلى بلاده ، والحكمة ، وتتل في الأغراض والمعاني الفلسفية بالنسبة للمهد الذي بعده .

المهد الثاني

وأما شعره في المهد الثاني فيقسم إلى قسمين :
الأول : قصائده في المدح ، والرثاء ، والحنين إلى بغداد وأهلها ، وأجروبه للشعراء ، وتنهته وما شاكل ذلك . وشعره هذا كله من فصيلة شعره في المهد الأول ؛ إلا أن خياله فيه أوسع مدى ، ونصيبه من المصطلحات العلمية أوفر .

الثاني : شعره في (لزوم ما لا يلزم) وهذا على ما في بعض أبياته من التكلف ، قوي الأثر ، بحكم الوضع ، شريف المعنى ؛ وفيه من أنواع الحكمة ومساائل العلم أكثر مما في المهد الأول .
ولا يخلو شعره في هذا المهد من الصناعات البديعية ، لاسيما الجناس ، والتورية ، والطباق ، والمقابلة ، والتلحيع .

الأغراض في العهد الثاني

وقد تناول في هذا العهد جميع الأغراض التي نظم فيها في العهد الماضي ، وزاد عليه كثرة الآراء الفلسفية والمساائل العلمية . وعلى شعره مصحة البداوة في كل عهد .

وهذا الحكم إجمالي كما ذكرنا .

ما يقع بعض قصائده وأبياته

قلنا : إن التاريخ لم يساعدنا على معرفة الزمن لكل قصيدة أو قطعة من شعر المعري ، ولكننا استطعنا معرفة بعض ذلك مما ذكر في عناوينها ، أو استتجناه من مضامينها ، أو من الحوادث المرتبطة بها ، أو من دليل آخر . فنذكر طرفاً منه هنا ليتضح للباحث معرفة شيء من أسلوبه الحقيقي في كل عهد :

ما قاله في العهد الأول

١ - ذكر في (سقط الزند ج ٢ ص ٢٠) (١) قصيدة مطلعها :

أَلَيْسَ الَّذِي قَادَ الْجِيَادَ مُغَدَّةً رَوَّافِلَ فِي ثَوْبٍ مِنَ النَّقْعِ ذَائِلِ

وذكر في عنوانها أنه قالها في الصبي ، وليس في أبياتها ما يدل على ذلك . فقلل كلمة « في الصبي » من زياده الشراح أو النساخ . أو ربما حذف من القصيدة بعض الأبيات ، أو توسعوا في معنى الصبي حتى تناول ما بعده .

(١) الثور على سقط الزند - الخولي . وانظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٦٢ .

٢ - وفي (ج ٢ ص ٢٤) (١) منه أبيات أولها :

لَتَذْكُرَ قَضَاعَةُ أَيَّامِهَا وَتُزْرَةُ بِأَمْلَاكِهَا حَمِيرُ

وقد جاء في عنوانها : أنها من قصيدة قالها في صباه بمدح فارس ويفضلها على العراق . وليس في الأبيات المذكورة ما يدل على أنها قيلت في الصبي ؛ بل ليس فيها تفضيل لفارس على العراق . ولعل ذلك كان في أبيات آخر لم تذكر ، لأن أبا العلاء كان يحذف بعض الأبيات من (السقط) كما ذكر ذلك صاحب التنوير والتبريزي والبطليني في مواطن متعددة .
٣ - مرثيته لأبيه (٢) :

نَقَمْتُ الرُّضَى حَتَّى عَلَى ضَاحِكِ الْمَزْنِ

فَلَا جَادَنِي إِلَّا عَبُوسٌ مِنَ الدَّجَنِ

وقد كانت وفاة أبيه سنة ٣٧٧ هـ أو ٣٩٥ هـ (٣) .
٤ - قصيدته في مدح سعيد الدولة التي مطلعها (٤) :

أَعْنُ وَخَدِ الْقِلَاصِ كَشَفَتْ حَالاً وَمِنْ عِنْدِ الظَّلَامِ طَلَبَتْ مَالاً

وقد ذكر في (ضوء الفند) أنه كتب بها لسعيد الدولة بن سعد الدولة . وذكر الميمني أنه وجد في عنوان نسخة (السقط) التي في دار الكتب الأهلية في باريس أنه قالها في سعيد الدولة حفيد سيف الدولة سنة ٣٩٠ هـ وقد كانت إمارة سعيد من سنة ٣٨١ هـ إلى سنة ٣٩٠ هـ وفيها يقول :

(١) التنوير ، وانظر شروح السقط في ٣ ص ١٠٨٧ .

(٢) ذكرها الخولي في التنوير ١٩٣/١ وهي في شروح السقط في ٢ ص ٩٠٧ .

(٣) انظر ما سبق ص ١٧٣ حول سنة وفاته .

(٤) ذكرها الخولي في التنوير ١٤/١ وهي في شروح السقط في ١ ص ٢٥ .

سَأَلْنِ فَقُلْتُ مَقْصِدُنَا سَعِيدٌ فَكَانَ اسْمُ الْأَمِيرِ لَهُنَّ فَلَا

وقد أشار فيها إلى الحروب التي كانت بين سعيد وبين عسكر مصر وهي ما بين سنة ٣٨٣ هـ وسنة ٣٨٦ هـ .

هـ - وقصيدته التي مدح بها أبا ابراهيم العلوي ومطلعها ^(١) :

الْأَحَ وَقَدْ رَأَى بَرَقًا مُلِيحًا
يقول فيها :

أَعْبَادَ الْمَسِيحِ يَخَافُ صُخْيِ وَنَحْنُ عَبِيدُ مَنْ خَلَقَ الْمَسِيحًا

وقد قال الشراح : إن هذه القصيدة قيلت وملك الروم خرج إلى أرض المسلمين ، وخاف الذين قربوا منه فرحلوا عن أوطانهم .

وقد ذكر المؤرخون أن فردوس الدمق نزل على باب حلب سنة ٣٧٣ هـ في خمائة ألف فارس ، فالتقى في الميدان مع عسكر سعد الدولة ، ثم رجع عسكر فردوس وأتبعه سعد الدولة جيشاً من قبله غازياً حتى بلغ عسكره أنطاكية .

وفي سنة ٤٢١ هـ خرج ملك الروم من القسطنطينية إلى الشام ، فبلغوا قريباً من حلب وكان صاحبها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس .

٦ - وذكر البطليموي (ج ١ ص ٣٥٠) ^(٢) أن أبا العلاء مدح الشريف أبا ابراهيم العلوي بقصيدته التي يقول في مطلعها :

(١) ذكرهما الخوفا في التنوير ج ١ ص ٥٦ ، وهي في غرور سقط الزند : ذ ١ ص ٢٣٧ . وعبر الطام : سرى فأن الحمى نضواً طليحا .

(٢) من غرور صلط الزند ، والتمبذة في التنوير ج ١ ص ٧٧ .

إِلَيْكَ تَنَاهَى كُلَّ فَخْرٍ وَسُودِدَ فَأَبْلِ اللَّيَالِي وَالْأَنَامَ وَجَدِّدِ

وأما القصيدة التي مطلعها :

لَقَدْ آتَى أَنْ يَشْنِي الْجَمُوحَ لِحَامُ وَأَنْ يَمْلِكَ الصَّعْبَ الْأَبْيَ زِمَامُ^(١)

فالذي يفهم من كلام البطليوسي ، والتبريزي ، والحوارزمي^(٢) .
والخوني شراح (سقط الزند) ومن القصيدة المذكورة ، من كلام ابن
الأثير في (الكامل ج ٩ ص ٣٧) أن العزيز صاحب مصر

(١) في شروح السقط : « ... ذمام » بالذال .

(٢) يقول البطليوسي : « وقال بصف وقفة كانت للملحن على الروم بموضع يعرف
بالروج قريب من المرة . وكان رئيس الملحن بنجوتكين التركي في أيام العزيز باقة » .
وقال البطليوسي أيضاً عند شرحه البيت :

كأن لم يكن بين الخاض وحارم كئائب يشجن الفلا وخيام

« الخاض : نهر يخاض ، قريب من المرة بأرض تعرف بالروج .

وحارم : بلد قريب من أنطاكية . وكان النفي بهذا الموضع عسكر الملحن وعسكر
الروم . فتقاتل الفريقان والخاض بينهما ، ثم عبر السلون إليهم النهر فانهمزوا ... » .
وقال التبريزي : « الخاض : نهر يخاض في الأرض التي تعرف بالروج وهي
قريبة من مرة النمان ، والنفي في هذا الموضع عسكران ، أحدهما للملحن ،
وأمر العسكر الذي للملحن بنجوتكين التركي الذي اصطفه أبو منصور زار ،
الملقب بالعزيز بن مدد اللقب بالمعز . فتقاتل العسكران والخاض بينهما ، ثم عبر
السلون إليهم ، فانهمزوا ... » .

وقال الحوارزمي : « الخاض : نهر بالقرب من مرة النمان . حارم : مدينة
قريبة من أنطاكية ، كانت بين الروم والملحن ، فانهمز الروم ... » .
وقال الخوني : « الخاض : نهر بالقرب من مرة النمان . وحارم : بلد
قريب من أنطاكية . وكانت بينهما وقفة بين الملحن وبين الروم ، وانهمز
الروم بين يدي الملحن ... » .

انظر هرواح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٠٢ - ٦٠٤ . والتوير على سقط
الزند ١٢٥/١ .

جهز جيشاً إلى حلب ، وجعل منجوتكين أميراً عليه ، وذلك في سنة ٣٨١ هـ بعد وفاة سعد الدولة وتولي ولده أبي الفضائل مكانه ، لأن الوزير أبا الحسن المغربي أطمعه فيها . فאר منجوتكين وحصرها ، وفيها أبو الفضائل والوصي عليه لؤلؤ ؛ فكتباً إلى بسل ملك الروم يستجده ، وكان يقاتل البفسار ، فأرسل إلى نائبه بأنطاكية يأمره بإنجاد أبي الفضائل . فصار في خمسين ألفاً حتى نزل على الجسر الجديد بالعاصي ؛ فلما سمع منجوتكين الخبر سار إلى الروم ليلقاهم قبل اجتماعهم بأبي الفضائل ، وعبر إليهم العاصي ؛ وأوقعوا بالروم فهزمهم ، وولوا الأدبار نحو أنطاكية ، وكثر القتل فيهم ، وتبعهم منجوتكين إلى أنطاكية ، فنهب بلدها وقراها وأحرقها . ثم عاد إلى حلب فحصرها ، فأرسل لؤلؤ إلى أبي الحسن المغربي وغيره مالأً ليردوا منجوتكين عنهم هذه السنة ببطءٍ تَعَدَّرَ الأقوات ، ففعلوا وسار إلى دمشق ، ففضب العزيز وكتب بعودِ العسكر إلى حلب ، وإبعاد المغربي . فعاد العسكر وحاصرها ثلاثة عشر شهراً . وعاد لؤلؤ فراسل ملك الروم ، فنزل على باب حلب ، ورحل جيش مصر .

وأغضب ذلك العزيز ، واستنفر الناس لغزو الروم ، وخرج من القاهرة وحدث به مرض فمات سنة ٣٨٦ هـ .

وذكر الشراح وغيرهم أن منجوتكين عبر بمسكره الخاض ، وهو نهر يخاض في الأرض التي تعرف بالروج . واقتتل العسكران ، ثم انهزم الروم .

وان حارم مدينة قريبة من أنطاكية ، كانت بها وقعة بين الروم والمسلمين فانهزم الروم . وأن الروم كانوا يسكنون في بقعة كانت في أيديهم . وقد عبر عنه أبو العلاء بالهلل وذكر البطليموي في (شرح السقط

ج ٢ ص ٦١١) أن أبا العلاء يخاطب بقوله في هذه القصيدة :

وَرَدُّوْا إِلَيْكَ الرَّسْلَ وَالصَّلْحَ مُمَكِّنٌ^(١)

المعزى بالله ، فتكون هذه القصيدة في مدحه . وقد قالها بعد انكار الروم في سنة ٣٨١ هـ ولا أستبعد أن تكون لقائد جيشه منجوتكين بل ذلك أقرب .

وقال التبريزي في (شرح السقط) عند قوله :

إِلَى حَارِمٍ قَادَ الْعِتَاقَ سِوَاهِمَا^(٢)

وكان هذا المخاطب قد غزا حارماً في بعض السنين .

٨ - وقال البطليموسي في (شرح المقط) : « وله من قصيدة أولها^(٣) :

هُوَ الْهَجْرُ حَتَّى مَا يُلْمُ خَيَالُ وَبَعْضُ صُدُودِ الزَّائِرِينَ وَصَالُ

وهذه القصيدة مدح بهار جلا يقال له علي بن الحسين ، ويعرف بابن المغربي . وكان مدبر عسكر بنجوتكين التركي الذي اصطنعه المعزى من أمراء الشيعة . وكان لقي الروم بموضع يعرف بالروج ، وبين الصكرين نهر ، فخاضه الملحون إلى الروم وأوقعوا بهم » . وقال في شرح قوله :

إِلَى حَارِمٍ قَادَ الْعِتَاقَ

« حارم : بجاء وراء غير معجبتين ، وهو واد قريب من أنطاكية ،

(١) معجزة : « وقالوا على غير القتال سلام » .

(٢) معجزة : « لها من نقاط بالكلمة زمال » .

انظر شروح القطر ٣ ص ١٠٤٧ .

(٣) المصدر السابق ص ١٠٤٧ - ١٠٥٩ .

كان لقي فيه بنجوتكين التركي قائد العزيز بالله الروم فهزمهم . وكان الممدوح بهذا الشعر قد ولّاه بنجوتكين أمر عسكره وقدمه عليه . وقد ذكر المعري هذه الواقعة في قوله :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْمُخَاضِرِ وَحَارِمٍ كَتَائِبُ يُشْجِنُ الْفَلَاحَ وَخِيَامُ

وقال في شرح قوله في هذه القصيدة :

وَكَيْفَ لِقَاءُ ابْنِ الْحُسَيْنِ مُخَالَفٌ يُحَدِّثُ عَنْ أَفْعَالِهِ فِيمَالُ

« هو علي بن الحسين ، المعروف بابن المغربي . . . » .

وقال التبريزي في شرح قوله :

وَفِي الْخَيْلِ مِنْ مَاءِ الْمُخَاضَةِ عِفَّةٌ وَهُنَّ إِلَى مَاءِ الثُّفُوسِ نِهَالُ

« المخاضة : يراد بها مخاضة ماء ، وكان علي بن الحسين المعروف بابن المغربي مدبر ذلك المسكر ، وأميره بنجوتكين التركي الذي اصطنمه العزيز من أمراء الشيعة ؛ فالتقوا بالمكان الذي يعرف بالروج ؛ وبين الفئتين ماء يخاض ، فخاضه اليهم المسلمون ، وظفروا ظفراً عظيماً . . . » .
وقال البطليمي في (شرح سقط الزند) (١) عند شرحه الأبيات التي أولها :

لِتَذْكُرْ قَضَاعَةَ أَيَّامِهَا وَتُزَهَ بِأَمْلَاكِهَا حَمِيرُ

« هذه الأبيات له من قصيدة قالها في صباه يمدح بها علي بن الحسين المغربي الفارسي . . » .

١٠ — قصيدته التي مطلعها (١) :

مَعَانٍ مِنْ أَحِبَّةٍ مَعَانٍ تُجِيبُ الصَّاهِلَاتِ بِهِ الْقِيَانُ

فقد ذكر الخوارزمي عن الزمخشري أنه قالها في أبي الفضائل سعيد بن شريف بن علي بن أبي الهيجاء . وجاء في شرح التبريزي والبطليمي : سعد بن شريف بن علي بن أبي الهيجاء .

١١ — وكذلك قصيدته التي مطلعها (٢) :

إِنِّقَ فِي نِعْمَةٍ بَقَاءَ الدُّهُورِ نَاقِذَ الْأَمْرِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ

فقد قال في (ضوء الفند) : إنه يعني بها بعض بني حدان ملوك حلب . وفي الميمني : إنه قالها في سعيد الدولة الحمداني .

١٢ — وقصيدته التي أولها :

يَا لَلْمُفْضَلِ تَكْسُونِي مَدَائِحُهُ (٣)

(١) ذكرها الخوي في التنوير ج ١ ص ٤١ ، وهي في شروح القط في ١ ص ١٧٢ . ومعان الأول : اسم موضع بعينه . ومعان الثانية : التز أو المكان الكثير الخلق .

(٢) هي في التنوير ج ١ ص ٥٣ وفي شروح القط في ١ ص ٢٢٤ .

(٣) تمام البيت : « ... وقد خلت لباس النظر الأتى » .

قال الخوي في التنوير : « وقال أيضاً في البسط الأول وأخانية من التراكب يجب بعض الشعراء عن قصيدة أولها :

ارقد حينئذٍ ففني دائم الأرق ولا تشغني وغيري سائياً فشي

وعلى هذه الرواية يكون البيت :

يا للمفضل تكسوني مدائحه وقد خلت لباس النظر الأتى

مطلع قصيدة آل الهلاء كما ذكر ذلك الخوي وكما أورده الزلب ، بد أنه ذكر في شروح القط نقلاً عن الخوارزمي والتبريزي أن البيت :

فإن قوله فيها :

وَمَا اَزْدٰهُيْتُ وَاَنْثَوَابُ الصَّبٰى جُدَدٌ

فَكَيْفَ اَزَّهَوْ^(١) بِثَوْبٍ مِنْ صَبٰى خَلَقِ

يدل على أنه قالها في عهد الكهولة . وزعم بعض المعاصرين أن المفضل ابن سعيد بن عمرو المري . ولا يتعين ذلك ، أو ليس في القصيدة ما يدل عليه . وقد كان في المرة في عهد أبي العلاء جماعة يسمون بالمفضل ، منهم المذكور ، ومنهم المفضل بن محمد بن المهذب ، ومنهم المفضل بن جعفر بن علي بن المهذب ، ومنهم المفضل بن أبي غانم ، ومنهم المفضل بن محمد بن مسعر . ولم أستطع تعيين واحد منهم . على أن لفظ « المفضل » في البيت لا يجب أن يكون علما ، بل يجوز أن يكون صفة مدح فتأمل . والقصيدة تدل على أن المفضل هذا تلميذ لأبي العلاء امتدحه بأبيات فأجابه بهذه القصيدة .

١٣ — وقصيدته :

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مَآتِي وَاعْتِقَادِي^(٢)

— ارقد حنبثاً نائي دائم الأرق ولا تنفني وهيري سالياً فنفق

أول قصيدة أبي العلاء ، وأن البيت ، وروايته في العروج :

بالفضل يكون مدائحه

هو ثاني أبياتها . ولم ترو هذه القصيدة جلة في البطليوسي . انظر التنوير على

سطح الزند ج ١ ص ١٤٢ ، وشروح السط في ٢ ص ٦٧٣ — ٤ .

(١) في شروح السط : « ... 'أزهم' . . . »

(٢) قامة : « نوح باك ولا ترنم شادي » .

انظر التنوير على سطح الزند ج ١ ص ٢٠٨ وشروح السط في ٢ ص ٩٧١ .

فإنه رثى بها أبا حمزة الحنّ بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن سعيد بن محمد بن داود بن المطهر التنوخي ، وقد كانت وفاته قبل الأربعمائة .
 ويفهم من القصيدة أن المرنّي بها كان خليل صباه ، وأنه مات شاباً .
 ١٤ — وقصيدته التي مطلعها :

لَا وَضَعَ لِلرَّحْلِ إِلَّا بَعْدَ إِضَاعٍ فَكَيْفَ شَاهَدْتَ إِنْضَائِي وَإِزْمَاعِي^(١)

فإنه كتبها إلى أبي حامد الإسفرائيني بعد دخوله بغداد سنة ٣٩٨ هـ .
 ١٥ — ومنها أبياته اللامية التي أجاب بها القاضي أبا الطيب طاهر بن عبد الله البصري^(٢) ، وهو في بغداد ومطلع الأبيات الأولى :

(١) هي في التنوير على السقط ج ١ ص ١٥٨ وشروح النطق ٢ ص ٧٤١ .
 (٢) كذا في الأصل ، ولعل للزلف يريد : « الطبري » قد جاء في (فائق شعر أبي اللّاء) خيم (أبو اللّاء وما إليه) في ص ٩ خلا من بياض البداهة يماض المأخذ ١١٤/٢ ، والوفيات ٢٣٣/١ ورسالة الجنان لياضي ٧٠/٣ ماخه : « قال القاضي أبو الطيب الطبري : كتبت إلى أبي اللّاء المرنّي حين وافي بغداد » .
 وذكر خة أبيات مطلعها :

وما ذات در لا يمل لحساب تاوله والعم منها محل

وقال : « فأجاني وأمل على الرسول في الحال ارجحالا :

جوابان عن هذا السؤال كلاماً صواب ويبقى المائلين مظل

وذكر بعد هذا البيت خة أبيات آخر ثم قال : « فأجبت عنه قلت :

أثار ضميري من يمز نظيره من الناس طراً سابع الفضل مكل

وأورد مقطعة التي تبلغ : نية أبيات وقال : « فأجاب سرحملا وأمل على الرسول :

ألا أيها القاضي الذي بدهائه سيف على أهل الخلاف تسل

وذكر بعده ثلاثة عشر بيتاً لأبي اللّاء .

وجاء في تهذيب المختصر في أخبار البشر لابن الوردي : « ووضع أبو طاهر الحافظ الثاني كتاباً في أخبار أبي اللّاء ، وقال فيه مستنداً عن القاضي أبو الطيب —

جَوَابَانِ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ كِلَاهُمَا صَوَابٌ وَبَعْضُ الْقَائِلِينَ مُضَلَّلٌ

ومطلع الثانية :

أَلَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي بَدَّهَائِهِ سَيُوفٌ عَلَى أَهْلِ الضَّلَالِ تُسَلِّلُ

١٦ - وقصيدته التي قالها في بغداد يتشوق إلى المرة ، ومطلعها (١) :

طَرَيْنَ لِضَوْءِ الْبَارِقِ الْمُتَعَالِي بِيَغْدَادَ وَهَذَا مَالَهُنَّ وَمَالِي

١٧ - وقصيدته الثانية فيها التي مطلعها (٢) :

مَغَانِي اللَّوَى مِنْ شَخْصِكَ الْيَوْمَ أَطْلَالُ

وَفِي النَّوْمِ مَعْنَى مِنْ خَيَالِكَ مَحَلَالُ

١٨ - وقصيدته التي رثى بها الشريف أبا أحمد الموسوي والد الشريف

المرتضى والرضي ، ومطلعها (٣) :

أَوْذَى فَلَيْتَ الْحَادِثَاتِ كَفَافٍ مَالُ الْمُسَيْفِ وَعَثْبَرُ الْمُسْتَأَفِ

— الطبري رحمه الله : كُتِبَ إِلَى أَبِي الْمَلَاءِ الْمَرْي جُنِّ وَأَمَى بَغْدَادَ ، وَقَدْ كَانَ

نَزَلَ فِي سُوَيْفَةِ غَالِبٍ ... ، وَذَكَرَ مَا ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِهِ .

وَأَبُو الطَّيِّبِ هَذَا هُوَ طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرِ بْنِ عَمْرِو الطَّبْرِيِّ الْقَاضِي الْفَقِيهِ

الشَّافِعِي ، وَنَجَّهَ إِلَى طَبْرِسْتَانَ ، وَكَانَ بِأَمَلِ سَنَةِ ٣٤٨ هـ وَتَوَفَّى بِبَغْدَادَ سَنَةَ ٤٥٠ هـ

وَلَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْمَلَاءَ هَاتَانِ الْآخِطَانِ مِمَّا لَمْ يَرَوْا فِي الدِّيَوَانِ .

انظر تعريف القدماء بأبي الملاء ص ٢١٢ عن تلمذة المختصر لابن الوردي . وطبقات

الشافعية ٣/ ١٧٦ - ١٩٧ .

(١) التور على القط ج ٢ ص ٣٨ وشروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٦٢ .

(٢) التور على القط ج ٢ ص ٤٦ وشروح سقط ق ٣ ص ١٢١١ .

(٣) التور على القط ج ٢ ص ٥٥ وشروح سقط ق ٣ ص ١٢٦٤ .

١٩ - وقصيدته التي ينهى بها أبا القاسم التنوخي ببولود، ومطلعها (١) :
مَتَى نَزَلَ السَّمَاءُ فَحَلَّ مَهْدًا تُغْذِيهِ بِدَرَّتِهَا الشُّدِي
وفيها يقول :

إِذَا نَأَتْ الْعِرَاقَ بِنَا الْمَطَايَا فَلَا كُنَّا وَلَا كَانَ الْمَطِيُّ
عَلَى الدُّنْيَا السَّلَامُ فَمَا حَيَاةُ إِذَا فَارَقْتُكُمْ إِلَّا نَعِي (٢)
وقد قال البطليوسي : إنه قالها في بغداد .

٢٠ - وقصيدته التي ودع بها بغداد ، ومطلعها (٣) :

نَبِيٍّ مِنَ الْغُرَبَانِ لَيْسَ عَلَى شَرْعٍ يُخَبِّرُنَا أَنَّ الشُّعُوبَ إِلَى الصَّدْعِ
قال الخوارزمي : : إنه قالها بمدينة السلام .

٢١ - والقصيدة التي أجاب بها محمد بن حمد بن فورجة ، ومطلعها (٤) :

كَفَى بِشُحُوبٍ أَوْجَهْنَا دَلِيلًا عَلَى إِزْمَاعِنَا عَنْكَ الرَّحِيلَا
قال البطليوسي : إنه قالها بمدينة السلام وكذلك صاحب التنوير .
٢٢ - والقصيدة التي أجاب بها ابن تميم البرقي ، ومطلعها (٥) .

أُمَعَاتِي فِي الْمَجَرِ إِنْ جَارَيْتَنِي طَلَقَ الْجَدَالِ وَجَذَتْ عَيْنَ الظَّالِمِ

(١) التنوير على القط ج ٢ ص ٦٦ ، ٦٨ وشروح القط في ٣ ص ١٣٢١ ،
١٣٣٠ .

(٢) في العرواح : « إلا النعي » .

(٣) التنوير على - قط الزند ج ٢ ص ٦٨ وشروح القط في ٣ ص ١٣٢٢ وفيها «الصدع» .

(٤) التنوير على القط ج ٢ ص ٨٠ وشروح القط في ٣ ص ١٣٦٩ .

(٥) التنوير على القط ج ٢ ص ٩٨ ، ١٠٠ وشروح القط في ٤ ص ١٥١٦ ، ١٥٢٣ .

فإن قوله فيها :

بِمَحَلَّةِ الْفُقَهَاءِ لَا يَعْشُو الْفَتَى نَارِي وَلَا تُنْضِي الْمَطِيَّ عَزَائِمِي

يدل على أنه قالها وهو في بغداد .

٢٢ - وقصيدته التي أجاب بها أبا الخطاب محمد بن علي الجبلي ،

ومطلعها (١) :

أَشْفَقْتُ مِنْ عِبْدِ الْبَقَاءِ وَعَايِهِ وَمَلَلْتُ مِنْ أَرْبِي الزَّمَانِ وَصَابِهِ

فإن الخطيب روى في (تاريخ بغداد) هذه القصيدة عن أبي القاسم التنوخي عن أبي العلاء . وذكر غير الخطيب أن أبا الخطاب زار أبا العلاء قبل رحلته إلى بغداد ومدحه ، فأجابه أبو العلاء بالبائية المذكورة .

٢٤ - وذكر البديعي في (أوج التحري) أن القصيدة التي

مطلعها (٢) :

مِنْكَ الصَّدُودُ وَمِنْ بَالِ الصَّدُودِ رَضِي مَنْ ذَا عَلَيَّ بِهَذَا فِي هَوَاكِ قَضَى

قالها أبو العلاء وهو في بغداد .

مأثوره في العهد الثاني

١ - في سقط الزند كثير مما نظمه بعد رجوعه من بغداد ، مثل

(١) التنوير على سقط الزند ج ١ ص ١٥٣ وشروح القطر ٢ ص ٧١٥ ، واظهر

ترجمة أبي الخطاب هذا وخبره مع أبي العلاء في تعريف القمصاء بأبي العلاء ص ٣٩٣ .

(٢) أوج التحري عن جنية أبي العلاء للمري - ليوسف البديعي والتنوير على

سقط الزند ج ١ ص ١٣٢ ، وشروح القطر ٢ ص ٦٥٤ .

القصيدة التي أرسلها إلى أبي عبد السلام والبحري والتي مطلعها (١) :

تَحِيَّةُ كَسْرَى فِي السَّنَاءِ وَتُبْعُ لِرَبِّكَ لَا أَرْضَى تَحِيَّةَ أَرْبَعِ

٢ - والقصيدة التي أرسلها إلى أبي القاسم التنوخي ، وأولها (٢) :

هَاتِ الْحَدِيثَ عَنِ الزُّورِ أَوْ هَيْتَا وَمَوْقِدِ النَّارِ لَا تَكْزُرِي بِتَكْرِيتَا

٣ - والقصيدة التي أرسلها إلى خازن دار الكتب ببغداد ، ومطلعها (٣) :

لِمَنْ جِرَّةٌ سَيَمُوا النُّوَالَ فَلَمْ يُنْطُوا

يُظْلَلُهُمْ مَا ظَلَّ يُنْبِتُهُ الْخَطُّ

فإنه ذكر فيها أمر السفينة التي أعادها إليه آل حكار بقوله :

فَإِنْ يُنْسِيهِمْ أَمْرَ السَّفِينَةِ فَضْلُهُمْ

فَلَيْسَ بِمُنْسِيِ الْفِرَاقِ وَلَا الشَّخْطِ

وذكر فيها ألقنة العامرية الطائفة ، والظاهر أنه أراد بها ما اتفق عليه صالح بن مرداس من بني كلاب بن عامر بن صعصعة ، وحصان أمير طيء وسنان بن عليان ؛ فقد تحالفوا على أن يكون لصالح من حلب إلى عانة ، ولحصان من الرمة إلى مصر ، ولسنان دمشق ، فاستولى صالح على حلب وملك ما بين بعلبك إلى عانة ، وسار حصان إلى الرمة ، ووقعت فتن وحروب وكانت هذه الحادثة سنة ٥٩١ هـ وقبل بعد ذلك .

(١) الخور على سطح الزند ج ٢ ص ١٠١ وشروح الخط ق ٤ ص ١٥٢٧ .

(٢) الخور على سطح الزند ج ٢ ص ١١٢ وشروح الخط ق ٤ ص ١٥٩٣ .

(٣) الخور على سطح الزند ج ٢ ص ١٢١ وشروح الخط ق ٤ ص ١٦٤٦ .

٤ - والقصيدة التي يقول فيها (١) :

فَيَا لَيْتَنِي أَهْدَيْتُ خَمْسِينَ حِجَّةً مَضَتْ لِي فِيهَا صِحَّتِي وَشَبَابِي
فإنها قُيِّت سنة ٤١٣ هـ أو سنة ٤٢٠ هـ على ما تقدم في الكلام على
القاضي عبد الوهاب المالكي .

٥ - والقصيدة التي يقول فيها لأبي القاسم التنوخي (٢) :

أَذَاكِرْ أَنْتَ عَصْرًا مَرَّ عِنْدَكَ لِي فَلَيْسَ مِثْلِي بِنَاسٍ ذَلِكَ الْعَصْرَا
ويقول فيها :

وَالْمَالِكِيُّ ابْنُ نَصْرِ زَارَ فِي سَفَرٍ بِلَادَنَا فَحَمِدْنَا الذَّائِي وَالسَّافِرَا
فإنها قُيِّت نحو سنة ٤٢٠ هـ لأنها قُيِّت بعد زيارة ابن نصر .
٦ - والأبيات التي قالها لصريع الدلاء علي بن عبد الواحد البغدادي ،
ومطلعها (٣) :

تَقَمَّمْ يَا صَرِيعَ الْبَيْنِ بُشْرَى أَتَتْ مِنْ مُسْتَقِيلٍ مُسْتَقِيلِ

(١) مطلعها :

أَيْدِي مَنْزِي مَنْعٍ أَمْ بِمَنْعِي بَا هُوَ حَظِي مِنْ أَلَمِ عَنَابِ
قال البطلوسي : « وقال يخاطب القاضي أبا محمد عبد الوهاب بن نصر المالكي ، وكان
اجتاز بالمرءة فبث إليه ثلاثين درهما » .
انظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٣٢ ، والتنبير على القط ج ٢
ص ١٣٨ .

(٢) مطلعها :

لَوْلَا مَاعِيكَ لَمْ نَعُدْ مَاعِيْنَا وَلَمْ نَمِ بِأَحْكَامِ اللَّامِ مَضْرَا
انظر شروح القط : ق ٤ ص ١٧٣٦ ، والتنبير على القط ج ٢ ص ١٣٩ .
(٣) التنبير على القط ج ٢ ص ٣٤ . وشروح القط ق ٣ ص ١١٤١ .

فقد ذكر ابن خلكان أن صريع الدلاء هذا طلب من أبي الملاء شرباً وما يليق به ، فير إليه قليل نفقة واعتذر إليه بهذه الأبيات ؛ وأنه قدم مصر سنة ٤١٢ هـ ونوفي فيها . فهذه الأبيات إما في هذه السنة أو في التي قبلها .

٧ - والقصيدة اللامية التي رثى بها أمه ، ومطلعها ^(١) :

خُلُوْهُ فُوَادِي بِالْمُوَدَّةِ إِخْلَالَ
وَأَبْلَاهُ جِسْمِي فِي طَلَابِكِ إِبْلَالَ

٨ - والقصيدة الميمية التي رثى بها أمه أيضاً ، ومطلعها ^(٢) :

سَمِعْتُ نَعِيَهَا صَمِيَّ صَمَامٍ
وإنْ قَالَ الْعَوَازِلُ لَا هَمَامٍ

فإن كنتيها قبلتنا بعد عودته من العراق سنة ٤٠٠ هـ وفي الميمية ذكر قبائل عامر ، ودعا عليها . وهذا يدل على أنها قيلت أيام الفتنة العاصرية الطائفة .

٩ - والقصيدة التي رثى بها جعفر بن علي بن المهذب ، ومطلعها ^(٣) :

أَحْسَنُ بِالْوَاكِدِ مِنْ وَجْدِهِ
صَبْرٌ يُعِيدُ النَّارَ فِي زَنْدِهِ

وقد قيل إن جعفرأ هذا توفي نحو سنة ٤٣٥ هـ .

١٠ - والقصيدة التي مطلعها ^(٤) :

كَيْتَ الْجِيَادِ خَرَسْنَ يَوْمَ جُلَاجِلٍ
وَرَزَقْنَ عَقْلًا فِي تَنَاقِبِ عَاقِلٍ

(١) التنوير على سقط الزند ج ٢ ص ١٣٧ وشروح الفط ق ٤ ص ١٧٢٥ .

(٢) التنوير على سقط الزند ج ٢ ص ٨٧ وشروح الفط ق ٤ ص ١٤٥٣ .

(٣) التنوير على سقط الزند ج ٢ ص ٢ وشروح الفط ق ٣ ص ١٠٠٦ .

(٤) التنوير على سقط الزند ج ١ ص ١٥٦ ، ٧ وشروح الفط ق ٢ ص

وفيها يقول :

لَا تَأْمَنَنَّ قَوَارِسًا مِنْ عَامِرٍ إِلَّا بِذِمَّةِ فَارِسٍ مِنْ وَائِلٍ

قال التبريزي : « يريد عامر بن صعصعة ، وهم المستولون على الجزيرة والعراق والشام ، وكان في الدمر الأول بقية من آل حمدان بجلب ، وهم من وائل بن قاسط . وكانت هذه القصيدة مدحاً لرجل وائلي من أولاد سيف الدولة . . . »

وقال البطليمي : « وإنما قال هذا للفتنة التي كانت هاجت في ذلك الوقت في بلاد الشام وما والاها ؛ وقد ذكرها بقوله :

وَلَا فِتْنَةَ طَائِيَّةِ عَامِرٍ يُحَرِّقُ فِي زِيرَانِهَا الْجَعْدُ وَالسَّبْطُ

وكان بنو عامر بن صعصعة مستولين على العراق والجزيرة والشام ، وذكر وائلا لأنه كان بجلب إذ ذاك بقية من آل حمدان ، وهم من قنبل بن وائل بن قاسط »

وكانت هذه الفتنة ابتدأت سنة ٤١٤ هـ ، حين اتفق صالح بن مرداس من عامر بن صعصعة ، وحماد أمير طيء ، وسمان بن عليان أمير بني كلب كما تقدم ، فتكون هذه القصيدة قيلت ما بين سنة ٤١٤ هـ وسنة ٤٢٠ هـ ولكن بشكل على هذا أن بني حمدان لم يكن لهم في حلب في ذلك العهد ملك ولا إمارة فتأمل .

ما فانه في العهد الثاني ، وهو في لزوم ما لا يلزم

وهذا النوع ينقسم إلى قسمين : قسم 'علم' زمنه من الحوادث التي قيل فيها ، أو ذكرت فيه ، أو كان له اتصال بها . وقسم 'علم' زمنه من الزمن الذي ذكر فيه .

فمن الأول :

١ - قوله :

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى أَنِّي رَجَعْتُ إِلَى هَذِي الْبِلَادِ وَلَمْ أَهْلِكْ بِبَغْدَادٍ^(١)

٢ - وقوله :

سُئِمْتُ يَا هِمَّةَ قَدْ عُدْتَ شَامِئَةً مِنْ بَغْدِمَا أَوْ طُنْتَ عَصْرًا بِبَغْدَادٍ^(٢)

فالبیتان صريحان في أنها قبلا بعد عودته من بغداد .

٣ - والقصيدة التي أولها :

أَتَتْ جَامِعَ يَوْمَ الْعَرُوبَةِ جَامِعًا تَقْصُّ عَلَى الشُّهَادِ بِالْمَضِرِّ أَمْرَهَا^(٣)

فلما قيلت في حادثة الماخور في المرة سنة ٤١٨ هـ .

٤ - ومنها الأبيات التي يقول فيها :

بُعِثْتُ شَفِيعًا إِلَى صَالِحٍ وَذَلِكَ مِنَ الْقَوْمِ رَأْيِي قَسَدٌ^(٤)

٥ - والأبيات التي يقول فيها :

فَجِئْتُ الْمَعْرَةَ مِنْ بَرَاثِنِ صَالِحٍ رَبُّ يُفَرِّجُ كُلَّ أَمْرٍ مُفْضِلٌ^(٥)

فانها قيلت بعد حادثة الماخور المذكورة .

(١) القزوينيات هـ س ١٦٦ .

(٢) المصدر السابق س ١١٧ وفيه : » ... لامة عادت شامئة ... « (٢) .

(٣) المصدر السابق س ١٣٨ وجامع الأول: المرأة الحامل . ويوم العروبة : بفتح العين، الجسة .

(٤) البيت الثالث من لزومية مطلقها :

تَنِيْتُ فِي مَقَلِّي بِرَهْمَةٍ سَجَرِ الْيُوبِ قَبْدِ الْحَدِّ

القزوينيات هـ س ١١٦ .

(٥) البيت الثاني من لزومية مطلقها :

آلَيْتُ أَرْهَبَ فِي قَبْسٍ مَمُورٍ نَأْكَوْنُ شَارِبِ خَنْظَلٍ مِنْ خَنْظَلٍ

القزوينيات هـ س ٢٢٠ وفيها : د لحي الحاضر ... هـ .

٦- ومنها الأبيات التي يقول فيها :

أَرَى حَلَبًا حَارَها صَالِحٌ وَجَالَ سِنَانٌ عَلَى جِلْقًا^(١)

فقد تقدم أن صالحاً استولى على حلب سنة ٤١٤ هـ .

٧- والأبيات التي يقول فيها :

وَالرَّمْلَةُ الْبَيْضَاءُ غَوْدِرَ أَهْلِهَا بَعْدَ الرِّقَاعَةِ يَأْكُلُونَ قَفَارَهَا^(٢)

٨- والأبيات التي يقول فيها :

أَلَمْ تَرَ طَيْثًا وَبَنِي كِلَابٍ سَمَوْا لِبِلَادٍ غَزَّةَ وَالْعَرِيشِ^(٣)

٩- والأبيات التي يقول فيها :

إِذَا عَامِرٌ تَبِعَتْ صَالِحًا وَزَجَّتْ بَنُو مُرَّةَ الْحَرْدُبَا^(٤)

١٠- والأبيات التي يقول فيها :

قَدْ أَشْرَعَتْ سِنْبِسٌ ذَوَابِلَهَا وَأَرْهَفَتْ بُخْمَرٌ مَعَابِلَهَا^(٥)

(١) البيت الرابع من لزومية مطلبها :

لديناك حنٌّ على أننى

الزرويات هـ ص ٣٠٥ .

(٢) البيت السابع من لزومية مطلبها :

ما لتسام لا تمل قارها

الزرويات هـ ص ١٤٣ .

(٣) الزرويات هـ ص ٣٢٧ .

(٤) البيت الخامس من لزومية مطلبها :

يؤدبك الدهر بالحادثات

الزرويات هـ ص ١٤٤ .

(٥) الزرويات هـ ص ٢٠٨ .

أرى حنبا حنأ مخلقا

والشهب نألف سيرها وسفارها

إذا كان شيخناك ما أدبا

١١ — والأبيات التي يقول فيها :

وَبِالرَّمْلَةِ الشَّعْثَاءِ شَيْبٌ وَوَلَدَةٌ أَصَابَهُمْ مِمَّا جَنَيْتَ الدَّهَارِسُ^(١)

١٢ — والأبيات التي يقول فيها :

أَزَايِلَ الْمَلِكُ آلَ كِسْرَى وَصَارَ بِالشَّامِ عَامِرِيَا^(٢)

فهذه الأبيات التي يذكر فيها صالحاً ، وعامراً ، والرمة . وسينس ،
وئجتر ، ونحوها كلها قيلت في عهد فتنة صالح ورحان وسان وبعدها .

١٣ — والأبيات التي رثى بها الوزير أبا القاسم المغربي المتوفى سنة

٤١٨ هـ وفيها يقول :

يَا أَبَا الْقَاسِمِ الْوَزِيرَ تَرَحَّلْتَ وَخَلَفْتَنِي ثَقَالَ رَحَايَه^(٣)

١٤ — والأبيات التي قالها في موت ملك مصر الحاكم بأمر الله المتوفى

سنة ٤١٠ هـ وفيها يقول :

(١) البيت الساج من لزومية مطلبها :

تعداد للنساء والهجور دراس ولا يمنح المطروق بلب وحارس
ودهارس : واحدا دهرس وهي الداهية .

انظر الزوميات هـ س ٣١٠ .

(٢) آخر لزومية مطلبها .

— اء برىا من البرايا من لبس الدين صابرا

الزوميات هـ س ٣٤٤ .

(٣) البيت الثاني من لزومية أولها :

لبس يلقى الضرب الطويل على الدهر — ولا ذو البلاء الدراجبه

الزوميات هـ س ٣٤٦ .

مَضَى قَيْلٌ مِصْرَ إِلَى رَبِّهِ وَخَطَى السِّيَاسَةَ لِلْخَائِلِ^(١)

١٥ - والآيات التي يقول فيها :

مَالِي وَلِلنَّفَرِ الَّذِينَ عَمِدْتُهُمْ بِالْكَرْخِ مِنْ شَاشٍ وَمِنْ إِيْلَاقٍ^(٢)

• • •

سَيَمُوتُ مُحَمَّدٌ وَيَهْلِكُ إِلِكُ وَيَدُومُ وَجْهُ الْوَاحِدِ الْخَلَّاقِ

فإنها قيلت بعد رجوعه من بغداد ، وقبل وفاة محمود ، وقد كانت وفاته سنة ٤٢٢ هـ .

١٦ - وقصيدته الحائية التي مطلعها :

عَدَوْتُ مَرِيضَ الْعَقْلِ وَالَّذِينَ فَالِقَنِي لِتَسْمَعَ أَنْبَاءَ الْأُمُورِ الصَّحَائِحِ^(٣)

فإن داعي الدعاة كاتبه من أجلها ، وذكر في كتابه الثاني أنه كاتب تاج الأمراء أن يجري على أبي العلاء رزقا يكشف به غاشية الضرورة عنه . وقد كانت ولاية تاج الأمراء سلب سنة ٤٣٤ هـ ثم نزل عنها سنة ٤٤٩ هـ . وذكر أبو العلاء في جوابه لداعي الدعاة أنه عجز عن القيام

(١) البيت السابع من لزومية أولها :

عجبت وكم عجب في الزمان لرأي بني دهر كالفائل

اللزوميات هـ ص ٢٢٤ .

(٢) من لزومية أولها :

أما الحبيبة فهي أني فاهب واهد يسلم بالذي أنا لاق

اللزوميات هـ ص ٣٠٨ .

(٣) اللزوميات هـ ص ٨١ ، وفيها : « عدوت » ، بضم التاء .

إلى الصلاة ، وأنه ما أكل شيئاً من حيوان خسا وأربعين سنة ؛ فهذا يدل على أن هذه القصيدة قبلت نحو سنة ٤٤٥ هـ .

١٧ - وقوله :

مَحْمُودُنَا اللَّهُ وَالْمَسْعُودُ خَائِفُهُ قَعْدٌ عَنْ ذِكْرِ مَحْمُودٍ وَمَسْعُودٍ^(١)
مَلِكَانِ لَوْ أَنَّنِي خَيْرْتُ مُلْكَهُمَا وَعُودٌ حَلَبَ أَشَارَ الْعَقْلِ بِالْعُودِ

فان مسعود بن محمود التوفي سنة ٤٢٢ هـ ولي بعد أبيه وقتل سنة ٤٣٠ هـ فتكون هذه الأبيات خلال الفترة التي بين ملك مسعود وقته .

ومن الثاني نوع قاله بعد أن بلغ الأربعين ومنه :

١ - الأبيات التي يقول فيها :

وَمَا بَعْدَ مَرٍّ الْخُمْسَ عَشْرَةَ مِنْ صَبَا

وَلَا بَعْدَ مَرٍّ الْأَرْبَعِينَ صَبَاهُ^(٢)

وكيف تلا في الذي فات بعدما تَلَفَعَ نِيرَانُ الْحَرِيقِ هَبَاهُ
فإنها قبلت سنة ٤٠٣ هـ أو بعدها .

٢ - ومثلها قوله :

شَرِبْتُ سِنِي الْأَرْبَعِينَ تَجَرُّعاً

فَيَا مَقْرَأَ مَا شَرِبُهُ فِي نَاجِعٍ^(٣)

(١) الزوميات هـ س ١١٠ .

(٢) مطلع الزومية :

أولو الفضل في أوطانهم غرباء تفذ وتأي عنهم الغرباء
الزوميات هـ س ٢٠ وفيها : هـ .. نيران الحريق أبداً ، والأبداً : الصبر ،
الواحدة أبادة .

(٣) البيت الخامس من لزومية أولها :

هي النفس عناها من الدهر ناجع برزها وخاضها لتطرب ساجع

الزوميات هـ س ٢٨١ ، والتمر : الصبر .

٢ - وقوله :

وَرَمَيْتُ أَغْوَامِي وَرَأَيْتِي مِثْلَمَا رَمَتْ الْمَطْيُ مَهَامَةَ الشُّقَارِ^(١)
وَرَكِبْتُ مِنْهَا أَرْبَعِينَ مَطِيَّةً لَمْ تَخْلُ مِنْ عَمَتٍ وَسُوءِ نِفَارٍ

ونوع قاله بعد أن بلغ الحسين رمنه :

٤ - الأبيات التي يقول فيها :

فَمَا لِي وَقَدْ أَدْرَكْتُ خَنْسَةَ أَعْقَدُ أَيْبَنِي وَيِنَّ الْحَادِثَاتِ عُقُودُ^(٢)

٥ - والأبيات التي يقول فيها :

أَحْمَسِينَ قَدْ أَفْنَيْتُمُ النَّاسَ نَافِعِي بِتَأْخِيرِ يَوْمٍ أَنْ أَعْضَّ عَلَى خُمْسٍ^(٣)

٦ - والأبيات التي يقول فيها :

لَا خَيْرَ مِنْ بَعْدِ خُمْسِينَ أَنْقَضَتْ كَمَلًا

فِي أَنْ تُعَارِسَ أَمْرَاضًا وَأَرْعَاشًا^(٤)

(١) اللادس والسابع من لزومية أولها :

يَا أُمِّ دُفْرٍ إِنْ أَاكَرْتِ عَنْ أَمَةٍ وَخَطَكِ أَنْ يَغَالِ دُفْرُ
اللزوميات ٥ س ١٦٢ .

(٢) البيت الثاني من لزومية مطلبها :

حِيَاتِي بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ مَنِيَّةٍ وَوَجْدَانِ حَلَفِ الْأَرْبَعِينَ نَفْوَدِ
اللزوميات ٥ س ٩١ .

(٣) الثالث من لزومية أولها :

لَا مَا غَضِبَ غَاضِبَتْ كُلَّ رِيَّةٍ وَكَانَتْ بَلِيسَ لَا تَقَرُّ عَلَى النَّاسِ
اللزوميات ٥ س ٢٩٢ .

(٤) اللزوميات ٥ س ٣٢٦ .

٨ - والتي يقول فيها :

عَلِقْتُ بِحَبْلِ الْعُمَرِ خَمْسِينَ حِجَّةً

فَقَدْ رَثْتُ حَتَّى كَادَ يَنْصَرِمُ الْحَبْلُ^(١)

وقال التبريزي (ج ١ ص ٨٣) : قال أبو العلاء للفتية عبد الوهاب المالكي :

فِيالْيَتَنِي أَهْدَيْتُ خَمْسِينَ حِجَّةً

مَضَتْ لِي فِيهَا صَحِيٌّ وَشَبَابِي

٩ - ونوع قاله بعد أن جاوز الخمسين وهو في طريقه إلى التين ومنه قوله :

لَعَمْرِي لَقَدْ جَاوَزْتُ خَمْسِينَ حِجَّةً

وَحَسْبِي عَشْرٌ فِي الشَّدَائِدِ أَوْ خُمْسُ^(٢)

١٠ - وقوله :

إِذَا كُنْتُ قَدْ جَاوَزْتُ خَمْسِينَ حِجَّةً

وَلَمْ أَلْقَ خَيْرًا فَاَلْمَنِئَةُ لِي سَتْرُ^(٣)

(١) الثامن من لزومية مطلبها :

إذا شئت أن ترق جدارك مرة
لأمر فأذن جار بيتك من قبل
اللزوميات ٥ ص ١٩٤ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٣٢ .

(٣) السادس من لزومية أولها :

تداولني صبح ومسي وحنس
وسر عليّ اليوم والند والأمس
اللزوميات ٥ ص ٣٠٩ .

(٤) اللزوميات ٥ ص ١٢٠ .

ونوع قاله بعد أن بلغ الستين فما فوقها ، ولكن هذا لم يرد في ديوانيه (سقط الزند) و (لزوم ما لا يلزم) وإنما رواه المؤرخون والعلماء ؛ فمن ذلك قوله من أبيات رواها الذهبي ^(١) :

أَتَتْنِي مِنَ الْأَيَّامِ سِتُّونَ حِجَّةً وما أَمْسَكَتْ كَفِّي بِشْنِي عِنَانِ

وقوله من أبيات رواها مبط ابن الجوزي في (مرآة الزمان ص ١٦١) :

سَرْتُ ثَمَانِينَ طَالِبًا أَجَلِي وَالْحَيْنُ إِثْرِي كَأَنَّهُ حَادٍ

وقوله مما رواه دولت شاه ^(٢) :

مَنْ رَأَاهُ سَبَبٌ أَوْ هَالَهُ عَجَبٌ فَلِي ثَمَانُونَ حَوْلًا لَا أَرَى عَجَبًا



(١) تاريخ الإسلام ص ١٣٤ ، وذكرها البيهقي في قائم شعر أبي العلاء ص ١٤ ، ورواية البيت فيه : « وما أَمْسَكَتْ كَفَايَ نَشِي عِنَانِ » .

(٢) من تذكرة دولت شاه ص ٢٥ ط لندن ، وذكره البيهقي في قائم شعر أبي العلاء ص ٣ .

آثار أبي العلاء

وصفها — در۱-تھا — موضوعانھا — شعبة العربی فیہا^(۱)

(۱) انظر سرد آثار أبي العلاء ص ۶۹۶ وما يليها .

ديوان الفزل

قلنا : إتنا عثرنا في دار الكتب الظاهرية في دمشق على ديوان لأبي
العلاء ؛ وقد جاء فيه بعض الأبيات تختل الوزن ، وبعضها فاسد الإعراب
قلق المعنى ، وبعضها ضعيف التأليف ، وليس فيه ما يدل دلالة قطعية
على أنه لأبي العلاء المعري التنوخي ، وإنما يجد الباحث فيه أمارات تسوغ
نسبته إليه .

منها ما كتب على ظهره ، وما ذكر في مقدمته من نسبه إليه ، ومنها
التزامه حرفاً واحداً في أول كل بيت وآخره من جميع أبيات القصيدة ،
وأبو العلاء مولع بمثل هذا التكلف لإظهار قدرته اللغوية والأدبية ، ومنها
اشتغال الديوان على كثير من المحسنات البديعية كالجناس في قوله :

أُمُوتُ اسْتَيَّاقَاتِمُ أَحْيَا لَشَقَوْتِي كَذَلِكَ حَيَاةُ الْعَاشِقِينَ شَقَاءُ

والطباق في مثل قوله :

بَعِيدٌ عَلَى أَنَّ الدِّبَارَ قَرِيبَةٌ فَحَتَّى مَتَى بِالْبُعْدِ تَعْرِجُ لِي الْقُرْبَا

والتلميح في مثل قوله :

يَيْسْتُ مِنَ السُّلُوَانِ حَتَّى نَكَبْتُهُ قَلَوَا أَنِّي غَيْلَانُ مَا سُلَيْتَ مَيَّ

وإرسال المثل في مثل قوله :

ثَمَارُ الْمَنَى مَنْ يَجْنِيهَا ذَوْنَ إِلْفِهِ يَجِدُ طَيِّبَاتِ الْعَيْشِ مِثْلَ الْخَبَائِثِ

والغلو في مثل قوله :

حَسَانُ الدُّمَى تَصْبُو إِلَى حُسْنٍ وَجْهِهِ
وَصَلَدُ الصَّفَا مِنْ لَمَسٍ كَفَيْهِ يَرْشَحُ

وفيه أنماط من الغزل العفيف كقوله :

زَرَرْنَا عَلَى غَيْرِ الْفَوَاحِشِ قَدْ صَمَّا وَأَمْ نَسْتَجِزُ إِلَّا الَّذِي هُوَ أَجْوَزُ

وفيه أبيات جمعت قوة التأليف وإحكام الرصف إلى طلاوة الديباجة
وحدن الانسجام ، مع شرف المعنى كقوله :

لَبِسْتُ الضَّمْنَى حَتَّى تَبَدَّلَتْ صُورَةٌ سِوَى صُورَتِي وَالْحُبُّ لَا يَتَبَدَّلُ

. . .

مَوَارِدُكُمْ أَشْهَى إِلَى الْحَائِمِ الصَّدِيِّ وَلَوْ أَنَّهَا شَيَّبَتْ بِسْمِ الْأَرَاقِمِ

. . .

فَيَا أَسَفَا مَا لِلْمَغَانِي كَأَنَّهَا سُطُورٌ تَحْمَاهَا الدَّهْرُ غَيْرُ حُرُوفِ

. . .

فَقَدْتُ شُمُوساً كُنْتُ أَجْلُوبُهَا الدُّجَى إِلَى أَنْ أَصَابَتْنِي النَّوَى بِكُسُوفِ

. . .

بِرَانِي هَوَى الظُّبْيِ الْغَرِيرِ وَقَادَنِي ذَلِيلًا وَكَمْ رَاضِ الْهَوَى جَائِحًا صَغْبَا

. . .

فهذا وأمثاله يجوز أن يكون هذا الديوان من شعر أبي العلاء ،
وأنه سلى نفسه في بغداد ، كما سلى نفسه فيها بقصيدته :

مِنْكَ الصَّدُودُ وَمِنْنِي بِالصَّدُودِ رَضِيَ

مَنْ ذَا عَلَمِي بِهَذَا فِي هَوَاكِ قَضَى^(١)

ولا يردُّ على هذا ما في بعض الأبيات من الزمن ، فإن الشاعر يتفاوت
شعره في القصيدة الواحدة في قوة التأليف ، وجمال الديباجة ، وإحكام
التشبيه ، ولطف الكناية ، والسلامة مما يؤخذ به . وإذا عرفنا أن
الأبيات المذكورة هي في الغزل ، وأن أبا العلاء لم يكن غزلاً ولا
عاشقاً هان علينا أن نجد التفاوت في أبياته في هذا الديوان .

ويقابل هذه الأمارات أمارات تُبمد أن يكون هذا الديوان لأبي العلاء
منها قوله في المقدمة : « قال أبو العلاء . إنه كان ببغداد وكان يتشوق
إلى حلب ونواحيها ونظم هذا الديوان . . . » .

وهذه المقدمة ليست من كلامه ، وليس في الديوان كله ذكر حلب
ولا شيء من التشوق إليها أو إلى نواحيها .

ومنها أننا لم نر أحداً ذكر هذا الديوان في فهرس كتب أبي العلاء .
ومنها ما في الديوان من اللحن والخروج عن أئنة النحو والصرف
كما في قوله :

إِذَا كُنْتَ خِلْوَاً فَأَعْذِرِ الصَّبَّ فِي الْهَوَى

فَمَا الْمُبْتَلَى وَالْمُسْتَرْحُ سَوَاهُ

بضم « سواه » للروي ، وقوله :

ذَهَبْتُ وَقَدْ سَدَّ الْفِرَاقُ مَذَاهِي وَقَلْبِي إِلَى نَحْوِ الْأَحِبَّةِ مُجْبَذُ

وقوله :

ظَنَنْتُ وَقَلْبِي فِي يَدَيْكَ وَدِيعةً فَهَلْ أَنْتَ لِلْمُسْتَوْدَعَاتِ حَفُوظُ
ظَنَنْتُ بَانَ الدَّهْرَ يَبْقَى مُسَالِمًا وَهَيْهَاتَ حَرْبِ النَّائِبَاتِ كَطُوظُ^(١)

ولم أر أحداً ذكر لفظ « مجبذ » ولا « حفوظ » ولا « كطوظ » .
ويحتمل أن تكون هذه الكلمات عبثت بها أيدي الذمخ فحرفت الأولى
عن « مجبذ » والثانية عن « حفيظ » والثالثة عن « كطيظ » أو « لطيط » ،
ويحوز أن تكون أوزان مبالغة على رأي من قال : إن أوزان المبالغة
مقيدة في كل فعل متعدد ثلاثي .

وفيه استعارات غثة لا يقبلها الذوق السليم كقوله :

رَشَّاصَامٌ عَلَوْا فَادَّعَتْ يَثْرَبُ الْحِشَا

وَأَفْطَرَ سُفْلًا فَادَّعَتْ رِدْقَهُ مِصْرُ

وفيه أبيات سخيفة التأليف كقوله :

ذَوَائِبُهُ مِسْكٌ ثَنَائِيَاهُ لَوْلُو وَخَدَاهُ تَبْرٌ وَالْعِدَارُ زُمْرُدُ

وقوله :

شَوَيْدِنُ أَنْسٍ صَادَقَلْبِي بِالْحِظْلِ وَطَاوُوسٌ حُسْنٍ فِي فُؤَادِي عَشْشَا

(١) كظه الأمر : يظه وكره وجهه ، والكظاظ : الفدة والصب والمارة
الشدبة في الحرب .

ولم أعلم أحداً شبه العذار بالزمرد ، ولا من شبه المحبوب بالطاووس ،
وإنما يشبه العذار بالنمل والنبت . ويشبه بالطاووس الثياب ، كما قال أبو العلاء
في (لزوم ما لا يلزم) :

فِي حُلِّي عُجْرٍ وَكَمْ أَشَبَّهَتْ ثِيَابُهَا حُلَّةَ طَاوُسٍ^(١)

وفيه كثير من الكلمات التي أصلحناها أو بدلناها بما يوافق المعنى والمقام .
ويظهر للتمائل أن أكثر الغزل في هذا الديوان بالذكر .

فهذا وأمثاله لا يستطيع الإنسان أن يحزم معه بأن هذا الديوان
لأبي العلاء . على أن معظم أبيانه من الشعر المتوسط ، وفيه ما يدل على
سعة اطلاع في اللغة ، وعلى براعة في تأليف الكلمات ، وقدره على التصرف
في فنون القول ؛ ولو سلم من التحريف والعبث لرأينا فيه من الروعة
والبراعة أكثر مما رأينا .

وقد كتبت مقالة نشرت في الصفحة (١١٦) من العدد ٣ من المجلد ١٨
من مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق) بينت فيها شيئاً مما في هذا
الديوان من الأغلاط وغيرها ؛ وذكرت شيئاً من الأمور التي توسع نسبته
إلى أبي العلاء ، وشيئاً مما يبعد نسبته إليه ، فراجعها إن شئت .

✱ ✱ ✱

ديوان سقط الزند ومقدمته

مقدمة^(١) سقط الزند، شخصية فيها

لأبي العلاء المعري خصائص نفسية يجب أن لا يتخلل عنها في كل فرصة تسنح له ، ويجب أن ينوء بها تصرّيحاً أو تلويحاً في كل أثر من آثاره الأدبية . وقد افتتح ديوانه (سقط الزند) بمقدمة ذكر فيها طائفة من تلك الخصائص كالدلالة على تواضعه ، وترفعه عن قبول الجوائز أو طلبها وتهانوه بالشعر ، واعترافه بما في شعره من غلو ، وإحداثه تقسيماً حديثاً في الشعر ، وابتكاره معاني وأخيلة جديدة ، والإشارة إلى نبغه وعبقريته ودهائه ، واعتداده بنفسه وبشعره ، وتجلّي هذه الأشياء في أمور ذكرها في المقدمة منها :

١ - تواضعه : ويظهر هذا من تسميته هذا الديوان بـ (سقط الزند) لأن سقط الزند ما وقع من النار حين يقدح .

وقال ابن سيده : سَقَطَ النار ما سقط بين الزندين قبل استحكام الوري وهذا يكون في الغالب ضعيفاً ولا يخرج من الزند إلا يحمّد وتكلف ، فشبه أبو العلاء طبعه بالزند ، وشعره في هذا الديوان بالسقط ؛ لأن فيه أول شعر أنشأه في شبابه ، وجادت به قريحته ؛ وأيد هذا بقوله :
« كنت في رُبَّانِ الحَدَاثَةِ وَجَنَ النَّشَاطِ مائِلاً . . . » [في صفو القريض] . . . ثم رَفَضْتُهُ رَفَضَ السَّقْبِ غَيْرَتُهُ . . . »^(٢) .

٢ - تعفّفه وترفعه عن الاستجداء بشعره أو قبول الجوائز عليه ، ويتجلّى هذا في مثل قوله : « ولم أطرف مَسَامِيعَ الرُّؤَسَاءِ بالنشيد ،

(١) هي وشرحها للتبريزي في شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٠ - ١٤ .

(٢) اللب بفتح أوله : ولد النافعة ساعة يولد . والنرس بكسر أوله : جليعة تكون على وجه الصبل ساعة يولد ، فان تركت عليه فتلته .

ولا مدحت طالباً للثواب . فالحمد لله الذي ستر .. ورزق شعبة من الغناعة أوفت على جزيل الوفر ... » .

٣ - رفضه الشعر بعد أن كان يعتده من مآثر الأديب ، وأشرف مراتب البليغ ، لأسباب بينها .

٤ - اعترافه بأن في شعره مبالغة وغلو .

٥ - توزيعه مافي اللحنان من غلو بين ما يحتمل صفات الله ، وما صلح لمخلوق ، وما كان محضاً من المين . لأنه في هذا التوزيع تبرأ من تبعة كل قول ، وفسح مجالاً واسعاً للتأويل . وهذا عمل داهية منكر .

٦ - اعتذاره بأن الشعر للخلد كالصورة للبد ، فلا يطالب الشاعر بتحقيق ماوصف به في شعره ، كما لا يطالب المصور بتحقيق ماصوره .

٧ - اعتداده بنفسه وبشعره ؛ ويظهر هذا جلياً في قوله : « وليس الري عن التشاف » فإنه يريد أن هذا القليل المدون من شعره يحصل به شرف البلاغة ، لأنه قد يدرك بالقليل ، كما أن الإنسان قد يروى من غير أن يشرب كل ما في الإناء . ويظهر أيضاً في قوله : « الثمرة الواحدة من الشجرة تدل على طعم ثمرة الشجرة كلها ، والنفحة الواحدة من خزاي الأرض تدل على رائحتها كلها » . وفي قوله : « والجيد من قيل الشعروا إن قل يظلب على رديته وإن كثر » .

فإن مجموع هذه الأقوال يدل على أن أبا العلاء يعد شعره جيداً وإن كان قليلاً . وهذا يدل على قوة الطبع ، ويحمل صاحبه في عداد البلغاء .

٨ - ابتكاره معاني لم يسبق إليها ، وهذا يظهر في مثل قوله : « الشعر للخلد كالصورة » وفي مثل قوله : « رفضته رفض السقب غرسه ، والرأل تريكتته .. » وقوله : « وليس الري عن التشاف » وقوله : « يملك يحنى الشجرة الواحدة من ثمرتها ، ويدلك على خزاي الأرض النفحة من رائحتها » .

فإن هذه المعاني كلها شريفة ، ولا نعلم أحداً سبق إليها أبا العلاء ؛
وفي كل منها من الدقة في التشبيه والإحكام والمطابقة ما لا يخفى على
عارف بصناعة الشعر .

سُطْرُ الرُّنْدِ

قدمنا أن أبياته تزيد على ثلاثة آلاف بيت ، وقد قال أبو العلاء
في مقدمته :

« وقد كُنْتُ في رَبَّانِ الحِدَاثَةِ ، وَجَنْ النِّشَاطِ مَائِلاً فِي صَفْوِ
الْقَرِيضِ ، اعْتَدْتُهُ بَعْضَ مَا يَرِ الأَدِيبُ ، وَمَنْ أَشْرَفَ مِرَاقِبِ الْبَلِغِ ، ثُمَّ
رَفَضْتُهُ رَفْضَ السَّقْبِ غَرَمَتِهِ ، وَالرَّأْيِ تَرِيكَتِهِ ، رَغْبَةً عَنْ أَدَبِ مُعْظَمِ
جَيْتِهِ كِذْبِ ، وَرَدِيثِهِ يَنْقُصُ وَيُجَدِّبُ . . . » إلى آخر المقدمة ، وقد
يُستنتج منها أمور :

أولها : أنه هو الذي تولى ترتيب هذا الديوان . وقد يعترض عليه بأنه
لم يحر في ترتيبه على ما يقتضيه التاريخ أو الفن ، فإنه لم يرتب قصائده
على مقتضى الزمن الذي قيلت فيه ، ولا رتبها على حسب الأغراض لأنه
لم يجمع كلاً من قصائد المدح والفخر والثناء وغيرها تحت عنوان واحد ،
وإنما خلط بعضها ببعض من غير سبب يبينه ؛ ولا رتبها على حروف الهجاء
ليسهل الرجوع إلى كل قطعة من كلامه .

ثانيها : أن كلامه في المقدمة يوهم أن كل ما في السقط كان في ربّان
الحداثة . ومن استقرى ما فيه وجد قصائد قالها في الكهولة والشيخوخة .
وقد بينا شيئاً من ذلك في تاريخ قصائده .

ثالثها : أنه لم يطرف مسمعاً الرؤساء بالنشيد ، ولا مدح طالباً
للثواب ؛ وإنما كان ذلك على معنى رياضة النفس وامتناع الطبيعة . وهذا

حق لا ريب فيه ؛ إذ لا يعرف شاعر ترفع عن التكسب بشعره مثل أبي
العلاء ؛ ولو أراد ذلك لنال من المال ما لم يتح لغيره . وقد عرض عليه
ذلك كما قدمنا فأبى ، واعتصم بجبل العفة ، وقنع بالفتنة .

النسخ التي اطلعت عليها من هذا الديوان :

- ١ — سقط الزند مع الدرعيات طبع في بيروت .
- ٢ — شرح التنوير طبع في مصر مرتين منفرداً .
- ٣ — ضرام السقط طبع في المجمع منفرداً .
- ٤ — ضوء القند نسخة مخطوطة .
- ٥ — نسخة سقط الزند خطية ، كانت لمم والدي أمين الجندي مفتي
دمشق ، كتبت منذ ستانة سنة وفيها بعض الصحائف بخط أحدث من
خط النسخة الأصلي .
- ٦ — نسخة طبعت في مصر تشتمل على (شرح السقط) للتبريزي
و (شرحه للبطليموسي) و (شرحه للخوارزمي) .

الطوب في سقط الزند

اللفظ : ألعنا فيما سبق إلى أن أبا العلاء أحاط من مفردات اللفظ
وشواردها ونوادرها بما لم يحيط به العرب الاتعاج ، واطلع من أساليب
البلاء وأسرار البلاغة على ما لم يطلع عليه غيره . فإذا حاول أن يأتي
بمعنى وجد لديه من الكلم الصالح للدلالة عليه ، والأساليب اللائقة لإفراغه
فيها مالا يتسنى لغيره بسهولة .

ولا تكاد تجد في كلامه على كثرة كلمة نابية ، أو لفظة خارجة عن
سنن البلاغة ، أو شاذة عن الآداب إلا ماندر ، ويجوز أن يكون ذلك
من عبث الرواة أو النساخ أو الشراح .

وجود الغريب في شعره

وقد قضى عليه حرصه على البديع وعلى إظهار ثروته اللغوية أن يأتي بكثير من الكلمات التي يجد في اللغة مأمور أطف منها وأرق . وقد زعم بعض الأدباء أنه كان يعتمد الغريب في (لزوم مالا يلزم) ليخفي أغراضه ، وجعل من خصائص شعره غموض الأغراض . . وقد بينا أن أبا العلاء لم يعتمد الغموض في شيء من شعره ، وإنما كثرة درسه الشعر الجاهلي والإسلامي ، وسعة اطلاعه على اللغة ، جعلته يأنس بما يراه غيره وحشياً . يدل على ذلك وجود الغريب في الدرعيات وغيرها ؛ على أنه وضع كتاب (ضوء السقط) وفسر فيه ما في (سقط الزند) من الغريب .

الحن في شعره

كان أبو العلاء واسع الاطلاع على قواعد النحو والصرف ، ومعرفة ما يحوز وما يتمتع . وقد تسرع بعض العلماء فخطأ في بعض التراكيب . وكان هو الخطيء في تحطته ؛ كما قيل ذلك في قوله :

يَذِيبُ الرُّغْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ فَلَوْلَا الْعِمْدُ بِمُسِكِّهِ لَسَالَا^(١)

وقد بينا ذلك في الكلام على لحنه وتحطته . ونزيد هنا على ما تقدم أنه كان بصيراً بأساليب البلاغة دقيق الملاحظة ، فلكل كلمة عنده مقام ، فلا يضع كلمة في موضع إلا لنكتة ، ولا يتخير نوعاً من أنواع التعبير إلا لغرض ؛ فانظر إلى قوله :

إِذَا سَمِعَتْ مُمْتَدَّةً يَمِينُ لِطَوْلِ الْحَمْلِ بَدَلَةً شِمَالَا^(٢)

فإن حق الكلام بحسب الظاهر أن يقول : إذا سمعت ممتدة يمينه بدله شماله . لكن ذلك فيه نسبة السامة إلى يمين المدوح وشماله ، فكره ذلك

(١) مروح سقط الزند : ق ١ ص ١٠٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٠ .

وأتى باللفظين منكترين ، والنكرة منها تفيد فائدة المعرفة ، لأن هذا البيت من قصيدة مدح بها سعيد الدولة ، وقبله يقول :

وَيُضْحِي وَالْحَدِيدُ

فَيُفْنِي الدَّرْعَ

يَبِيتُ مُسْتَهْدَأً

إِذَا سَمِيتُ مُهَنْدَةً (١)

وتعريف مهنده بالإضافة ينوب عن تعريف بين وشمال ، وإذا لم ينتبه الناظر إلى مثل هذا ، فربما خطأ المرء في هذا البيت فتأمل .
(وراجع مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ج ١ ص ٣٥٤) .

الاقتضاب في شعره

كان أبو العلاء بعيد النظر ، دقيق الملاحظة ، يدرك من المناسبات اللطيفة ، والروابط الدقيقة التي بين أبياته ما لم يدركه إلا الراسخون في العلم .

وكان يحذف بعض الأبيات من شعره الذي في (سقط الزند) فلا تظهر مناسبة بين السابق واللاحق من كلامه ؛ فتوهم بعض العلماء أن في كلامه اقتضابا لحفاء العلاقة والمناسبة ، ولا يظهر للتأمل شيء من الاقتضاب في كلامه الذي لم يحذف منه شيء .

(١) تمام الأبيات :

وَنَكَبَ مَهَابَهُ الزَّالَا عَلَيْهِ شَاك
مَحَاباً وَالرَّدِيئِ اعْتَضَالَا لِبِأً وَالْيَأْسَ
بُضُورِ الصَّبْحِ خَافَهُ ابْنَالَا وَاللَّيْلِ يَدْعُو

الطهارة ، وادغام الرصف ، وجمال الديباجة في شعره

والناظر في (سقط الزند) يجد كثيراً من الأبيات التي جمعت أناقة التأليف ، وحسن الانسجام ، إلى رشاقة الألفاظ ، ونبل المعنى ؛ حتى كانت آية في الروعة ، وحسن الوقع في السمع ، وصل الديباجة .
كقوله :

وَالْحُسْنُ يَظْهَرُ فِي شَيْئَيْنِ رَوْنَقُهُ

بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ ^(١)

وَالنَّجْمُ تَنْصَغِرُ الْأَبْصَارُ رُؤْيَاهُ

وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّغْرِ ^(٢)

إِذَا كُنْتَ تَبْغِي الْعِزَّ فَابْغِ تَوَسُّطاً

فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ الْمَتَّاعُولُ ^(٣)

وسنرى في الأبيات الآتية من شعره ما يدل على أنه أتى بما لم تستطع الأرائل .

الفن في شعره

لأبي العلاء في باب التشبيه صور رائعة ، ولا يستكثر على مثله أن يحود في التشابه المعنوية ؛ وإنما الغريب أن نرى في تشبيهاته في الأمور المحسوسة ما يعجز عن مثله كثير من البصراء من الدقة والإحكام والإحاطة بكل ناحية ظاهرة أو خفية ؛ بحيث لا تفوته حركة ولا سكون ، ولا

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٢٩ وفيها : « فالحسن » .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٢ وفيه : « . . . الأبصار صورته » .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٥٢ وفيها « وإن كنت تهوى العيش فابغ توسطاً » .

يستمعي عليه لون . وربما وهب للشبه أو المشبه به حياة لم تكن له ،
وخلع عليه من صفات الأحياء ما يخیل إلى القارىء أنه حي حقيقة ؛
كل ذلك مع إحكام في الرصف ، ورشاقة في الألفاظ .

ومن ذلك قوله في وصف عرق الفرس :

تَرَى أَعْطَافَهَا تَرْمِي حَمِيمًا كَأَنْجِنِحَةَ الْبُرْأَةِ رَمَتْ نُسَالَاً ^(١)

وقوله في وصف الظلام :

وَجُنَحٌ يَمْلَأُ الْفَوْدَيْنِ شَيْبًا وَلَكِنْ يَجْعَلُ الصَّخْرَاءَ خَالَاً ^(٢)

وقوله في وصف السيف :

مُحَلَّى الْبُرْدِ تَحْسِبُهُ تَرْدَى نَجُومَ اللَّيْلِ وَانْتَعَلَ الْهِلَالَاً ^(٣)

وقوله في وصف سيف :

وَكُلُّ أَيْضٍ هِنْدِيٍّ بِهِ شُطْبُ مِثْلُ التَّكْثُرِ فِي جَارٍ بِمُنْحَدِرٍ ^(٤)

.....

رَوْضُ الْمَنَاءِ عَلَى أَنْ الدَّمَاءُ بِهِ وَإِنْ تَخَالَفْنَ أَبْدَالُ مِنَ الزَّهْرِ

وقوله في وصف نار :

حُمْرَاءُ سَاطِعَةِ الدَّوَابِّ فِي الدَّجَى تَرْمِي بِكُلِّ شَرَارَةٍ كَطِرَافٍ ^(٥)

وقوله في أعناق إبل :

وَقَدْ دَقَّتْ هَوَادِيْنٌ حَتَّى كَأَنَّ رِقَائِنَ الْخَيْزُرَانِ ^(٦)

(١) فروع سقط الزند ق : ١ ص ٤٧ .

(٢) للمصر السابق ص ٧٢ .

(٣) للمصر السابق ص ٩٩ .

(٤) للمصر السابق ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٥) فروع سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٠٧ .

(٦) فروع سقط الزند ١ في ٩ ص ١٨٢ .

وقوله في وصف أعجاز الخيل إذا أسرع :

كَأَنَّ قَطَاةَ أَعْجَزَهَا قَطَاةٌ أَدِيفَ بِمَحْجَرَتِهَا الزَّعْفَرَانُ^(١)

وقوله في وصف الهلال :

فَصِيمٌ نِصْفُهُ فِي الْمَاءِ بَادٍ [وَنِصْفٌ فِي السَّمَاءِ بِهِ تُزَانُ]^(٢)
كَأَنَّ اللَّيْلَ حَارَبَهَا قَفِيهِ هِلَالٌ مِثْلُ مَا انْعَطَفَ السَّنَانُ
وَمِنْ أُمَّ الذُّجُومِ عَلَيْهِ دِرْعٌ يُحَازِرُ أَنْ يُعْزِقَهَا الطَّعَانُ

وقوله في وصف الربيع :

وَكَسَا الْأَرْضَ خِدْمَةٌ لَكَ يَأْمُو لَاهُ دُونَ الْمُلُوكِ حُضْرَ الْحَرِيرِ^(٣)
فَمَيَّ تَخْتَالُ فِي زَبْرِ جَدَّةٍ خَضْرَاءُ تُغْدَى بِلُؤْلُؤٍ مَنثورِ

وقوله في وصف البرق في سواد الليل وتتابع لماعته :

كَمَّا أَغْضَى الْفَتَى لِيَذُوقَ عُضْضًا فَصَادَفَ جَفْنُهُ جَفْنًا قَرِيحًا^(٤)
إِذَا مَا اهْتَجَ أَحْمَرُ مُسْتَطِيرًا حَسِبْتَ اللَّيْلَ زَنْجِيًا جَرِيحًا

وقوله في وصف الدرع :

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٠٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٣١ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٣٩ - ٤٠ .

كَأَثْوَابِ الْأَرَاْقِمِ مَزَقَتْهَا فَخَاطَطَهَا بِأَعْيُنِهَا الْجَرَادُ^(١)

وقوله فيها :

إِذَا طَوَّيْتَ قَالَ الْقَعْبُ يُجْمَعُ شَمْلُهَا وَإِنْ تُثَلَّتْ سَأَلَتْ مُسِيلَ ثِمَادٍ^(٢)

وقوله فيها :

غَدِيرٌ نَقَّتِ الْخَرَصَانُ فِيهِ نَفِيقٌ عَلَاجِمِ وَاللَّيْلُ دَاجٍ^(٣)

وقوله فيها :

مَنْ يَشْتَرِيهَا وَهِيَ قَضَاءُ الذَّيْلِ كَانَهَا بَقِيَّةً مِنَ السَّيْلِ^(٤)

وقوله فيها :

كِهْلَالِ الْحَيَاةِ أَوْ كَقَمِيصٍ لِهْلَالِ الْحَيَاتِ غَيْرِ مَجُوبٍ^(٥)

وقوله في وصف الليل وبعض النجوم :

لَيْلَتِي هَذِهِ عَرُوسٌ مِنَ الزَّوْجِ — جِ عَلَيَّهَا فَلَا تَدْنِ مِنْ جُحْمَانٍ^(٦)

.....

وَسَهْلٌ كَوْنُجَتِ الْحُبِّ فِي اللَّوْنِ نِ وَقَلْبِ الْحُبِّ فِي الْخَفَقَانِ

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٠٥

(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٥٥ .

(٣) الصدر السابق ص ١٧٦٤ .

(٤) الصدر السابق ص ١٨١٢ . والبيت مظم قصيدة من السريح على لسان رجل ينادي على درعه من يفتريها .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٩٢٢ . وهلال الأول : قليل من الماء . وهلال الثانية : ذكر الحيات . وجبت قميص : فوَّرت جبيه .

(٦) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٤٢٩ ، ٤٣٣ - .

مُسْتَبَدًّا كَأَنَّهُ الْفَارِسُ الْمَغْلَمُ يَبْدُو مُعَارِضَ الْفَرَسَانِ
يُسْرِعُ اللَّمَحَ فِي أَحْمَرَارٍ كَمَا تُسْرِعُ فِي اللَّمَحِ مُقْلَةُ الْغَضْبَانِ

وذكر الصفي في (نكت الميمان ص ٨٣) أن الجاحظ أورد
بيتاً للأعشى وهو :

يَبْضَاهُ ضَخَوْتَهَا وَصَفَرَاهُ الْعَشِيَّةَ كَالْعَرَارِ
وبيتا لبشار وهو :

فَإِذَا دَخَلْتَ تَقْنَعِي بِالْحَسَنِ إِنَّ الْحَسَنَ أَحْمَرُ

ثم قال : وهذان أعيان قد اهتمتيا من حقائق الأمور إلى ما لا يبلغه
تيز البصراء ، ولبشار خاصة في هذا الباب ما ليس لأحد . ثم قال
الصفدي : قلت : تعجب الجاحظ من قول الأعشى وبشار ، وكيف به
لو سمع قول أبي العلاء المري ؟ ثم أورد هذه الأبيات وبعدها قوله :

وَلَا حَ هِلَالٌ مِثْلُ نُونٍ أَجَادَهَا

بِجَارِي النَّضَارِ الْكَاتِبُ ابْنُ هِلَالٍ^(١)

ولأبي العلاء في وصف الليلة :

كَأَنَّمَا هِيَ إِذْ لَأَحْتَنَ كَوَاكِبُهَا

خَوَذَ مِنَ الزَّوْجِ نَجْرًا تُجْلَى وَشَحَّتْ خَضَضًا^(٢)

(١) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٩٧ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٥٧ ، والمضض : خرز أبيض تلبه الإمامه .

وفي وصف الهلال :

وَاهْجُمَ عَلَى جُنْحِ الدَّجَى وَلَوْ أَنَّهُ
أَسَدٌ يَصُولُ مِنَ الْهَلَالِ بِمِخْطَبٍ^(١)

ومن بديع التشبيه قوله :

فَيَا قَلْبُ لَا تُلْحِقْ بِشَكْلِ مُحَمَّدٍ
سِوَاهُ لِيَبْقَى نُكْلُهُ بَيْنَ الرَّسَمِ^(٢)
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُزْنَ لِلْحُزْنِ مَا حَيًّا
كَمَا خُطَّ فِي الْقِرْطَاسِ رَسْمٌ عَلَى رَسْمٍ

وقوله في وصف الزبد الذي يخرج من فم البعير :

وَالْعَيْسُ تُعْلِنُ بِالْحَنِينِ إِلَيْكُمْ وَلُغَامُهَا كَالْبُرْسِ طَارَ نَدِيقُهُ^(٣)

وقوله في وصف الشمة :

وَصَفْرَاءُ لَوْنِ الثَّبْرِ مِثْلِي جَلِيدَةٌ
عَلَى نُوبِ الْأَيَّامِ وَالْعَيْشَةِ الضَّنْكَ^(٤)

إلى غير ذلك مما تعسر الإحاطة به ، ويتمتع وجود نظيره في كلام غيره .

(١) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٣٢ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ٩٥٤ - ٥ ومنها : ... شكله بين الرسم .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٠٨ ، ولغامها : ما تره الإبل من الزبد من فيها ، والبرس : القطن .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٢٣ .

وأما التشبيه في الأمور المضيوية ففي كلامه كثير من الصور النادرة ،
والطرف الرائعة ، من ذلك قوله :

وَالْحِلُّ كَالْمَاءِ يُبْدِي لِي ضَمَائِرَهُ مَعَ الصَّفَاءِ وَيُخْفِيهَا مَعَ الْكَدْرِ^(١)

وَالْمَرَّةُ مَا لَمْ تُفِدْ نَفْعاً إِقَامَتُهُ

غَيْمٌ حَمَى الشَّمْسَ لَمْ يُمِطِرْ وَلَمْ يَسِرْ

وَأَقْسَمْتُمْ فِي اخْتِلَافٍ مِنْ زَمَانِكُمْ

وَالْبَدْرُ فِي الْوَهْنِ مِثْلُ الْبَدْرِ فِي السَّحَرِ

وقوله في الإنسان تربيته الدنيا على ظهرها ، حتى يكمل ثم تدفنه
في بطنها :

يُرَبِّبُ مِثْلَ الْفَضِّ حَتَّى إِذَا انْتَهَى

أَتَى عَاضِدٌ وَاسْتَقْبَلَ التُّرْبَ غَارِسُ^(٢)

وقوله :

وَكَالنَّارِ الْحَيَاةُ فَوْقَ رَمَادٍ أَوَاخِرُهَا وَأَوَّلُهَا دَخَانُ^(٣)

وقوله :

وَبَعْضُ الظَّاعِنِينَ كَقَرْنِ شَمْسٍ يَغِيبُ فَإِنْ أَضَاءَ الْفَجْرُ عَادَا^(٤)

(١) شروح - فقط الزند : ق ١ ص ١٣٢ ، ١٦٤ ، ١٤٢ .

(٢) شروح - فقط الزند : ق ٥ ص ٢٠١٢ .

(٣) شروح فقط الزند : ق ١ ص ١٧٨ .

(٤) شروح - فقط الزند : ق ٢ ص ٥٧٦ - ٧ .

وَلَكِنِّي الشَّبَابُ إِذَا تَوَلَّى فَجَهَلْتُ أَنْ تَرُومَ لَهُ أَرْتَدَادًا

وقوله في أصحابه ورفاقه الذين كان يجمعهم في الليل ليدروا فيه ،
ويفرقهم في النهار ليخففوا عن عيون الأعداء :

فِي مَعْشَرٍ كَجِمَارِ الرَّمِي أَجْمَعُهَا لِيَلَاوِي الصُّبْحَ أَلْقِيَهَا إِلَى الْقَاعِ^(١)

الاستعارات

وفي أشعاره من أنواع الاستعارات صور بديعة جمعت أحكام التنبيه
إلى رقة الأسلوب ، وإتقان التأليف ، وطيب النبرات ؛ من ذلك قوله
في السيف وفيرنده :

وَدَبْتُ فَوْقَهُ حُمْرُ الْمَنَآيَا وَلَكِنْ بَعْدَ مَا مُسِخَتْ نَقَالًا^(٢)

• • •

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ جَفْنًا قَبْلَ مَسْكِنِهِ

فِي الْجَفْنِ يُطَاوَى عَلَى نَارٍ وَلَا نَهْرٍ^(٣)

وَلَا حَسِبْتُ صِفَارَ النَّمْلِ يُمَكِّنُهَا

مَشْيٌ عَلَى اللَّجِّ أَوْ سَعْيٌ عَلَى الشَّعْرِ

• • •

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧٥٠ وفيها : « من معشر ... »

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٠٤ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٥٩ - ١٦٠ وفيها : « ولا طفت ... »

يُعْبَرُ سَيْفُهُ لَفْظَ الْمَنَابِا كَمَا شَرَحَ الْكَلَامُ التَّرْجُمَانُ^(١)

وقوله في السيوف والدروع :

أَقْبَلُوا حَامِلِي الْجَدَاوِلِ فِي الْأَعْنَاقِ مُسْتَلْثِمِينَ بِالْفُدْرَانِ^(٢)

وقوله في الفرس وحافره :

بَرِيحٍ أَعِيرَتْ حَافِرًا مِنْ زَبَرَجَدٍ
لَهَا التَّيْبَرُ جِسْمٌ وَاللَّجَيْنُ خَلَاحِلُ^(٣)

. . .

أَذَالَ الْجَرِي مِنْهُ زَبَرَجَدِيًّا وَمَا حَقَّ الزَّبَرَجَدِ أَنْ يُذَالَ^(٤)
وَقَدْ يُبْقَى زَبَرَجْدُهُ عَقِيقًا إِذَا شَهِدَ الْأَمِيرُ بِهِ الْقِتَالَ

وقوله في المدح :

الْقَاتِلُ الْخَلَّ إِذْ تَبَدُّو السَّمَاءَ لَنَا كَأَنَّهُمْ نَجِيعُ الْجَدْبِ فِي أُزُرِ^(٥)

وقوله في الأيام والليالي :

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢١٨ .

(٢) انظر ما سبق ص ٩٣٦ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٣٩ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٩٠ ورواية البيت الأول فيها :

وَمَا حَقَّ الْكِرْمُ . . .

(٥) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٣٦ .

بِسَبْعِ إِمَاءٍ مِنْ زَعَاوَةَ زُوجَتْ
مِنَ الرُّومِ فِي نِعْمَاكَ سَبْعَةَ أَعْبُدِ^(١)

الكتابات

وفي كلام أبي العلاء أمثلة رائعة ، وصور بديعة من الكتابات اللطيفة
الواضحة والمستعذبة ، كقوله يكني عن عظم المدوح :

وَلَوْ تَقَدَّمَ فِي عَصْرِ مَضَى نَزَلَتْ
فِي وَصْفِهِ مُعْجَزَاتُ الْآيِ وَالسُّورِ^(٢)

وعن حسن المدوح :

وَيُوشَعُ رَدَّ يُوْحَى بَعْضَ يَوْمٍ وَأَنْتَ مَتَى سَفَرْتَ رَدَدْتَ يُوْحَا^(٣)

وقوله يكني به عن أن قوم المدوح ملوك لا رعاة ، وأنهم كرماء أعزاء :

يَا بَنَ الْأَوَّلَى غَيْرَ زَجَرِ الْخَيْلِ مَا عَرَفُوا
إِذْ تَعْرِفُ الْعَرَبُ زَجَرَ الشَّاهِ وَالْعَكْرِ^(٤)

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٥٩ ، وزعاوة : لية من السودان .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٣٨ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٧٨ ، ويوح ويوحى : من أسماء الشمس .

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١١٠ ، ١٤٢ ، والعكر : مفردا عكرة

وهي القطعة من الإبل الطيبة . والاثم : جمع لأمة ، وهي الفرع . والقطر :

السود الذي يتغير ٩ .

وَالْقَائِدِيَّامَعَ الْأُضْيَافِ يَتَّبَعُهَا أَلَا فُهَا وَالْوَفُ السَّلَامُ وَالْبَدَرِ

.....

الموقدونَ يَنْجِدُ نَارَ بَادِيَةٍ لَا يَخْضُرُونَ وَفَقْدُ الْعِزِّ فِي الْحَضَرِ
إِذَا هَمَى الْقَطْرُ شَبَّثَهَا عَبِيدُهُمْ تَحْتَ النِّعَامِ لِمِ السَّارِينَ بِالْقَطْرِ

وقوله يَكْنِي عن بعد النور وعمقه :

وَمُزِيرَهَا النُّورَ الَّذِي لَوْ سَلِمَتْ رِيحٌ عَلَى أَرْجَائِهِ لَمْ تَسْلَمْ^(١)

إلى آخر الأبيات . وقوله يَكْنِي به عن ضهور البعير وهزاله :

وَأَعْيَسَ لَوْ وَا فَيَ بِهِ خُرْقٌ مَخِيطٌ لَا تَقْدَهُ مِنْ ضَمْرِهِ وَانْضِمَامِهِ^(٢)

وقوله يَكْنِي به عن خفة الإبل وسرعتها في سيرها :

وَلَوْ وَطِئَتْ فِي سَيْرِهَا جَفْنَ نَائِمٍ بِأَخْفَافِهَا لَمْ يَنْتَبِهْ مِنْ مَنَامِهِ^(٣)

المعاني

شعر أبي العلاء معرض عام ، اجتمع فيه من كل نوع من المعاني طائفة صالحة ؛ والغالب على معانيه في (السقط) الوضوح والجلالة . وفيها ما يحتاج في فهمه إلى دراسة علم ، ومعرفة بالتاريخ ؛ لأنه كثير الإشارات والتلميح إلى الحوادث والرجال الذين لهم ذكر في التاريخ ، وهو يحسن استعمال تلك المعاني ، وبحكم الإشارة إلى الحوادث .

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٣١ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ١٩٤ وفيها : . . . خرب مخيط ، والمخيط : الإبرة .

(٣) المصدر السابق ص ١٩٣ .

فمن الأول قوله :

وَفِي الْحَيِّ أَعْرَابِيَّةُ الْأَصْلِ مَخْضَةٌ

مِنَ الْقَوْمِ إِعْرَابِيَّةُ الْقَوْلِ بِالطَّبْعِ^(١)

وَقَدْ دَرَسْتَ نَحْوَ الشَّرَى قَنِي لَبَّةٌ

بِمَا كَانَ مِنْ جَرِّ الْبَعِيرِ أَوْ الرَّفْعِ

يريد أن في الحي امرأة أصلها من الأعراب الخلتص ، وهي لا تلتحن في قولها ، لأنها منسوبة إلى الأعراب بالطبع والسليقة ، وهي لم تدرس علم النحو الذي تكون حركات الإعراب فيه بالجبر والرفع ، وإنما درست نحو السير في الليل ، فهي لبية عالمة يجر البعير ورفعه . يقال : جر البعير بزمامه : جذبه وجر الإبل : ساقها سوقاً رويداً ، والسير المرفوع : دون الحضر وفوق الموضوع ، ورفع البعير في السير : بالغ وسار ذلك السير ، ورفع الرجل : ساره كذلك يتعدى ولا يتعدى ، فقد ذكر النحو وذكر من متعلقاته الجر والرفع ، وجعل الشرى نحواً ، وذكر من متعلقاته جر البعير ورفعه ، ومراده أنها دائمة الشرى فهي عالمة برفع البعير وجره . ومنه قوله :

فَصَرَّفَنِي فَغَيَّرَنِي زَمَانٌ سَيَعْقِبُنِي بِحَذْفٍ وَادْعَامٍ^(٢)

وقوله :

(١) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٤٤ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٤٧٣ وفيها : د وصرفي

وَقَدْ يُجْتَدَى فَضْلُ الْغَمَامِ وَإِنَّمَا
مِنَ الْبَحْرِ فِيمَا يَزُغُمُ النَّاسُ يُجْتَدَى^(١)

وقوله :

وَالنَّفْسُ تَحِيًّا بِإِعْطَاءِ الْمَوَاءِ لَهَا
مِنْهُ بِمِقْدَارِ مَا أُعْطَتْهُ مِنْ نَفْسٍ^(٢)

وقوله :

وَهَوَاكُ عِنْدِي كَالْغِنَاءِ لِأَنَّهُ
حَسَنٌ لَدَيَّ ثَقِيلُهُ وَخَفِيفُهُ^(٣)

ومن الثاني قوله :

إِذَا وَصَفَ الطَّائِيَّ بِالْبُخْلِ مَادِرٌ
وَعَيْرٌ قَتَاً بِالْفَهَاهَةِ بِأَقْلٍ^(٤)

وقوله :

يَابْنَ مُتَعَرِّضِ الصَّفُوفِ بِبَذَرٍ
وَمُبِيدِ الْجُمُوعِ مِنْ غَطْفَانٍ^(٥)

(١) انظر ما سبق ص ٩٣٩ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٩٥ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٠٩ .

(٤) يريد بالطائي : حاتماً الذي ضرب التل بجوده . ومادر : رجل من بني هلال بن

عاصم يضرب به التل في البخل ، ومن ابن ساعدة الإيادي : يضرب التل

بيلغته ، وبائل : رجل من إباد أو من ربيعة يضرب التل بيبه ، والفهامة :

التي وهو خلاف اليان . (ج) انظر شروح سقط ق ٢ ص ٥٣٣ .

(٥) أراد بمعرض الصفوف : علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأنه تلى نبأ وثلاثين -

وقوله :

فَكَمْ حَلَّةٌ مِنْ أَصَمْعِ الْقَلْبِ آيسٍ
يَطُولُ ابْنُ أَوْسٍ فَضْلُهُ وَإِنْ أَصَمْعُ^(١)

وقوله :

وَقَالَ الْوَلِيدُ : النَّبْعُ لَيْسَ بِمُثْمِرٍ
وَأَخْطَأَ، سَرَبُ الْوَحْشِ مِنْ ثَمَرِ النَّبْعِ^(٢)

— رجلا يوم بدر وهو المراد بميسد الجوع ، لأنه قتل عمرو بن عبد ودّ يوم
الهندق ، وقد اجتمع فيه نحو عفرة آلاف من فريش وسليم وأسد وغطان،
فلما قتل عمرو انكشف أصحابه وتبعهم الملون ، ولما كان علي (س) هو البب
في انهزام غطفان أخافه أبو العلاء إلى علي . (ج) انظر شروح القط ق ١
ص ٤٤٣ .

(١) أصمع القلب : متلفذ ذكي حاد الطئفة ، والأوس : الإعطاء والتبويض ، آيس
أوسا ، وابن أوس هو أبو غام حبيب بن أوس الطاساني الشاعر المهور وقيل :
هو أبو زيد الأنصاري سيد بن أوس بن زيد . وابن أصمع : هو الأصمعي
عبد الملك بن ثريب الإمام القوي للشهور ، وقد أجد أبو العلاء في المجانة بين
هذه الألفاظ . (ج) وانظر شروح سبط الزند : ق ٤ ص ١٥٨٩ .

(٢) الوليد : هو البحري الشاعر للشهور ، قال من قصبة :

وَمَعِينِي يَخْلُلُ الْعُمَرُ آوَةٌ وَالنَّبْعُ 'عُرْمَانُ' مَالِ عَوْدِهِ تَعَرُّ

والنَّبْعُ : شجر تتخذ منه القسي ، يريد البحري أن النبع ليس له ثمر ، ويريد
أبو العلاء أن البحري أخطأ في قوله هذا لأن القسي التي تؤخذ من النبع يصاد
بها بخر الوحش وحر الوحش وغيرها من أنواع الوحش ، فيكون سرب الوحش
من ثمر النبع . وهو استدراك خيالي يديم . (ج) وانظر شروح القط ق ٣ ص ١٣٤٨ .

وقوله :

وَلَا هَدِيَّةَ عِنْدِي غَيْرُ مَا حَمَلْتُ عَنْ الْمَسِيَّبِ أَرْوَاحٌ لِقَعْقَاعٍ^(١)
وَلَمْ أَكُنْ وَرَسُولِي حِينَ أَرْسَلُهُ مِثْلَ الْفَرَزْدَقِ فِي إِرْسَالِ وَقَاعٍ^(٢)

المبالغة في شعره

المبالغة في الشعر والإفراط في الوصف نوع من الأساليب المستحسنة عند جمهور من المتقدمين والمتأخرين من الشعراء والعلماء ؛ وقد كان بعضهم يفضلها ويرأها الغاية القصوى في الجودة . وقد نقل عن النابغة أنه قال : « أشعر الناس من استجيدَ كذبه ، وضحك من رديته » ونقل عن غيره « أحسن الشعر أكذبه » . وشاع على ألسنة المتأخرين : أعذبه أكذبه . وقد وقع منها في كلام المتقدمين شيء كثير ، منه قول مهمل :

فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمِعَ مَنْ بِحُجْرٍ صَلِيلَ الْبَيْضِ تَقَرَّعُ بِالذِّكُورِ

وقد قيل : إنه أكذب بيت قاله العرب ، لأن المسافة بين « حجرة »

(١) الجب بن علس : شاعر مدح القطاع بن معبد التميمي بحسبة قال فيها :

فَلَا مَدِينٌ تَمَّحَ الرِّيحَ حَسْبَةً مَنِيْ مُنْطَفِئَةً إِلَى الْفَتَقَامِ

يريد أبو اللاد أنه ليس عنده هدية غير الشعر . (ج) وانظر شروح سقط

الزبد : ق ٢ ص ٧٥٩ .

(٢) ووقاع : غلام فرزدق كان يرسل به في الجنايات والتبائح والأمور التي لبت

بحسبة : يريد أبو اللاد أن رساله لا تكون إلا فيما هو جليل . وقد تقدم

هنا . (ج) .

وهي قصبة البامة ، وبين مكان الوقعة عشرة أيام . ومنه قول امرئ القيس :

تَنُورُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا يَيْثُوبُ أَذْنَى دَارَهَا نَظَرَ عَلٍ ^(١)

أذرعَات : من بلاد الشام ، ويثرب : هي المدينة المنورة .

وقول النابغة في وصف السيف :

تَقْدُ السُّلُوقِي المِضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتُوقِدُ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْحَبَابِ

وقول جرير :

فَلَوْ وَضَعْتَ فِقَاحُ بَنِي نُعْمِرٍ عَلَى خَبْثِ الْحَدِيدِ إِذَا لَذَابَا ^(٢)

ثم لما جاء العصر العباسي أكثرت منه الشعراء ، فوقع في شعر بشار مثل قوله :

سَلَبْتُ عِظَامِي لَحْمًا فَفَرَكْتُهَا عَوَارِي فِي أَجْلَادِهَا تَتَكَسَّرُ

وَأَخْلَيْتُ مِنْهَا نُحْهَا فَفَرَكْتُهَا أَنَايِبَ فِي أَجْوَاهِهَا الرِّيحُ تُصْفِرُ

خُذِي بِيَدِي ثُمَّ ارْفَعِي الثَّوبَ فَانْظُرِي

ضَنَى جَسَدِي لَكُنِّي أَتَسَرُّ

(١) ديوان امرئ القيس ، ط بيروت ، ص ١٤١ ، ومطلع القصيدة :

ألا عم صباحاً أيما الطلل البالي وهل يمن من كان في العصر الحالي

(٢) ديوان جرير ، ط الصاوي ، ص ٧٢ . ومطلع القصيدة :

أفلي اليوم عادل والنابا وقولي إن أصبت لله أصابا

وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَاؤُهَا
وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَذُوبُ فَتَقْطُرُ

وجاء في شعر أبي نواس مثل قوله :

وَأَخَفْتُ أَهْلَ الشَّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ النُّطْفَةُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

وفي شعر أبي تمام مثل قوله :

وَيَهْتَزُّ مِثْلَ السَّيْفِ لَوْ لَمْ تَسْلُهُ يَدَانِ أَسْلَتْهُ طُبَاهُ مِنَ الْغَمِّ^(١)

وفي كلام البحري مثل قوله في السيف :

مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُمَضِّهِ يَدُ فَارِسٍ بَطَلٌ وَمَصْقُولٌ وَإِنْ لَمْ يُصْقَلِ^(٢)
مُتَأَلِّقٌ يَفْرِي بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ مَا أَذْرَكَتْ وَلَوْ أَنَّهُ فِي يَذْبُلِ

ثم جاء المتنبي فأكثر من مثل قوله :

كَفَى بِجِسْمِي حَوْلًا أَنِّي رَجُلٌ لَوْلَا مُحَاطَبَتِي لِيَاكَ لَمْ تَرْتَبِ^(٣)

وقوله :

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عَشِيرًا لَوْ تَبْتَغِي عِنَقًا عَلَيْهِ لَأَمَكَّنَا^(٤)

(١) ديوان أبي تمام ، ط . بيروت ص ١١٦ وفي رواية الديوان تصحيف .

(٢) ديوان البحري ، ط . بيروت ص ٣٣٣ .

(٣) ديوان المتنبي ، ط . بيروت ص ٧ .

(٤) الصدر السابق ، ص ١٥٢ .

ثم جاء أبو العلاء ، فاحتذى على مثال هؤلاء العباقره ، ونهر معهم بدلوهم . وزعم بمصم أن أبا تمام هو الذي كثر هذا الباب ، ثم تبعه الناس من بعده . ولكن يظهر للمستقصي أن أبا الطيب أكثر الناس غلوا ، وأن أبا العلاء لا يقل عنه في ذلك .

وقد قسم الطاء هذا الإفراط إلى ثلاثة أقسام :

الاول المبالغة : ويسمى التبليغ ، وهو وصف الشيء بالمكن القريب وقوعه عادة .

الثاني الإغراق : وهو وصف الشيء بالمكن البعيد وقوعه عادة .

الثالث الغلو : وهو وصف الشيء بما يستحيل وقوعه .

وقال بعضهم : المبالغة : ادعاء ممكن عقلا وعادة ، والإغراق : ادعاء ممكن عقلا لاعادة ، والغلو : ادعاء مالا يمكن عقلا ولا عادة . وأكثرهم لا يبعد الإغراق والغلو من المحاسن إلا إذا اقترن بما يقربه إلى القبول ، مثل « قد ، ولو ، ولولا ، وكاد ، وكان » وما شاكل ذلك . وفي شعر أبي العلاء في (سقط الزند) صور مختلفة من الأنواع الثلاثة . منه ما هو مقروء بأداة تقربه إلى القبول ، ومنه ما تضمن معنى حسنا من التخيل يجعله مقبولا كقوله :

تَكَادُ قِسِيَهُ مِنْ غَيْرِ رَامٍ تُمْكِنُ فِي قُلُوبِهِمُ التَّبَالَا^(١)
تَكَادُ سُيُوفُهُ مِنْ غَيْرِ سَلٍ تُجِدُّ إِلَى رِقَابِهِمْ أَنْيَلَا

(١) شروح - سقط الزند : ف ١ ص ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ .

يُذِيبُ الرُّغْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ قَلُولًا الْغِمْدُ يُفْسِكُهُ لَدَالًا

وقوله في وصف فرس :

يُحْسِطُ وَطَاءَ الرِّزَايَا وَهِيَ نَازِلَةٌ

فَيَنْهَبُ الْجُرْيَ نَفْسَ الْحَادِثِ الْمَكْرِ^(١)

وقوله في أعناق الإبل :

وَقَدْ دَقَّتْ هَوَادِيْنِ حَتَّى كَأَنَّ رِقَابَهُنَّ الْحَيْزُرَانُ^(٢)

إِذَا شَرِبْتَ رَأَيْتَ الْمَاءَ فِيهَا أَزْيِرَقَ لَيْسَ يَسْتُرُهُ الْجِرَانُ

وقوله في المدح :

إِذَا سَمَيْتَهُ فِي أَرْضٍ جَذِبَ نَزَلَتْ وَكُلُّ رَابِيَةٍ خَوَانُ^(٣)

وقوله فيه :

وَقَدْ بَلَغَ الضَّرَاحَ وَسَاكِيَهُ تَشَاكَوَزَارَ مَنْ سَكَنَ الضَّرِيحَا^(٤)

وقوله يصف الإبل بحدة البصر ، والليل بشدة الظلمة :

وَكُنَّ يَرَيْنَ نَارَ الزَّنْدِ فِيهِ فَلَمْ يُبْصِرْنَ إِذْ وَرَتْ الزَّنَادُ^(٥)

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٤٧ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٨٢ - ٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٢٢

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٦٩ وفيها : « فقد بلغ . . » والضراح :

بيت في السماء ، إزاء النكبة تطوف به اللاتكة ، وهو البيت المصور المذكور

في القرآن . والثا : الحبر التثمر حنأ كان أو فيعاً .

(٥) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣١٣ - ٣١٥ .

لَوَّانٌ بَيَاضَ عَيْنِ الْمَرْءِ صُبْحٌ هُنَالِكَ مَا آضَاءَ بِهِ السَّوَادُ

وقوله في وصف الخيل في عظمها وضمورها :

ضَمُرَتْ وَشَرَّبَهَا الْقِيَادُ فَأَصْبَحَتْ

وَالطَّرْفُ يُرْكَضُ فِي مَسَابِ الْأَرْقَمِ^(١)

مِنْ كُلِّ مُغْطِيَةِ الْأَعْنَةِ سَرَجُهَا تَرْقَى فَوَارِسُهَا إِلَيْهِ بِسُلْمٍ

وقوله المتقدم في وصف إبل :

وَلَوْ وَطِئَتْ فِي سَيْرِهَا جَفْنًا نَأِثِمَ^(٢)

وقوله المتقدم أيضاً :

وَأَعْيَسَ لَوَّانٌ فِي بَهْمٍ خَرَقَ مَخِيطَ^(٣)

وقوله في الدرع :

لَهَا حَلَقٌ ضَيْقٌ لَوَّانٌ وَضِيئُهُ فَوَازِكٌ لَمْ يَخْطُرْ بِقَلْبِكَ هَاجِسٌ^(٤)

البديع في شعره في السقط :

لأبي العلاء ولع شديد بالبديع ، ولا سيما الجناس ، والطباق ، والتورية ؛ ولعله

(١) فروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٢) نقاه : « بأخاها لم ينته من مناه » انظر ما سبق ص ١٠٠٨ .

(٣) نقاه : « لأعجبه من شعره واضلعه » . انظر ما سبق ص ١٠٠٨ .

(٤) فروح سقط الزند : ق ٥ ص ١٩٩٦ .

كان يعتمد ذلك وتساعد على إتقانه وإحكامه غزارة لغته ، وسمعة علمه ، وحفظه . وإليك أمثلة من قوله ، فيها أنواع من البديع ..

حسن المطلع :

بِأَسَاهِرِ الْبَرْقِ أَيْقِظُ رَاقِدَ السَّمْرِ لَعَلَّ بِالْجِزْعِ أَعْوَانًا عَلَى السَّمْرِ^(١)

الالتفات :

يُودُّ أَنْ ظِلَامَ اللَّيْلِ دَامَ لَهُ وَزَيْدٌ فِيهِ سَوَادُ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ^(٢)

أَوْ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ زُرْتَكُمْ
وَالْعَذَابُ يُنْجَرُ لِلْأَفْرَاطِ فِي الْخَصْرِ

الجناس التام :

كَأَنَّ قَضَاءَ أَعْجَزَهَا قَطَاءُ أُدَيْفَ بِمَخْجَرِيهِ الزُّعْفَرَانُ^(٣)

الجناس المخوف :

لَغَيْرِي زَكَاةٌ مِنْ جِمَالٍ فَإِنْ تَكُنْ زَكَاةُ جِمَالٍ فَادْكُرِي ابْنَ سَبِيلٍ^(٤)

الجناس الموكب :

أَلِفَتْ خُوصَ الْمَطَايَا إِنْ مُنْكَرَةً إِلْفُ الْغَزَالِ مَقَا لِيَتَا مَقَا لِيَتَا^(٥)

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١١٤ .

(٢) أنظر ماسق ص ٩٣٧ والصدر السابق : ١١٩ - ١٢٠ .

(٣) أنظر ماسق ص ١٠٠٠ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٤١ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٦١٨ . ومقا : صقل وجلا ، والبت :

منصة المتق . والمقاليت : مفردا مفلات وهي التي لا يجنس لها ولد .

مراعاة النظر :

دَعِ الزَّاعِ لِقَوْمٍ يَفْخَرُونَ بِهِ وبالطَّوَالِ الرُّذَيْنِيَّاتِ فَافْتَخِرِ^(١)
فَهِنْ أَفْلَامُكَ اللَّائِي إِذَا كَتَبْتَ مَجْدًا أَتَتْ بِمِدَادٍ مِنْ دَمٍ هَدَرَ

التبسيط :

أَفْتِ الْمَلَأَ حَتَّى تَعْلَمْتَ بِالْفَلَا
رُنُوءَ الطَّلَا أَوْصَنَعَةَ الْإِلَ فِي الْحَدْعِ^(٢)

حسن التخلص :

وَلَوْ أَنَّ الْحَاطِيَّ لَهَا عُقُولُ وَجَدَكَ لَمْ تُشَدِّ بِهَا عِقَالًا^(٣)
مُؤَاصَلَةً بِهَا رَحْلِي كَأَنِّي عَنِ الدُّنْيَا أُرِيدُ بِهَا انْفِصَالًا
سَأَلَنْ فَقُلْتُ مَقْصِدُنَا سَعِيدٌ فَكَانَ اسْمُ الْأَمِيرِ لَهْنٌ قَالَا

قال ابن حجة : هذا التخلص من المعائب ، فإن الشيخ أبا العلاء
سبكه في قالب التورية والاتفاق البديع ، وكان اسم الأمير في فاهم سعيدا ،
والعرب ما برحوا يتفاهلون بالاسم الحسن وينتظرون بضده .

التصدير أو رد المعجز على الصدر :

فَلَوْ سَمَحَ الزَّمَانُ بِهَا لَضَنْتُ وَلَوْ سَمَحَتْ لَضَنْ بِهَا الزَّمَانُ^(٤)

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٥٦ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٤٥ ، وللا : المنع من الأرض ، الطلأ :

يخرج أوله ولد الطيبة ، الال : الراب . الخرج : يكون الدال الحذيفة .

(٣) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٩ - ٤١ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٧٦ .

حسن التعليل :

وَمَا كَلَفَهُ الْبَذَرِ الْمُنِيرِ قَدِيمَةً وَلَكِنَّهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّذَمِ^(١)

حسن الاتباع :

لَوْ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ زُرْتُكُمْ
وَالْقَذْبُ يُنْجِرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَصَرِ^(٢)

فإنه استوعب معنى بيتي البحري :

أَحْبَلْتَنِي بِنَدَى يَدَيْكَ فَسَوَّدَتْ مَا بَيْنَنَا تِلْكَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ^(٣)
[وَقَطَعْتَنِي بِالْجُودِ حَتَّى إِنِّي مُتَخَوِّفٌ إِلَّا يَكُونُ لِقَاءُ]
صَلَّةٌ عَدَّتْ فِي النَّاسِ وَهِيَ قَطِيعَةٌ عَجَبٌ وَبِرٌّ رَاحَ وَهُوَ جَفَاءُ
في صدر بيته ، وأخرج العجز نخرج المثل السائر مع الإيجاز والإيضاح والبيان .

التلميح :

وَيُوشَعُ رَدُّ يُوحَى بَعْضَ يَوْمٍ وَأَنْتَ مَتَى سَفَرْتَ رَدَدْتَ يُوحَا^(٤)

(١) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ٩٦٧ . الدم : ضرب المرأة وجهها باليد .

(٢) أنظر ما سبق ص ٩٣٧ .

(٣) دبوانه ط بيروت ص ٧٢٥ .

(٤) أنظر ما سبق ص ١٠٠٧ .

التوبة :

وَحَرْفٍ كَتَمْتَنِي تَحْتَ رَأْيٍ وَلَمْ يَكُنْ
بِدَالٍ يَوْمَ الرَّسْمِ غَيْرُهُ النَّقْطُ^(١)

. . .

إِذَا صَدَقَ الْجَدُّ افْتَرَى الْعَمُّ لِلْفَتَى
مَكَارِمَ لَا تُكْرِي وَإِنْ كَذَبَ الْخَالُ^(٢)

الاستخدام :

وَفَقِيهًا أَفْكَارُهُ شِدْنَ لِلنَّغْمِ— إِنْ مَا لَمْ يَشِدَّهُ شِعْرُ زِيَادٍ^(٣)
ومن ذلك قوله في الدرر :

مِثْلُ وَشِي الْوَلِيدِ لَا نَتَوَّانَ كَأَنَّ نَتَمِنَ الصَّنْعَ مِثْلَ وَشِي حَبِيبٍ^(٤)
تِلْكَ مَا ذِيَّةٌ وَمَا لِذُبَابِ السَّيْفِ وَالصَّيْفِ عِنْدَهَا مِنْ نَصِيبٍ
قال في معاهد التنصيص : استخدم لفظ الذباب في معنيه ، الأول :
طرف السيف ، والثاني : الطائر المعروف ، وفيه نظر .

-
- (١) عروض سقط الزند : ق ٤ ص ١٦٥١ . وقوله : تحت راء : أي تحت رجل
يضرب رثتها ، ولم يكن بدال : أي لم يكن برافق . والنقط للطر .
(٢) عروض سقط الزند : ق ٣ ص ١٢٦٢ . والجد : الحظ ، والم : الجماعة ،
وتكري : تنفس ، والحال : الخيلة .
(٣) عروض سقط الزند : ق ٣ ص ٩٨٦ .
(٤) عروض سقط الزند : ق ٤ ص ١٩٢٣ وفيها ممدح الصيف على السيف ، في البيت الثاني .

الملاح في معرض الذم :

ثُمَّ مَضَى يُشْنِي عَلَى سَيِّدٍ كَاللَّيْثِ إِلَّا أَنَّهُ أَحْزَمٌ^(١)

التجريد :

مَا جِئْتُ نُمَيْرًا فَهَاجَتْ مِنْكَ ذَا لِبَدٍ وَاللَّيْثُ أَفْكَأُ أَفْعَالًا مِنَ النَّعْرِ^(٢)

الارصاد أو التصويم :

إِذَا الْفَتَى ذَمَّ عَيْشًا فِي شَبِيبَتِهِ

فَمَا يَقُولُ إِذَا عَصَرَ الشَّبَابَ مَضَى^(٣)

إن الحاذق في صناعة الكلام ، إذا سمع المصراع الأول علم أن
ملغى الكلام أن يتلوه « إذا عصر الشباب مضى » لا سيما بعد معرفة
القافية ؛ ومثله قوله :

جُهُولٌ بِالْمَنَاسِكِ لَيْسَ يَذْرِي أَغْيَا بَاتَ يَفْعَلُ أَمْ رَشَادًا^(٤)

فإن الكلام يقتضي أن يكون آخره « أم رشادا » .

الإشارة :

بِي مِنْكَ مَا لَوْ غَدَا بِالشَّمْسِ مَا طَلَعَتْ مِنْ الْكَأَبَةِ أَوْ بِالْبَرْقِ مَا وَضَعَتْ^(٥)

(١) شروح سبط الزند : ق ٢ ص ٨٥٤ .

(٢) شروح سبط الزند : ق ١ ص ١٥٢ .

(٣) شروح سبط الزند : ق ٢ ص ٦٥٥ .

(٤) شروح سبط الزند : ق ٢ ص ٥٩٠ .

(٥) شروح سبط الزند : ق ٢ ص ٦٥٤ .

فقد أشار بلفظ (ما) الأولى الى ما لا يحصى من الكتابة والحزن .

الافتنان :

فَكُنْ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ جَرِيئًا تُصِيبُ فِي الرَّأْيِ إِنْ خَطِيءَ الْهَدَانُ^(١)
وَسَائِلُ مَنْ تَنْطَلِقُ فِي التَّوَقُّي لِأَيَّةِ عِلَّةٍ مَاتَ الْجَبَانُ
فَإِنْ تَعَاوَنَ الْأَمْلَاقُ جَلَّ عَلَى مَلِكٍ بِخَالِقِهِ يُعَانُ

فقد جمع في هذه الأبيات الهجاء والمدح ؛ ومن هذا النوع قصيدته :

وَرَأَيْتِي أَمَامَ وَالْأَمَامُ وَرَأَاهُ إِذَا أَنَا لَمْ تُكْبِرْنِي الْكُتْرَاهُ^(٢)

فانه جمع فيها بين الفخر والمدح والهجاء .

الاقتراس :

أُعِدُّ مِنْ صَلَوَاتِي حِفْظَ عَهْدِكُمْ إِنْ الصَّلَاةُ كِتَابٌ كَانَ مَوْفُوتًا^(٣)

التصريح :

تَحِيَّةٌ كَسَرَى فِي الشَّاءِ وَتُبِعَ لِرَبِّكَ لَا أَرْضَى تَحِيَّةَ ارْتُبِعَ^(٤)

الايجاز : حذف أكثر من جملة :

طَرِبْنَ لِضَوْهِ الْبَارِقِ الْمُتَعَالِي يَبْغِدَادَ وَهَذَا مَا لَهْنٌ وَمَالِي^(٥)

(١) شروح سبط الزند : ق ١ ص ٢١٧ - ٨ والهدان : الجبان الضعيف .

(٢) شروح سبط الزند : ق ١ ص ٣٩٢ .

(٣) شروح سبط الزند : ق ٤ ص ١٦٤٣ .

(٤) شروح سبط الزند : ق ٤ ص ١٥٢٧ .

(٥) شروح سبط الزند : ق ٣ ص ١١٦٢ .

شخصية المعري في سقط الزند:

قلنا غير مرة : إن لأبي العلاء خصائص نفسية وأدبية تتجلى في أضعاف كلامه ، وقلنا خلا أثر من آثاره من ذكر شيء منها ، إما تصريحاً وإما تلميحاً ، منها :

١ - تواضعه مع مخاطبيه أو بمدحيه ، وذلك يتمثل في مثل قوله في (سقط الزند ج ١ ص ٦٣) من قصيدة ^(١) أجاب بها الشريف أبا إبراهيم :
وَكُونُ جَوَابِهِ فِي الْوَزْنِ ذَنْبٌ وَلَكِنْ لَمْ تَزَلْ مَوْلَى صَفْوَحَا
وَذَلِكَ أَنَّ شِعْرَكَ طَالَ شِعْرِي فَمَا نَلْتُ النِّسِيبَ وَلَا الْمَدِيحَا
الآيات . . . وقوله من قصيدة ^(٢) أخرى أجابه بها (ج ١ ص ٩٧) :

قَدْ أَجَبْنَا قَوْلَ الشَّرِيفِ بِقَوْلٍ وَأُثْبِنَا الْحَصَى عَنِ الْمَرْجَانِ
وقوله (ج ١ ص ٩٩) من قصيدة ^(٣) أجاب بها أبا القاسم علي بن الحسن بن جليات التنوخي المعري :

فَإِنْ يَكُ أَضْحَى الْقَوْلُ جَمًّا طَيُّورُهُ فَمَا تَسْتَوِي عِشْبَانُهُ بِحَمَامِهِ

(١) مطلبها :

الاح وقد رأى برقاً مليحاً سرى فأنى الحمى نضراً طلبها
وانظر شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٣٧ ، ٢٧٤ .

(٢) مطلبها :

علاني فان ييض الأمانى فليت والزمان ليس بخان
وانظر شروح سقط الزند : ق ١ ص ٤٢٥ ، ٤٥٦ .

(٣) مطلبها :

بروك والجوزاء دون سراه عدو ييب البدر عند قمامه
وانظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٤٧٣ .

وَإِنْ يَكُ وَادِيْنَا مِنَ الشَّعْرِ نَبْتُهُ فَقَبِيرُ خَفِيٍّ أَثْلُهُ مِنْ ثَمَامِهِ

وقوله (ج ١ ص ١٥٥) من قصيدة (١) أجاب بها أبا الخطاب محمد بن علي الجبيلي :

وَوَظَلَمْتُ شَعْرَكَ إِذْ حَبَوْتُ رِيَاضَهُ رَجُلًا سِوَاهُ مِنَ الْوَرَى أَوَّلَى بِهِ

فَأَجَابَ عَنْهُ مُقَصِّرًا عَنْ شَأْوِهِ إِذْ كَانَ يَقْصُرُ عَنْ بُلُوغِ ثَوَابِهِ

وقوله (ج ٢ ص ٦٦) من قصيدة (٢) رثى بها الشريف أبا أحمد والد المرتضى والرضي :

يَا مَالِكِي سَرَحِ الْقَرِيبِضِ أَتَمَكُمَا مِنِّي حَمُولَةُ مُسْنِتَيْنِ عِجَافٍ

.....

وَأَنَا الَّذِي أَهْدِي أَقْلَ بَهَارَةٍ حُسْنًا لِأَحْسَنِ رَوْضَةٍ مِثْنَا فِ

ويلحق بهذا الباب ادعاءه هجر الشعر ، أو أنه جدير بهجرة ، وذلك في مثل قوله (٣) (ج ١ ص ١٥٢) :

لَا يُؤْهِمُنْكَ أَنْ الشَّعْرَ لِي خُلِقَ وَأَنْتَ بِالْقَوَافِي دَائِمُ الْإِنْسِ

(١) مطلبها :

أشفت من عبء البقاء وعابه وثلث من أرى الزمان وصابه
وانظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧١٥ ، ٧٢٧ - ٨ ، ورواية البيت
الثاني نيا : إذ كان يسر عن بلوغ ثوابه . . .

(٢) مطلبها :

أودى قلبت الحادثات كفاف مال اللبف وعبر للثنا . . .
وانظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٢٦٤ ، ١٢٦٨ - ٩ .

(٣) من قصيدة أولها :

لولا نجيبة جنى الأرجم الدرس ماهاب حد لاني حادث الحابس
وانظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٨٩ ، ٧١١ - ١٣ .

فَأِنَّمَا كَانَ إِمَامِي بِسَاحَتِهَا فِي الدَّهْرِ إِمَامَ طَيْرِ الْمَاءِ بِالْعَلَسِ
عَسَاكَ تَعَذِّرُ أَنْ قَصُرْتُ فِي مَدْحِي فَإِنَّ مِثْلِي بِبِجْرَانِ الْقَرِيضِ عَسِ

٢ - تعفنه عن الاستجداء بشعره ، وعن قبول أي شيء كان من
مدوحيه أو غيرهم ؛ وهذا كثير في شعره ، منه قوله في مراثية الشريف
أبي أحمد :

أَوْضَعْتُ فِي طُرُقِ التَّشْرِفِ سَامِيًا بِكُمَا وَلَمْ أَسْلُكْ طَرِيقَ الْعَافِي^(١)

وقوله في (ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣) :

وَلَا أَثْقَلُ فِي جَاهٍ وَلَا نَشَبٍ وَلَوْ غَدَوْتُ أَخَاعُذِمَ وَإِذْ قَاعِ^(٢)
وَلَمْ أَكُنْ وَرَسُولِي جِئْتُ أُرْسِلُهُ مِثْلَ الْفَرَزْدَقِ فِي إِرْسَالٍ وَقَاعِ

وقوله (ج ١ ص ٧٢) :

وَأَوَّلًا فَرَطُ حُبِّكَ مَا أَزْدَهَانِي إِلَى الْمَدْحِ الطَّرِيفُ وَلَا التَّلَادُ^(٣)

وقوله من قصيدة^(٤) قالها في بغداد (ج ٢ ص ٤٥) :

أُنَبِّئُكُمْ أَنِّي عَلَى الْعَهْدِ سَالِمٌ وَوَجَّهِي لِمَا يُبْتَذَلُ بِسُؤَالِ

إلى آخر الأبيات التي تقدمت .

(١) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٢٠ ، وانظر الصفحة السابقة .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧٥٦ ، ٧٦٠ وانظر ما سبق ص ١٠١٢ .

(٣) وانظر شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٢٤ .

(٤) مطلعها :

طريق لضوء البارق اللطائي بغداد وهنا ما لم يمسح وما لم

وانظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٦٢ ، ١٢٠٥ .

وقوله من قصيدة^(١) أخرى قالها في بغداد (ج ٢ ص ٥٤) .

وَكَمْ مَا جَدِي سَيْفٍ دَجَلَةٌ لَمْ أَشْمُ لَهُ بَارِقًا وَالْمَرْه كَالْمَزْنِ هَطَالُ

وقوله من قصيدة^(٢) كتبها إلى أبي القاسم علي القاضي التنوخي

(ج ٢ ص ١١٩) .

رَحَاتٌ لَمْ آتِ قِرْوَانًا أَزَاوِلُهُ وَلَا الْمُهَذَّبَ أَبْغَى النَّيْلَ تَقْوِيمًا
وَالْمَوْتُ أَحْدَنُ بِالنَّفْسِ الَّتِي أَلْفَتْ عِزَّ الْقَنَاعَةِ مِنْ أَنْ تَسْأَلَ الْقَوَاتَا

٣ عفاف لسانه : فإن الباحث في ديوانه هذا كله لا يجد كلمة بديهة

تتفرز منها النفس ويفر منها الطبع ، على كثرة ما فيه من الألفاظ اللغوية .

٤ - اعتداده بنفسه : وهذا كثير في فخره ومديحه ؛ وحسبك منه

لاميته^(٣) التي يقول فيها :

وَلِيْنِي وَإِنْ كُنْتُ الْآخِرَ زَمَانُهُ لَأَتَّ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ

.....

(١) مطلقها .

مناقب القوى من شخصك اليوم أطلال

وفي النوم سنى من خياك محلال

وانظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٢١١ ، ١٢٥٩ .

(٢) مطلقها :

حات الحديث عن الزوراء أو مبتا ومود النار لا تكسرى بكمربا

وانظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٥٩٣ ، ١٦٣٩ .

(٣) مطلقها :

ألا في سبيل المجد ما أفاصل عفاف وإلغام وحزم وقاتل

وانظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥١٩ ، ٥٢٥ ، ٥٣٠ .

يَنَافِسُ يَوْمِي فِي أَمْسِي تَشْرِفًا وَتَحْسُدُ أَسْحَارِي عَلَيَّ الْأَصَائِلُ

وأبياته ^(١) التي يقول فيها : (ج ١ ص ٦٦) :

الْأَحْمَلُ وَالنَّبَاهَةُ فِي لَفْظٍ وَأَقْتَرُ وَالْقَنَاعَةُ لِي عَتَادُ

وأبياته ^(٢) التي يقول فيها : (ج ١ ص ١١٧) :

كَأَنِّي فِي لِسَانِ الدَّهْرِ لَفْظٌ تَضَمَّنَ مِنْهُ أَغْرَاضًا بِعَادًا
يُكَرِّرُنِي لِيَقْهَمَنِي رَجَالٌ كَمَا كَرَّرْتَ مَعْنَى مُسْتَعَادًا

وأبياته ^(٣) التي يقول فيها : (ج ١ ص ١٣٠) :

إِلَى كَمْ تَشْكَاَنِي إِلَيَّ رَكَائِي وَتُكْثِرُ عَنِّي خَفِيَّةَ وَجْهَارًا
أَسِيرُ بِهَا تَحْتَ الْمَنَابِيا وَفَوْقَهَا فَيَسْقُطُ بِي شَخْصُ الْحَمَامِ عَثَارًا

(١) أولها :

أفوق البحر بوضع لي مهاد أم الجوزاء تحت بدني وساد
وانظر شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٨١ ، ٢٨٧ .

(٢) أولها :

أرى الصفاء تكبر أن تصادا فعائد من تطبيق له عتادا
وانظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٥٣ ، ٥٦٣ .

(٣) أولها :

تَجَبَّرْتَ جَهْدِي لَوْ وَجَدْتَ خِيَارًا
وَطَرْتُ بَزْمِي لَوْ أَصَبْتَ مَطَارًا
وانظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦١٨ - ١٩ .

وقوله ^(١) (ج ١ ص ١٣٦) :

تَعَاطُوا مَكَانِي وَقَدْ فُتِّمْتُمْ فَمَا أَدْرَكُوا غَيْرَ لَمَحِ الْبَصَرِ
وَقَدْ نَبَحُونِي فَمَا هِجَّتُمْ كَمَا نَبَحَ الْكَلْبُ ضَوْءَ الْقَمَرِ

وقد يقال : إن الشاعر قد يطرق مثل هذه المعاني في باب الفخر ، ويتكرر بما ليس عنده ، وليس في مثل هذا دلالة على أنه يعتمد بنفسه . فيقال : إن أبا العلاء ذكر شيئاً من هذه المعاني في غير باب الفخر ، كقوله من قصيدة ^(٢) (ج ٢ ص ٢٠) :

وَفِي لِمَنْ رَامَ الْمَعَالِي بَقِيَّةٌ وَعِنْدِي إِذَا عَيَّ الْبَلِيغُ مَقَالُ

هـ — اعتداده بشعوره : وذلك يتجلى في مثل قوله ^(٣) (ج ١ ص ٧٢) :

تَذُودُ عُلاكَ سُرَادَ الْمَعَانِي إِلَيَّ فَمَنْ زُهَيْرُ أَوْ زِيَادُ
إِذَا مَا صَدْتُهَا قَالَتْ رِجَالُ أَلَمْ تَكُنِ الْكَوَاكِبُ لَا تُصَادُ

رفوله (في ج ٢ ص ٨٦) من قصيدة ^(٤) :

تُسَاوِرُ فَعْلَ الشَّعْرِ أَوْ لَيْثَ غَايِهِ سَفَاهَا وَأَنْتَ النَّاقَةُ الْعُشْرَاءُ

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٤٩ . وفيها . . . وما مجتهد . . .

(٢) مطلبها :

هو المجر حتى مايلم خيال ويبضى مدود الزائرين وصال

وانظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٤٦ ، ١٠٦٦ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٢١ - ٣٢٠ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٩٧ .

وقوله (في ج ١ ص ٨٨) من قصيدة (١) :

وَلَقَدْ غَصَبْتُ اللَّيْلَ أَحْسَنَ شُبُهَيْهِ وَنَظَّمْتُهَا عِقْدًا لِأَحْسَنِ لَابِسِ
وَأَفْذَتْهَا الْقِدْحَ الْمَلْعَى فَائِضًا يَجْرِي وَلَمْ أَقْنَعْ لَهَا بِالنَّافِسِ

وقوله من أبيات (٢) (في ج ١ ص ١٠٩) :

سَنَنْتُ لَأَرْتَابِ الْقَرِيضِ امْتِدَاحَهُ
كَمَا سَنَّ إِبْرَاهِيمُ حَجَّ مَقَامِهِ
.....

وَهَذَا لِأَهْلِ النُّطُقِ شَرْعِي وَمَذْهَبِي
فَمَنْ لَمْ يُطِغْنِي عَقْوَ أَمْرِ إِمَامِهِ

وقوله من أبيات (٣) (في ج ١ ص ١١١) :

وَلِيَّ مَنْطِقٍ لَمْ يَرْضَ لِي كُنْهَ مَنْوَلِي
عَلَى أَنِّي بَيْنَ السَّمَائِينَ نَازِلُ

(١) مطلقا :

بتنا فربق في سروج ضواصر منا وآخر في رحل مراص

وانظر شروح - سقط الزند : ق ١ ص ١٠٣ ، ١١٢ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥١٧ - ٨ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٢٧ وانظر ما سبق ص ١٠٢٧ .

٦ - نذموه من الحياة وطولها وما فيها : وهذا كثير في شعره .
قوله في (ج ١ ص ٦٦) :

كَأَنِّي حَيْثُ يَنْشَأُ الدُّجْنُ نَهْنِي فَمَا أَنَا لَأُطْلُ وَلَا أُجَادُ^(١)
وقوله في (ج ١ ص ٤٣) :

وَعِيشَتِي الشَّبَابُ وَلَيْسَ مِنْهَا صِبَايَ وَلَا ذَوَائِي الْهَجَانُ^(٢)
وَكَالنَّارِ الْحَيَاةُ فَمِنْ رَمَادٍ أَوْ آخِرُهَا وَأَوَّلُهَا دُخَانُ
وقوله^(٣) في (ج ٢ ص ١٧٢) :

وَقَدْ طَالَ فَوْقَ الْأَرْضِ كَوْنِي وَشَبَّهْتُ
نَعَامًا بِجَوْنِي عَاذِلَاتِي وَعُذَالِي

أَبْلٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْعَامُ وَاقِعٌ بَعْلَةٌ يَوْمَ جَانَبَتْ كُلَّ إِبْلَالٍ

وَلَمْ تُغْدِرِ الْأَيَّامُ بَيْنَ مَقَارِفِي وَأَرْجَائِهَا كِنًا لِأُدْهَمَ جَوَالٍ
إلى آخر الأبيات .

(١) انظر شروح سقط الزند في ١ ص ٢٨٥ .

(٢) وانظر شروح سقط الزند في ١ ص ١٧٧ - ٨ .

(٣) من قصيدة مطلقها :

أراني وضعت السردي وعزني جوادي ولم ينض لي التزو أمثالي

وانظر شروح سقط الزند : في ٤ ص ١٨٥٢ ، ١٨٧٨ ، ١٨٨٠ .

حـ (٣١)

٧ - تذمونه من العصى : وهذا يتجلى في مثل قوله ^(١) (في ج

٢ ص ٢٤) .

فَلَيْتَ اللَّيَالِي سَاخَتْ نِي بِنَاطِرِ يَرَاكَ وَمَنْ لِي بِالضُّحَى فِي الْأَصَائِلِ
فَلَوْ أَنَّ عَيْنِي مَتَّعْتَهَا بِنَظَرَةٍ إِلَيْكَ الْأَمَانِي مَا حَلَمْتُ بِفَائِلِ

٨ - تذمونه من الناس : وهذا تحته أنواع تتجلى في قوله ^(٢) في

(ج ١ ص ١٢٦) .

فَظُنَّ بِسَائِرِ الْإِخْوَانِ شَرًّا وَلَا تَأْمَنُ عَلَى سِرِّ قُوَادَا
فَلَوْ خَبَرْتُهُمْ الْجُوزَاءُ خُبْرِي لَمَا طَلَعْتَ مَخَافَةً أَنْ تُكَادَا
.....

فَأَيُّ النَّاسِ أُنْجِلُهُ صَدِيقًا وَأَيُّ الْأَرْضِ أَسْلُكُهُ أَرِيَادَا
وَلَوْ أَنَّ النُّجُومَ لَدَيَّ مَالٌ نَفَتُ كَفَايَ أَكْثَرَهَا اتِّقَادَا

وقوله في (ج ٢ ص ١٧٣) ^(٣) :

بَنُو الْوَقْتِ إِنْ غَرَّوكَ مِنْهُمْ بِحِكْمَةٍ فَمَا خَلَفَهَا إِلَّا غَرَائِزُ جُهَالِ

(١) من قصبة أولها :

أَبْسَ الَّذِي نَادَ الْجِيَادَ مَفْذَةً رِدَائِلَ فِي ثَوْبٍ مِنْ الثَّغَى ذَائِلَ

وانظر شروح - قط الزند : ق ٣ ص ١٠٦٧ ، ١٠٨١ .

(٢) انظر الشروح : ق ٢ ص ٥٥٩ ، ٥٦٢ .

(٣) انظر الشروح : ق ١ ص ٩٨٨٠ - ١ .

لِذَاكَ سَجَّنتُ النَّفْسَ حَتَّى أَرَحْتُهَا
 مِنَ الْإِنْسِ مَا أَتَخْلَاهُ رَبِّعٌ بِإِخْلَالِ
 إِذَا مَا حَلَلْتُ الْجَذْبَ فَرْدًا بِلَا أَذَى
 فَسَقِيًّا لَهُ مِنْ رَوْضَةٍ غَيْرِ مَخْلَالِ

٩ - تدمره من حساده : وهذا يتجلى في مثل قوله (١) في
 (ج ١ ص ٨٥) :

تَكَلَّمْتُ بِالْقَوْلِ الْمُضَلِّلِ حَاسِدٌ وَكُلُّ كَلَامٍ الْحَاسِدِينَ هُورَاهُ
 الأبيات ؛ وفي قوله في (ج ١ ص ١١٨) (٢) :

وَكَمَّ مِنْ طَالِبِ أَمْدِي سَيَلَقَى دُونَيْنِ مَكَانِي السَّبْعَ الشَّدَادَا
 إلى آخر الأبيات ؛ وفي قوله في (ج ١ ص ١١٠) (٣) :

تَعَدُّ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةٍ وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا الْهَلَاوُ الْفَوَاضِلُ
 إلى آخر الأبيات ؛ وفي مثل قوله :

فَأَصْبَحْتُ مُحْشُودًا بِفَضْلِي وَخَدَّه عَلَى بُعْدِ أَنْصَارِي وَقَلَّةِ مَالِي (٤)

(١) انظر الصروح : في ١ ص ٣٩٤ .

(٢) انظر الصروح : في ٢ ص ٥٦٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ٥٢٢ .

(٤) شروح سقط الزند : في ٣ ص ١٢٠٧ .

١٠ - الدموع من النساء وتنفيذه منهن : وذلك يتبين في مثل قوله

في (ج ١ ص ٧٣ - ٧٤) ^(١) :

وَتَوَقَّ أَمْرَ الْغَائِيَّاتِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ إِذَا خَالَفَتْهُ لَمْ تَنْدَمْ

.....

وَأَسْتَزِرَّ بِالْبَيْضِ الْحَمَانِ وَلَا يَكُنْ

لَكَ غَيْرُ هِمَّةٍ صَارِمٍ أَوْ لَهْذَمٍ

١١ - تفهمه من الدنيا ونفسته عليها : وهذا أيضاً كثير في شعره

كقوله ^(٢) في (ج ١ ص ١٩٤) :

عَلَى أُمِّ دَفْرِ غَضَبَةِ اللَّهِ إِنَّهَا لِأَجْدَرُ أَنْ تَنْشَى أَنْ تَخُونِ وَأَنْ تُخْنِي

الآيات ؛ وكقوله ^(٣) في (ج ٢ ص ٢٠٤) :

أَرَى أُمِّ دَفْرِ أُخْتٍ هَجَرُوا لَا أَرَى لَهَا سَالِيَا مَا غَيَّبَتْهُ الرِّوَامِ

الآيات ؛ وقوله ^(٤) في (ج ٢ ص ٢١٩) .

دُنْيَاكَ تَخْذُو بِالْمَسَا فِرٍ وَالْمَقِيمِ جَمَالَهَا

(١) من قصيدة مطلها :

أذن الفوارس من غير الخنم فاجل مطارك للسكرام فكرم
وانظر شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٢٧ ، ٣٣٠ .

(٢) من قصيدة مطلها :

قمت الرماحق على ضاحك الزن فلا جادني إلا عبوس من العجن
وانظر شروح سقط القسط ق ٢ ص ٩٠٧ ، ٩١٢ .

(٣) من قصيدة مطلها :

مهرت النساء الأحمية نثرة على أن أفراني غضاب أحاس
وانظر شروح سقط الزند : ق ٥ ص ١٩٨٧ ، ٢٠١١ .

(٤) وانظر شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠٥٩ . وفيها : « فليم هويت » .

فَعَالَةٌ غَيْرَ الْجَمِيلِ فَكَمْ هَوَيْتَ جَمَالَهَا

إلى آخر الأبيات .

١٢ - الاكثار من الامثال والحكم : رقلنا خلت قصيدة من ذلك ،

بل ربما وجد في القصيدة الواحدة عدد عظيم منها ، كما ترى ذلك في قصيدته ^(١) التي يقول فيها في (ج ١ ص ٣٩) :

وَالنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الْأَبْصَارُ رُؤْيَاهُ

وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّغْرِ

وقصيدته ^(٢) التي يقول فيها في (ج ١ ص ٤٦) :

وَأَوْطَرِبَ الْجَمَادُ لَكَانَ أَوْلَى شُرُوبِ الرَّاحِ بِالطَّرِبِ الدَّنَانُ
وَقَدْ يَنْمِي كَبِيرٌ مِنْ صَغِيرٍ وَيَنْبُتُ مِنْ نَوَى الْقَسْبِ اللَّيَانُ

وقصيدته ^(٣) التي يقول فيها في (ج ٢ ص ٥) .

لَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرْ الْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ

وهذه القصيدة يكاد يكون معظمها من هذا النوع .

(١) وانظر ما سبق ص ٩٩٨ .

(٢) وانظر ما سبق ص ٩٣٨ .

(٣) مطلقا :

أحسن بلواجده من وجده صريد النار في زنده

وانظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٠٦ ، ١٠١٦ .

١٣ استخدام المعاني العملية في الصور الأدبية ، وذكر المصطلحات

العلوم المختلفة : كقوله في اللغة في (ج ١ ص ١٦٠) :

فِي مَغْشَرٍ كَجَمَارِ الرَّمِيِ أَجْمَعِهَا

لَيْلًا وَفِي الصُّبْحِ أَلْقِيَهَا إِلَى الْقَاعِ^(١)

مع الأبيات التي قبله ؛ وقوله في النحو في (ج ٢ ص ٢٨) :

وَأَهْوَنُ بِهِ فِي رَاحَةِ أَرْيَحِيَّةٍ

كَآخِرِ مَاضٍ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ الضَّمُّ^(٢)

وقوله في الصرف في (ج ٢ ص ١٤٦) .

فَلَوْ كَانَ الْمُتَقَفُّ جُمْلَةً اسْمٍ أَبَى التَّرْخِيمَ صَارَ حُرُوفَ هَاجٍ^(٣)

وقوله في العروض في (ج ٢ ص ٢٨) وفي (ج ١ ص ١٢١) .

فَلَوْ كُنْتَ شَعْرًا كُنْتَ أَحْسَنَ مُنْشَدٍ

سَلِيمَ الْقَوَافِي لَا زِحَافٌ وَلَا خَرَمٌ^(٤)

• • •

(١) وانظر شروح - سقط الزند : ق ٢ ص ٧٥٠ وفيها : « من مصدر . . . » .

(٢) من قصيدة مطلها :

أَوَالِي تَبَّتِ الرِّاحُ مِنْ شَفِّهَا لَكَ خَالٌ لِلْعَدَاةِ أَوْ عَم

وانظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٥٠ ، ١١٥٨ .

(٣) من قصيدة أولها :

أَلَمْ يَلْنَكِ قَتَاكِي بِالْمَوَاضِي وَسُخْرِي بِالْأَسْنَةِ وَالزَّجَاجِ

وانظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٦٠ ، ١٧٧٦ .

(٤) وفي شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٥٩ .

بُنَاةُ الشَّعْرِ مَا أَكْفَوْا رَوِيًّا وَلَا عَرَفُوا الْإِجَازَةَ وَالسَّنَادَ^(١)

وقوله ^(٢) في الهندسة والعروض في (ج ٢ ص ٨٦) :

وَأَنْتَ فَكَالْكُ دَاثِرَتِي قَرِيضٍ وَهَنْدَسَةٌ حَلَّتْ بِهَا الشُّكُولَا

وقوله في الطبيعيات في (ج ١ ص ٧٨) :

وَقَدْ يُجْتَدَى فَضْلُ الْغَمَامِ وَإِنَّمَا

مِنَ الْبَحْرِ فِيمَا يَزْعُمُ النَّاسُ يُجْتَدَى^(٣)

وقوله في الموسيقى في (ج ٢ ص ٤٢) :

كَأَنَّ الْمَثَانِي وَالْمَثَالِثَ بِالضُّحَى تَجَاوَبُ فِي غَيْدٍ رُفَعْنَ طَوَالَ^(٤)

كَأَنَّ ثَقِيلًا أَوْ لَا تُزْدَهَى بِهِ ضَمَانُ رُقُومٍ فِي الْخُطُوبِ ثِقَالِ

وقوله ^(٥) في العقائد في (ج ٢ ص ١٢) :

صَلَّ الَّذِي قَالَ : الْبِلَادُ قَدِيمَةٌ بِالطَّبْعِ كَانَتْ وَالْأَنَامُ كَسَبَتْهَا

(١) وفي شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٨١ .

(٢) من قصيدة مظلها :

كفى بشعوب أوجها دليلًا على إزماعنا منك الرجل

وانظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٦٩ ، ١٣٩٦ .

(٣) وانظر ما سبق ص ٩٣٩ .

(٤) وفي شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٨٨ .

(٥) من قصيدة مظلها :

يا راعي الود الذي أنفاه تنفي بظاهر أمرها عن فتها

وانظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٢٨ ، ١٠٣٤ .

وفي (ج ١ ص ١٨٤) :

مَنْ قَالَ إِنَّ الثَّيَرَاتِ عَوَامِلٌ فَبِضِدِّ ذَلِكَ فِي عِلَالِكَ يَقُولُ^(١)
يَعْمَلْنَ فِيمَا دُونَهُنَّ بِزَعْمِهِ وَلَكِنَّ دُونَكَ مَطْلَعٌ وَأُقُولُ

١٤ - التلخيص إلى الحوادث التاريخية ، وإلى الرجال الذين لهم تعلق بها :

وهذا كثير في شعره كقوله^(٢) في (ج ٢ ص ١٢٧) :

إِذَا أَنَا عَالَيْتُ الْقَتْرَدَ لِرِحْلَةٍ فدونَ عَلَيَّانَ الْقَتَادَةَ وَالْخَرْطُ

وقوله في (ج ٢ ص ١٧١ في الدرر)^(٣) :

وَحُطِّي لَهَا قَبْرًا يَضِلُّونَ دُونَهُ كَقَبْرِ لِمُوسَى ضَلُّهُ آلُ إِسْرَآلِ
وَلَا تَدْفِنِيهَا الْجَهْرَ بَلْ دَفِنِ فَاطِمَ وَدَفَنَ ابْنِ أَرْوَى لَمْ يُشَيِّعْ بِأَعْوَالِ

١٥ - نصيب الامثال كقوله^(٤) في (ج ٢ ص ١١) :

لَا بُدَّ لِلْحَسَنَاءِ مِنْ ذَامٍ وَلَا ذَامٌ لِنَفْسِي غَيْرَ سَيِّءٍ بَخْتِنَا

(١) من قصيدة مطلعها :

لَيْتَ التَّحْمِلَ عَنْ فَرَكَ حُلُولِ وَالْبِرَّ عَنْ حَلْبِ إِلْبَكِ رَجِيلِ
وانظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٦٧ ، ٨٧١ - ٢ .

(٢) من قصيدة مطلعها :

أَنْ جَبْرَةً سَبَّحُوا النَّوَالَ فَلَمْ يَنْطَوُوا بِظُلْمِهِ مَا ظَلَّ يَنْبَتُهُ الْخَطِ
وانظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦٤٦ ، ١٦٨١ .

(٣) انظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٨٧٥ .

(٤) انظر الصروح : ق ٣ ص ١٠٣١ .

١٦ .. الاشارة إلى لكّة أو نادرة أو حادثة ولعت في شعر غيره :

كقوله (١) في (ج ٢ ص ١٢١) .

بِنَازِلَةٍ سَقَطَ الْعَقِيقُ بِمِثْلِهَا
دَعَا أَدْمَعَ الْكِنْدِيَّ فِي الدُّمْنِ السَّقَطُ

بشير إلى قول امرئ القيس :

قَفَا نَبِكَ بِسَقَطِ اللَّوَى

وكقوله في القصيدة نفسها :

شَكَرْتُهُمْ شُكْرَ الْوَلِيدِ بِفَارِسٍ
رِجَالًا بِحِمَصٍ كَانَ جَدُّهُمُ السَّقَطُ

بشير إلى قول البحتري بيتين يشكر فيها بني السط وكانوا بحمص .

وكقوله في (ج ٢ ص ١١٥) :

لَيْسَتْ كَزَعْمِ جَرِيرِ بَلْ لَهَا مَسَكٌ
يَرْفُضُ عَنْهُ ذِكِّي الْمِسْكِ مَفْتُونًا (٢)

مجا جرير أم البعيث بأبيات منها قوله :

تَرَى الْعَبَسَ الْحَوْلِيَّ جَوْنًا بَكْوَعِهَا لَهَا مَسْكًا مِنْ غَيْرِ عَاجٍ وَلَا ذَبْلِ (٣)

(١) وفي شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦٤٨ ، ١٦٩٤ .

(٢) وفي شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦٩٣ وفيها : « يرفض عنها » .

(٣) ذبوانه ط . الصاري ص ٤٦٣ .

وأبو العلاء قال إن النساء اللاتي ذكرهن في قوله السابق لها مَكٌّ
يفتخر منه المك ، وليس لها عَبَسَ حولي كما زعم جرير في أم البهيث .
وقوله في القصيدة نفسها :

ذَمُّ الْوَلِيدِ وَلَمْ أَذُنْ جَوَارِكُمْ فَقَالَ: مَا أَنْصَفْتَ بَعْدَ دُحُوشِيَّتَا^(١)

يشير إلى قول البحري :

مَا أَنْصَفْتَ بَعْدَ دُحِينَ تَوَحَّشْتَ لِنَزِيلِهَا وَهِيَ الْحَلْ أَلِيسُ^(٢)

ما يستفاد من القط ومقدمته

فإذا تدبرنا ما أشرنا إليه في الكلام على مقدمة (القط) أولاً ، ثم
ما ذكرناه في الكلام على القط ثانياً ، وأضفنا إلى ذلك ما ألفتنا إليه في
الكلام على أسلوبه فيه ، وفي ترجمته ، تبين لنا من مجموع ذلك أن
أبا العلاء عُمِيَّ صغيراً ، وحالفة العلم شاباً وكهلاً وشيخاً ، كما حالفه
الفقر والإقلال ؛ وأنه فقد أباه ثم أمه ، ولقد بذلك من يقوم بأمره
ويحذب عليه ؛ وأنه كان محسوداً كثير الأعداء . وكان على الرغم من
تألب الدنيا وأعدائه وحاده عليه ، عفيفاً طاهر اليد والذيل واللسان ،
صبوراً على نكبات الدهر ؛

وأنه كان عالماً مخرباً جامعاً لعلوم مختلفة قادراً على تذليل كل أبي
منها ، وتسخيرها لاستخدام مسائلها في الأغراض الشعرية . وكان شاعراً
مقلداً ، واسع الخيال ، طويل الباع في الاختراع ، كثير الحكم ، كثير
التواضع . وكان شديد الاعتداد بنفسه وبشعره ، كثير الوثوق بعلمه وحفظه

(١) المروج : ج ٤ ص ١٦٤١ .

(٢) البيت من قصيدة يخاطب البحري فيها علي بن يحيى النجم ، وهي له وبهواه

ط . بيروت ص ٣٨١ .

وعقله ، جريئاً لا يخشى في الحق لومة لائم . وهو يصور لنا إكبار الناس في عهده للعلم والعلماء ، وتقديرهم للشعر والشعراء ؛ كما يصور لنا شعره أوضاع الناس ومواقفهم في البدو والحضر ، وفي السلم والحرب ، وما كان لديهم من عتاد وأثاث ورياش ولباس وحلي . وفي وسع الباحث أن يستخرج من كلامه صورة كاملة عن حياة الأمة الاجتماعية والحقلية والاقتصادية ، وحياتها العقلية .

ويستطيع بعد ذلك أن يقول : إن أبا العلاء أمة مستقة ، وإن شعره يمثل حياته العملية .
وإن ما ذكرناه من خصائصه النفسية والأدبية يتجلى في ديوانه (سقط الزند) .

الغلب في شعره وما أخذه من غيره

كانت دائرة الشعر في العصر الجاهلي ضيقة الأطراف ، قليلة التنوع ، لأن الشاعر يقتبس معانيه من حياته العملية والعقلية ، ويقتصر بعض أخیلته من مشاهد الطبيعة ، وما يكتنفه في يئشه ؛ ويستمد من وحي إلهامه بقدر ما لديه من العوامل التي تثير قريحته . وقد كان هذا كله في ذلك العصر قريباً بعضه من بعض ؛ وكانت للشعراء في ذلك العصر سفن متبعة يقتضي المتأخر منهم أثر المتقدم فيها ؛ وكانت لهم آداب لا بد من رعايتها ، وأغراض محدودة لا يتعدونها ، ولذلك يرى التأمل كثيراً من الشعر يشبه بعضه بعضاً في باب الغزل ، والوصف ، والمسخ ، والرواء ، ونحوها . وربما اضطر شاعر إلى أن يأخذ معنى من شاعر آخر ؛ وربما أخذ اللفظ كله أو بعضه . وإنما يقع التفاوت بين شاعر وآخر بمجال التأليف ، وطلاوة التركيب ، وما يحدث في المعنى من زيادة أو اختصار ، أو إيضاح أو صور خيالية .

ثم لما جاء الإسلام اتسعت آفاق الشعر بما أدخله الدين عليه ، وبما اقتضته السياسة والفتح من أحداث النظم الشرعية ، والمدنية ، وبما تجدد وتعدد من مشاهد الطبيعة والحضارة التي رآها العرب بسبب الفتح .

ولما جاء العصر العباسي ازدادت آفاق الشعر اتساعاً ، وأضاف إليها المباسيون ما عند الأمم ذوات الحضارة من علم ، وأدب ، وحكمة . فبلغ الشعر مبلغاً لم يبلغه من قبل ؛ وتعددت أغراضه ونواحيه ، وكثر الشعراء والمواكب كل شيء كان في ذلك العصر ، حتى ينجل إلى الإنسان أن مامن كائن في ذلك العهد إلا ولشعراء فيه قول .

وربما اتفق شاعران فأكثر في المعنى ، أو في اللفظ ، أو فيهما معاً ، أو في بعض من أحدهما أو كليهما . وهذا الاتفاق قد يقع بين شاعرين في عمر واحد ، أو عصرين مختلفين ؛ وتحت هذا أنواع مختلفة وصور متعددة ؛ لأن الشاعرين إما أن يلتقيا أو لا ، وإما أن يسمع كل منهما شعر الآخر أو لا ...

ولذلك قسم العلماء هذه الأحوال ، وجعلوا لكل قسم اسماً خاصاً ، واستيفاء هذه الأقسام يعوز إلى إطالة ليس محلها هنا . وقد ذكر صاحب (العمدة ج ٢ ص ٢١٥) جملة منها ؛ وليس غرضنا أن نبين هنا الصحيح المقبول منها وغيره ، ولا أن نستدرك عليه ما فاتته منها ؛ وإنما غرضنا أن نبين أن بعض الشعراء يستمد من بعض منذ القديم ، فقد قال امرؤ القيس في وصف الجسم بالنومة والنضاضة :

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرَفِ لَوَدَبَ مُحْوَلٌ

مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الْأَثَبِ مِنْهَا لَأَثَرَا^(١)

فجاء حسان بعده وقال :

لَوْ يَدْبُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ رِ عَلَيْهِمَا لَا تُدَبِّثُهَا الْكَلُومُ^(١)

ثم جاء بعده عمر بن أبي ربيعة فقال :

لَوْ دَبَّ ذَرٌّ فَوْقَ صَاحِبِي جَلْدِهَا لَا بَانَ مِنْ آثَارِهَا حُدُورًا

فهؤلاء من عصور مختلفة . وقال امرؤ القيس :

وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجْمَلُ^(٢)

وقال طرفة :

وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجْلَدُ^(٣)

فهذان شاعران في عصر واحد وقد أخذ الثاني المعنى واللفظ إلا كلمة واحدة .

وقال النابغة الذبياني :

فَمَا الْفَرَاتُ إِذَا جَاشَتْ غَوَارِبُهُ قَرَمِي أَوَاذِيهِ الْعَبْرَيْنِ بِالزَّبْدِ^(٤)
يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ سَيْبَ نَافِلَةٍ وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ الْيَوْمِ دُونَ غَدِ

(١) ديوانه ص ٣٧٧ ط . البرلوقي ، القاهرة .

(٢) ديوانه ص ٣١ ط . (بيروت) .

(٣) اللغات الشعر ، ص ٦٩ .

(٤) اللغات الشعر ، ص ١٥١ .

أخذه الأخطل فقال :

وَمَا الْفَرَاتَ إِذَا جَاسَتْ حَوَالِيَهُ فِي حَافَتَيْهِ وَفِي أَوْسَاطِهِ الْعُشْرُ

يَوْمًا بِأَجُودَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ وَلَا بِأَجْهَرَ مِنْهُ حِينَ يُجْتَهِرُ

وهذان شاعران في عصرين وقد أخذ أحدهما من المعنى واللفظ .

وقال أبو تمام :

لَوْ سَمِعْتَ بُقْعَةً لِإِعْظَامٍ تُعْمَى لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيدُ^(١)

وقال البحتري :

فَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ^(٢)

وهذان شاعران من عصر واحد وقد أدرك أحدهما الآخر ؛ إلى غير ذلك من الأمثال .

وبما ذكرناه يتبين أن الشاعر قد يأخذ بعض اللفظ أو أكثره مع المعنى كله أو بعضه ، سواء كان الشاعران في عصر أم عصرين ، وسواء اتقى الشاعران أم لم يلتقيا . وقد قيل لأبي عمرو بن العلاء : أرايت الشاعرين يتفقان في المعنى ، ويتواردان في اللفظ ، لم يلتق واحد منهما صاحبه ولم يسمع شعره ؟ فقال : تلك عقول رجال توافت على ألسنتها . وسئل أبو الطيب عن مثل ذلك فقال : الشعر جادة ، وربما وقع الحافر على الحافر .

(١) ديوانه ص ٥٧ طبة الجباط ، بيروت .

(٢) ديوانه ص ١٨ طبة بيروت .

انواع اللفظ :

قال بعض المتأخرين : من أخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقاً ؛ فإن غير بعض اللفظ كان سالخاً ، فإن غيّر بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه . ولابن رشيق كلام حسن في هذا الباب ، حيث يقول في (العمدة ج ٢ ص ٢٢٣) : « والمخترع معروف له فضله ، متروك له من درجته ؛ غير أن المتبع إذا تناول معنى فأجاده ، بأن يختصره إن كان طويلاً ، أو يبسطه إن كان كزّاً ، أو يبيته إن كان غامضاً ، أو يختار له حسن الكلام إن كان سفافاً ، أو رشيق الوزن إن كان جافياً ؛ فهو أولى به من مبتدعه ، وكذلك إن قلبه أو صرفه عن وجهه إلى وجه آخر . فأما إن ساءى المبتدع فله فضيلة حين الاقتداء لا غيرها ؛ فإن قصر كان ذلك دليلاً على سوء طبعه ، وسقوط همته ، وضعف قدرته » .

هذه لمحة موجزة من أقوال العلماء في السركة أو الإغارة على اللفظ أو المعنى كلاً أو بعضاً . وأما أهل البديع فقد ذكروا زعاً سموه الإبداع أو التضييق ؛ وهو أن يودع الشاعر شعره بيتاً من شعر غيره ، أو نصف بيت ، أو ربع بيت ، بعد أن يوطئه له توطئة تناسبه بروابط متلائمة ، بحيث يظن السامع أن البيت بأجمعه له .

أخذ أبي العلاء من غيره :

وقد وقع في كلام قوم أن أبا العلاء كان يأخذ من معاني المتنبي . وكان يقلّده في شعره . ولم أرَ مَنْ بسط ذلك وأوضحه أو أورد له مثلاً يبينه . وأنا أذكر طرفاً من ذلك إيضاحاً للحقيقة فأقول : إن

أبا العلاء أخذ من أقوال غيره من الشعراء ، لأغراض أرادها ؛ وهو طارة
يصرح باسم الشاعر كقوله :

مَنْ قَالَ : صَادِقٌ لِثَامِ النَّاسِ قُلْتُ لَهُ

قَوْلَ ابْنِ أَسْلَتَ قَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي^(١)

فقوله : « قد أبلغت . . . » من قول أبي قيس بن الأسلت :

قَالَتْ وَلَمْ تَقْصِدْ لِقِيلِ الْخَنَاءِ مَهْلًا فَقَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي

وقوله السابق :

وَقَالَ الْوَلِيدُ النَّبْعُ كَيْسَ بِمُثْمِرٍ^(٢)

فإنه من قول البحتري :

وَالنَّبْعُ عُزْرِيَانِ مَا فِي عُودِهِ ثَمَرٌ^(٣)

وليس هذا من التضمين ولا السرقة ، لأنه ذكر قائلة . وأحياناً

لا يصرح باسم الشاعر بل يكفي عنه كقوله :

وَهَلْ فَاتَ الْحُتُوفُ أَخُوهُ ذَيْلٍ كَانَ مُلَاءَ تَيْهِ عَلَى هِجَفٍ^(٤)

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧٥٨ . وفيها : ابن الاسلت ، جنيف همزة الأسلت .

(٢) نغامة : وأخطأ ، سرب الوحش من عمر النبع

انظر ما سبق ص ١٠١١ .

(٣) صدر البيت : وعبرتي خلال الدم آونة

انظر ما سبق ص ١٠١١ الحاشية ٢ .

(٤) اللزوميات ٨ ص ٢٩٤ .

المِجَنَفَ : الظلم . وأخو هذيل : هو الأعم حبيب بن عبد الله الهذلي ؛
قال من قصيدة :

كَأَنَّ مُلَاءَتِي عَلَى هِجَفٍ يَغِينُ مَعَ الْعَشِيَّةِ لِلرُّنَالِ
وأحياناً لا يصرح ولا يكفي كقوله :

كَأَنَّ الصَّبَا أَلَقَتْ إِلَيَّ عَنَانَهَا تَخْبُ بِسَرَجِي مَرَّةً وَتُنَاقِلُ^(١)
والشطر الأخير من قول النابغة الذبياني :

فَسَلَّيْتُ مَا عِنْدِي بِرَوْحَةٍ عَرِمَسٍ تَخْبُ بِرَحْلِي تَارَةً وَتُنَاقِلُ^(٢)

وفيه تفسير الرجل بالسرّج ، وتارة بمرّة . وهذا فادر جداً في شعره .
ومن أنعم النظر في أشعار أبي العلاء انضح له أن الرجل غلب عليه
أسلوب الجاهليين والإسلام في بعض أغراض الشعر ، كالمدح والفخر ونحوهما ؛
فهو يطبع على غرار شعرائها في هذه الأغراض ؛ ولذلك نراه في قصائد
المدح يصف الوادي ، والخرق ، والفرس ، والسيف ، والدرع ، والوحش ،
والناقة ، وما شاكل ذلك ؛ حتى يخيل إليك أن صاحب هذا الشعر أعرابي
عريق في أعرايته : في ألفاظه وفي مناحي كلامه وأسلوبه . ولا شك أن
سبب ذلك كثرة ما يحفظه من كلام أهل العصرين . فانظر إلى قصيدته التي
أجاب بها أبا القاسم [علي بن] الحسن^(٣) بن جَلَبَاتِ التّمُوخِي المَعَرِي ، فإنك

(١) السروح : ق ٢ ص ٥٤١ ، من القصيدة اللابية المشهورة التي مطلعها :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقدام وحزم وعمل

(٢) مختار الشعر الجاهلي - مصطفى السفا - ج ١ ص ١٩٥ .

(٣) انظر شروح سقط أزند : ق ٢ ص ٤٧٣ ؛ ومطلع هذه القصيدة :

برومك والجوزاء دون سرامه عدو ييب البدر عند قمامه

تجد فيها الأثل ، والتهام ، والحمام ، والعقبان ، والخيل ، والضواري ،
والبهام ، والرعول ، والضرغام ، والقرن ، والسيف ، والسهام ، والرماح ،
والهجين ، والميس ، والنعام ، والمهاري ، والحوار ، والصدى ، والحام ،
والغدير ، والغلق ، والحباحب ، والأطناب ، والتنوفة ، والضب ،
والشادن ، . . . وكذلك قصيدته التالية ^(١) التي قالها في الفخر ، فقد ذكر
فيها العقاء ، والصيد ، والخيل ، والمطايا ، والركاب ، والبداد ، والفوارس ،
والأسد ، والنقاد ، والذئب ، والمفار ، والطراد ، والغزو ، والعوالي ، والمهاد ،
والقرس ، والقناد ، والمزاد ، والمعصام ، والوَضِين ، والروابي ، والوهاد ،
ونحو ذلك . ولم يكن بصيراً يدرك هذه الأشياء ثم يأخذ معانيه عما يراه
فيها من أشكال وخصائص ، ولا كان أعرابياً كثير الممارسة لها والاتصال
بها ؛ وإنما أكثر من حفظ كلام القوم ، وفهمه حق الفهم ، فانطبعت في
خيلته هذه الأشياء ، واستطاع أن يتصرف بها في كلامه من تصوير ،
ورصف ، وإرسال مثل ، وغير ذلك تصرف المبرص لها ، العالم بكل
مالها وعليها ؛ وربما زاد على المبرصين بما أورده من الأخيلة الدقيقة والصور
البديعة والتشابه الرائعة ، كقوله في مرثية ^(٢) أمه يصف أبدأ :

بَدَا فَدَعَا الْفَرَاشَ بِنَاطِرِيهِ كَمَا تَدْعُوهُ مُوقِدَتَا ظَلَامِ
بِنَارِي قَادِحِينَ قَدْ اسْتَظَلَّ إِلَى صَرَحِينَ أَوْ قَدَحِي مُدَامِ ^(٣)

(١) ومثلها :

أرى العقاء تكبر أن تصادا فاند من تطيق له عنادا
انظر شروح سبط الزند : ق ٢ ص ٥٥٣ - ٦٠١ .

(٢) ومثلها :

سمت نهباً سمى حمام وإن قال المواذل لا حمام
انظر شروح سبط الزند : ق ٤ ص ١٤٥٣ ، ١٤٧٦ .

(٣) في الفروع : « ندام . »

كَانَ اللَّحْظَ يَصْدُرُ عَنْ مُسَيِّلٍ وَآخَرَ مِثْلَهُ ذَاكِي الضَّرَامِ

.....

وَقَدْ وَطِئَ الْحَصَى بِنِي بُدُورٍ صِفَارٍ مَا قَرُبْنَ مِنَ التَّمَامِ
اُحْتَذَى الْأَهْلَةُ غَيْرَ زَهْوٍ سَلَبَتْ مِنَ الشُّبُورِ^(١) حُلِيَّ عَامِ

وكان أبو الطيب كثير الإلمام بوصف الحروب ، وما تحتاج إليه من خيل وعتاد ، وما شاكل ذلك . وقد كان يصف الأمكنة التي تقع الحروب فيها أو في طريقها ، وما فيها من حيوان ونبات وماء وغو هذا ، وربما تصدى أبو العلاء في شعره إلى شيء من هذا ؛ فجاءت بعض الصور في كلامه مشابهة لما في كلام المتنبي . وليس هذا من التقليد ، وإنما كانت صور الحروب وما يتعلق بها في ذلك العهد محدودة مقارنة ، فظن بعض الكتاب أن أبا العلاء يحتذي على مثال المتنبي ، أو يأخذ منه في ذلك أو في غيره ، وهذا وهم ، لأن المتنبي والمري يحرران في مناهج الشعر مجرى المتقدمين ، وإن كانا يخالفانهم في دقة التصوير ، وروعة الخيال ، ولطف الأسلوب ، وتزيينه بالحكمة ، وهذه أمثلة مما تلاقى فيه المري والمتنبي من الأغراض واختلفا فيه ، بما يجعلها كأنها لم يتلاقيا . وصف المتنبي القبار الذي تشبه حوافر الخيل بيت بديع على ما فيه من الفل فقال :

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عِثْرًا لَوْ تَبْتَغِي عَنَقًا عَلَيْهِ لَأَمْكَنَّا^(٢)

ورصفه أبو العلاء فقال :

وَبَنَتْ حَوَافِرُهَا قَتَامًا سَاطِعًا لَوْلَا انْفِيَادُ عِدَاكَ لَمْ يَبْهَتَمْ

(١) في الفروع : « .. من الحلي شهور عام » .

(٢) الرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج ١ ص ١٥٥

إلى آخر الأبيات الثلاثة^(١) ، فكلاما وصف الفبار ، ولكن المتنبي بالغ في كثافته وبقائه ، حتى لو أرادت الخيل السير السريع فوقه لاستطاعت ذلك . وأبو العلاء بالغ في كثافته وبقائه حتى باضت فيه النور وفرخت ، وبالغ في ارتفاعه حتى بلغ السحاب ، وخالط ماءه فكدره ، وقد وافق المتنبي في شيء وزاد عليه في غيره ، مع اختلاف الصورة والجهة .

ووصف المتنبي الخيل بحدة السمع فقال :

وَتَنْصَبُ لِلْجَرَسِ الْخَفِيِّ سَوَامِعًا يَخْلُنُ مَنَاجَاةَ الضَّمِيرِ تَنَادِيًا^(٢)

ووصفها أبو العلاء بذلك فقال في فرس :

يُحِسُّ إِذَا الْخَيْالُ سَرَى إِلَيْنَا فَيَمْنَعُ مِنْ تَعْدُنَا الْخَيْالًا^(٣)

وقال في ذلك أيضا :

كَأَنَّ أُذُنَيْهِ أَعْطَتْ قَلْبَهُ خَبْرًا عَنِ السَّمَاءِ بِمَا يَلْقَى مِنَ الْغَيْرِ^(٤)
يُحِسُّ وَطْءَ الرِّزَايَا وَهِيَ نَازِلَةٌ فَيُشَبِّهُ الْجُرْنِيَّ نَفْسَ الْحَادِثِ الْمَكْرِ

ووصف المعري أعلى موأروع وأعلى .

(١) قامها :

باض النور به وخيم مصداً حتى ترعرع فيه فرخ القشم
ومما إلى حوض التمام فاؤه كدبرٍ بمنهال النبار الأقم

شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٤٢ .

(٢) الرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج ٢ ص ٤٧٣ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٧٦ .

(٤) المصدر السابق ص ١١٦ - ٧ .

ووصف أبو الطيب الخيل في أعالي الجبال فقال :

تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الذَّرَا
وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ^(١)

إلى آخر الأبيات . وتصدى أبو العلاء إلى ذلك فقال :

فَوَطِئْنَا وَكَارَأَ الْوُكُورَ وَرُوعَتْ مِنْهَا وَبَاتَ الْمَهْرُ ضَيْفَ الْهَيْئَمِ^(٢)

الأبيات . . فكلما رقى الخيل إلى أعالي الجبال ، حتى وطئت الوكور ، وأبو الطيب أجاد حيث جعل الفراخ تظن الخيل أمهاتها ، وزاد على الإجادة في تمثيتها على بطونها كالأرقام . وأبو العلاء أجاد حين جعلها تهوي على الجبال مع الطيور كأننا نقط بمظلة ، وجعل المهر ضيفاً للهيثم ، وجعل العقاب تضعف عن الطيران من ووعتها .

وقال أبو الطيب :

أَتَى الزَّوْمَانَ بَنُوهُ فِي شَبِيبَتِهِ . فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى هَرَمٍ^(٣)

وقال المري :

تَمَسَّعَ أَنْبَكَارُ الزَّوْمَانِ بِأَيْدِهِ
وَجِئْنَا بِوَهْنٍ بَعْدَ مَا خَرَفَ الدَّهْرُ^(٤)

(١) العرف الطيب ج ٢ ص ٤٠٠ ومطلع القصيدة :

على قدر أهل الزم تأتي الزائم وتأثر على لمر الكرام المكارم

(٢) شروح سطح الزند : ق ١ ص ٣٣٥ .

(٣) العرف الطيب : ج ٢ ص ٤١١ ومطلع القصيدة :

حام نحن ناري النجم في الظلم وما سراه على خف ولا هم

(٤) الزوميات ٨ ص ١١٨ .

وهو أوفى من معنى بيت المتنبي ، وأقوم أسلوباً ، وأغنى عن التقدير .
وقال المتنبي :

رَقَّتْ مَضَارِبُهُ قَهْنٌ كَأَنَّمَا يُبْنِدِينَ مِنْ عِشْقِ الرِّجَالِ نُحُولاً^(١)
وقال المرعي :

فَإِنْ عَشَقْتَ صَوَارِمُكَ الْهَوَادِي فَمَا عَدِمْتَ بَعْنَ تَهْوَى أَنْصَالاً^(٢)
وبيت المرعي أحسن لأن المتنبي لم يذكر أنها بلغت من مشوقها بضية ، بل جعلها كأنها تبدي النحول من العشق .
وقال المتنبي :

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ خِفَافَةً فَقَرٌّ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ^(٣)
وقال أبو العلاء :

إِذَا زَادَكَ الْمَالُ اقْتِفَاراً وَحَاجَةً إِلَى جَامِعِيهِ فَالثَّرَاءُ هُوَ الْفَقْرُ^(٤)
وليس هذا البيت مطابقاً لبيت المتنبي من كل وجه .

وتعرض أبو الطيب الى مذاهب القوم في الروح والجسم في مثل قوله :
فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً

وَقِيلَ تَشْرِكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ^(٥)

(١) البرق الطيب : ج ١ ص ١٤٧ .

(٢) نروح سقط الزند : ق ١ ص ٩٥ .

(٣) البرق الطيب : ج ١ ص ١٩٦ .

(٤) القزوبات ٥ ص ١١٩ .

(٥) البرق الطيب : ج ٢ ص ٤٦٥ .

وقوله :

فَهَذِهِ الْأَزْوَاحُ مِنْ جَوْهٍ وَهَذِهِ الْأَنْجَسَامُ مِنْ نُزْبَةٍ^(١)

ولكن كل ما وقع في كلامه من هذا النوع لا يدل على أنه درس هذا الموضوع درساً كافياً ، ولا على أنه اتخذ لنفسه فيه طريقة خاصة . وأبو العلاء طويل الباع في الاطلاع على المذاهب المتعددة في هذا الغرض ، وله فيه آراء سنذكرها فيما بعد .

ولو أردنا أن نستوفي ما تلاقى فيه الشاعران من الصور اللفظية ، والأغراض ، والشك في بعض الأمور ، والاستخفاف ببعض آخر ، ونحو ذلك لطال القول . ولكننا نكتفي بهذا القدر لتبين به أن المعري لم يأخذ من المتنبي ولم يقلده ؛ وإنما توافق هو وإياه في بعض الأشياء ، كما توافق المتنبي وغيره في بعضها ، وكما توافق غيرهما من الشعراء . فإن المعنى الواحد قد يلم به جماعة من الشعراء في عصور مختلفة ؛ مثال ذلك وصف الطير التي تتبع الغزاة ، فقد قال فيها الأفوه الأودي ولعله أول من سبق إلى هذا المعنى :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأْيَ عَيْنٍ ثِقَّةٍ أَنْ سَتَمَارُ^(٢)

ثم قال النابغة أبياته التي يقول فيها :

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْدِي بِعَصَائِبِ^(٣)

(١) المصدر السابق : ج ٢ ص ٦٠٩ .

(٢) انظر ديوان الأفوه الأودي في فائحة (الطرائف الأدبية) - ص ١٣ - التي نشرها الأستاذ عبد العزيز الميجي الراجكوني في القاهرة سنة ١٩٣٧ .

(٣) غنار العمر الجاهلي - مصطفى الناجي : ج ١ ص ١٦٠ ونه :

« إذا ما غزوا في الجيش ... »

ثم قال حيد بن ثور :

إِذَا مَا عَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ غَمَامَةً مِنْ الطَّيْرِ يَنْظُرُنَ الَّذِي هُوَ صَانِعُ

ثم قال الكمي :

وَقَدْ سَرَّتْ أَسِنَّهُ الْمَوَاضِي حُدَيُّ الْجَوِّ وَالرَّحْمُ السَّعَابُ

حدتي : تصغير الحدار ، افة في الحداء جمع حداة : طائر من الجوارح .

ثم قال أبو نواس :

تَنَازَى الطَّيْرُ غَزْوَتَهُ ثِقَّةً بِالشَّبَعِ مِنْ جَزَرِهِ

تَحْتَ ظِلِّ الرُّمَحِ تَتَّبَعُهُ فَهِيَ تَتَلَوُّهُ عَلَى أَثَرِهِ

ثم قال أبو تمام :

وَقَدْ ظَلَلْتُ عِقْبَانَ رَأْيَاتِهِ ضَحَى بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلِ^(١)

أَقَامَتْ مَعَ الرَّأْيَاتِ حَتَّى كَانَهَا مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلْ

ثم قال المتنبى في جيش :

تَمَرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيشِ الْقَشَاعِمِ^(٢)

إِذَا ذُوهُ هَالَا قَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً تَدُورُ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ

(١) ديوانه ط بيروت ، ص ٢٤٨ ، وفيه : أعلامه يدل رأياته .

(٢) الفرق الطب : ج ١ ص ٢٢٠ والبيت من قصيدة مطلعها :

أنا لاني إن كنت دقت اللوام علت بما بي بين تلك المعالم

وقال :

سَحَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ يَزْحَفُ قَحْتَهُ
سَحَابٌ إِذَا اسْتَنْقَى سَقَّتْهَا صَوَارِمُهُ^(١)

ثم قال أبو العلاء :

كَانَ الْأَنْوَقَ الْحَرْسَ فَوْقَ غُبَارِهِ طَوَالِعُ شَيْبٍ فِي مَقَارِقِ أَسْوَدٍ^(٢)

وكثير من الشعراء غير من ذكرناه ذكر هذه الطير في شعره كروان
ابن أبي الجنوب ، ومسلم بن الوليد ، وبكر بن النطاح ، وابن شهيد ،
وغيرهم ، وقد اقتصرنا على هذا القدر خشية الإطالة . وأنت ترى كل
متأخر منهم قد يوافق من قبله في شيء ، وقد يخالفه ؛ وليس هذا من
التقليد في شيء ، لأن المعاني - كما قال الجاحظ - مطروحة في الطريق ،
فيحق لكل أحد أن يلم بها ، وإنما يتفاوت هؤلاء الشعراء بالزيادة ، والايجاز ،
والسهولة ، والبسط ، وحسن التأليف ، وما يقع في كلامهم من النكت
الرائعة ، والأخيلة الجميلة ، والصور البديعة .

وعلى هذا يمكن أن يحمل ما وقع في كلام أبي العلاء مما نوه به بعض
الأدباء أنه قلد المتنبي فيه .

ومن مجموع ما ذكرناه يتبين أن المعري لم يقلد المتنبي ولا غيره ؛ وإنما
تأثر بأسلوب الجاهليين والإسلاميين ، وشاركهم في صور الشعر ومعانيه
وأخيلته الضيقة ، وزاد عليهم بما ذكرناه ؛ وبما نذكره في أسلوبه وأخيلته .

(١) الرف الطيب : ج ٢ ص ٢٦٥ وفيه : نَحْنُ ، بدل : نحن ، و : استغنى ،
بدل : استغنى .

(٢) فروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٦١ .

الأغراض التي تشمل عليها سقطة الزند

درج أبو العلاء في (سقط الزند) على الطريقة التي درج عليها شعراء عصره ، وشعراء العصور المتقدمة عليه . فنظم في الغزل ، والمدح ، والتهنئة ، والاسمطاف ، والثناء ، والفخر ، والمجاء ، والوصف ، وما شاكل ذلك من الأغراض المستفيضة في العصور المذكورة :

الغزل :

افتتح كثيراً من قصائده بالغزل ، ولم يلتزم فيه طريقة واحدة ، فتارة ابتدأها^(١) بمخاطبة البرق الساهر ، وطلب إليه أن يوقظ السمُر الراقدة ليمنه على السهر ، وأن يسقي « بني مطر » ثم خاطب المحبوبة بقوله :

وَيَا أَسِيرَةَ حِجْلَيْنِيَا أَرَى سَفْهًا حَمَلَ الْحَلِيَّ لِمَنْ أَعْيَا عَنِ النَّظَرِ

وذكر أن طيفها لا يفارقه ، وأنه يتنى أن يدوم معه ، وأن بقر الوحش والظباء يطلبان منها حسن الدلّ والخور ، فلم تسمح لها بشيء منها ، وإنما سمعت لها بالدّرّ حتى لم تدع من الظباء والبقر خالياً من الخُلّي ، وأن المحبوبة حسنت بيت الشمر الذي تقبى فيه ، وبيت الشمر الذي توصف به لغرط حسننها وخفرتها .

وتارة ذكر أن منزل أحبابه منزل ملوك ، لأن عندهم خيلا تصهل ،

(١) بشير إلى صديقه الراحلة ومطلعا :

ياساهر البرق أيقظ راقدا السمُر لل بالجزع أعواناً على السهر
انظر مروج سقطة الزند : ق ١ ص ١١٤ وفيها : بمن أعيا ، بدل : لمن أعيا .

وقياما تنغي كأنما تجيب الحيل . ثم ذكر أن تلك المنازل كبروج القمر في
مناعتها ، وأن الذاء اللاتي تقيم فيهن ، تكن حبيهن من كل قلب . ثم
انتقل إلى ذم الحياة ووصف الركاب . وثارة أخرى ذكر سنوح الغراب وهكذا .
وقد علمنا أن أبا العلاء كان يحذف بعض الأبيات من قصائده ، ولا نعلم
له قصيدة مستقلة بالفرز ، وإنما له أبيات أولها :

أَسَأَلْتُ أَتِيَّ الدَّمْعَ فَوْقَ أَسِيلٍ وَمَأَلَتْ لِظَلِّ بِالْعِرَاقِ ظَلِيلٍ^(١)
وأبيات أجاز بها بيتا وأولها :

مَا يَوْمٌ وَصَلِكَ وَهَوَا قَصْرٍ مِنْ نَفْسٍ بِأَطُولِ عَيْشَةٍ غَالٍ^(٢)
وأبيات أولها :

إِنْ كُنْتُ مُدِّعِيَا مَوْدَةَ زَيْنَبٍ فَاسْكُبْ دُمُوعَكَ يَا غَمَامُ وَتَسْكُبْ^(٣)
وأبيات أولها :

تَوَقَّعْتُكَ سِرًّا وَزَارَتْ جِهَارًا وَهَلْ تَطْلُعُ الشَّمْسُ إِلَّا نَهَارًا^(٤)
وأبيات قالها على لسان امرأة توصي بها ابنها بلبس الدرع وترك الزواج ،
تقول فيها :

كَأَنَّ رُضَابَهَا مِنْكَ شَيْنٌ عَلَى رَاحٍ تُخَالِطُ مَاءَ شُنَّةٍ^(٥)

.....

(١) الشروح : ق ٣ ص ١٠٤٠ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٨٤ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٢٤ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٣٧ .

(٥) من قصيدة مطلها :

عليك الباشات فانهه يدافن الصوارم والأش

شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠٤١ ، ٢٠٤٠ .

إِنَّا قَبَلْتَهَا قَابَلْتَ مِنْهَا أَرِيحَ النُّورِ فِي زُهرٍ مُغْنَةٍ

وفي أبياته وقصائده التي في (السقط) يحمد المتأمل أسلوباً لطيفاً ، ومحاورة خلابة ، ومعاني شريفة ، وديباجة عليها طلاوة وحلاوة ؛ ولكنه لا يحمد عليها محة من الحب الصادق ، واللوعة المتأججة . وهذا أمر طبيعي لأن أبا العلاء لا يحب المرأة ، لأنها سبب النسل ومستودعه ومزدرعه . ويؤمده فيها لأنه زهد في كل متعة من متع الحياة ، وهي أحبها للنفس . ومن كان شأنه كذلك لا يحبها حباً خالصاً ، ولا يشتاق إليها ، ولا يحزن لفراقها . وأبو العلاء قصير النفس في الغزل فإن في قصيدته :

مِنْكَ الصَّدُودُ وَمَنِي الصَّدُودِ رَضَى^(١)

يبتغين من الغزل . وفي قصيدته :

يَا سَاهِرَ الْبَرْقِ أَيْقِظْ رَاقِدَ السَّمْرِ^(٢)

نحو خمسة عشر بيتاً في الغزل ، منها خمسة في وصف ما منعه المحبوبة من الحلي والزينة لبحر الوحش ، وبيت يتعلق بالناقة ، وبيتان يخاطب بها البرق . وفي هذه الأبيات معان بديمة ، وحكم رائعة ، وإيجاز معجز ؛ ولكن عاطفة الحب فيها متكلفة ، على قلتها .

المرح

مدح أبو العلاء الملوك ، والأمراء ، والعلماء ، والشعراء ، والكبراء ، وغيرهم ؛ ولم يكن طالباً لثواب في مدحه ، وإنما كان ذلك على معنى

(١) لامية : من ذا عليّ بينا في هواك قضى .

دروغ السقط في ٢ ص ٦٥٤ .

(٢) حيزه : ليل بالجرع أمواتنا على السر . انظر ما سبق ص ١٠٥٦ .

الرياضة وامتحان الطبيعة ، كما صرح بذلك في مقدمة (سقط الزند) .
ويمكن أن ينقسم مدحه الى قسمين ، أحدهما : المدح الذي لم يكن جواباً .
والثاني : ما كان جواباً لأحد من العلماء . أو الشعراء الذين ابتدأوه بالمدح .
أما الاول : فنه القصائد التي مدح بها الملوك والأمراء والعلماء كالقصيدة
التي مدح بها سعيد الدولة ومطلما :

مَعَانٍ مِنْ أَحِبَّتِنَا مَعَانٍ تُجِيبُ الصَّاهِلَاتِ بِهِ الْقِيَانُ^(١)
والتي مدح بها أبا الرضى عبد الله النصيمي ومطلما :

يَا سَاهِرَ الْبَرْقِ أَيْقِظْ رَأْفَدَ السَّمْرِ لَعَلَّ بِالْجَزَعِ أَعْوَانَا عَلَى السَّهْرِ^(٢)
والقصيدة التي مدح بها أبا حامد الإفرائيني ومطلما :

لَا وَضَعَ لِلرَّحْلِ إِلَّا بُعْدَ إِيضَاعٍ
فَكَفَيْفَ شَاهَدَتْ إِمْنَضَاتِي وَإِزْمَاعِي^(٣)

وأما الثاني : فنه القصيدة التي أجاب بها الشريف أبا ابراهيم ومطلما :
الْأَحَ وَقَدْ رَأَى بَرْقًا مُلِيحًا سَرَى فَأَتَى الْحَمَى فُضُوا طَلِيحًا^(٤)
والقصيدة التي أجاب بها أبا الخطاب الجبلي ومطلما :

أَشْفَقْتُ مِنْ عِبَاءِ الْبَقَاءِ وَعَايِهِ وَمَلَّتْ مِنْ أَرِيِّ الرُّمَانِ وَصَابِهِ^(٥)

(١) غرور سقط الزند : ق ١ ص ١٧٢ .

(٢) غرور سقط الزند : ق ١ ص ١١٤ .

(٣) غرور سقط الزند : ق ٢ ص ٧٤١ .

(٤) غرور سقط الزند : ق ١ ص ٢٣٧ .

(٥) غرور سقط الزند : ق ٢ ص ٧١٥ .

الخلاص التي مدح بها بمدوحه :

ملك أبو العلاء في مديحه سبيل المتقدمين ، فمدح بالشجاعة ، والفروسية ،
والجلد ، والكرم ، والمهابة ، والذكاء ، وكرم المهند ، والكهال ، والقرى ،
ونحو ذلك من الصفات التي كانوا يمدحون بها . واستطرد في خلال مدائحه
إلى وصف الخيل ، والناقة ، والسيف ، والدرع ، والفلاة . وملك سبيل
المغلاة في كثير من أوصافه ، وأتى بصور بديعة من التشبيه ، والمجاز ،
والاستعارة ، والكناية ، وبطرف نادرة من الأمثال والحكم .

وهذه صور من وصفه في الكرم ، قال في القصيدة الأولى^(١) :

تَرَى مَا نَأَلْتَ الْأَضْيَافُ نَزْرًا وَلَوْ مُلِئْتَ مِنَ الذَّهَبِ الْجِفَانُ

.....

إِذَا ضُرِبَتْ خِيَامُكَ فِي مَكَانٍ فَذَلِكَ حَيْثُ يُلْتَقَطُ الْجَمَانُ

.....

كَلَّا كَفَيْكَ فِي سِلْمٍ وَحَرْبٍ يَكُونُ الْخَوْفُ مِنْهَا وَالْأَمَانُ

فَلَيْسَ بِشَاغِلِ الْيُمْنَى حَسَامٌ وَلَيْسَ بِشَاغِلِ الْيُسْرَى عَنَانُ

وقال في الثانية^(٢) :

الْقَاتِلُ الْحَلَّ إِذْ تَبَدُّو السَّمَاءَ لَنَا كَأَنَّهُمَا مِنْ تَجِيعِ الْجَذْبِ فِي أَزُرٍ

.....

وَقَاسِمُ الْجُودِ فِي عَالٍ وَمُنْخَفِضٍ كَقِسْمَةِ الْغَيْثِ بَيْنَ النَّجْمِ وَالشَّجَرِ

.....

(١) النظر العروج : ق ١ ص ١٨٥ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٢) النظر العروج : ق ١ ص ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ .

يُبِينُ بِالْبِشْرِ عَنْ إِحْسَانٍ مُضْطَنِعٍ كَالسَّيْفِ حَلَّ عَلَى التَّائِيهِ بِالْأَثَرِ

.....

يَا بَنَ الْأَوَّلَى غَيْرَ زَجَرِ الْخَيْلِ مَا عَرَفُوا

إِذْ تَعْرِفُ الْعُرْبُ زَجَرَ الشَّاءِ وَالْعَكْرِ

وَالْقَائِدِيهَا مَعَ الْأَضْيَافِ يَتَّبِعُهَا الْأَفْهَامُ وَالْوَفُ الْإِلَامُ وَالْبَدْرِ

.....

الْمُوقِدُونَ يَنْجِدُ نَارَ بَادِيَةٍ لَا يَخْضَرُونَ وَفَقْدُ الْعِزِّ فِي الْحَضَرِ

إِذَا هَمَى الْقَطْرُ شَبَّهَا عَبِيدُهُمْ تَحْتَ الْغَنَائِمِ لِلسَّارِينَ بِالْقَطْرِ

وقال من قصيدة أخرى (١) :

أَبْلَجُ مِنْ بَعْضِ قَرَى ضَيْفِهِ أَلَا... أَمْنُ إِذَا لَمْ يَأْمَنِ الْحَرَمُ

فِدَاهُ مَنْ كَالْتَبَتِ أَضْيَافُهُ إِذْ يَشْرَبُ الْمَاءَ وَلَا يَطْعَمُ

لَا يَكْذِبُ الْمُقْسِمُ فِي قَوْلِهِ إِنَّ الْغِنَى مِنْ يَدِهِ يُقْسَمُ

وهذه صور من مدحه بالشجاعة والمهابة والسلطة (٢) :

إِذَا سَقَّتِ السَّمَاءُ الْأَرْضَ سَجَلًا سَقَّاهَا مِنْ صَوَارِمِهِ سَجَلًا

(١) مطلبها :

سالم أعمدئك مسلم والبشر موت لهم صرفم

انظر شروح سقط الزند ! ق ٢ ص ٨٤٤ ، ٨٦٣ ، ٨٦٥ . وفي البيت الثاني فيها :

إِذَا تَعْرِبُ الْمَاءَ وَلَا تَطْعَمُ

(٢) شروح القط : ق ١ ص ٦٤ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ٩٤ .

وَيُضْحِي وَالْحَدِيدُ عَلَيْهِ شَاكٍ وَتَكْفِيهِ مَهَابَتُهُ النَّزَالَا

إِذَا خَفَقَتْ لِمَغْرِبِهَا الثَّرَيَا تَوَقَّتْ مِنْ أَيْسَتِهِ اغْتِيَالَا

وَلَوْ أَنَّ الرِّيحَ تَهَبُ غَرْبَا وَقُلْتَ لَهَا هَلَا هَبْتَ شَمَالَا

وَأَقْسِمُ لَوْ غَضِبْتَ عَلَى ثَبِيرٍ لَا زَمَعَ عَنْ نَحْلَتِهِ ارْتِحَالَا

تَهَابُ الْأَعَادِي بِأُسْهِ وَهُوَ سَاكِنٌ

كَمَا هَيْبَ مَسِّ الْجَمْرِ قَبْلَ اضْطِرَامِهِ (١)

وَرُبَّ جُرَازٍ يُتَّقَمُ وَهُوَ مُعَمَّدٌ وَلَجَّ تَهَالُ النَّفْسِ دُونَ اقْتِحَامِهِ

إِذَا مَا أَخَفَّتِ الْمَرْءَ جُنَّ مَخَافَةً فَأَيَقَنَ أَنَّ الْأَرْضَ كِفَّةُ حَابِلٍ (٢)

يَرَى نَفْسَهُ فِي ظِلِّ سَيْفِكَ وَإِقْفَا وَيَبْنِي كَمَا بُعْدُ الْمَدَى الْمُتَطَاوِلِ

يَظُنُّ سَنِيْرًا مِنْ تَفَاوُتِ لَحْظِهِ وَلُبْنَانٍ سَارَا فِي الْقَنَاوِ الْقَنَابِلِ

الشجاعة والجوهر والدلاء :

مِنْ كُلِّ مَنْ لَوْلَا تَسَعُّرُ بَأْسِهِ لَا خَضَرَ فِي يُمْنِي يَدَيْهِ الْأَسْمَرُ (٣)

(١) هروح سبط الزند : ق ٢ ص ٥١١ .

(٢) شروح سبط الزند : ق ٣ ص ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ .

(٣) شروح سبط الزند : ق ٣ ص ١١١٤ وما بعدها ، وفيها : « بذلك تلهب . . . »

يُذِكِّي تَوْقُدُ ذَهْنِهِ أَوْ قَاتَهُ فَكَأَنَّمَا هُوَ بِالْفُدُوِّ مُهَجَّرُ

• • •

ذِكِّي الْقَلْبِ يَخْضِبُهَا نَجِيمًا بِهِ مَجْمَلُ الْحَرِيرِ لَهَا جَلَالًا^(١)

• • •

رَدَّتْ لَطَافَتُهُ وَحِدَّةُ ذَهْنِهِ وَخَشَّ اللُّغَاتِ أَوْ إِنْسَاءً بِخَطَابِهِ^(٢)
وَالنَّحْلُ يَجْنِي الْمَرْمَنَ نَوْرِ الرَّيِّ فَيَصِيرُ شَهِدًا فِي طَرِيقِ رُضَايِهِ

العفاف وطلو الهمة :

مِنْ كُلِّ أَزْهَرٍ لَمْ تَأْشَرْ ضَمَائِرُهُ لِلشَّمِ خَذِي وَلَا تَقْبِيلِ ذِي أَمْسَرٍ^(٣)
لَكِنْ يُقْبَلُ قُوَّهُ سَامِعِي فَرَسٍ مُقَابِلِ الْخَلْقِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ

التواضع :

عَلَوْتُمْ قَتَوَا ضَعْفَتُمْ عَلَى ثِقَةٍ لَمَّا تَوَاضَعَ أَقْوَامٌ عَلَى غَرَرٍ
وَالْكِبَرُ وَالْحَمْدُ ضِدَانِ اتِّفَاقُهُمَا مِثْلُ اتِّفَاقِ قَتَاءِ السِّنِّ وَالْكِبَرِ

الحلم والاناة والوقار :

خَفَّ الْوَرَى وَأَقَرَّتْكُمْ مَحْلُومُكُمْ وَالْجَمْرُ يُبْغِمْ فِيهِ خِفَةُ الشَّرِّ

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٦٠

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٢٢٠ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٤١ ، ١٦٢ ، ١٦٨ .

العلم والشعر :

كَأَنَّ كُلَّ جَوَابٍ أَنْتَ ذَاكِرُهُ شَنْفٌ يُنَاطِبُ بِأُذُنِ السَّامِعِ الْوَاعِي^(١)

. . .

وَفَقِيهًا أَفْكَارُهُ شِدْنَ لِلتُّغْمَانِ مَا لَمْ يَشِدْهُ شِغْرُ زِيَادٍ^(٢)
فَالْعِرَاقِيُّ بَعْدَهُ لِلْحِجَازِيِّ قَلِيلُ الْخِلَافِ سَهْلُ الْقِيَادِ

. . .

إِذَا تَفَقَّهَ أَحْيَا مَالِكًا جَدَلًا وَيَنْشُرُ الْمَلِكَ الضَّلِيلَ إِنْ شَعَرَا^(٣)

. . .

لَشَرَفَتِ الْقَوَافِي وَالْمَعَانِي بِلَفْظِكَ وَالْأَخِلَّةَ وَالْخَلِيلَا^(٤)
إِذَا الْمَسْهُوكُ قُبِتَ بِهِ اتِّصَارًا لَهُ مِنْ غَيْرِهِ فَضَلَ الطَّوِيلَا

عظم للورى والإطعام وأدواته :

وَقَدْ وَرُّهُمْ مِثْلُ الْهَضَابِ رَوَاكِدًا وَجَفَانُهُمْ كَرَحِيبَةِ الْأَفْيَافِ^(٥)
مِنْ كُلِّ جَائِشَةٍ الْعَشِيِّ مُفِيئَةٍ بِالْمَسِيرِ خَيْرَ مَرَاوِدٍ وَصَحَافٍ
دَهْمَاءَ رَاكِبَةٍ ثَلَاثَةَ أَجْبُلٍ عِظْمًا وَإِنْ حُسِبَتْ ثَلَاثُ أَنْفٍ

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧٥٨ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ٩٨٦ ، ٩٨٧ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٤٠ وفيها : « . . . أعيا مالكا . » .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ٣٩٤ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣١٥ - ١٣١٧ .

النهضة

في (سقط الزند) عدة قصائد في النهضة ، منها ما هو تهنته بالعيد ، كالقصيدة التي قالها في سعيد الدولة حفيد سيف الدولة ومطلما :

أَعَزَّ وَخَدَّ الْقِلَاصِ كَشَفَتْ حَالاً وَمِنْ عِنْدِ الظَّلَامِ طَلَبْتَ مَالاً^(١)
وفيها يقول :

وَأَنْتَ أَجَلٌ مِنْ عِيدِ نُهْنَا بِعَوْدَتِهِ فَهِنْتَ الْجَلَالُ
والقصيدة التي قالها في أبي الرضى الفصيمي ومطلما :

يَا سَاهِرَ الْبَرْقِ أَيْقِظْ رَأَقْدَ التَّمْرِ ^(٢)
وفيها يقول :

لَوْلَا قُدُومُكَ قَبْلَ التَّمْرِ آخِرُهُ إِلَى قُدُومِكَ أَهْلُ النِّفْعِ وَالضَّرَرِ
سَافَرْتَ عَنَّا فَظَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ يُرَاقِبُونَ إِيَابَ الْعِيدِ مِنْ سَفَرِ
لَوْ غَبَتْ شَهْرُكَ مَوْصُولًا بِتَابِعِهِ وَأَنْتَ لَا تَتَقَلَّ الْأَضْحَى إِلَى صَفَرِ...

ومنها ما هو تهنته بعروس كالقصيدة التي هنا بها بعض الأمراء بعروس ومطلما :

لَوْلَا تَحِيَّةُ بَعْضِ الْأَرْبَعِ الدُّرُسِ ^(٣)

(١) شروح اللط : ق ١ ص ٢٥ .

(٢) مجزه : لل بالجزع أمواناً على البحر . وانظر مروج اللط : ق ١ ص ١١٤ .

(٣) مجزه : ما حاب حد لسانه حلت الحبس . وانظر مروج سقط الزند : ق ٢ ص ٦٨٩ .

رفيها بقول :

مَارَبَةُ الْغَيْلِ أَخْتُ الظَّنِّ فُزْتُ بِهَا
بَلْ رَبَّةُ الْغَيْلِ أَخْتُ الضَّيْفِ الشَّرِيسِ
مِنْ مَعْشَرٍ لَا يَخَافُ الْجَارُ بِأَسْهُمْ غَشَوُا صُرُوفَ اللَّيَالِي بُرْذُمُ مَبْتَشِسٍ...
والقصيدة التي يقول فيها (١) :

زُفْتُ إِلَى دَارِكَ شَمْسِ الضُّحَى وَحَوَّلَهَا مِنْ شَمْعٍ أَنْجَمٍ
مِثْلُ شِيَاثٍ فِي قَمِيصِ الدَّجَى زَيْنَ بَيْنِ الْفَرَسِ الْأَذْهَمِ
تَخْفَى وَلَا تَظْهَرُ إِلَّا إِذَا أَحْرَزَهَا مَنْزِلُكَ الْأَعْظَمِ
كَأَنَّا سرَ الْإِلَهِ الَّذِي عِنْدَكَ دُونَ النَّاسِ يُسْتَكْتَمُ

ثم وصف هذا العرس بأنه كثر فيه نثر الدنانير الشبيهة بالنجوم ،
حتى عم الآفاق ، وصما إلى الجوسم منه ، حتى كأن الشهب درر مبعثرة
في السماء ، أو أن السماء نزلت فنهبت خفية من الدرر المنشورة ؛ وعذرها
في ذلك أن الثريا بعض ما غنمته . وقال : إن عليها هذا لا يخفى لأن
بعض ما نهبت المريع والجوزاء والميزم . ثم زعم أن حمرة الشفق في
الجو من كثرة ما استعمل من الطيب والعود في ليلة العرس التي رأى
فيها الليل ما لم تره عاد ولا جرم ؛ حتى إن رائحة الطيب ملأت مناخر
البدر ، وانتشر في الأرض فشمه المنجيد والمنهيم ، وانتشفه الطير فزار
المدرج الناضئ والقشم منها ، وماجت الوحوش واضطربت ، وجملت

(١) هروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٤٦ ، ٨٤٧ .

تأل الطير عن سبب زيارتها هذا المدوح المزدوج ؛ ثم مضى بعد ذلك في مدحه بصور رائعة .

ومنها ما هو تهنتة بولوه : ومنه القصيدة التي أولها :

مَتَى يُضْعِفُكَ أَزِينُ أَوْ مَلَالٌ فَلَيْسَ عَلَيْكَ لِلزَّمَنِ ابْتِهَالٌ^(١)

وفيه يقول :

هَنِيئًا وَالْهَنَاءُ لَنَا جَمِيعًا يَفِينَا لَا يُظَنُّ وَلَا يُخَالُ

.

بَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَاكَ سِنْفًا عَدُوَّكَ مِنْ مَخَايِلِهِ يُهَالُ
حُسَامٌ لَا الذُّبَابُ لَهُ قَرِينٌ وَلَا دَرَجَتٌ بِصَفْحَتِهِ النَّمَالُ
وَقَدْ سَمَاءُ سَيِّدُهُ عَلِيًّا وَذَلِكَ مِنْ عُلُوِّ الْقَدْرِ قَالَ

ثم مضى فقال : إن هذا المولود لما رفع صوته عند ولادته ، بشر أهله بأخوة له كالأسود تأتي بعده ، وإن تنابع الأولاد عز للرجل إذا اكتمل ، وإن هذا المولود سيبلغ مراتب أبائه ؛ كما أن النبل يصير لينا ، والهلل يصير بدرًا كاملاً ، وأنه يتمنى للمدوح أن يكثر عدده حتى يزيد على عدد الرمال ، وأن يعطى خلوداً في سعد .

ومنه القصيدة التي أولها :

مَتَى نَزَلَ السَّمَاءُ فَحَلَّ مَهْدًا تُغْذِيهِ بِدِرَّتَيْهَا الشَّدِيهِ^(٢)

(١) شروح سبط الزند : ق ٤ ص ١٦٩٧ ، ١٧٠٩ ، ١٧١٥ - ١٧ .

(٢) شروح سبط الزند : ق ٣ ص ١٣٢١ ، ١٣٢٢ .

وفيه يقول :

أَهْلُ بَصَوْتِهِ فَأَهْلٌ شُكْرًا بِهِ الْأَقْوَامُ وَافْتَخَرَ النَّدِيُّ
بِیَوْمِ قُدُومِهِ وَجَبَتْ عَلَيْنَا الـمُذَوَّرُ وَسِيقَ اللَّبَيْتِ الْهَدْيِ

ثم ذكر أن المها بالمولود من تنوخ من بني الفهم ، ومدحهم في الجاهلية والإسلام ؛ ويثبت أن اسم المولود محمد وكنيته أبو علي ، ودعا له أن يعيش عمر الزيا ، ودعا على نفسه وركائبه بالهلاك إذا فارق العراق .
ومنها ما هو تهة بشفاء : ومنه القصيدة التي مطلعها :

عَظِيمٌ لَعَفْرِي أَنْ يُلِمَّ عَظِيمٌ بِالِ عَلِيٍّ وَالْأَنَامُ سَلِيمٌ^(١)
وفيه يقول :

هَنِيئًا لِأَهْلِ الْعَصْرِ بُرْهَ مُحَمَّدٍ وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ جَاهِلٌ وَعَلِيمٌ

.....

وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ مِثْلَكَ يَشْتَكِي وَلَمْ يَتَغَيَّرْ لِلرَّيَّاحِ نَسِيمٌ
وَلَمْ تُطْبِقِ الدُّنْيَا الْفِجَاجَ عَلَى الْوَرَى فَيَمْلِكَ مَخْوَدٌ بِهَا وَذَمِيمٌ
فَإِنْ نَالَ مِنْكَ السُّقْمُ حَظًّا فَظَلَمًا رَأَيْتَ هِلَالَ الْأَفْقِ وَهُوَ سَقِيمٌ

ومنه القصيدة التي أولها :

أَفُوقَ الْبَدْرِ بُوْضَعُ لِي مِهَادُ أُمِّ الْجُوزَاهِ تَحْتَ يَدَيَّ وَسَادُ^(٢)

(١) شروح سبط الزند : ق ٢ ص ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٨ .

(٢) شروح سبط الزند : ق ١ ص ٢٨١ .

وفيه يقول :

شَكَأَ فَتَشَكَّتِ الدُّنْيَا وَمَادَتْ بِأَهْلِهَا الْغَوَائِرُ وَالنَّجَادُ^(١)
وَأَرْعَدَتِ الْقَنَا زَمْعًا وَخَوْفًا لِذَلِكَ وَالْمُهَنْدَةُ الْحِدَادُ
وَكَيْفَ يَقِرُّ قَلْبٌ فِي ضُلُوعٍ وَقَدْ رَجَفَتْ لِعِلَّتِهِ الْبِلَادُ

ثم مضى بعد ذلك في مدحه ومدح قبيلته ، ولم يذكر أبياتاً تنطق بمرضه وشفائه غير هذه الأبيات الثلاثة ؛ ولعله أسقط منها شيئاً كما فعله في كثير من قصائده التي قالها في المدح وما يتصل به .

الاستعطاف والمعتذار

عتب عليه بعض العلويين لأنه لم يعدّه في مرضه ؛ فكتب إليه قصيدته التي مطلعها :

عَظِيمٌ لَعَمْرِي أَنْ يُلِمَّ عَظِيمُ^(٢)
وفيه يقول معتذراً ومستعطفاً :

لَكَ اللَّهُ لَا تَذَعُرْ وَلِيًّا بَغْضَبِهِ أَهْلٌ لَهُ عُذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ
فَلَمَوْزَارَ أَهْلِ الْخُلْدِ عَتَبُكَ زُورَةٌ لَاؤُهُمْ أَنْ الْجَنَانَ جَحِيمُ
إِذَا عَصَفَتْ بِالرَّوْضِ أَنْفَاسُ نَاجِرٍ فَأَيَّ وَمِيضٍ لِلْفُغَامِ أَشِيمُ

(١) المروج ، ق ١ ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

(٢) مجزه : بآل علي والأمام سليم . وانظر المروج : ق ٢ ص ٦٦٣ ، ٦٦٥ - ٧ .

وَهَلْ لِي فِي ظِلِّ النَّعَامِ تَقِيلُ إِذَا مَنَعْتَ ظِلَّ الْأَرَاكِ سَمُومُ
وَمَا كُنْتُ أَذْرِي أَنَّ مِثْلَكَ يَشْتَكِي وَلَمْ يَتَغَيَّرْ لِلرِّيَّاحِ نَسِيمُ

وكان ابن قيم البرقي مريضاً فلم يعمده أبو الهلاء ؛ فكتب إليه أبياتاً
يغيب فيها عليه لعدم عيادته ، فأجابه بأبيات (١) بين فيها معذرتة في
ترك العيادة ، منها قوله :

أَمْعَاتِي فِي الْهَجْرِ إِنَّ جَارِيَتِي طَلَّقَ الْجِدَالَ وَجَدْتَ عَيْنَ الظَّالِمِ
حُوشِيَّتٍ مِّنْ شَكْوَى تُعَادُوهُ إِنَّمَا شَكْوَاكَ مِّنْ ظَنَرٍ بِدَجَلَةٍ عَارِمِ
فَاكْتَفَ جُفُونَكَ عَنْ غَرَارِ غَارِسِ

فَالضَّرْبُ يَثْلُمُ فِي غَرَارِ الضَّارِمِ
وَعِيَادَةُ الْمَرْضَى يَرَاهَا ذُو النَّهْيِ قَرَضاً وَلَمْ تُفَرِّضْ عِيَادَةَ هَائِمِ
تَصِفُ الْمَدَامَةَ فِي الْقَرِيضِ وَإِنَّمَا صِفَةُ الْمَدَامَةِ لِلْمُعَافَى السَّالِمِ

ثم بين له أنه يشرب الماء جامداً ، وأن ثاره ضعيفة ، وقد أحرقت
نوبه وبساطه ، وترك في نمرقه أثراً كأنه الكي ، وأن النسيب الذي
اشتمل على عتابه كان شديد الوقع عليه ؛ ووصف ما هو عليه في منزله
الذي يعلم فيه في بغداد .

المرثية

أفضل الرثاء ما جمع بين التفجع على المرنى ، وتعداد مناقبه المحمودة ،

بأسلوب رائع ؛ ويزداد جودة بما يضاف إلى ذلك من طلاوة الألفاظ ،
والديباجة ، وطرافة المعاني ، ونحو هذا من محسنات الشعر .

وأبو العلاء جمع في رثائه بين هذه الوجوه ، وأضاف إليها صوراً
رائعة من التشبيه والخيال ، وطرفاً فادرة من الحكم والأمثال ، حتى كان
أمةً وحده في الرثاء .

رثى أبا إبراهيم العلوي بقصيدة شكا فيها صروف الدهر وأحداثه
ومصائبه ؛ ولم يحذ فيها مصيبة تشبه فقد الشريف ، ولا فاجعة أشد منها ،
وجعله فوق نعته سرّاً سماوياً ، ولحده مقر الثريا ؛ وأقدم أنه لم يتكلم
صارماً مثله ، ولا صاح في الخيل : أقدمي من يشبهه ، ولا صرّف الخطيئة
مثل يمينه ؛ ولا أمسكت يد عناناً مثل يساره ، وأن جبريل تقرب
بروحه إلى جده وأمه فاطمة . ومدحه بالكرم والحلم والعفاف ؛ وهول
مصابه ، وعزّي آلّه وأصحابه ، ومدحهم بالشجاعة والتجدة ونحو ذلك .
وجعل بنيه كالشعب التي هي الأسباب في تنفيذ الأقدار ، وافق ما شاء
وشاء له بلاغته ، ومن رائع أبياته فيها قوله :

فَيَا قَلْبَ لَا تُلْحِقْ بِشَكْلِ مُحَمَّدٍ سِوَاهُ لِيَبْقَى نُكْلُهُ مِثْلَ الرِّسْمِ^(١)
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُزْنَ لِلْحُزْنِ مَاحِيَا
كَمَا حُطَّ فِي الْقِرَاطِ رَسْمٌ عَلَى رَسْمٍ

وقوله :

(١) مطلع هذه الرثية :

بني الحب الوضاح والعرف الجمّ لاني إن لم أرت والدم خصمي

انظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ٩٤٩ - ٩٦٨ .

نَعَيْنَاهُ حَتَّى لِلْفَزَالَةِ وَالشَّهَى فَكُلُّ تَمَنَّى لَوْ فَدَاهُ مِنَ الْحَتَمِ
وَمَا كَلَفَةُ الْبَذْرِ الْمُنِيرِ قَدِيمَةً وَلَكِنَّهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّذَمِ
فَيَا مُزْمِعَ التَّوْدِيعِ إِنْ تُنْسِرِ نَائِيًا فَإِنَّكَ ذَانٍ فِي التَّخِيلِ وَالْوَهْمِ
والقصيدة كلها متينة الأسلوب ، محكمة الرصف تفيض على أبياتها عاطفة
الحزن واللوعة .

ورثي أبا حمزة الحسن بن عبد الله التنوخي بقصيدة أبياتها نحو أربعة
وستين بيتاً (١) بأبيات ساوى فيها بين نوح الباكي وترثم الشادي في عدم
الإجداء ، وجعل النعي شبيهاً بصوت البشير بالمولود ، لأن المصير واحد .
وتساءل عن صوت الحمامة هل هو ضياء يؤذن بالسرور بحياة غرارة ؟ أم
هو بكاء من حياة مصيرها إلى الفناء ؟ ثم نبه إلى أن مصير كل إنسان
إلى الفناء بعد الحياة ، والذلة بعد العزة ، والضيق بعد السعة ، والرضى
بالإقامة مع ضده على ما في ذلك من مهانة . وأن ذلك سبيل كل حي
حاضر ، كما كان مصير كل حي سابق ؛ وسيكون مصير كل حي لاحق ،
ليكون على الأحياء مصابهم بالأموات ، بأسلوب يأخذ بجامع القلوب ،
ويقصر عن إدراكه كل متطاول ، ولم يسبقه إليه أحد من الأوائل ، وذلك
حيث يقول :

صَاحَ هَذِي قُبُورُنَا تَمَلُّا الرُّحْبَ فَايْنَ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادٍ
خَفَّفِ الْوَطْءَ مَا أَظُنَّ أَدِيمَ الْأَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ

(١) مطلقاً :

غير مجد في ملئي واحفادي نوح باك ولا نرم شادي
انظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ٩٧١ - ١٠٠٥ .

وَقَبِيحٌ بِنَا وَإِنْ قَلِمَ الْعَهْدُ هَوَانُ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
سِرٌّ إِنْ أَنْسَطَعَتْ فِي الْهَوَاءِ رُؤُودُ لَا اخْتِيَالًا عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لِحْدًا مِرَارًا ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الْأَضْدَادِ
وَدَفِينٍ عَلَى بَقَايَا دَفِينٍ فِي طَوِيلِ الْأَرْزَمَانِ وَالْأَبَادِ
وإذا كنت تشك في طول الأمد ، وقدم العهد ، وكثرة من مات
وصار ترابا ، كما صارت ديارهم خرابا يبابا ،

فَأَسْأَلُ الْفَرَاقَيْنِ عَمَّنْ أَحْسَنَا مِنْ قَبِيلٍ وَأَنْسَأَ مِنْ بِلَادٍ
كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ وَأَنَارَا لِمُدْلَجٍ فِي سَوَادٍ

وقد عرّف بعض الحكماء المتقدمين الحياة بأنها حركة ، وعرّف الحركة بأنها تعب ؛ فالفأبر العلاء من هاتين المقدمتين قياساً منطقياً من الشكل الأول ، وكانت نتيجته : الحياة تعب ، وإن فرح الناس في الساعة التي يولد فيها المولود مهما كان كثيراً لا يعدل لحظة من حزنهم عليه عند موته . وإن للإنسان حياتين ، الأولى : قبل الموت وهي حياة عمل وليست بخالدة . والثانية : بعد الموت ، وهي البقطة الحقيقية ، والحياة الخالدة ، وحياة الجزاء ، والموت بينها يشبه رقدة يستربح فيها الجسم من تعب الحياة الأولى ، ولقد أبدع وأوجز فأعجز في إفراغ هذه المعاني بقوله :

تَعَبَ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعْجَبُ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي زَيْدٍ
إِنْ حُزْنَا فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَافُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ^(١)

(١) في شروح القبط : « إن حزنا في ساعة الموت ... » .

خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسِبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ أَعْمَا لِي إِلَى دَارٍ شَقْوَةٍ أَوْ رَشَادٍ
ضَجَعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ إِلَيْهَا جِسْمُهَا وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشَّهَادِ

ثم رأى أنه لا يستطيع أن يقوم بما يجب عليه من الحزن والنواح
والبكاء على المرنى ، لعظم المصاب به ؛ فسأل الحسام أن تساعد على
نواحه أو تعدد بالمساعدة ؛ لأنها مشهورة بحفظ الوداد ، ولأن الناس
يزعمون أن الهديل وهو واحد من الحسام كان على عهد نوح ، فصاده
جاريح من جوارح الطير ؛ فما من حراسة تهتف إلا وهي تنوح عليه .
ولكن أبا العلاء لم يرتضِ نواحها لأن أطواقها التي في أعناقها نوع من الزينة ،
وهي تنافي حالة الحزينة ؛ وإنما يريد منها أن تتزعج الأطواق من أجيادها ،
وأن تستعير من الظلام ثوباً أسود ، ثم بعد ذلك تنوح معه على المرنى .
ثم انتقل إلى مدح المرنى ، فوصفه بأنه فقيه ، حنفي ، خطيب ،
مصنع ، رارٍ للحديث ، ناسك ، مجتهد في الكشف عن الحقائق العلمية ،
غير معول على الظواهر ، زاهد في متع الحياة .

وبالنظر لجلالة الميت ، وجلالة المصاب به ، وكثرة الباكين عليه ، طلب
أن يعلل بالدموع لكثرتها ، وأن يدفن بين الحصى والفؤاد ، إجلالاً له عن
التراب ؛ وأن يكفن بورق المصحف لشرفه ؛ ولأنه أكبر من أن يكفن
بالأبراد النفيسة ، وأن يشيع نعشه بالقرآن والتسبيح ، لا بالبكاء وتعداد مناقبه .
ثم هدأت نائرة نفسه من الحزن ، وثاب إلى رشده ؛ فرأى أن الحزن
غير نافع ، وأن الاجتهاد في التماس الحيلة لدفع الموت لا يجدي فتيلاً ،
وأن الحزن ربما أخرج صاحبه إلى ما لا يليق بالحداد ؛ وضرب لذلك مثلاً
بأن سليمان عليه السلام فاشتغل بها حتى فاتته صلاة العصر ،

فحزن لذلك ؛ فجعل يضرب أعناق الخيل وسوقها لأنها كانت السبب في فوت الصلاة . وأنه خاف على ولده من الناس ، فلم يأمن عليه غير الريح ؛ فاستودعها إيتاءه ، فلم تستطع الريح دفع الموت عنه ، فلما حات ألت الريح جسده على كرسي أبيه .

ثم سأل المرنى كيف أصبح في قبره بعده ؛ وذكر أن الطبيب اعترف بمجزئه عن معالجته ، وأن اليأس بلغ منه نهايته ، وأن المواد انقطع ترددهم عنه . ثم انتقل إلى مدح أسرة المرنى ، واستطرد بعد ذلك فالتمس علة لطيفة لموت المرنى ، فادعى أنه كان خليلاً لعباءه ، فلما أراد الصبا أن يفارقه ويذول عنه ، وافقه في رأيه فزال معه ، وعد ذلك من الوفاء للصاحب الأول . ثم أراد أن يحون على نفسه الأمر فقال : إن زحل وهو أعلى الكواكب السيارة ، لأنه في الفلك السابع ، لا يلم من الهلاك ، وكذلك المرنى وهو في الفلك الخامس لا بد أن يطفىء الردى ناره ؛ والثريا لا بد من أن يفترق شملها ، فليس بعد هذا يعظم على الموت أن يصيب المرنى ، وإن كان عظيم القدر ، رفيع الشأن ، عالي المكان . ثم دعا لأخيه وحضه على أن تطيب نفسه عن أبناء أخيه المرنى ، وبيتن له أن كل ما في الدنيا صائر إلى الزوال والدمار بقوله :

كُلُّ بَيْتٍ لِلْهَدْمِ مَا تَبَتَّنِي الْوَرَقَاةُ وَالسَّيْدُ الرَّفِيعُ الْعِمَادِ
وأن العاقل من يعلم أن مصيره للفناء ، فيكتفي من الدنيا بالقليل النافه الذي يدفع به الأذى :

وَالْفَتَى ظَاغِرٌ وَيَكْفِيهِ ظِلُّ السَّيْرِ ضَرْبُ الْأَطْنَابِ وَالْأَوْنَادِ

لأن أمر الله ظاهر في أن لا بقاء لغيره . وقد اختلف الناس ، ففريق عرف هذه الحقيقة ، فزهد في الدنيا ومتعها ، ودعا إلى الزهد فيها فهو مهتد هاد ، وفريق غفل عن ذلك فحرم على جمع حطامها ، ودعا إلى ذلك فهو ضالّ مزلّ :

بَانَ أَمْرُ الْإِلَهِ وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِدَاعٍ إِلَى ضَلَالٍ وَهَادٍ

ثم ذكر أن الناس تحيّرُوا في آدم عليه السلام لأنه حيّ استحدث من جاد . ومن عرف أن قدرة الله صالحة لذلك وأمثاله هان عليه الأمر وابتعد عن الحيرة ، وهان عليه أن يعتقد أن الله يبعث الناس بعد الموت ، فيكونون أحياء بعد أن صاروا تراباً ، بل إعادتهم أحياء أهون من خلقهم أول مرة . وأظن أن أبا العلاء أراد هذا بقوله :

وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ

ثم ختم القصيدة بقوله :

وَاللَّبِيبُ اللَّبِيبُ مَنْ لَيْسَ يَفْتَرُّ بِكَوْنٍ مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ

إذا قرأ الإنسان هذه القصيدة ، بل هذه الطرفة الفريدة ، وأدرك ما فيها من مقاصد وأغراض تتعلّق بفلسفة الحياة وما بعدها ، وفطن إلى ما فيها من المغازي الدقيقة ، والإشارات اللطيفة إلى الحوادث التاريخية وغيرها ، وإلى قدرة الشاعر على التصرف بالألفاظ والمعاني ، ووضع كل شيء في محله ، وإحكام المناسبة بين الأبيات ، وتسلسل المعاني ، ونحو ذلك بما يتنضميه الصناعة الشعرية ، تجاذبته أنواع من الأعجاب والإكبار والطرب ؛ ثم أخذته حيرة فلا يدري أيكون إعجابه وإكباره وطربه بما اشتملت عليه

من المعاني المبتكرة ، والصور الطريفة الرائعة في الغرض الواحد ، أم بإفراغ تلك المعاني الشريفة العظيمة في قوالب موجزة لطيفة سه ، يظن كل أحد أنه يستطيع أن يأتي بمثلا ، فإذا حاول ذلك امتنع عليه واستعصى ؟ أم برشاقة ألفاظها ، وطيب نبراتنا ، وحن تليقها ، وطلاوة ديباجتها ، ثم لا يستطيع بعد ذلك أن ينكر أن هذه القصيدة بجموعها ومن جميع وجوها هي فلتة من فلتات الدهر ، ونادرة من مقلدات الشعر ، وأن صاحبها أتى فيها بما لم تستطع الأوائل ، ولم تنق غباراً فيه الأواخر .

ورثي جعفر بن علي بن المذهب التنوخي المعري^(١) بقصيدة تبلغ أبياتها نحو خمسين بيتاً أقل ما يقال فيها : إنها عقد نفيس ، جمع من عوائل الحكيم والأمثال ، وطرائف المقاصد ، ونوادر الصناعة الشعرية ما تقرر عنه يد كل متناول إليه . ففيها ألفاظ تشبه النسم لطافة ورقة ، وجل تكاد تكون رموزاً لإيحازها ، مع إيضاح المعنى ، والوفاء بالغرض . وقد تضمنت مقاصد نبيلة ممتدة ، ولحات لطيفة تضيق عنها الصفحات الكثيرة ، وجمعت إلى إحكام الرصف جمال الديباجة ، وحن النغمة ، فهي تنحدر إلى قرارات النفوس انحدار الماء ، وقدخل الأذان بلا استئذان ، بل تطئيبها الأسماع وتجتذبها النفوس .

أشار في مطلع هذه القصيدة إلى أن أفضل ما يلجأ إليه المصاب بمصيبة هو الصبر عليها ، لأن الجزع لا يجدي نفعا ؛ ومن أي إلا أن يجزع فإن البكاء غاية ما يستطيعه :

(١) هكذا قال الحوارزمي ، وقال البليوسي يرثي بما بنى الأشراف . وقال غيره يرثي بها ابن عمه علي بن المذهب . والأول أول لأن أبا اللاه يقول فيها :

فلينرف المفن على جعفر ... (ج)

انظر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ١٠٠٦ - ١٠٢٧ .

أَحْسَنُ بِالْوَاجِدِ مِنْ وَجْدِهِ صَبْرٌ يُعِيدُ النَّارَ فِي زَنْدِهِ
وَمَنْ أُمِّي فِي الرُّزْءِ غَيْرُ^(١) الْأَسَى كَانَ بُكَاءُ مُنْتَهَى جَهْدِهِ

ثم عاود نفسه ، فتبين له أن الصبر إنما يكون على مفقود له نظير ؛
أما إذا كان منقطع النظير فلا يكفي فيه الصبر ، بل لا بد من البكاء
عليه وإذا كان الأمر كذلك :

فَلْيَذْرِفِ الْجَفْنُ عَلَى جَعْفَرٍ إِذْ كَانَ لَمْ يُفْتَحْ عَلَى نَدِّهِ
وقد تبين فضل المربي على غيره لما قيس إلى أصداده ؛ وظهرت
مناقبه التي يفوق بها غيره :

وَالشَّيْءُ لَا يَكْثُرُ مُدَاحُهُ إِلَّا إِذَا قِيسَ إِلَى ضِدِّهِ
والإنسان يشبه الإنسان في تكوينه من لحم ودم ؛ وإنما يقع التفاضل
بالسجايا الكريمة والمناقب ، ويثنى على المرء لخلاقته وخلاله . كما أن
النبات يفضل بعضه بعضاً بطيب الرائحة إذا قيس أحدهما بالآخر :

لَوْلَا غَضَى نَجْدٍ وَقَلَامُهُ لَمْ يُثْنِ بِالطَّيِّبِ عَلَى رَنْدِهِ
والناس يحبون مخالطة الحرّ الكريم الحسن الشيم ؛ ويكرهون مفارقتها ؛
كما يحبون مفارقة غيره ، ويكرهون قربته ومواصلته . وبديهي أن :

لَيْسَ الَّذِي يُبْكِي عَلَى وَضْلِهِ مِثْلَ الَّذِي يُبْكِي عَلَى فَقْدِهِ^(٢)
والناس مفلطرون على حب النافع لنفسه ، ويرتاحون إلى لقاءه ؛
كما أنهم يكرهون قرب الضار لضرره ، ولا يرتاحون إلى لقاءه :

(١) في شروح القط : « إلا الأسى » .

(٢) في الفروع : « على ضده » .

وَالطَّرْفُ يَرْتَاحُ إِلَى غُمْضِهِ وَيَنْسَرُ يَرْتَاحُ إِلَى سُهْدِهِ

ثم ذكر أن الحزن على الفقد كان فرضاً علينا لو استطعنا لدناه . ولم تنفذه ؛ ولكنه لم يكن مثاها للوقت ، بل كان كوكباً يتدى به ؛ فانتقل من التراب إلى محل سعدة ، وأصبح قريباً منا في المسافة ، بعيداً في المال والزبارة . يريد بذلك أن يهون على نفسه ، ويستتر عن عدم حزنه وبكائه ؛ ثم أخذ يعاتب الدهر ويلومه على بعض أعماله التي بيتها بقوله :

يَا ذَهْرُ يَا مُنْجِزَ إِيْعَادِهِ وَخُلِفَ المَأْمُولِ مِنْ وَعْدِهِ
أَيُّ جَدِيدٍ لَكَ لَمْ تُبْلِهِ وَأَيُّ أَقْرَانِكَ لَمْ تُرْدِهِ
تَسْتَأْسِرُ الْعِقْبَانَ مِنْ^(١) جَوْهَا وَتُنْزِلُ الْأَعْصَمَ مِنْ فِنْدِهِ

وأنكر على الدهر أن يسوي بين الناس في الموت ، فلا يفرق بين فاضل وناقص ، ولا بين غوي ورشيد ؛ حتى يكاد ينجبل إلى المرء أن الغنى والجهل خير من الرشاد والفضل ؛ لأن الآخرين يحتاج صاحبها إلى كد وعناء في اكتسابها بخلاف الأولين ؛ وإذا لم يكن لذلك العناء ثمرة في دفع الردى عن صاحبها فالجهل والغنى أقل عناء وأكثر راحة ، وربما كانا أكثر نفعاً لأن الحياة تصغر للجاهل :

أَرَى ذَوِي الْفَضْلِ وَأَضْدَادَهُمْ يَجْمَعُهُمْ سَيْلُكَ فِي مَدَّةٍ
إِنْ لَمْ يَكُنْ رُشْدُ الْفَتَى نَافِعاً فَقَبْلَهُ انْقَعُ مِنْ رُشْدِهِ

وإذا جرب الإنسان الدنيا ، واستقرى أحوالها وتقلبها وجورها ،

(١) في شروح القط : « العيان في جرها » .

حكم عليه العقل بأن يزهد فيها . ولكن القلوب تطغى عليها الأهواء
فتستعبدما وتدفعها إلى غير ما يقتضيه العقل :

تَجْرِبَةُ الدُّنْيَا وَأَفْعَالُهَا حَثَّتْ أَخَا الزُّهْدِ عَلَى زُهْدِهِ
وَالْقَلْبُ مِنَ أَهْوَايِهِ عَابِدٌ مَا يَعْبُدُ الْكَافِرُ مِنْ بُدْهِ

وإن أبا العلاء جرب الدنيا وزهد فيها ، ولكنها لم ترهده فيه ؛ فما
زالت نواحي عليه المصائب والأرزاء حتى ألِفها ، وصار لا يحسن لأحداثها
ألماً ، بل صار يأنس بها ؛ كما أن من اعتاد أكل السم لا يألم من أكله
وربما تَلَذَّذَ به :

إِنْ زَمَانِي بِرِزَايَاهُ لِي صَيَّرَنِي أَمْرَحُ فِي قَدْرِ

ثم ذكر أن تعجيل الموت وتأجيله لا يتوقف على شرف الإنسان أو خسته ،
لأن الناس في قبضة الزمان كاللؤلؤ في قبضة الإنسان ، فهو ينفق ما يختار منه ،
ولكن يرون في الغالب أنه يجعل بالأخيار ويؤثر الكرام :

كَأَنَّا فِي كَفِّهِ مَالُهُ يُنْفِقُ مَا يَخْتَارُ مِنْ نَقْدِهِ

والإنسان لو تذكر أن مبدأه نطفة مذرة ، ومنتهاه جيفة قفرة ؛
وهو ما بين المبدأ والمنتهى مثل أعلى للضعف والمعجز ، وعرضة للكوارث
والهن لا يحده فيه ما يحق له أن يفخر به على غيره ولو كان عبداً مملوكاً له :

لَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرْ الْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ

وليس الضعف والمعجز خاصين بإنسان دون آخر ، بل ذلك عام
شامل لكل إنسان منفرداً ومجتمعاً ؛ فهم عاجزون لا يستطيعون دفع

عاديتهم عنهم . وإن يلجهم الذباب شيئاً لا يستنقذونه منه ، ولو اجتمعوا من أولهم إلى آخرهم على أن يردّوا أقرب يوم مضى لا قدروا :

أَمْسِ الَّذِي مَرَّ عَلَى قُرْبِهِ يَفْجِزُ أَهْلُ الْأَرْضِ عَنْ رَدِّهِ

وإذا لم يكن من الموت بد فلا فرق بالنسبة إلى الموت بين من يموت في مهده وبين من يعيش عمر لبـد :

أَضْحَى الَّذِي أُجِّلَ فِي سِنِّهِ مِثْلَ الَّذِي عُوجِلَ فِي مَهْدِهِ

وكذلك لا فرق بين من يُشَيِّع بالحمد أو الذم أو بين السوقة المفرد ، والملك الذي يحشد الجيوش الجسارة :

وَلَا يُبَالِي الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ بِذَمِّهِ شَيْعٍ أَوْ حَمْدِهِ^(١)

وَالْوَاحِدُ الْمَفْرَدُ فِي حَتْفِهِ كَالْحَاشِدِ الْمَكْتَرِ فِي حَشْدِهِ

وصغرة القول : ان الناس سواسية عند الموت ، فلا فرق عنده بين انسان وآخر مهما كان بينهما من التفاوت في الأحوال والحلال والأعمار فهو عام شامل لجميع الناس .

وأما نسبة بعض الناس إلى بعض فقد سبقت الإشارة إلى أن التفاضل بالسجاي والأخلاق ، والشرف الحقيقي للمرء هو ما يكسبه بأفعاله لا بما يرثه من آبائه . ولولا السجاي الطيبة في الإنسان لكان كالمعدوم :

لَوْلَا سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقُهُ لَكُنَّ كَالْمَعْدُومِ فِي وَجْدِهِ

والنفوس البشرية تحب الإنسان وتشتاق إليه ، لا لصورته وجسمه بل لصلاته وأخلاقه كما :

تَشْتَاقُ أَيْبَارَ نَفُوسِ الْوَرَى وَإِنَّمَا الشَّوْقُ إِلَى وَرْدِهِ

والناس من فرط جهلهم بالحقائق ، وقصر نظرم إلى المواقب ، إذا أحبوا إنساناً دعوا له بطول البقاء ، وهو يـسرّ بذلك . ولكن لو تأمل لم أن كل ما يكرمه يلفاه في طول البقاء :

تَدْعُو بِطُولِ الْعُمْرِ أَفْوَاهُنَا لِمَنْ تَنَاهَى الْقَلْبُ فِي وَدِّهِ
يُسِرُّ إِنْ مُدَّ بَقَاؤُهُ لَمْ يَكُلْ مَا يَكْرَهُ فِي مَدِّهِ

وذلك لأن الإنسان على ضعفه عرضة للصائب ، وكل ما في هذا الكون عدو له ، وأقرباؤه وخلصانه أشد الناس عداوة له ، حتى إن جسده ضد له يحاربه . وأفضل ما في الإنسان من الأعضاء عدو له ، يكيد له كل كيد ويفتاله . فقد يعمل بيده مـلا يسبب هلاكه أو يتكلم بكلمة فتودي بحياته ؛ أو يرى شيئاً فيحبه فيسمى لالتماسه فيكون ذلك سبباً لحنقه . وضرب لذلك أمثلة في قوله :

أَفْضَلُ مَا فِي النَّفْسِ يَغْتَالُهَا فَتَسْتَعِيدُ اللَّهَ مِنْ جُنْدِهِ
وَأَفْءُ الْعَاشِقِ مِنْ طَرَفِهِ وَأَفْءُ الصَّارِمِ مِنْ حَدِّهِ

ثم عاد إلى الموت ، فبين أنه لا يقتصر على خراب البدن وإبادة ما كان فيه من قوى ؛ وإنما يبدل ما كان له في الحياة من عزة وترف بمذلة وشغل ، فانظر :

كَمْ صَائِنٍ عَنْ قُبْلَةٍ خَدَّهُ سُلْطَتِ الْأَرْضُ عَلَى خَدِّهِ

وَحَامِلٍ ثِقْلَ الثَّرَى جِيدُهُ وَكَانَ يَشْكُو الضَّغْفَ مِنْ عَقْدِهِ^(١)

وانظر إلى الدهر كيف يخدع ويغري ، ثم ينجع ويفري ، لكم من فارس بطل هو :

أَشْجَعُ مَنْ قَلْبَ خَطِيئَةٍ عَلَى طَوِيلِ الْبَاعِ مُنْتَدِهِ
لَا يَصِلُ الرَّمْحُ إِلَى طَرْفِهِ وَلَا إِلَى الْحَكَمِ مِنْ سَرْدِهِ

أَمَلَهُ الدَّهْرُ فَأَوْدَى بِهِ مُبَيَّضُهُ يُخْدَى بِمُسْوَدِّهِ

وبعد أن انتهى من ذكر الدهر وخدعائه ، والموت وفضيعاته ، والمرئي وصفاته ؛ التفت إلى العزى ليليه ، ويخفف مصابه ؛ فذكر له أن أخاء المفقود ترك خسة بنين كالشبه ، وفيهم ملاة عن أبيهم . وأن كل ما يموه أو يبره من عند الله فيوجب التسليم إليه إذ لا يستطيع رد ما قضى به . وأن عاقبة كل شيء الفناء ، وإن لم يباشر أسبابه بنفسه أو بواسطة غيره . وأن المفقود الذي ترك في داره وحشة بسبب فقد ، تؤنس روحه الله في لحدّه :

فَيَا أَخَا الْمَفْقُودِ فِي خِمْسَةٍ كَالْثَّهْبِ مَا سَلَكَ عَنْ فَقْدِهِ
جَاءَكَ هَذَا الْحَزَنُ مُسْتَجْدِيًا أَجْرَكَ فِي الصَّبْرِ فَلَا تُجْدِهِ
سَلِّمْ إِلَى اللَّهِ فَكُلَّ السَّيِّئِ سَاءَكَ أَوْ سَرَّكَ مِنْ عِنْدِهِ
لَا يَعْدَمُ الْأَسْمَرُ فِي غَايَةِ حَقْفًا وَلَا الْأَبْيَضُ فِي غَمْدِهِ
إِنَّ الَّذِي الْوَحْشَةُ فِي دَارِهِ تُؤْنِسُهُ الرَّحْمَةُ فِي لَحْدِهِ

(١) في شروح السقط : « يشكو الثقل من عقد » .

وفي كل واحد مما ذكرتهوين للصاب ، وتخفيف للوعة والامى على أمر
لا بد منه ولا سبيل الى دفعه . ثم دعا بطول البقاء للمزنى ولذويه مراعاة
للعادة المنبعة بقوله :

لَا أَوْحَشْتَ دَارُكَ مِنْ شَفْمَيْهَا وَلَا خَلَا غَائِبُكَ مِنْ أُنْسِهِ

وهذه القصيدة معرض أبرز فيه أبو العلاء صوراً متعددة من أدبه ، وعلمه ،
وبراعته ، وتمتق تفكيره .

ففيها البارع الفائق من المعاني الدقيقة مثل قوله :

صَبْرٌ يَعِيدُ النَّارَ فِي زَنْدِهِ

ومن الإيجاز المجز مثل قوله :

إِذْ كَانَ لَمْ يُفْتَحْ عَلَى نِدِّهِ

ومن الاستعارات البديعة مثل قوله :

يَجْمَعُهُمْ سَيْلُكَ فِي مَدِّهِ

ومن المعاني المبكرة مثل :

جَامَكَ هَذَا الْحَزَنُ مُسْتَجْدِيَاً

وفيها من الحث على الصبر والتمهيد في الدنيا ، والتحذير من الدهر
وخيداعه ، والثناء على المزنى والمزنى به وأبنائه ، وتعريف الإنسان
بحقيقة نفسه حياً وميتاً ، وبحقيقة الحياة ومبداً ومنتهاها ، وبغلبة الهوى
على القلوب ونحو ذلك من الأمور والمقاصد النبيلة . وفيها كثير من الحكيم
الرائعة مثل قوله :

وَالشَّيْءُ لَا يَكْثُرُ مَدَاحَهُ
لَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ

ولو شئت أن تقول : إن أكثر أبياتها صالح لأن يمد من الحكم لكننت
غير مبالغ .

وأما أسلوب الشاعر فيها فهو من الموجز المعجز ، والسهل المتعم .
وقد قدمنا أمام بعض أبياتها ما مهدنا به السيل الى فهمها . وهي في جللتها
من مقلدات الشعر ، ومن نوادر الدهر ؛ وإن الإكثار فيها من الحكم
شغل الشاعر عن الإكثار من الحزن واللوعة إثارة للأفضل على القائل .
ورثي صديقاً له لم يسم بأبيات يعتذر فيها عن تأخره في التعزية ،
منها قوله (١) :

فَالْأَرْضُ تَعْلَمُ أَنِّي مُتَصَرِّفٌ مِنْ فَوْقِهَا وَكَأَنِّي مِنْ تَحْتِهَا
غَدَرَتْ بِي الدُّنْيَا وَكُلُّ مُصَاحِبٍ صَاحِبَتُهُ غَدَرَ الشَّمَالِ بِاخْتِهَا
سُخِفَتْ بِوَأَمِيرِهَا الْحَرِيصِ وَأُظْهِرَتْ مَقَتِي لِمَا أَظْهَرْتُهُ مِنْ مَقْتِهَا
لَا بُدَّ لِلْحَسَنَاءِ مِنْ ذَامٍ وَلَا ذَامٌ لِنَفْسِي غَيْرَ سَيِّءٍ بِخَتِهَا

ورثي الشريف أبا أحمد الحسين والد الرضي والمرتضى والمرضي بقصيدة
غراء قالها (٢) وهو في بغداد سنة ٤٠٠ هـ وفيها أبيات من عبون الشعر منها

(١) مطلع الرثية :

يا راعي الود الذي أناله تنني بظاهر أسرها عن منتهى
انظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٢٨ - ١٠٣٥ . وفيها : ٠٠ من قولها متصرف
(٢) مطلعها :

أودى فليت الحادثات كذاب مال اللبف وعبر للثاف
انظر شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٢٦٤ - ١٢٦٠ .

قوله ، وقد كانت الأمطار قليلة في تلك السنة ، وفي الليلة التي توفي منها كثر الرعد والطر :

رَعَّتِ الرُّعُودُ وَتِلْكَ هَذِهِ وَاجِبِ جَبَلٌ هَوَى مِنْ آلِ عَبْدِ مَنَافِ
بَخِلْتُ فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةً فَقَدِهِ سَمَحَ الْغَمَامُ بِدَمْعِهِ الْمِذْرَافِ^(١)
وَيُقَالُ إِنَّ الْبَحْرَ غَاضَ وَإِنَّهَا سَتَعُودُ سَيْفًا لِحِجَّةِ الرَّجَافِ
وَيَحِقُّ فِي رِزْوَةِ الْحَسَنِ تَغْيِيرُ الْ— حَرَسَيْنِ بِلَهِّ الدُّرِّ فِي الْأَصْدَافِ

وصفه بأبيات تدل على شجاعته وعظم مصيبته ، فالرماح بعده 'رعش' المتون ، كليلة الأطراف ، متعطفة ، فالزج منها عند السنان ، ولا مطمع في تثقيفها ، والسيوف ترجف تحت قوائمها لهول المصاب ؛ والغربان تندبه لكل الناس وقد لبست سواداً حداداً عليه ؛ وجميع الطيور كالأغربة في الحزن عليه . ووصفه بالجود حتى بعد الموت فلوزاره الموق كسام أكفانا . وقد أكبر الناس والحيوان فقده ، فالركب ترك الطعام ، والفصال أعرضت عن الرضاع جزءاً على هذا الرزء العظيم . ووصفه بالجلالة وعلو المنزلة في الدين بقوله :

تَكْبِيرَتَانِ حِيَالِ قَبْرِكَ لِلْفَتَى مُحْسُوبَتَانِ بِعُمَرَةٍ وَطَوَافِ

وصفه بالزهد والسخط على الدهر ، وأنه فارق ماخطأ أفعله ؛ ثم مدح أبناء الرئي الثلاثة ، ومن لطيف مدحه قوله :

أَنْتُمْ ذَوُو النَّسَبِ الْقَصِيرِ فَطَاؤُكُمْ بَادٍ عَلَى الْكِبَرَاءِ وَالْأَشْرَافِ

وَالزَّاحُ إِذْ قِيلَ ابْنَةُ الْعَنْبِ اكْتَفَتْ بِأَبٍ عَنِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ
مَا زَاغَ بَيْنَكُمْ الرَفِيعُ وَإِنَّمَا بِالْوَجْدِ أَدْرَكَهُ خَفِيُّ زِحَافِ

ثم مدحهم بالكرم ، ووصف نار قرام بأبيات منها قوله :

حَمْرَاءُ سَاطِعَةِ الذَّوَابِ فِي الدُّجَى تَرْمِي بِكُلِّ شَرَارَةٍ كَطِرَافِ

يُنْسِي الطَّرِيدُ أَمَامَهَا وَكَأَنَّهُ أَسْدُ الشَّرَى أَوْ طَائِرٌ بِشَرَافِ
زَهْرَاءُ يَحْلُمُ فِي الْعَوَاصِفِ جَمْرَهَا وَتَقْرَأُ إِلَّا هِزَةَ الْأَعْطَافِ
سَطَعَتْ فَمَا يَسْتَطِيعُ لُطْفَاءُ لَهَا زُحْلٌ وَنُورُ الْحَقِّ لَيْسَ بِطَافِ
تَصِلُ الْوُقُودُ وَلَا تُحْمَدُ وَلَا تُجْرَى بِالْيَمِّ صَوْبُ الْوَابِلِ الْغُرَافِ
شَبَتْ بِعَالِيَةِ الْعِرَاقِ وَنُورَهَا بَغْشَى مَنَازِلَ نَائِلٍ وَإِسَافِ

ووصف القدور بقوله :

وَقُدُورُهُمْ مِثْلُ الْهَضَابِ رَوَّاءُ كَدَا وَجَفَائُهُمْ كَرَحِيْبَةِ الْأَفْيَافِ
مِنْ كُلِّ جَانِشَةِ الْعَشِيِّ مُفِيئَةٌ بِالْمِيرِ خَيْرَ مَرَادٍ وَصَحَافِ
دَهْمَاءُ رَاكِبَةٌ ثَلَاثَةَ أَجْبَلٍ عِظْمَاءُ وَإِنْ حُسِبَتْ ثَلَاثُ آثَافِ

ثم ختم القصيدة بالمدح لابن أبي الرثي ، واعتذر بأن قصيدته هذه أقل
بهارة تهدي لأحسن روضة مثاف ، وأنه سلك بها طريق التشريف بها ،
ولم يسلك طريق طالب المعروف .

ورثى أباه بقصيدة أبياتها ثلاثة وخمسون بيتاً (١) أبان فيها أنه نقم
الرضا على كل شيء حتى السحاب الضاحك الذي تلمع بروقه ، ودعا أن
لا يحوده إلا السحاب للعابس ؛ وتقى أن يدمى فيه إذا ابتسم . ثم تحسر
لأن أباد حكمت فيه المتأيا حكماً لا يرد . ثم وضعه بأنه طاهر الظاهر
والباطن ، حلم متأن ؛ عاقل زاده عظه جرأة وسماحة . ثم ذم الدنيا
واستنزل غضب الله عليها لأنها لا تبقي ابناً لها كأنهم أولاد زنى فتخشى
العار من إبقاء أحد منهم .

ثم التفت الى ما بعد الموت ، واعترف بأن الناس يحبلون ما يراد بهم ،
والعلم بذلك لله فقط ؛ لأن الإنسان إذا غُيِّبَ في قبره خفي أمره ولم
تهتد الأفكار الى معرفة حقيقة ما هو فيه .

ثم نظر الى الحياة فرأى أن الساعة التي تمضي من عمر الانسان أقتتلُ
له من قيرنٍ في الحرب ؛ ولكن الناس وجدوا أذى الدنيا لذيقها ،
والحياة محبة على شرها وضرها ، والموت مكروه وإن كان فيه خلاص
من الأذى ، فما رغبت فيه القطا من الطير ، ولا حر الوحش من الحيوان
الأعجم ، مع أن كلا منها يكابد عناء في طلب الماء حرصاً على حياته ؛
ولا استعذبت روح آدم وموسى ؛ وقد وُعِدَا من بعده جنة عدن .
والخوف من الموت ألجأ أهل الكهف الى الاعتصام به ، وكلف نوحاً وابنه
عمل السفينة .

ثم عاد فمدح أباه بالفصاحة ، وتحسر على قربيه من سكنه ، وبعده
من التمكن من لقائه ؛ ودعا لأهل القبور بالسقيا .

(١) مطلقاً :

عن الرضا حى على ضاحك للزن فلا جلدني إلا عبوس من الدجُنِ .
الطر مروح سط الزند : ق ٢ ص ٩٠٧ - ٩٤١ .

ثم عاد الى الحيرة في أمرهم ، وبين أن نفسه لم يُشف غليلها لأنه لم
يقف على حقيقة أمرهم :

طَلَبْتُ يَقِينًا مِنْ جُهَيْنَةَ عَنْهُمْ وَلَنْ تُخْبِرَنِي بِأَجْوِينَ سِوَى الظَّنِّ
فَإِنْ تَعْدِنِي لَا أَزَالُ مُسَائِلًا فَإِنِّي لَمْ أُعْطِ الصَّحِيحَ فَأَسْتَفْنِي
وقد بين إجلاله لأبيه في مثل قوله :

أُمْرٌ بِرَبْعٍ كُنْتَ فِيهِ كَأَنَّمَا
أُمْرٌ مِنَ الْإِكْرَامِ بِالْحَجَرِ وَالرُّكْنِ
وأعرب عن اله وقلقه وجزعه لموته في قوله :

لَقَدْ مَسَخَتْ قَلْبِي وَفَاتَكَ طَائِرًا فَأَقَمَ الْأَيْسَرَ عَلَى وَكْنِ
يُقْضَى بَقَايَا عَيْشِهِ وَجَنَاحُهُ حَيْثُ الدَّوَاعِي فِي الْإِقَامَةِ وَالظَّنِّ
كَأَنَّ دُعَاءَ الْمَوْتِ بِاسْمِكَ نَكْرَةً فَزَتْ جَسَدِي وَالشَّمُّ يَنْفُثُ فِي أُذُنِي
وقوله :

سَأُنْكِي إِذَا غَنَى ابْنُ وَرَقَاءَ بَهْجَةً وَإِنْ كَانَ مَا يَغْنِيهِ ضِدَّ الَّذِي أُغْنِي
وَنَادِبَةً فِي مَنَمِي كُلِّ قَيْنَةٍ تُغَرَّدُ بِاللَّحْنِ الْبَرِّيِّ مِنْ اللَّحْنِ
وَأَحْمِلُ فِيكَ الْحُزْنَ حِينًا فَإِنْ أُمْتُ
وَأَلَقَكَ لَمْ أَسْلُكْ طَرِيقًا إِلَى الْحُزَنِ
وَبَعْدَكَ لَا يَهْوَى الْفَوَادُ مَسْرَةً

وَإِنْ خَانَ فِي وَصْلِ الشُّرُورِ فَلَا يَنْهِي

وتنى أن يكون أبوه مدفوناً في جفنه ، ولم يرض أن يكون قبره في درة ، ولا في الجو ؛ وتحسر عليه من تراب القبر وجنادله . والقصيدة في جلتها مضورة بالحزن والأسف .

ورثى أمه بقصيدتين ، الأولى : ميمية ^(١) مطلعها :

سَمِعْتُ نَعِيَّهَا صَمِيَّ صَمَامٍ وَإِنْ قَالَ الْعَوَازِلُ لَا هَمَامٍ

وأكبرَ أن يرثيها لانه بلفظ يخرج من الفم ، ورثاؤها المعظمه هَمَامٍ الأناب ؛ وتنى أن يصوغ الشب شعراً فيجمله رثاء لها . ثم بين أن موتها كان في كهولته ، ولكنه لفقدها ظن أنه رضيع فارقت أمه . ثم تنى أن يبلغ روحها سلام طيب الرائحة ، واستدعى الحمام أن تنوح ؛ ولكنه وجد أن النوح لا يشفي غيلاً ، ولا يروي غليلاً ؛ وإنما الذي يروي الغلة هو اللقاء ، فال عنه متى يكون :

سَأَلْتُ مَتَى اللَّقَاءَ فَقِيلَ حَتَّى يَقُومَ الْهَامِدُونَ مِنَ الرَّجَامِ
وَلَوْ حَدَّثُوا الْفِرَاقَ بِعُمُرٍ نَسِي طَفِيفْتُ أَعْدُ أَعْمَارَ السَّمَامِ

ولكن لم يحدد له ذلك ، فتنى أن تقوم القيامة ليكون فيها اللقاء :

قَلَيْتُ أَذِينَ يَوْمِ الْحَشْرِ نَادَى فَأَجْهَشَتِ الرَّمَامُ إِلَى الرَّمَامِ

ثم التفت الى الحياة ، فرأى أن الناس كلهم صائرون الى الفناء ، ولكن لكل واحد وقت محدود ؛ فعبّر عن ذلك بقوله :

وَنَحْنُ السَّفَرُ فِي عُمْرٍ كَمَرَتْ تَصَاقِنَ أَهْلُهُ جُرْعَ الْحَمَامِ

(١) عدد آياتها أربعة وستون بيتاً ، انظر شروح سقط الزند : ق ٤ ص .

والتفت إلى نفسه فرأى أن الزمان يعرفه ويفرّه من حالة إلى أخرى ،
كما تصرّف الكلمة من صيغة إلى صيغة ، وأن عاقبة أمره أن يُحذف من
الوجود ويدغم في القبر :

فَصَرَّفَنِي فَغَيَّرَنِي زَمَانٌ سَيُعَقِّبُنِي بِحَذْفٍ وَادِّغَامٍ

لأن الدهر سيهلك كل مخلوق ضعيفاً كان أم قوياً ؛ فلا يفوته الأسد الذي
يفترس ؛ ثم وصف الأسد . ولا يبقي على الأفاعي التي يتقى بأسها ،
ثم وصفها . ووصف قبائل بني عامر بن صعصعة ؛ ووصف أهوال الليل ؛
ووصف السيف وصفاً رائعاً . ثم عاد إلى تعداد نعم أمه عليه وعجزه عن
شكرها فقال :

وَلَوْ أَنَّ النَّخِيلَ شَكِيرٌ جِسْمِي ثَنَاهُ حَمْلُ أَنْعَمِكَ الْجِسَامِ
كَفَّانِي رِيحاً عَنْ ^(١) كُلِّ رِيٍّ إِلَى أَنْ كَذْتُ أَنْحَسَبُ فِي النَّعَامِ

ثم مدح إباءها ، ودعا لها أن تسلب الغاديات مطراً غزيراً كالبحار .
الثانية : قصيدة لامية ^(٢) مطلعها :

حُطُّوْهُ فَوَادِي بِالْمُوَدَّةِ إِخْلَالَ وَلِإِبْلَاهِ جِسْمِي فِي طَلَابِكَ إِبْلَالَ

وذكر فيها أنه يتنى الموت ليلحق بأمه ، ولا يبالي إن كان قُبِرَ
بالثام أم بريمان ، لأن قلبه يأنس بأن يدفن بحسب قبر أمه . وتنى أن
يكون مات قبلها ، لأنه بعد موتها صار كالرضيع الذي فقد حاضنته .
ثم ذكر أنه رأى في نومه أنه أصيب بناجذ ، فكان تأويل رؤياه أن
ماتت أمه ؛ فانكر على الأحلام أن تشبه أمه التي لا نظير لها ولا خلف

(١) في شروح السط : « من » .

(٢) عدد أبياتها عشرة ، انظر شروح سطر الزند : ق ١ ص ١٧٢٥ - ١٧٣١ .

بفرسه الذي في نه أمثال له . وأن بين الموت والنوم نسبة وقرى ، ولكن النوم علة والموت شفاء ، فيها مختلفان من هذه الجهة . ثم قال : إنه إذا نام رأى أحبابه الذين ماتوا منذ شهور وأعوام .

الفخر

الفخر غرض من أغراض الشعر العظيمة في عصر أبي العلاء والذي قبله ، وهو عبارة عن مدح المرء نفسه وقومه ، سواء أكان بالحسب التليد أو الطريف . والشعراء مذاهب فيما يمدحون به أنفسهم من الشجاعة ، والجلود ، والمروءة ، والحمية ، وما شاكلها من الصفات المحمودة عند عامة الناس . ومنهم من كان يتمدح بالتعشير والفجور وشيء من الأخلاق المذمومة عند العقلاء .

وأبو العلاء طبع في فخره على غرار الأعفَاء العقلاء . وله في ديوانه (سقط الزند) قصيدة لامية في الفخر من جيد شعره عدد أبياتها واحد وأربعون بيتاً ^(١) افتخر فيها بأن أفضاله كلها في سبيل المجد ؛ ويبتن أن تلك الأفعال : عفاف ، وإقدام ، وحزم ، وقائل . وأنه جرب الأمور الخفية فضلاً عن الظاهرة فلا يصدق وأشيأ ، ولا يخيب سائلاً وأن لا ذنب له إلا العلى والفواضل . ثم أخبر عن اشتها ذكره ، وعما يحتمله من الزمان وأهله ، وعن عبقريته وتفوقه بقوله :

وَقَدْ سَارَ ذِكْرِي فِي الْبِلَادِ فَمَنْ لَمْ يَمْ
بِإِخْفَاءِ شَمْسِ ضَوْوِهَا مُتَكَامِلُ
يَتِمُّ اللَّيَالِي بَعْضُ مَا أَنَا مُضْمِرُ
وَيُثْقِلُ رَضْوَى دُونَ مَا أَنَا حَامِلُ

(١) مطلقاً :

ألا في سبيل المجد ما أنا قائل عفاف وإقدام وحزم وقائل
انظر شروح سقط الزند : ق ٢ س ٥١٩ — ٥٥٢ .

وَلِإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْآخِرَ زَمَانُهُ لَا تَبِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْآوَائِلُ

وعن مضائه فيما يقصده بقوله :

وَأَعْدُو وَلَوْ أَنَّ الصَّبَاحَ صَوَارِمٌ وَأَسْرِي وَلَوْ أَنَّ الظَّلَامَ جَحَافِلُ

وبين أن اختياره العزلة لم يفقده الحلال المصودة ، بل هو مستعد
لجلب كل كريمة ، ودفع كل كريهة بقوله :

وَلِإِنِّي جَوَادٌ لَمْ يُحَلِّ لَجَامُهُ وَنَضْوِيْمَانٍ أَغْلَطَهُ الصِّيَاقِلُ^(١)

وأنه لا يضيره أن يكون لباسه غير فاخر إذا كانت صفاته طاهرة
وأخلاقه فاخرة ، لأن قيمة السيف بجمهره لا يفقده وجماله :

وَإِنْ كَانَ فِي لِبْسِ الْفَتَى شَرَفٌ لَهُ فَمَا السِّيفُ إِلَّا غِمْدُهُ وَالْحَمَائِلُ

ثم افتخر بمنطقه وأنه لجوده لا يرضى لصاحبه أن يكون منزله بين
الساكنين ، بل يطلب ما هو أعلى من ذلك ، ولم يحدد له غاية :

وَلِي مَنْطِقٌ لَمْ يَرْضَ لِي كُنْهُ مَنْزِلِي عَلَى أَنِّي بَيْنَ السَّامَكَيْنِ نَازِلُ

ولما كان قوله هذا يوم أن منزله الحاضر ليس بعالٍ ولا كريمٍ ،
دفع هذا الوم وبين أن موطنه الآن يصبو إليه كل عظيم فلا يستطيع
أن يبلغه :

لَدَى مَوْطِنٍ يَشْتَاقُهُ كُلُّ سَيِّدٍ وَيَقْصُرُ عَنْ إِفْرَاكِهِ الْمُتَنَاولُ

(١) رواية البت في المروحة :

ونضويمان أغلظه الصياقل

وأي جواد لم يحل لجامه

ووصف نفسه بالعلم ، ولكن لما رأى الجبل فاشياً في الناس تجاهل
حتى يكون كأهل زمانه ؛ وتعجب من ادعاء الناقص الفضل بقدر ما أسف
من إظهار الفاضل النقص ، وأمضه كيد حساده على علو منزلته ، حتى
إن يومه الذي يكون فيه ينافس اليوم الذي قبله لفارقتة إياه ، وآصاله
تحمد عليه أسحاره .

وقد جرب الزمان وصروفه ، فأورثته التجارب أن لا يبالي بن هلك ،
ولا يحزع لفقد أحد ؛ فلو بان عضده ما أسف عليه منكبه ، ولو مات
زنده ما بكته أنامله وإن كانت لا تستطيع أن تصل شيئاً بدونه . ويجوز
أن يكون مراده أن هذه حالة أهل عصره ، وأضاف ذلك الى نفسه وهو
يريد الناس عامة لأنه واحد منهم .

ثم عرض صورة من تلون الدهر ، وانعكاس الحقائق فيه ، وبين
أن كل ناقص يميز غيره ما فيه من عيب ، وبلبه محاسنه ويدعيها
لنفسه فقال :

إِذَا وَصَفَ الطَّائِيَّ بِالْبُخْلِ مَادِرَ وَعَيْرَ قُنَاً بِالْفَهَاهَةِ بِاقِلُ
وَقَالَ السَّهْلُ لِلشَّمْسِ أَنْتِ خَفِيَّةٌ وَقَالَ الدُّجَى يَا صَبْحُ لَوْ نَكَ حَائِلُ
وَطَاوَلَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءَ سَفَاهَةً وَقَاخَرَتِ الشَّهْبُ الْحَصَى وَالْجُنَادِلُ

وإذا كانت الأمور على ما ذكر ، فالماعقل لا يحمد الحياة على هذا
الشكل ، ويعد عمل الدهر هزلاً ، ويكاف نفسه أن تجد فيما يعينها أو
في الرحيل عن زمن هو وأهله على ما وصفه :

فَيَا مَوْتَ زُرْ إِنِّ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ وَيَا نَفْسُ جِدِّي إِنَّ دَهْرَكَ هَازِلٌ

ثم افتخر بشجاعته ، فرغم أنه يغتدي في آخر الليل على فرس كالريح في سرعته ، فيقطع ليلاً كأنه البحر في أهواله ، ويحناط طوات خفيفة يؤنسه فيها الليل وحده . ثم اختتم القصيدة بأبيات من الحكيم الرائعة منها قوله :
إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتِ السَّعَادَةَ لَمْ تُبَلِّ وَلَئِنْ ظَلَمْتَ شَرَزْنَا إِلَيْكَ الْقَبَائِلُ
وقوله :

فَإِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْعِزَّ فَابْغِ تَوْسَطًا
فَمِنْدَ التَّنَاهِي بِقَصْرِ الْمُتَطَاوُلِ^(١)
تَوْقَى الْبُدُورِ النِّقْصَ وَهِيَ أَهْلَةٌ وَيَذَرُكُمُ النِّقْصَانُ وَهِيَ كَوَامِلُ
وقد ذكر البطليوسي في (شرح سقط الزند ج ١ ص ٨٥) أن
الْبُدُوتَةَ موضع بالشام كان أبو العلاء جاور فيه يوماً فلم يجد م ، وفي بعضهم
يقول شعره الذي في أوله :
أَلَا فِي سَبِيلِ الْحُجْدِ مَا أَنَا فَاعِلُ

وقال في (ج ٢ ص ٥١٩) عند شرح قصيدته « ألا في سبيل المجد » :
« وقال من قصيدة خاطب بها بعض أهل الشام وكان نزل عليه
فأساء معاملته »^(٢) ، ونسبه إلى التعطيل وهو الذي أشار إليه بقوله :

(١) رواية البيت في مروج القطر :
وان كنت تهوى العيش فابغِ تَوْسَطًا
(٢) عدد آياتها واحد وثلاثون بيتاً ، ومطلبها :
آمنٌ وخداً للامس كشتِ حالا ومن عند الظلام طلبت مالا
الظفر المصروح في ١ ص ٢٥ - ١١٣ .

صَحِبْنَا بِالْبَدْيَةِ مِنْ حُصَيْنٍ وَحِصْنٍ شَرٍّ مِنْ صَحْبِ الرَّجَالِ^(١)

وله قصيدة في (سقط الزند) عدد أبياتها ستون بيتاً ومطلعها^(٢) :

أَرَى الْعَنْقَاءَ تَكْبُرُ أَنْ تُصَادَا فَعَانِدُ مَنْ تُطِيقُ لَهُ عِنَادَا

ذكر فيها أنه لم يكف عن طلب ما يريده من معالي الأمور ، ولكن الأيام لم تساعد . ثم تصدى الى خبرته أحوال الناس وما توجه به من الارتياح بهم واجتنابهم بقوله :

فَظُنُّ بِسَائِرِ الْإِخْوَانِ شَرًّا وَلَا تَأْمَنُ عَلَى سِرِّ فُؤَادَا
فَلَوْ خَبَرْتَهُمُ الْجُوزَاءُ مُخْبِرِي لَمَّا طَلَعْتَ مَخَافَةً أَنْ تُكَادَا

أما هو فقد تجنبهم ، ونزل على حكم الزمان لمجزه عن مقارمته ، وهوون على نفسه الخطوب لأنه ألفها :

تَجَنَّبْتُ الْأَنَامَ فَلَا أُوَاحِي وَذَدْتُ عَنِ الْعَدُوِّ^(٣) فَلَا أَعَادِي
وَلَمَّا أَنْ تَجَمَّعَنِي مُرَادِي جَرَيْتُ مَعَ الزَّمَانِ كَمَا أَرَادَا
وَهَوَّنْتُ الْخُطُوبَ عَلَيَّ حَتَّى كَأَنِّي صِرْتُ أَمْنَحُهَا الْوِدَادَا^(٤)

ثم بين السبب في عدم اختياره صديقاً من الناس يصطفيه ، ومكاناً من الأرض يحمي الإقامة فيه . وذلك كناية عن فساد الناس والزمان ؛ وكنتى عن ذلك بقوله :

(١) رواية البيت في العروج :

صحبنا بالبدية في شتاء ومحمل شر

(٢) الطر شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٥٣ - ٦٠١ .

(٣) في العروج : « وذدت » .

(٤) في العروج : « واداد » .

فَأَيُّ النَّاسِ أَجْعَلُهُ صَدِيقًا وَأَيُّ الْأَرْضِ أَسْلُكُهُ^(١) أَرَبِّيادًا
وَلَوْ أَنَّ النُّجُومَ لَدَيَّ مَالٌ نَفَقْتُ كَفَّايَ أَكْثَرَهَا ائْتِقَادًا

ثم بدأ يفتخر بخلاله خلة بعد خلة ، فذكر ارتفاع شأنه وسعوره
ذكره ، وعظم منزلته في الدهر ، وأن الناس لم يستطعوا فهم حقيقته ؛
فالدهر يكرر ذكره حتى يفهمه من لا يفهمه :

كَأَنِّي فِي لِسَانِ الدَّهْرِ لَفْظٌ تَضَمَّنَ مِنْهُ أَغْرَاضًا بَعَادًا
يُكَرِّرُنِي لِتَفْهَمَنِي رِجَالٌ كَمَا كَرَّرْتَ مَعْنَى مُسْتَعَادًا

وذكر أن الدهر اختصه بمنزلة عالية ، وسجايا فاضلة ، قصر عنها
أبناء الزمان ؛ فأصبح لانفراده بها كأنه منفرد عن الناس ؛ وأشار
إلى أنه لا يجب الاختصاص بنعمة ، ولا الانفراد بمكرمة ، وإنما يجب
أن يشاركه الناس عامة في كل خير :

وَلَوْ أَنِّي حُبِيتُ الْخُلْدَ فَرْدًا لَمَا أَحْبَبْتُ بِالْخُلْدِ انْفِرَادًا
فَلَا هَمَلْتُ عَلَيَّ وَلَا بَارِضِي سَحَابٌ لَيْسَ تَنْتَظِمُ الْبِلَادَا

وهذا غاية ما بعدها غاية في حب المصاهرة ، وكرامية الاستئثار بالنعمة ؛
وهو على كرمه الانفراد والاستئثار بالمراتب العالية بلسان مكانة لا يدرك
غايته طالب :

وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ أَمْدِي سَيْلَقِي دُونَيْنِ مَكَانِي السَّبْعِ الشَّدَادَا

(١) في الفروع : . . . أسلكها . . .

وذلك لأن مواهبه دون مواهي فهو :

يُوجَّعُ فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ نَارًا وَيَقْدَحُ فِي نَلْهَبِهَا زَنَادًا
وإذا حاول ذلك وقصر عنه انبرى ينتقمي ويكافئني بعليه ،
وينافني بخفيه :

وَيَطْعَنُ فِي عَلَائِي وَإِنْ شِئْنِي لَيَأْتِفُ أَنْ يَكُونَ لَهُ نِجَادًا
ومر لجينه وضعفه يراني :

وَيُظْهِرُ لِي مَوَدَّتَهُ مَقَالًا وَيُبْغِضُنِي ضَمِيرًا وَاعْتِقَادًا
وأنا قد بلغت غابة الكمال :

فَلَا وَأَيُّكَ مَا أَخْشَى اتِّقَاصًا وَلَا وَأَيُّكَ مَا أَرْجُو ازْدِيَادًا
وليس لي الشرف الذي أفضل به الناس فقط وإنما :

لِي الشَّرْفُ الَّذِي يَطَّأُ الثَّرَيَا مَعَ الْفَضْلِ الَّذِي بَهَرَ الْعِبَادَا
وَكَمْ عَيْنٍ تُؤَمِّلُ أَنْ تَرَانِي وَتَفْقِدُ عِنْدَ رُؤْيِي السَّوَادَا
وَلَوْ مَلَأَ السَّمَاءَ عَيْنَيْنِي مَنِي أُبْرَّ عَلَى مَدَى زَحَلٍ وَزَادَا
ثم افتخر بشجاعته بقوله :

أَفْلُ نَوَائِبِ الْأَيَّامِ وَحَدِي إِذَا جَمَعْتَ كَتَائِبَهَا احْتِشَادَا
وَقَدْ أَثْبَتُ رِجْلِي فِي رِكَابٍ جَعَلْتُ مِنَ الزَّمَاعِ لَهُ بِدَادَا

ثم وصف الركاب والليالي التي سار فيها ، والطرق التي سلكها ؛ وعاد
إلى الفخر فبين منزلته ، وأنه إذا فارق مكانا لا يعود إليه ، وذلك قوله :

وَبَعْضُ الظَّالِمِينَ كَقَرْنِ شَمْسٍ يَغِيبُ فَإِنْ أَضَاءَ الْفَجْرُ عَادَا
وَلَكِنِّي الشَّبَابُ إِذَا تَوَلَّى فَجَهْلٌ أَنْ تَرُومَ لَهُ ارْتِدَادَا

ولا يشتق عليه أن يفارق أوطانه وأخذانه ، لأنه ألف ذلك وهوته
عليه اختباره الناس والزمان والمكان :

وَأَحْسَبُ أَنَّ قَلْبِي لَوْ عَصَانِي فَقَاوَدَ مَا وَجَدْتُ لَهُ اقْتِدَادَا

وهو وإن كان لا يأسف على مفارقة أحد ولا يذكّر من فارقه ، تذكر
إقامته في البادية في أناس وصفهم بالشجاعة والجد وفصاحة اللسان في
الشعر ؛ وأنه قصد أحسنهم وجها ، وأوهمهم طريفا أو ثلادا ، وأطولهم
قناة ، وأرقهم عمادا . ثم وصفه بأنه يب الفضة الخالصة ، ويبتك
بالأعداء ؛ وقد لزم الغزو شابا وكهلا ، وعود أن يسود ولا يباد ؛
وأنه جهول بالناسك ، طموح لا يخشى الله ولا القيامة ، وأنه يرد عنه
النكباء بقرهه ، ويجعل دعوه مهادا له . ثم ذكر أنه رأى ذنبا جانعا
فنبذ اليه عصاما وهو جلد يشد به فم القربة فأكبره وصر به لجوعه ؛
وأنه صاحب رجلا غريبا برته كثرة الأسفار . وختم القصيدة بقوله :

وَلِي نَفْسٌ تَحِيلُ بِي الرُّوَابِي وَتَأْتِي أَنْ تَحِيلُ بِي الْوَهَادَا
تَمُدُّ لِتَقْبِضَ الْقَمَرَيْنِ كَفَا وَتَحِيلُ كِي تَبْذُ النُّجْمَ زَادَا

ولم يتبين لنا من هم البداية الذين أقام عندهم ، ولا من هما الحبان
الذان عهد لأحسنهم وجها .

وله قصيدة استهلها بالفخر في حله وشجاعته وجلده منها قوله ^(١) :

جَهِلْتُ فَلَمَّا لَمْ أَرَ الْجَهْلَ مُغْنِيَا حَلَمْتُ فَأَوْسَعْتُ الزَّمَانَ وَقَارَا
إِلَى كَمْ تَشْكُنَانِي إِلَى رَكَابِي وَتَكْثُرُ عَثْيِي خُفْيَةً وَجَهَارَا
أَسِيرُ بِهَا تَحْتَ الْمَنَابِيَا وَفَوْقَهَا فَيَسْقُطُ بِي شَخْصُ الْحَمَامِ عَشَارَا
وَكُنْ إِذَا لَأَقِنْنِي لِيَرِدَ نَبِي رَجَعَنْ كَمَا شَاءَ الصَّدِيقُ حَرَارَا
فَلَيْلَهُ طَعْمِي مَا أَمْرٌ مَذَاقُهُ وَلِلَّهِ عَيْسِي مَا أَقْلٌ نِقَارَا ^(٢)

ثم أخذ يصف الليل الذي سار فيه ، والإبل التي أقلته ، والأمكنة التي قطعها .

وافتخر بشعره بقوله من قصيدة : — وقد تقدم —

تَذَوُّدُ عُلَاكَ شُرَادِ الْمَغَانِي ^(٣)

وبقوله من قصيدة أخرى : — وقد تقدم أيضاً

وَلَقَدْ غَصَبْتُ اللَّيْلَ أَحْسَنَ شُهِبِهِ ^(٤)

وافتخر بطلو منزله ، وترفعه عن إجابة أعدائه بقوله :

(١) مطلع رائيته منه :

تَحْيَرْتُ جَهْدِي لَوْ وَجِدْتُ خِيَارَا وَطَرْتُ بَزْمِي لَوْ أَمِيتَ مَطَارَا
انظر الفروع سقط الزند : ق ٢ ص ٦١٨ .

(٢) رواية البيت في الفروع :

فَلَيْلَهُ طَعْمِي مَا أَمْرٌ مَسْفَاةٌ وَفِي عَثْيِي

(٣) انظر الفروع : ق ١ ص ٣٢١ والقصيدة دالية .

(٤) انظر الفروع : ق ١ ص ٤١٢ والقصيدة سينية .

تَعَاطَوْا مَكَانِي وَقَدْ قُتُّهُمْ فَمَا أَدْرَكُوا غَيْرَ لَمَحِ الْبَصَرِ^(١)
وَقَدْ نَبَحُونِي وَمَا هِجَّتْهُمْ كَمَا نَبَحَ الْكَلْبُ ضَوْءَ الْقَمَرِ

الزَّيَاد

لم نغتر في (سقط الزند) على قصيدة مستقلة بالهجاء ، ولا أبيات
مجاها شخصاً معيناً ؛ وإنما وجدنا له أبياتاً يبلغ عددها اثني عشر بيتاً^(٢) مطلعها :
وَرَأَيْتِي أَمَامَ وَالْأَمَامُ وَرَأَاهُ إِذَا أَنَا لَمْ تُكْبِرْ نَبِيَّ الْكِبَرَاهُ
وفيها يقول :

بَأْيَ لِسَانٍ ذَامِنِي مُتَجَاهِلٌ عَلَيَّ وَخَفَقُ الرِّيحِ فِي ثَنَاهُ
تَكَلَّمْتُ بِالْقَوْلِ الْمُضَلِّلِ حَاسِدٌ وَكَلَّمْتُ كَلَامَ الْحَاسِدِينَ هُمَاهُ
وَمَنْ هُوَ حَتَّى يُجَمَلَ النُّطْقُ عَنْ فَعِي إِلَيْهِ وَتَنَشِي^(٣) يَتَيْنِنَا الشُّفَرَاهُ
وَإِنِّي لَمُتْرٍ يَا بَنَ آخِرِ لَيْلَةٍ وَإِنْ عَزَّ مَالٌ فَالْقَنُوعُ قُرَاهُ
وَمُذْ قَالَ إِنْ ابْنَ اللَّثِيمَةِ شَاعِرٌ ذَوُو الْجَمَلِ مَاتَ الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاهُ
أَسَاوِرُ فُحْلِ الشُّعْرِ أَوْلَيْتَ غَايَهُ سَفَاهَا وَأَنْتَ النَّاقَةُ الْعُشْرَاهُ

ثم أورد أبياتاً يفتخر بها بأنهم أمراء على كل من يقول الشعر ، ولا
تثني القوافي تحت غير لوازمهم ؛ وأنهم قادرون على تمثيل كل خطب عظيم

(١) انظر العرواح : ق ٢ ص ٦٤٩ .

(٢) مروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٩٢ - ١٠١ .

(٣) في العرواح : « ومعني . . . »

ينوب أهل بلادهم ؟ ولم تستطع قبيلة أن تلبيهم العز ، ولا أن تأسر
أحداً منهم ؛ وأن السحاب ذا البرق لا يستطيع أن يسير في عرش المادة .
إن لم يكن له خفراء من قومه ؛ وأنهم غير فقراء إلى من هجوم ، بل
هؤلاء فقراء إلى معروف قومه . ولم يشر في الآيات المذكورة إلى مهجوم
معين ؛ فلهذا تخيل رجلاً وقومه وأفرغ المعاني التي يريدونها في الآيات
الأول ، ثم أردفها بآيات من الفخر .
وله آيات من قصيدة مطلها :

أَفُوقَ الْبَنَرِ يُوضَعُ لِي مِهَادٌ^(١)
وفيها يقول :

رَوَيْدَكَ أَتَيْتَا الْعَاوِي وَرَأَيْتِي لِتُخْبِرَنِي مَتَى نَطْقَ الْجَمَادُ
سَفَاهٌ ذَادَ عَنْكَ النَّاسَ حِلْمٌ وَغَيٌّ فِيهِ مَنَفَعَةٌ رَشَادُ
ويمكن أن يقال : إن حظ الهجاء من شعره قليل ، وإن وقع في
كلامه آيات هجوم بها خصوم مدرجيه ويصفهم بالبخل والجبن ونحوهما ؛
إلا أننا لم نجد هجاء معيناً لرجل معين .

الوصف

أبو العلاء وصاف ماهر ، بل رسام بارع ، يصف لك الشيء المدهوس
فيصوره لك حتى كأنك تراه ، ولا يفوته شيء من الدقائق التي تجعل
الوصف صورة مطابقة لأصله ، وقد يزيد الموصوف جمالاً على أصله بما يضيفه
إليه من المبالغة ، أو الحس ، أو الحركة ، أو الحياة أو الصور الخيالية

(١) انظر ما سبق ص ١١٠٠ الماشية ٣ .

التي لم تكن له في الحقيقة أو بما يصحبه من الحكم الرائعة أو بما يفرغه فيه من الأساليب الساحرة . ولا يفوته في وصفه شيء من الألوان الدقيقة أو الحركات الخفية ونحوها .

وإذا أراد الإنسان أن يعلم قدرته في هذا الفن ، فإنه لا يستطيع أن يدرك كنهه حتى يعترض جميع ما في كلامه من نوع الوصف ؛ وهذا أمر ليس باليسير . وقد قدمنا بعضاً من أبياته ؛ ونحن هنا نورد قسماً منها وقسماً مما لم نذكره ، ونكتفي بذكر البيت أو البيتين لندل القارئ على الوطن الذي يجد فيه كل ما ينتقيه من هذا الفن .

وصف الخيل :

وصف الخيل وصفاً رائعاً حياً ومضروباً في مواطن من شعره منها قوله ^(١) :

وَلَمَّا لَمْ يُسَابِقْهُنَّ شَيْءٌ مِّنَ الْحَيَوَانِ سَابَقْنَ الظُّلَّالَا
تَرَىٰ أَعْطَافَهَا تَرْمِي حَمِيمًا كَأَجْنِحَةِ الْبُرَاقِ رَمَتْ تُسَالَا

. الأبيات ، ووصفها بقوله ^(٢) :

تَخْبُ بِكَ الْجِيَادُ كَأَنَّ جَوْنَآ عَلَىٰ كِبَانِهِنَّ الْأَرْجَوَانُ

. الأبيات ، وقوله ^(٣) :

تُرِيكَ لَهُ سَمَاءٌ فَوْقَ أَرْضٍ فُرُوجَ قَوَائِمٍ يُغْدِذْنَ لَوْحًا

. الأبيات ، وقوله ^(٤) :

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٤٦ - ٧ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٠٠ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٥١ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٠٣ .

أَقَانِدَهَا تُغْصِرُ الْجَوَّ نَقْمًا وَفَوْقَ الْأَرْضِ مِنْ عُلُقٍ جَدَادُ

. الأبيات ، وقوله من قصيدة فيها أوصاف متعددة للخيل والغبار (١) :

صَاغَ النَّهَارُ حُجُولَهُ فَكَأَنَّمَا قَطَعْتَ لَهُ الظَّلْمَاءَ ثَوْبَ الْأَذْهَمِ

قَلِقَ السَّمَاءُ لِرُكُضِهِ وَلَرُبَّمَا نَفَضَ الْغُبَارَ عَلَى جَبِينِ الْمِرْزَمِ

. الأبيات ، وقوله (٢) :

إِذَا فَرَعْتَ مِنْ ذَاتِ نَيْقٍ حَسِبْتَهَا تَفِيضُ عَلَى أَهْلِ الْوُهْدِ بَحَارًا

وَلِإِنْ نَهَضْتَ مِنْ مُطْمَئِنِّ ظَنَّتَهُ يَجِيشُ جَبَالًا أَوْ يَمُجُّ حَرَارًا

. الأبيات ، وقوله (٣) :

وَحَيْلًا كَوَجَرَتْ وَالرَّيْحُ شَاوَا ظَنَّنَا الرِّيحَ أَوْ ثَقَّهَا إِسَارُ

عَدَتْ وَلَهَا حُجُولٌ مِنْ جُلَيْنِ وَرَاحَتْ وَهِيَ مِنْ عُلُقٍ نُضَارُ

. الأبيات ، وقوله (٤) :

يَكَادُ يَذِيبُ اللَّجْمَ تَأْثِيرُ حَقْدِهَا فَيَمْنَعُهَا مِنْ ذَلِكَ بَرْدُ الْمَنَاهِلِ

ووصف الغبار الذي تشهده حوافر الخيل بصورة بديعة ، منها قوله من قصيدة :

وَبَنَتْ حَوَافِرُهَا قَتَامًا سَاطِعًا لَوْلَا أَنْقِيَادُ عِدَاكَ لَمْ يَتَبَدَّمْ^(٥)

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٤٣ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٤٢ - ٣ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧١٧ - ٨ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٦٧ وفيها : . . . نثر حقدما .

(٥) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٤٦ .

إلى آخر الأبيات . . . وقوله من قصيدة :

كَانَ تُرَابَ الْأَرْضِ لَمْ يَرْضَ عِوَاهَا
فَأَصْعَدَ يَبْغِي فِي السَّمَاءِ جَوَاراً^(١)

يَقُولُ سِبَاعُ الطَّيْرِ ضَنْكَ غُبَارَهَا^(٢)

فَيَنْقُطُ مَوْتَى أَغْثَا وَنَسَارَا
وَيَجْتِمُ فِيهِ السَّيْدُ رُغْباً فَكَلَّمَا
وقوله من قصيدة :

يَوْمَ كَانَ الشَّمْسُ فِيهِ خَرِيدَةٌ
عَلَيْنَا مِنَ النَّفْعِ الْأَحْمَ لَثَامٌ^(٣)
وصف الإبل :

روصف الإبل أوصافاً بديعة في مواطن من شعره ، منها قوله من قصيدة :
وَكَانَتْ كَالنَّخِيلِ فَظَلُّ كُلُّ
وَمُشَبَّهٌ مِنَ الضُّمْرِ الْإِهَانُ^(٤)
وَقَدْ دَقَّتْ هَوَادِيهِنَّ حَتَّى
كَانَ رِقَابُهُنَّ الْخَيْرَانُ
وقوله من قصيدة أخرى :

عَلَى شَذَقِمِيَّاتٍ كَانَ حُدَاتُهَا
إِذَا عَرَّسَ الرُّكْبَانُ شُرَابَ مُرْقَدٍ^(٥)

(١) شروح سبط الزند : ق ٢ من ٦٣٦

(٢) في العروج : ه كتابها . . .

(٣) شروح سبط الزند : ق ٢ من ٦٠٦ .

(٤) شروح سبط الزند : ق ١ من ١٨٠ .

(٥) شروح - سبط الزند : ق ١ من ٣٦٧ . والقديليات : منسوبة إلى شدقم

وهو فعل من الإبل .

الآيات وقوله من قصيدة :

سَرَتْ بِي فِيهِ نَاجِيَاتٌ مِيَاهِمَا تَجِمُّ إِذَا مَا الرُّكَائِبِ غَارَا^(١)

.

وَلَيْسَتْ تُحِرُّ الْأَرْضُ مِنْهَا بِوَطَاةٍ

فَتُفْرِغَ^(٢) سِرْبًا أَوْ تَرُوعَ ضَوَارًا

الآيات وقوله من قصيدة :

بِعَيْسٍ تَجُوبُ الدُّهْرَ جَوْنًا كَأَنَّهَا مُفَقَّشَةٌ أَخْشَاءُهُ عَنْ كِرَامِهِ^(٣)

.

وَلَوْ وَطَّشْتَ فِي سَيْرِهَا جَفْنًا تَائِمًا بِأَخْفَافِهَا لَمْ يَنْتَبِهْ مِنْ مَنَامِهِ

الآيات وقوله من قصيدة :

إِذَا مَا أَنْخَا حُرَّةً فَوْقَ حُرَّةٍ بَكَى رَحْمَةً الْوَجَنَاءَ مِنْهَا وَجِينَةً^(٤)

الآيات وقوله :

طَرِبْنَ لِضَوْهِ الْبَارِقِ الْمُتَعَالِي بِبَغْدَادَ وَهَنَا مَالَهُنَّ وَمَالِي^(٥)

الآيات وقوله :

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٢٢ .

(٢) في العروج : د خذمر .

(٣) الشروح : ق ٢ ص ١٩٠ . وفيها : د بعيس 'مفكشي الدهر' تجوياً . .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٩٠ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٦٢ .

عَلَى عَشْرِ كَالنَّخْلِ ابْدَى لِفَامَهَا
جَنَى عَشْرِ مِثْلِ السَّبِيخِ الْمَوْضِعِ^(١)

الآيات

الغور :

وصف أبو العلاء الغور وصفاً أجاد فيه غاية الإجابة ، من ذلك
الآيات التي يقول فيها :

وَمُزِيرِهَا الْغُورَ الَّذِي لَوْ سَلَّمَتْ رِيحٌ عَلَى أَرْجَائِهَا لَمْ تَسْلَمْ^(٢)

الغروق والفلاة :

ووصف الحرق وهو الفلاة الواحة وصفاً أتى فيه بصور خيالية
رائعة . من ذلك الآيات التي يقول فيها :

وَتَكْتُمُ فِيهِ الْعَاصِفَاتُ نَفْسَهَا فَلَوْ عَصَفَتْ بِالنَّبْتِ لَمْ يَتَأَوَّدِ^(٣)

القتل :

وهو الماء الذي يجري في أصول الأشجار ، ولقد أجاد في وصفه بقوله :

وَمِنْ غَلَلِ قَحِيدِ الرِّيحِ عَنْهُ خَافَةٌ أَنْ يُمَزَّقَهَا الْقَتَادُ^(٤)

المنهل :

ووصف منهلاً بين ريف الشام والكرخ ، فأبدع وأجلد بقوله :

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٠٤٧ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٣١ ، وفيها : . . . على لرجاه ،

(٣) انظر الصروح : ق ١ ص ٣٧٧ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣١٢ .

كَانَ الصَّبَا فِيهِ مُرَاقِبٌ كَامِنًا (١)

وسياتي في (خياله) .

السيف :

وقد وصف أبو العلاء السيف أوصافاً رائعة يفتقر عن مثلها البصراء ؛
منها الأبيات التي يقول فيها :

وَدَبْتُ فَوْقَهُ حُمْرُ الْمَنَآيَا وَلَكِنْ بَعْدَ مَا مُسِخَتْ نَمَالاً (٢)

ومنها الأبيات التي يقول فيها :

وَكُلُّ أُنَيْضٍ هِنْدِيٍّ بِهِ شُطْبٌ مِثْلُ التَّكْشُرِ فِي جَارٍ بِمُنْحَدَرٍ (٣)

والأبيات التي يقول فيها :

كَانَ الْمَنَابِإُ جَيْشٌ قَرِ عَرْمَرَمٌ تَخِذْنَ إِلَى الْأَرْوَاحِ فِيهِ مَسَارَا (٤)

والأبيات التي يقول فيها :

عَلَيْهِ لِبَاسُ الْخُلْدِ حُسْنًا وَنَضْرَةً

وَلَمْ يَرَبْ إِلَّا فِي الْجَحِيمِ مِنَ الصَّنْعِ (٥)

(١) جزء : ٥ سور إليها من خلال إكناه .

شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٤٩٨ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٠٤ .

(٣) انظر الفروع : ق ١ ص ١٥٦ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٤٧ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٥٨ .

والآيات التي يقول فيها :

تَرَدَّدَ مَاؤُهُ عِلْوًا وَسُفْلًا وَهُمْ فَمَا تَمَكَّنَ أَنْ يَبِيلًا^(١)

والآيات التي يقول فيها :

لَهُ ثِقَلُ الْحَدَائِدِ قَهْوَ رَأْسٍ وَإِصْعَادُ التَّلْهِبِ قَهْوَ نَامٍ^(٢)

والآيات التي يقول فيها :

مِنْ كُلِّ أُنْيَضٍ مُهْتَزٍ ذَوَائِبُهُ

بُنْصِي وَبُضْبِحُ فِيهِ الْمَوْتُ مَسْنُونًا^(٣)

الرمح :

ووصف الرمح في مواطن من شعره ، ولكنه أقل من وصف السيف عدداً وإجادة . من ذلك قوله من أبيات :

وَذِي ظَمَاءٍ وَلَيْسَ بِهِ حَيَاةٌ تَيَقَّنَ طَوْلَ حَامِلِهِ فَطَالًا^(٤)

وقوله :

دَعِ الْبِرَاعَ لِقَوْمٍ يَفْخَرُونَ بِهِ وَبِالطَّوَالِ الرُّدَيْنِيَّاتِ فَاغْتَحِرِ^(٥)

وقوله :

(١) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٩٠ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٥٠٤ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٥٩٩ والسؤن : الغنوق .

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٠٥ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ١ ص ١٥٦ .

كَأَنَّ كُؤُوبَهَا مُتَنَاثِرَاتٍ نَوَى قَنْبٍ تُرَضِّخُ لِلنَّوَاجِي^(١)
مُتَوَهَّهَةٌ كَأَنَّ بِهَا اِرْتِعَاشًا لِفِرْطِ السَّنِّ أَوْ ذَاءِ اخْتِلَاجِ
إلى آخر الأبيات .

الدرع :

وقد أولع أبو العلاء بوصف الدرع ، وافتن فيه ، وجعل منه حيواناً
مستقلاً أو شبه مستقل ؛ وقد أتى في وصفها بصور بارعة لم يسبقه إليها
أحد ، ولم يلحقه أحد ، من ذلك قوله في (السقط) :

عَلَيْنَا اللَّابِثُونَ لِكُلِّ هَيْجٍ بُرُوداً غُمْضُ لَا بِسِمَاهَا سُمَادٌ^(٢)
كَأَثْوَابِ الْأَرَاقِمِ مَزَقَّتْهَا فَخَاطَطَتْهَا بِأَعْيُنِنَا الْجِرَادُ
وقوله فيه من أبيات :

إِذَا أُلْقِيَتْ فِي الْأَرْضِ وَهِيَ مَفَازَةٌ

إِلَى الْمَاءِ خَلَّتِ الْأَرْضُ يَجْرِي مَعِيَّتَهَا^(٣)

إلى آخر الأبيات . وفي قصائده الدرعيات أمثلة رائعة تدل على براعته
وتقننه في وصف الدرع ، من ذلك الأبيات التي يقول فيها :

إِذَا طُوبِتْ فَالْقَعْبُ يَجْمَعُ شَمْلَهَا وَإِنْ نُثِلَتْ سَالَتْ مَسِيلَ ثِمَادٍ^(٤)

(١) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٧٢ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٠٥ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٨٩٩ .

(٤) انظر المروحي : ق ٤ ص ١٧٥٥ .

والآيات التي يقول فيها :

غَدِيرٌ نَفَتْ الْحَرْصَانُ فِيهِ نَقِيقَ عَلَاجِمٍ وَاللَّيْلُ دَاجٌ^(١)

والآيات التي منها قوله :

هَيْئَةُ الْحَرْصَانِ فِي عَطْفِهَا مِئِنَّةُ الْأَعْجَمِ لِلْأَعْجَمِ^(٢)

.....

لَوْ أَمْسَكَتْ مَا زِلْتُ عَنْ سَرْدِهَا لَا بُهْرَ الدَّارِغِ كَالثَّيْمِ

والآيات التي يقول فيها :

يَدُ الْمَنَآيَا إِذَا تُصَافَحَهَا أَعْيَا بِهَا مِنْ يَدَيْنِ فِي رَحِمِ^(٣)

مَعَابِلُ الرَّمِي عِنْدَهَا عَبْلٌ مُلْقَى وَسُخْمُ النَّصْلِ كَالسَّحْمِ

والآيات التي يقول فيها :

كِهْلَالِ الْحَيَاةِ أَوْ كَقَمِيصِ لِهْلَالِ الْحَيَاتِ غَيْرِ مَجْجُوبِ^(٤)

.....

مِثْلُ وَشْيِ الْوَلِيدِ لَأَنْتَ وَإِنْ كَأَنْتَ مِنَ الصَّنْعِ مِثْلُ وَشْيِ حَبِيبِ

والآيات التي يقول فيها :

تَرَى الْمَرْءَ فِيهَا يَخْمِلُ الْمَاءَ جَامِداً وَإِنَّمَا عَلَاهَا مِقْفَرٌ قَهْوٌ قَامِسٌ^(٥)

(١) شروح سقط الزند : ق ٤ س ١٧٦٤ ، والحرمان : واحدا خرس وهو

الرمح . واللاجم : الضادع .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ س ١٨٠١ ، ١٨٠٥ . والشيخ : ذكر الضادع

(٣) شروح سقط الزند : ق ٤ س ١٩٠٠ .

(٤) الفروع : ق ٤ س ١٩٢٣ - ٢٤ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٥ س ١٩٩٢ ، ١٩٩٦ .

إِذَا قَارَبْتَهَا لِلرَّمَا حِ تَعَالَيْتُ
صَنَعْتُ قَتْلَادَى الْقَوْمِ قِتْلَكَ الْهَجَارِسُ

لَهَا خَلْقٌ ضَيْقٌ لَوْ أَنَّ وَصِيْنَهُ فُوَادُكَ لَمْ يَخْطِرْ بِقَلْبِكَ هَاجِسُ
اليل والظلام :

ووصف اليل بأبيات ، منها قوله :

وَجُنَحٌ يَمْلَأُ الْفُؤَادَيْنِ شَيْبًا وَلَكِنْ يَجْمَلُ الصَّخْرَاءَ خَالًا^(١)
وفوله :

لَيْلَتِي هَذِهِ عَرُوسٌ مِنَ الزَّيْتِ — حِ عَلَيَّهَا قَلَائِدٌ مِنْ جُجَمَانٍ^(٢)
ومنه الأبيات التي يقول فيها :

وَيُؤْنِسُنِي فِي قَلْبٍ كُلِّ مَخُوفَةٍ
حَلِيفُ سُرَى لَمْ تَضَحْ مِنْهُ الشَّمَائِلُ^(٣)
مِنَ الزَّيْجِ كَهْلٌ شَابَ مَفْرُقُ رَأْسِهِ وَأَوْثَقَ حَتَّى نَهَضَهُ مُتَشَاوِلُ
والأبيات التي يقول فيها :

سَتَعَجَبُ مِنْ تَغَشُّمِهَا لَيْلَالِ نُبَارِينَا كَوَاكِبُهَا سُهَادَا^(٤)

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٧٢ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٤٢٩ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٤٥ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٧٤ . تلحظ : أي ركب رأسه لا يبالى ما صنع .

كَأَنَّ فِجَاجَهَا قَعَدَتْ حَبِيبًا فَصَيَّرَ الظَّلَامَ لَهَا حَدَادًا

والآيات التي يقول فيها :

وَأَسْوَدَ لَمْ تَعْرِفْ لَهُ الْإِنْسُ وَالِدَا كَسَانِي مِنْهُ جُلَّةٌ وَخَمَارًا^(١)

والآيات التي يقول فيها :

كَأَنَّمَا هِيَ إِذْ لَأَحْتِ كَوَاكِبُهَا

خَوَّذَ مِنَ الزُّنُجِ تُجَلَّى وَشَحَتْ خَضَفًا^(٢)

والآيات التي يقول فيها :

كَأَنَّ الدُّجَى نُووقُ عَرِيقَ مَنْ الْوَنَى وَأَنْجُمُهَا فِيهَا قَلَانِدُ مِنْ نَوْدَعِ^(٣)

والآيات التي يقول فيها :

وَلَيْلٍ كَذِئْبِ الْقَفْرِ مَكْرًا وَحِيلَةً أَطَّلَ عَلَى سَفَرٍ بِحُلَّةٍ أَدْرَعِ^(٤)

والآيات التي يقول فيها :

وَكُنَّ يَرَيْنَ نَارَ الزُّنْدِ فِيهِ فَلَمْ يُبْصِرْنَ إِذْ وَرَتْ الزُّنَادُ^(٥)

(١) مروح سقط الزند : ق ٢ ص ١٢٦ ونه : د لم يعرف .

(٢) مروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٥٧ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٦٣ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٥٦٠ . وفيها : د كفتب العبر .

وحه أدرع : من لولهم : لة دراهم إذا اسود أولها وايش آخرها بالضر .

(٥) المروح : ق ١ ص ٣١٣ .

والآيات التي يقول فيها :

حَنَادِمٌ تُغْشِي الْمَوْتَ لَوْلَا أَنْجِيَانَهَا

عَنِ الْمَرْءِ مَا هَمَّ الرَّدَى بِاخْتِرَامِهِ^(١)

النجوم :

ووصف النجوم في مواطن ، منها قوله :

كَأَنَّهَا سِرْبُ حَمَامٍ وَاقِعٍ فِي شَبَكٍ مِنَ الظَّلَامِ تَنْتَرِي^(٢)

ومنها قوله :

وَكَاثُ الْهَلَالِ يَهْوَى الثُّرَيَّا قَهْمًا لِلدَّوَادِعِ مُعْتَنِقَانِ^(٣)
وَسَهْلٌ كَوْنَجَةِ الْحَبِّ فِي اللَّوْنِ نِ وَقَلْبِ الْمَحِبِّ فِي الْخَفَقَانِ

ومنها قوله :

وَلَيْلَةٌ بَثٌ فِيهَا وَابْنُ مُرْتَبَا كَمَيِّتٍ عَادَحِيًّا بَعْدَ مَا قُبِضَا^(٤)

ومنها قوله :

كَانَ الثُّرَيَّا وَالصَّبَاحُ يَرُوعَا أَخُو سَقَطَةٍ أَوْ ظَالِعٍ مُتَحَامِلٍ^(٥)

ومنها قوله :

بُلَامٌ سَهْلٌ تَحْتَهُ مِنْ سَامَةِ وَيُنَعْتُ فِيهِ الزُّبُرُ قَانُ بِأَسْلَعِ^(٦)

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ، ٥٠٠ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٤١٧ . وفيها : . . . ينتري .

(٣) المروج : ق ١ ص ٤٣٠ ، ٤٣٣ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٥٧ وفيها : « وليلة سرت » .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥١٧ .

(٦) مروج سقط الزند : ق ٤ ص ١٥٦٢ .

وصف الهلال :

ووصف الهلال في مواضع متعددة من شعره ، منها الأبيات التي يقول فيها :

قَصِيمٌ نِصْفُهُ فِي الْمَاءِ بَادٍ وَنِصْفُهُ فِي السَّمَاءِ بِهِ تُزَانُ^(١)

وقوله :

وَلَا حَ هِلَالٌ مِثْلُ نُونٍ أَجَادَهَا

بِجَارِي النَّظَارِ الْكَاتِبُ ابْنُ هِلَالٍ^(٢)

ووصف البوق في مواطن منها قوله :

إِذَا مَا اهْتَاجَ أَحْمَرٌ مُسْتَطِيراً حَسِبْتَ اللَّيْلَ زَنْجِيًّا جَرِيحًا^(٣)

وقوله :

مِثْلُ السُّيُوفِ هَزْهَزٌ عَارِضٌ وَالسِّيفُ لَا يَرُوعُ إِنْ لَمْ يُهَزَزْ^(٤)

وقوله :

أَيْلَى كَمَا قُصَّ الْغُرَابُ خِلَالَهُ بَرْقٌ يُرْتَقُ دَأْبُ نَسْرِ حَائِمٍ^(٥)

وصف الطبيعة :

ووصف الطبيعة وصفاً متعددًا في كثير من القصائد ، منها قوله في الأرض :

(١) هرواح سقط الزند : ق ١ ص ٢١١ .

(٢) هرواح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٩٧ .

(٣) شرواح سقط الزند : ق ١ ص ٢٤٠ .

(٤) شرواح سقط الزند : ق ١ ص ٤١٥ .

(٥) شرواح سقط الزند : ق ٤ ص ١٥٢٢ .

وَالْحِلُّ كَالْمَاءِ يُبْدِي لِضَمَائِرِهِ مَعَ الصَّقَاءِ وَيُخَفِّمُ مَعَ الْكَدْرِ

وَأَفْقَتَهُمْ فِي اخْتِلَافٍ مِنْ زَمَانِكُمْ

وَالْبَدْرُ فِي الْوَهْنِ مِثْلُ الْبَدْرِ فِي السَّحَرِ

فَالْعَيْنُ يَسْلَمُ مِنْهَا مَارَاتٍ قَتَبَتْ عَنْهُ وَتَلْحَقُ مَا تَهْوَى مِنَ الصُّورِ

مَا جَتِ تُمِيرٌ فَهَاجَتْ مِنْكَ ذَالِبِدٌ وَاللَّيْثُ أَقْتَلَ أَفْعَالًا مِنَ النَّمِرِ

وَالنَّجْمُ تَسْتَضْفِرُ الْأَبْصَارُ رُؤْيَاهُ

وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّغَرِ

وَالْمَرْءُ مَا لَمْ تُفِذْ نَفْعًا إِفْقَامَتُهُ

غَيْمٌ حَتَّى الشَّمْسَ لَمْ يُنْظِرْ وَلَمْ يَسِرْ

أَقْرَى قُورَاهَا قَلِيلُ السَّيْرِ تُذَمِّنُهُ وَالْغَمْرُ يُفْنِيهِ طَوْلُ الْعَرَفِ بِالْغَمْرِ

وَالْكِبَرُ وَالْحَمْدُ "حِذَانِ اتِّفَاقُهُمَا" مِثْلُ اتِّفَاقِ قَتَاهِ الدَّنِّ وَالْكِبَرِ

(١) في الفروع : ق ١ ص ١٦٢ : الأجر صورته .

(٢) في الفروع : والمج والكبر .

خَفَ الْوَرَىٰ وَأَقْرَبَتْكُمْ حُلُومُكُمْ وَالْجَمْرُ تُعَدِّمُ^(١) فِيهِ خِفَةُ الشَّرِّ
وَعِيشَتِي الشَّبَابُ وَلَيْسَ مِنْهَا صِبَايَ وَلَا ذَوَائِيهِ الْهَجَانُ^(٢)
وَكَالنَّارِ الْحَيَاةُ فَمِنْ رَمَادٍ أَوَاخِرُهَا وَأَوَّلُهَا دُخَانُ
وَلَوْ طَرِبَ الْجَمَادُ لَكَانَ أَوْلَىٰ سُرُوبِ الرِّاحِ بِالطَّرِبِ الدَّنَانُ
وَسَائِلُ مَنْ تَنْطَرُ فِي التَّوَقِّي لَآيَةٍ عَلَيْهِ مَاتَ الْجَبَانُ
وَيُعَدِّمُ عِنْدَهُ فِي الْجُودِ مَطْلُ وَمَفْقُودٌ مَعَ الْعُتْقِ الْحِرَانُ^(٣)
وَمَا لِلْمِسْكِ فِي أَنْ فَاحَ حَظٌّ وَلَكِنْ حَظَّنَا فِي أَنْ يَفُوحَا^(٤)
سَفَاهٌ ذَادَ عَنْكَ النَّاسَ حِلْمٌ وَغِيٌّ فِيهِ مَنَعَةٌ رَشَادُ^(٥)
فَأَطْعِمْهَا لِأَجْعَلَهَا طَعَامِي^(٦) وَرُبَّ قَطِيعَةٍ جَلَبَ الْوِدَادُ

(١) في الصروح : « والجمر يهدم » .

(٢) القصيدة في الصروح : ق ١ ص ١٧٢ - ٢٢٣ .

(٣) في الصروح : « وسودوم مع العتق » .

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٦٩ .

(٥) القصيدة في الصروح : ق ١ ص ٢٨١ - ٣٢٦ .

(٦) في الصروح : « طعاماً » .

وَالْحُلُّ كَالْمَاءِ يُبْدِي لِضَائِرِهِ مَعَ الصَّقَاءِ وَيُخَفِّمُ مَعَ الْكَدْرِ

وَأَفْتَقَهُمْ فِي اخْتِلَافٍ مِنْ زَمَانِكُمْ

وَالْبَدْرُ فِي الْوَهْنِ مِثْلُ الْبَدْرِ فِي السَّحَرِ

فَالْمَنِ يَسْلُمُ مِنْهَا مَارَاتٍ فَتَبَتْ عَنْهُ وَتَلَحَّقُ مَا تَهْوَى مِنَ الصُّورِ

مَا جَتِ نُعْمِيرٌ فَهَاجَتْ مِنْكَ ذَا الْبَدِ وَاللَّيْثُ أَفْتَكُ أَفْعَالاً مِنَ النُّعْمِ

وَالنَّجْمُ تَسْتَضْفِرُ الْأَبْصَارُ رُؤْيَاهُ^(١)

وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصُّغَرِ

وَالْمَرْءُ مَا لَمْ تُفِذْ نَفْعاً لِمَقَامَتِهِ

غَيْمٌ حَتَّى الشَّمْسَ لَمْ يُمَظِرْ وَلَمْ يَسِرْ

أَقْرَى قُوَاهَا قَلِيلُ السَّيْرِ يُذَمِّنُهُ وَالْقَمَرُ يُفْنِيهِ طَوْلُ الْغُرْفِ بِالْقَمَرِ

وَالْكِبَرُ وَالْحَمْدُ^(٢) ضِدَانِ اتِّفَاقُ مَا مِثْلُ اتِّفَاقِ قَدَاهِ السَّنِّ وَالْكِبَرِ

(١) في الفروع : ق ١ ص ١٦٢ : الأجر مودته .

(٢) في الفروع : والمج والكمبر .

خَفَ الْوَرَى وَأَقْرَتَكُمْ حُلُومُكُمْ وَالْجَمْرُ تُعْذِمُ^(١) فِيهِ خُفَةُ الشَّرَرِ
وَعِيشَتِي الشَّبَابُ وَلَيْسَ مِنْهَا صِبَايَ وَلَا قَوَائِمِي الْهَجَانُ^(٢)
وَكَالنَّارِ الْحَيَاةُ فَمِنْ رَمَادٍ أَوَاخِرُهَا وَأَوَّلُهَا دُخَانُ
وَلَوْ طَرِبَ الْجَمَادُ لَكَانَ أَوَّلِي سُرُوبِ الرِّاحِ بِالطَّرِبِ الدَّنَانُ
وَسَائِلُ مَنْ تَنْطُرُ فِي التَّوَقِّي لَآيَةٍ عَلَيْهِ مَاتَ الْجَبَانُ
وَيُعْذِمُ عِنْدَهُ فِي الْجُودِ مَظَلٌّ وَمَفْقُودٌ مَعَ الْعُتْقِ الْحِرَانُ^(٣)
وَمَا لِلْمِسْكِ فِي أَنْ فَاحَ حَظٌّ وَلَكِنْ حَظَّنَا فِي أَنْ يَفُوحَا^(٤)
سَفَاهٌ ذَادَ عَنْكَ النَّاسَ حِلْمٌ وَغِيٌّ فِيهِ مَنَفَعَةٌ رَشَادُ^(٥)
فَأَطْعِمْهَا لِأَجْعَلَهَا طَعَامِي^(٦) وَرُبَّ قَطِيعَةٍ جَلَبَ الْوِدَادُ

(١) في الصروح : « والجمر يطمم » .

(٢) القصيدة في الصروح : ق ١ ص ١٧٢ - ٢٢٣ .

(٣) في الصروح : « ومفهوم مع العتق » .

(٤) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٢٦٩ .

(٥) القصيدة في الصروح : ق ١ ص ٢٨١ - ٣٢٦ .

(٦) في الصروح : « طعاماً » .

ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ هِيَ الدَّهْرُ كُلُّهُ
وَمَا هُنَّ غَيْرُ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ وَالْقَدِ^(١)

فَلَا تَحْسَبِ الْأَقْمَارَ خُلُقًا كَثِيرَةً فَجُمَلَتْهَا مِنْ نَيْرٍ مُتَرَدِّدٍ

وَقَدْ يُجْتَدَى فَضْلُ النَّمَامِ وَلِأَنَّمَا
مِنَ الْبَحْرِ فِيمَا يَزْعُمُ النَّاسُ يَجْتَدِي
وَيَهْدِي الدَّلِيلُ الْقَوْمَ وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ
وَأَكِنَّهُ بِالنَّجْمِ يَهْدِي وَيَهْتَدِي

كَذَلِكَ اللَّيَالِي لَا يَجْدُنَ بِمَطْلَبٍ لِخَلْقٍ وَلَا يُبْقِينَ شَيْئًا عَلَى عَهْدِ^(٢)

رُبَّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ الصَّبْحُ فِي الْحُسْنِ وَإِنْ كَانَ أَسْوَدَ الطُّيَلَسَانِ^(٣)

كَمْ أَرَدْنَا ذَلِكَ الزَّمَانَ بِمَدْحٍ فَشَغَلْنَا بِذَمٍّ هَذَا الزَّمَانَ

(١) شروح سطر الزند: ق ١ ص ٣٨٩-٣٩٠ وفي المروج: خلق، بالرفع على أنها فاعل نحب.

(٢) شروح سطر الزند: ق ١ ص ٣٩١.

(٣) البجان من لعبدة في المروج: ق ١ ص ٤٢٦، ٤٢٨.

إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتِ السَّعَادَةَ لَمْ تُبَيَّنْ وَإِنْ ظُنَّكَ شَزْرًا إِلَيْكَ الْقَبَائِلُ^(١)
 الى آخر الأبيات في هذه القصيدة .

. . .

أَرَى الْغَنَاءَ تَكْبِيرُ أَنْ تُصَادَا فَعَانِدَمَنْ تُطِيقُ لَهُ عِنَادَا^(٢)

.

إِذَا مَا النَّارُ لَمْ تَطْعَمَ ضَرَامَا فَأَوْشَكَ أَنْ تَمُرَّ بِهَا رَمَادَا
 فَظُنَّ بِسَائِرِ الْإِخْوَانِ شَرًّا وَلَا تَأْمَنُ عَلَى سِرِّ فُؤَادَا

.

فَأَيُّ النَّاسِ أَجْعَلُهُ صَدِيقَا وَأَيُّ الْأَرْضِ اسْلُكُهُ اِرْتِيَادَا
 وَلَوْ أَنَّ النُّجُومَ لَدَيَّ مَالٌ نَفْتُ كَفَايَ أَكْثَرَهَا اِتِّعَادَا

. . .

وَقَدْ تَنْطِقُ الْأَشْيَاءُ وَهِيَ صَوَامِتُ وَمَا كُلُّ نُطْقٍ اَلْخَبِيرِينَ كَلَامُ^(٣)

.

وَحُبُّ الْفَتَى طُولَ الْحَيَاةِ يُدِلُّهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ نَخْوَةٌ وَعُورَامُ
 وَكُلُّ يُرِيدُ الْعَيْشَ وَالْعَيْشُ حَتْفُهُ وَيَسْتَعَذِبُ اللَّذَاتِ وَهِيَ سَمَامُ

. . .

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٤٨ وما بعدها .

(٢) القصيدة في العروج : ق ٢ ص ٥٥٣ وما بعدها .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٠٧ وما بعدها .

إِذَا الْفَتَى ذَمَّ عَيْشًا فِي شَبِيبَتِهِ فَمَا يَقُولُ إِذَا عَصَرَ الشَّبَابَ مَضَى^(١)
وَقَدْ تَعَوَّضَتْ عَنْ كُلِّ بِمُشَبِّهِهِ فَمَا وَجَدَتْ لِأَيَّامِ الصَّبَا عَوْضًا

.....

جَرَّبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ
لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ امْرِئٍ غَرَضًا

.....

قُرْبَمَا ضُرَّ خِلٌ نَافَعَ أَبَدًا
كَالرَّيْقِ يَخْدُثُ مِنْهُ عَارِضُ الشَّرْقِ^(٢)

.....

فَإِنْ تَوَافَقَ فِي مَعْنَى بَنُوزَمَيْنِ فَإِنْ جُلَّ الْمَعَانِي غَيْرُ مُتَّفِقٍ
قَدْ يَبْعُدُ الشَّيْءُ مِنْ شَيْءٍ يُشَابِهُهُ إِنَّ السَّمَاءَ فَظِيرًا لِمَاءِ فِي الزَّرَقِ

.....

وَالنَّفْسُ تَحْيَا بِأَعْطَاءِ الْمَوَا لَهَا مِنْهُ بِقَدَارٍ مَا أَعْطَتْهُ مِنْ نَفْسِ^(٣)

.....

وَلَا يُفِيدُونَ نَفْعًا فِي كَلَامِهِمْ وَهَلْ تُفِيدُكَ مَعْنَى نَفْعَةِ الْجَرَسِ

.....

(١) الصبغة في الشروح : ق ٢ ص ٦٥٤ وما بعدها .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٨٧ وما بعدها ، وفيها : يحدث عنه .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٨٩ وما بعدها .

وَالنَّخْلُ مَا عَكَفَتْ عَلَيْهِ طَيْرُهُ إِلَّا لِمَا عَلِمَتْهُ مِنْ أَرْطَابِهِ ^(١)

.....

وَالنَّخْلُ يَجْنِي الْمَرْمِينَ تَوْرَ الرُّمَى فَيَعُودُ شُهْدَا فِي طَرِيقِ رُضَايِهِ

.....

وَالسَّمَرِ يَهْ لَيْسَ يَشْرَفُ قُدْرُهَا حَتَّى يُسَافِرَ لَدُنَّهَا عَنْ غَايِهِ

وَالغَضْبُ لَا يَشْفِي أَمْرًا مِنْ ثَأْرِهِ إِلَّا بِفَقْدِ نَجَادِهِ وَقَرَابِهِ

.....

عُرِفَتْ مُجْدُودُكَ إِذْ نَطَقْتَ وَطَالَ مَا لَفَطَ الْقَطَا فَأَبَانَ عَنْ أَنْسَابِهِ

.....

إِنَّ الْبَخِيلَ إِذَا بُدِّئَ لَهُ الْمَدَى فِي الْجُودِ هَانَ عَلَيْهِ وَعَدُّ السَّائِلِ ^(٢)

.....

لَا وَضَعَ لِلرَّحْلِ إِلَّا بَعْدَ إِضْغَاعٍ

فَكَيْفَ شَاهَدَتْ إِمضَائِي وَإِزْمَاعِي ^(٣)

.....

هَلْ أَنْتِ إِلَّا بَعْضُهُنَّ وَإِنَّمَا خَيْرُ الْحَيَاةِ وَشَرُّهَا أَرْزَاقُ ^(٤)

.....

(١) فروع سقط الزند : ق ٢ ص ٧١٩ .

(٢) فروع سقط الزند : ق ٢ ص ٧٣٣ .

(٣) فروع سقط الزند : ق ٢ ص ٧٤١ .

(٤) المصدر السابق ص ٧٦٥ .

وَلَيْسَ يُزَادُ فِي رِزْقِ حَرِيصٍ وَلَوْ رَكِبَ الْعَوَاصِفَ كَيْ يُزَادَا^(١)

.....

وَلَوْ أَنَّ السَّحَابَ مَتَى يَغْلِي لَمَا أُرْوَى مَعَ النُّخْلِ الْقَتَادَا
وَلَوْ أُعْطِيَ عَلَى قَدْرِ الْمَعَالِي سَقَى الْهَضْبَاتِ وَاجْتَنَّبَ الْوَهَادَا

.....

وَمِثْلُكَ لِلْأَصَادِقِ مُسْتَقِيدٌ وَشَرُّ الْخَيْلِ أَصْعَبُهَا قِيَادَا

. . .

وَلَنْ يُخَوِّى الثَّنَاءُ بِغَيْرِ جُودٍ وَهَلْ تُجْنَى مِنَ الْيَبْسِ الثِّمَارُ^(٢)
وَلَمْ تَلْفِظْكَ حَضْرَتُهُ لِزُهْدٍ وَلَكِنْ ضَاقَ عَنْ أَسَدٍ وَجَارُ

.....

وَلِلْمَاءِ الْفَضِيلَةِ كُلُّ وَقْتٍ^(٣) وَلَا سِيَمًا إِذَا اشْتَدَّ الْإِوَارُ

.....

وَلَيْسَ يُزِيدُ فِي جَرِي الْمَذَاكِي رِكَابٌ فَوْقَهُ ذَهَبٌ ثَمَارُ
وَرُبُّ مُطَوَّقٍ بِالتَّبَرِّ يَكْبُو بِفَارِسِهِ وَلِلرَّهَجِ اعْتِكَارُ
وَزَنْدٍ عَاطِلٍ يَحْظَى بِمَدْحٍ وَيُحْرَمُهُ الَّذِي فِيهِ السَّوَارُ

. . .

(١) شروح سقط الزند ص ٨٠٢ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق : ق ٢ ص ٨١٣ وما بعدها .

(٣) في العروق : وكل حين .

فَالنَّفْسُ تَبْغِي الْحَيَاةَ جَاهِدَةً وَفِي يَمِينِ الْمَلِكِ مَقُودَهَا^(١)
فَلَا اقْتِحَامُ الشَّجَاعِ مُبَايَكُهَا وَلَا تَوْقِي الْجَبَانَ مَخْلِدَهَا
لِكُلِّ نَفْسٍ مِنَ الرَّدَى سَبَبٌ لَا يَوْمُهَا بَعْدَهُ وَلَا عَدَا

مَا أَنْتَ فِي عِدَّةٍ مَنْ يُتَّقَى بَلْ أَنْتَ فِي عِدَّةٍ مَنْ يُرْحَمُ^(٢)
وَالْقَوْمُ كَالْأَنْعَامِ إِنْ عُوثُوا تَسْمَعُ مَا قِيلَ وَلَا تَقَمُّ

وَالْعَيْسُ أَقْتَلُ مَا يَكُونُ لَهَا الصَّدَى وَالْمَاءُ فَوْقَ ظَهْرِهَا عَحْمُولُ^(٣)

إِذَا غُيِّبَ الْمَرْءُ اسْتَسْرَحْدِيئُهُ وَلَمْ تُخْبِرِ الْأَفْكَارُ عَنْهُ بِمَا يَغْنِي^(٤)

وَخَوْفُ الرَّدَى آوَى إِلَى الْكَتِفِ أَطْلُ

وَكَلَّفَ نُوحًا وَابْنَهُ عَمَلَ الشَّقَنِ

رُبَّ لَحْدٍ قَدْ ضَارَ لَحْدًا مِرَارًا ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحِمِ الْأَضْدَادِ^(٥)

(١) غرور سقط الزند : ق ٢ ص ٨٢٧ وما بعدها .

(٢) غرور سقط الزند : ق ٢ ص ٨٦١ .

(٣) الصغر السابق ص ٨٨٠ .

(٤) الصغر السابق ص ٩١٦ وما بعدها .

(٥) غرور سقط الزند : ق ٢ ص ٩٢٦ وما بعدها .

تَعَبُ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعْجَبُ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ
 أَنْ حُزْنَآ فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَافُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ
 زُحَلٌ أَشْرَفُ الْكَوَاكِبِ دَارًا مِنْ لِقَاءِ الرَّدَى عَلَى مِيعَادِ
 كُلُّ نَيْتٍ لِلْهَدَمِ مَا تَبْتَنِي الْوَرْدُ قَاهُ وَالسَّيِّدُ الرَّفِيعُ الْعِمَادِ
 وَالشَّيْءُ لَا يَكْثُرُ مَدَاحُهُ إِلَّا إِذَا قِيسَ إِلَى ضِدِّهِ (١)
 لَيْسَ الَّذِي يُبْنِكِي عَلَى وَصْلِهِ مِثْلَ الَّذِي يُبْنِكِي عَلَى فَقْدِهِ (٢)
 إِنْ لَمْ يَكُنْ رُشْدُ الْفَتَى نَافِعًا فَعَيْتُهُ أَنْفَعُ مِنْ رُشْدِهِ
 لَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرْ الْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ
 أَفْضَلُ مَا فِي النَّفْسِ يَغْتَالُهَا فَتَسْتَعِيدُ اللَّهَ مِنْ جُنْدِهِ
 وَآفَةُ الْعَاشِقِ مِنْ طَرَفِهِ وَآفَةُ الصَّارِمِ مِنْ حَدِّهِ
 كَمْ صَائِنٍ عَنْ قُبْلَةِ خَدِّهِ سُلْطَتِ الْأَرْضُ عَلَى خَدِّهِ

(١) للمصر السابق ص ١٠٠٨ وما بعدها .

(٢) في العروج : . . . على ضد . . .

لَا بُدَّ لِلْحَسَنَاءِ مِنْ ذَامٍ وَلَا ذَامٌ لِنَفْسِي غَيْرَ سَيِّئٍ وَبَغْتَهَا^(١)
وَلَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ سُكْرِ سَاعَةٍ تَهْوُنُ عَلَيْهِ غَيْرَ هَا السُّكْرَاتِ^(٢)
أَلَا إِنَّمَا الْأَيَّامُ أَبْنَاءُ وَاحِدٍ وَهَذَا اللَّيَالِي كُلُّهَا أَخَوَاتُ
فَلَا تَطْلُبَنَّ مِنْ عِنْدِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خِلَافَ الَّذِي مَرَّتْ بِهِ السَّنَوَاتُ
وَكَيْفَ يَجْرُ الْجَيْشُ يَطْلُبُ غَارَةً أَسِيرٌ لِمَجْرُورِ الدُّيُولِ كَحِيلِ^(٣)
فَإِنْ أَبَا الْأَشْبَالِ يَخْشَاهُ مِثْلُهُ وَيَأْمَنُ مِنْهُ أَرْضٌ وَنَمَالُ^(٤)
لَا مَرِيحَ لِحُلِّ الزُّجْجِ فِي عَقَبِ الْقَنَا وَرُقَعَتِ الْخِرْصَانُ فَوْقَ الْعَوَامِلِ^(٥)
وَمَنْ كَانَ يَسْتَدْبِعِي الْجَمَالَ بِحِلْيَةٍ أَضُرَّ بِهِ فَقَدْ الْبُرَى وَالْمَرَامِلِ
فَلَيْتَ اللَّيَالِي سَاحَتْ نِيَّ بِنَاطِرٍ يَرَاكَ وَمَنْ لِي بِالضُّحَى فِي الْأَصَائِلِ

(١) انظر ما سبق ص ١٠٨٥ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٣٨ .

(٣) هروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٤٥ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٦٤ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٧٣ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٤ .

رُدِّي كَلَامَكَ مَا مَلَلْتُ مُسْتَمِعاً وَهَلْ يُبَلِّغُ مِنَ الْأَنْفَاسِ تَرْدِيداً^(١)

فَيَا دَارَهَا بِالْحُزْنِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ^(٢)

سَيَطْلُبُنِي رِزْقِي الَّذِي لَوْ طَلَبْتُهُ لَمَازَادَ وَالْدُنْيَا حُظُوظٌ وَإِقْبَالٌ
إِذَا صَدَقَ الْجَدُّ افْتَرَى الْعَمَّ لِلْفَتَى مَكَارِمٌ لَا تُكْرِي وَإِنْ كَذَبَ الْحَالُ

وَالرَّاحُ إِنْ قِيلَ ابْنَةُ الْعَنْبِ اكْتَفَتْ

بَابٍ عَنِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ^(٣)

وَمَنْ يَتَرَقَّبْ صَوْلَةَ الدَّهْرِ يَلْقَهَا

وَشَيْكاً وَهَلْ تَرْضَى الْأَسَاوِدُ بِالْوَكْعِ^(٤)

تَأْمَلْنَا الزَّمَانَ فَمَا وَجَدْنَا إِلَى طَيْبِ الْحَيَاةِ بِهِ سَبِيلًا^(٥)
ذَرِ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَحْظَ مِنْهَا وَكُنْ فِيهَا كَثِيراً أَوْ قَلِيلاً

(١) القزوينات ٨ ص ٩٤ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٢٢٨ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٠٢ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٤٦ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨٩ .

وَأَصْبَحَ وَاحِدَ الرَّجُلَيْنِ إِمَّا مَلِيكًا فِي الْمَعَاشِرِ أَوْ أَيْلًا
 أَرَى الْحَيَوَانَ مُشْتَبِهَ السَّجَابَا
 وَمَنْ تَغْلُقَ بِهِ حُمَةُ الْأَفَاعِي يَعْشُ إِنْ فَاتَهُ أَجَلٌ عَلِيلًا
 وَنَحْنُ السَّفَرُ فِي عُمْرٍ كَثُرَتْ تَهَافُزُ أَهْلُهُ جُرْعَ الْحِمَامِ^(١)
 دَعِ الطَّيْرَ فَوَضَى إِنَّمَا هِيَ كَلَّمَهَا طَوَالِبُ رِزْقٍ لَا تَجِيءُ بِمُقْطَعٍ^(٢)
 أَلَمْ يَأْتِكُمْ أَنِّي تَفَرَّدْتُ بِغَدَاكُمْ
 عَنْ الْإِنْسِ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْعِدِّ يَنْقَعُ
 وَالْمَوْتُ أَحْسَنُ بِالنَّفْسِ الَّتِي أَلْفَتْ عِزَّ الْقَنَاعَةِ مِنْ أَنْ تَسْأَلَ الْقَوَاتَا^(٣)
 وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يَنْسُطُ شُكْرَهُ
 عَلَى الْقُلُوبِ إِنْ الْخَيْرُ نَاقَتْهُ بَسْطُ^(٤)

(١) انظر ما سبق ص ١٠٩٠ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٥٣٠ ، ١٥٨٨ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦١٠ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦٩٥ .

وَحَبْلُ الشَّمْسِ مَذْخُلَقَتْ ضَعِيفٌ وَكَمْ قَنِيتَ بِقُوَّتِهِ حَبَالٌ^(١)

وَيُلْفَى الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا صَحِيحًا كَحَرْفٍ لَا يُفَارِقُهُ اغْتِلَالٌ

وَهَلْ يَثِقُ الْفَتَى بِنَمَاءٍ وَفَرٍ إِذَا لَمْ تَتَلُ أَيْنَقَهُ فَصَالٌ
وَأَوَّلُ مَا يَكُونُ اللَّيْثُ شِبْلٌ وَمَبْدَأُ طَلْعَةِ الْبَذْرِ الْهِلَالُ

فَلَا تَحْسَبُوا دَمْعِي لَوْجِدٍ وَجَدُّهُ

فَقَدْ تَدْمَعُ الْأَحْدَاقُ مِنْ كَثَرَةِ الضَّحْكَ^(٢)

قَبُولُ الْهَدَايَا سُنَّةٌ مُسْتَحَبَّةٌ إِذَا هِيَ لَمْ تَسْلُكْ طَرِيقَ تَحَابٍ^(٣)

وَكَانَ الْعَارُ مِثْلَ الْحَتَفِ يَأْتِي عَلَى نَائِي الْمَنَازِلِ وَالْخَلَاجِ^(٤)
فَإِنَّ^(٥) نَبِيَّ نُورِيَّةٍ أَفْرَكَهُمْ مَسَبَّتُهُمْ بِعَبْدِ أَبِي سُوَّاجٍ

(١) هروح سقط الزند : ق ٤ س ١٦٩٨ ، ١٧٠٠ ، ١٧١٨ .

(٢) هروح سقط الزند : ق ٤ س ١٧٢٤ .

(٣) هروح سقط الزند : ق ٤ س ١٧٣٢ .

(٤) هروح سقط الزند : ق ٤ س ١٧٨٣ .

(٥) في هروح : د كَانَ . . .

أَبْلَى مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْعِلْمِ وَاقَعَ بِعِلَّةِ يَوْمٍ جَاءَتْ كُلُّ لَبَلٍ ^(١)
 وَمَنْ سَرَهُ ثَوْبٌ يَعِزُّ بِلَبْسِهِ فَلَا تَجْرِي مِنْهُ أُمٌّ دَفِرٍ عَلَى بَالٍ
 بَنُوا الْوَقْتَ إِنْ غَرَّوكَ مِنْهُمْ بِحِكْمَةٍ فَمَا خَلَفَهَا إِلَّا غَرَائِزُ جُهَالٍ
 وَلَا يُعْجِزُ إِلَّا يَوْمَ أَنْخَضَ وَاحِدٌ وَلَا أَهْلُ عِزٍّ كَلِمُهُمْ مُتَشَاوِسٌ ^(٢)
 وَالشَّمْسُ عِنْدَ شُرُوقِهَا عَلِمَ اللَّيْبُ زَوَالَهَا ^(٣)
 وَفَضِيلَةُ النَّوْمِ الْخُرُوجُ بِأَهْلِهِ عَنْ عَالَمٍ هُوَ بِالْأَذَى مَجْبُولٌ ^(٤)
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنِّي كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا نِمْتُ لَمْ أَعْدَمْ طَوَارِقَ أَوْهَامٍ ^(٥)
 فَإِنْ ^(٦) كَانَ شَرًّا قَهْ وَلَا بُدَّ وَاقِعٌ وَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَهُوَ أَضْعَافُ أَخْلَامٍ

فهذه الأبيات مائة وثلاثة وعشرون بيتاً من أبيات (سقط الزند) ^(٧)
 المشتلة على حكمة ، ومنها ما هو صالح للتل ، وفي السقط كثير غيرها .

-
- (١) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٨٧٩ ، ١٨٨٠ .
 (٢) شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠١٢ .
 (٣) شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠٦١ .
 (٤) شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠٦٦ .
 (٥) شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠٧٠ وفيها : « خواطر أوهامي » .
 (٦) في الفروع : « وإن . . . » .
 (٧) الحق أن واحداً منها هو من الزوابع . انظر ما سبق ص ١١٢٨ الملاحية ١ .

الأغراض التي في السقط غير ما ذكر

وفي (السقط) أبيات تتعلق بأغراض غير ما ذكرناها ، كذم الدنيا ،
والتحذير منها ، والتزهيد فيها ، وتقلبها من حال إلى حال ، كقوله :

أَرَى أُمَّ دَفْرٍ أَخْتَهَجِرُ وَلَا أَرَى لَهَا سَالِيًا مَا غَيَّبَتْهُ الرِّوَامِسُ^(١)

وكقوله :

دُنْيَاكَ تَحْدُو بِالْمَسَا فِرٍ وَالْمَقِيمِ جَمَالِهَا^(٢)

وكذم المرأة ، والتحذير منها ؛ كقوله من أبيات :

وَتَوَقَّ أَمْرَ الْغَانِيَاتِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ إِذَا خَالَفَتْهُ لَمْ تَنْدَمْ^(٣)

وقوله من أبيات يصف فيها النساء اللاتي يؤلفن بين الخاطب والمخطوبة ،

وعدهما واحد وعشرون بيتاً^(٤) :

فَجِنِّ إِلَى الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي وَلَا تُثْقِلْ مَطَاكَ بِعَبْوِ حَنَّةٍ

وكذم الناس ، والابتعاد عنهم ، وفشو الجهل فيهم ، وقلبيهم للحقائق ،

وإساءة الظن بهم جميعاً وكذم الخمر ، والتحذير منها في مثل قوله :

فَايَاكَ وَالْكَأْسَ الَّتِي بَتَّ نَاعِتًا فَمَا شَرُّهَا إِلَّا السَّفَاهَةُ وَالْإِثْمُ^(٥)

(١) شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠١١ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠٥٩ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٢٧ .

(٤) مطلقاً :

عليك السابغات فأنه يدافن الصوامر والأسته

انظر شروح سقط الزند : ق ٥ ص ٢٠١١ - ٢٠٤٧ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٥٤ .

و كعدم اعتقاده بالطيرة في مثل قوله :

دَعِ الطَّيْرَ فَوْضَىٰ إِنَّمَا هِيَ كُلُّهَا طَوَّالِبُ رِزْقٍ لَا تَجِي بِمُقْطَعٍ^(١)
 ر قوله :

وَلَيْسَ غِرْبَانِي بِمَرْجُورَةٍ مَا أَنَا مِنْ ذِي الْحِفَةِ الْأَسْحَمِ^(٢)
 و كوصفه الحروب والفن التي قامت في الشام بين الفرات والنيل ،
 وقد أشار إليها في مواطن منها قوله :

وَلَا فِتْنَةٌ طَائِيَّةٌ عَامِرِيَّةٌ يُحَرِّقُ فِي نِيرَانِهَا الْجَعْدُ وَالسَّبْطُ^(٣)
 وَقَدْ طَرَحَتْ حَوْلَ الْفُرَاتِ جِرَانَهَا

إلى نيلٍ مِصْرٍ فَالْوَسَاعُ يَهَا تَقْطُو

و كتشوقه الى بلاده وهو في بغداد ، وحينئذ الى بغداد بعد عودته منها .
 و كاعتقاده الحشر وما فيه من لحاب رجنة وثار وغيرها .
 و اعتقاده بالله تعالى ، وإقراره بالرسل واللائكة والجن ؛ وبالكتاب
 العزيز ، وعدم اعتقاده نسبة المطر الى الأنواء في مثل قوله :

وَلَسْتُ بِالنَّاسِبِ غَيْثًا هَمَى إِلَى السَّمَائِ كَيْنٍ وَلَا الْمِرْزَمِ^(٤)
 و كجبه العزلة ، وتدمره من آفات الحياة وطولها .

ونحو ذلك من الأغراض التي تقدمت الإشارة الى كثير منها في أقواله .

(١) انظر ما سبق ص ١١٢٩ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٨٠٩ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٦٧٥ .

(٤) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٨٠٨ .

وقد ألمع في كلامه الى كثير من الحوادث التاريخية ، والنكت الأدبية ،
في مثل قوله في الدرع :

وَلَوْ أَنَّهَا اضْحَتْ لِكُفِّ حَقِيبَةٍ

لَأَرْوَى الْفَتَى النَّمْرِيَّ مِنْ غَيْرِ تَسَالٍ^(١)

يشير الى كعب بن مامة الإباضي حين آثر صاحبه النمري بالماء حتى مات
عطشاً . وكقوله يصف نساء الأعراب :

لَيْسَتْ كَرَوْنَمٍ جَرِيرٍ بَلْ لَهَا مَسْكٌ

يَرْتَضُّ عَنْهُ ذَكِيُّ الْمِسكِ مَفْتُونًا^(٢)

يشير الى قول جرير في مجاء أم البعيث :

قَرَى الْعَبَسَ الْحَوْلِيَّ جَوْنًا بِكُوعِهَا

لَهَا مَسْكٌ مِنْ غَيْرِ عَاجٍ وَلَا ذَبَلٍ^(٣)

وقد أكثر من هذا النوع في شعره .

وجملة القول : ان أبا العلاء نظم (سقط الزند) في جميع الأغراض
التي كان ينظم فيها شعراء عصره ، وزاد عليهم بما ذكرناه مجملًا ، لأن
تفصيله يفضي الى الإطالة المملة .

(١) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٨٦١ .

(٢) انظر ما سبق ص ١٠٣٩ .

(٣) ديوان ط الصاوي ، ص ١٦٣ وفيه : مسكا ، وهي رواية .

خيال أبي العلاء في شعره في سبط الزند:

إذا استمكننا بعري الإنصاف ، وسلكتنا سبيل الاستقراء العادل ،
ظهر لنا أن أبا العلاء أوسع الكتاب والشعراء مدى في الخيال ، وأكثرهم
افتناناً فيه . وقد سبق الكلام في خياله في نثره .

أما شعره ففيه كثير من الصور القصيرة الدالة على طول باعه وإبداعه
في اختيارها وتنسيقها ، وإن كان فيها مبالغة يحيلها العقل ، وعلى حذفه
بتضمين النكت والاشارات الدالة على مدح أو ذم أو غيرهما . وإنك إذا
تأملت وصفه الغبار ، رأيته كالجبل الشامخ الرامي باضت فيه النور ،
وترعرعت أفراخها . ثم ارتقى حتى خالط السحاب فكدر مائه ؛ وهذا
الغبار آثاره خيل أجاد في وصفها وأشار إلى ظفرها بأعدادها ثم قال :

وَبَنَتْ حَوَافِرُهَا قَتَامًا سَاطِعًا لَوْلَا انْقِيَادُ عِدَاكَ لَمْ يَتَهَدَّمْ^(١)
بَاضَ النَّسُورُ بِهِ وَخَيْمٌ مُضْعِدًا حَتَّى تَرَعْرَعَ فِيهِ فَرْخُ الْقَشْعِمِ
وَسَمَا إِلَى حَوْضِ الْغَمَامِ فَمَاؤُهُ كَدِرٌ بِمُثَالِ الْغُبَارِ الْأَقْسَمِ

وإذا عجت ببصرك على الغور الذي زارته تلك الحيل ، وجدته
محفوظاً بالمخاطر لو مرت به الريح ما نجت من هوله ، بعيد القعر لو نزل
عليه مطر في أول الربيع انتفى الريح ولم يبلغ أرضه . ولبعده لا تظهر
فيه الشهب ، وإنما يظهر البدر كالدرم :

وَمُزِيرُهَا الْغُورَ الَّذِي لَوْ سَلَمَتْ رِيحٌ عَلَى أَرْجَائِهِ لَمْ تَسْلَمْ^(٢)

(١) انظر ما سبق ص ١٠٥٠ .

(٢) شروح سبط الزند : ق ١ ص ٣٣١ - ٢ ، وانظر ما سبق ص ١٠٠٨ .

ورواية البيت الثالث في المروج : « لا نسين به النجوم تائباً ... » .

أَوْ بَكَرَ الْوَسْمِيُّ يَطْلُبُ أَرْضَهُ نَفِدَ الرَّبِيعُ وَتُرْبُهَا لَمْ يُوسَمِ
لَا تَسْتَبِينُ الشَّهْبُ فِيهِ تَنَائِيًا وَيَلُوحُ فِيهِ الْبَدْرُ مِثْلَ الدَّرْهِمِ

وإذا التفت الى الخرق - الفلاة الواسعة - الذي وصفه وقد أرحى الليل عليه
سدوله ، رأيته قائم الأطراف ، واسع الأكتاف ، يخيف ما لا يخاف :

وَلَوْ نَشَدْتَ نَعْشًا هُنَاكَ بَنَائُهُ

لَمَاتَتْ وَلَمْ تَسْمَعْ لَهُ صَوْتَ مُنْشِدٍ^(١)

وَتَكْتُمُ فِيهِ الْعَاصِفَاتُ نُفُوسَهَا فَلَوْ عَصَفَتْ بِالنَّبْتِ لَمْ يَتَأَوَّدِ
وَلَمْ يَثْبُتِ الْقُطْبَانُ فِيهِ تَخِيرًا وَمَا تِلْكَ إِلَّا وَقْفَةٌ عَنْ تَبَلَدِ

وإذا انممت النظر في منهل وصفه بين ريف الشام والكرخ رأيته قد
صور لك أهواله حتى :

كَأَنَّ الصَّبَا فِيهِ تُرَاقِبُ كَامِنًا يَسُورُ إِلَيْنَا مِنْ خِلَالِ إِكَامِهِ^(٢)
يَمُرُّ بِهِ رَأْدُ الضُّحَى مُتَنَكِّرًا مَخَافَةً أَنْ يَفْتَالَهُ بِقَتَائِمِهِ

ومثل لك من حلكته وظلمته ما لا يمكن أن يمثل بأعظم من قوله :

بِلَادٍ يَضِلُّ النُّجْمُ فِيهَا سَبِيلَهُ وَتُفْنِي دُجَاهَا طَيْفَهَا عَنْ لِمَامِهِ^(٣)

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٧٥ - ٨ .

(٢) انظر ما سبق ص ١١٠٨ .

(٣) هروغ سقط الزند : ق ٢ ص ٤٩٩ - ٥٠١ ، وفيها : وتضي .

حَنَادِسُ تُغْشِي الْمَوْتَ كَوَلَا انْجِيَابَهَا

عَنِ الْمَرْءِ مَا هَمَّ الرَّدَى بِاخْتِرَامِهِ
رَجَا اللَّيْلُ فِيهَا أَنْ يَدُومَ شَبَابُهُ فَلَمَّا رَأَاهَا شَابَ قَبْلَ اخْتِلَامِهِ

وإذا شخصت بيمرك نحو السماء رأيت سهلا يسرع الصبح في احمراره ،
مستبداً كأنه الفارس المعلم . . ؛ قدماء وراهه ؛ الى غير ذلك من الصور
البديعة الرائعة .

وإذا تأمل النصف مثل قوله :

وَتَكْتُمُ فِيهِ الْعَاصِفَاتُ نُفُوسَهَا

وقوله :

يَمْرَ بِهِ رَأْدُ الضُّحَى مُتَنَكِّراً

وقوله :

حَنَادِسُ تُغْشِي الْمَوْتَ

وقوله :

وَمِنْ غَلَلِ تَحِيدُ الرِّيحُ عَنْهُ

إلى آخر الأبيات وما شاكل ذلك تبين له أن هذا النمط من الكلم هو
الوجز المجز ، ولا يستطيع شاعر غير أبي العلاء أن يجمع ذلك المعنى
الكثير والخيال العظيم الرائع في مثل هذا اللفظ القليل المنسجم . وقد ذكرنا
أمثلة من ذلك في الوصف والمبالغة ، وفي مواطن أخرى .

لزوم مالا يلزم

نساء وتدرج الى عصر ابي العلاء :

أصل هذا اللفظ اسم لنوع من البديع ، وهو أن يلتزم الشاعر (أو الناز) حرفاً أو أكثر قبل حرف الروي وهذا ما لا يلزمه ، لأن الشعر يكون صحيحاً جيداً بدون ، ويقال له : الالتزام ، والإعانة ، والتضييق ، والتشديد ، والتضيق .

نساء : العصر الجاهلي :

وهذا النوع وجد قبل أبي العلاء ؛ فقد رويت للشغرى قصيدة قالها حين قتل حراماً قاتل أبيه أولها :

أَرَى أُمَّ عَمْرٍو أَرْزَمَتْ فَاسْتَقَلَّتْ وَمَا وَدَّعَتْ جِيراً أَنَّمَا إِذْ تَوَلَّتْ

وقد التزم فيها اللام قبل التاء في خمسة عشر بيتاً ، ولكنه لم يلتزمها في القصيدة كلها . وكذلك رويت للناطقة قصيدة التزم فيها النون قبل النون ، ومطلما :

عَرَفْتُ مُنَازِلًا بِعُرَيْتَيْنِ فَأَعْلَى الْجَزَعِ لِلْحَيِّ الْمَيِّتِ^(١)

وهي نحو ثلاثة وعشرين بيتاً . ورويت أبيات للأعشى أولها :

فَدَى لِبَنِي ذَهْلٍ بِنِ شَيْبَانَ نَاقِي وَرَأَيْتُهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ وَقَلَّتْ

والذكر منها في ديوانه المطبوع ، سبعة أبيات في (ص ٣٤) .

(١) نثر الشعر الجاهلي ١ / ١٩٩ وفيه : غنيت منازل

وأبيات لعمر بن معدى كرب على روي أبيات الشنفرى ووزنها ،
وفيه يقول :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُورًا كَأَنَّهَا جَدَّأَوَّلَ زُرْعٍ أُرْسِلَتْ فَأَنْسَبَطَرْتُ

وروى القالي في (أماليه ج ١ ص ٨١) أحد عشر بيتاً أولها :

حَلَّتْ تَمَاضِرُ غُرْبَةٍ فَأَخْتَلَّتْ فَلَجَأَ وَأَهْلُكَ بِاللَّوَى فَالْحِلَّةِ

الترم فيها اللام قبل التاء ونسبها الى سلمي بن ربيعة ونسبها في
الأصمعيات إلى علباء .

وربما لزموا اللام أو غيرها من الحروف في مثل : « فعاك وجالك » مع
تذكير الكاف أو التانيث ، كقول أبي الأسود :

زَهَيْرُ بْنُ مَسْعُودٍ أَحَقُّ بِمَا أَتَى وَأَنْتَ بِمَا تَأْتِي حَقِيقٌ بِذَلِكََا

وَحَبْرُنِي مَنْ كُنْتُ أُرْسَلْتُ إِلَيْهَا أَخَذْتُ كِتَابِي مُغْرِضًا بِشِمَالِهَا

وقد لزم اللام قبل الكاف . وقد يحينون بها على غير لزوم كقول طرفة :

فَقِي قَبْلَ وَشَكِّ الْبَيْنِ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ

وَعُوجِي عَلَيْنَا مِنْ صُدُورِ جَمَالِكِ

فإنه لم يلتزم اللام في قصيدته بل جاء فيها بمثل « مالك وبارك » .

المصرع النحوي

ووقع منه كثير في شعر الأمويين ؟ منه قول جميل بن معمر التميمي

سنة ٨٢ هـ :

أَنَحْتُ جَدِيلًا عِنْدَ بَشْنَةِ لَيْلَةٍ وَيَوْمًا أَطَالَ اللَّهُ رَغَمَ جَدِيلِ

فإنه التزم الياء قبل اللام في ستة أبيات . ومنه قول عبد الله بن الدمينه :

وإِذَا عَتَبْتُ عَلَيَّ بِتْ كَأَنِّي بِالْمِيلِ مُسْتَحَرُّ الْقَوَادِ سَلِيمٍ^(١)

وقد التزم الياء قبل الميم في سبعة أبيات ، وكذلك قوله :

سَقَى اللَّهُ الدَّوْافِعَ مِنْ حَفِيرٍ وَمَا يُغْنِيَنَّكَ وَإِنْ سُقِينَا^(٢)

التزم فيه الياء قبل النون في اثني عشر بيتاً . وقد التزم اللام مع كاف
التأنيث في تسعة عشر بيتاً أولها :

قَفِي يَا أُمِيمَ الْقَلْبِ نَقْضِ لُبَانَةٍ

وَنَشْكُ الْهَوَى ثُمَّ أَفْعَلِي مَا بَدَأَ لَكَ^(٣)

ولم يلتزمها في البيت الثاني من هذه القصيدة وهو قوله :

سَلِيَ الْبَانَةُ الْغَمَاءُ بِالْأَبْطَحِ الَّذِي بِهِ الْمَاءُ هَلْ حَيِّنَتْ أَطْلَالُ دَارِكِ

وكذلك فعل نو الرمة المتوفى سنة ١١٧ هـ في قصيدته :

أَمَا اسْتَعْلَبْتَ عَيْنَيْكَ الْأَحْمَلَةَ بِجُمْهُورٍ حَزَوَى أَوْ بِجِرْعَاءِ مَالِكِ

(١) ديوانه طبعه دار المروية ، بتحقيق أحمد راتب النفاخ ، ص ٤٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٩ .

(٣) المصدر السابق ص ١٣ ، والقصيدة كاملة فيه ص ١٦٥ .

وفي قصيدته :

أَقُولُ لِأَطْلَاحِ بَرَى هَظْلَانُهَا بِنَاعِنِ حَوَانِي دَأْيَهَا الْمُتَلَا حِكْ

فإنه ذكر في قوافي الأولى « البوائك » و « المبارك » وغيرها . وذكر في الثانية « رحالك » و « حارك » و « الضرائك » و « السنايك » وغيرها . ولم يلتزم اللام في كليهما .

ووقع منها أيضاً في العصر الأموي مثل قول محمد بن سعيد الكاتب :

سَأَشْكُرُ عَمْرًا إِنْ تَرَأَخْتَ مَنِيَّتِي أَبَادِي لَمْ تُنَمِّنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ^(١)

فَتَى غَيْرَ مُحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ

وَلَا مَظْهَرَ الشُّكْوَى إِذَا النُّعْلُ زَلَّتْ

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا

فَكَانَتْ قَدَى عَيْنِيهِ حَتَّى قَبَلَتْ

(١) هذه الأبيات ورواها القالي ج ١ ص ٤٠ عن ابن دريد لبعض الأعراب : ورواها الجرد في الكامل ج ٢ ص ١٦ ولم يسم قائلها ، ورواها في الحاشية لمحمد ابن سيد الكاتب : وقيل لسرو بن كبل في عمرو بن ذكوان : ونسبها ابن خلكان الى ابراهيم بن الباس الصولي : ورواها في معاهد التنصيص ص ٤٨٩ لسد اقه بن الزبير الأسدي في عمرو بن عثمان بن عفان ، وذكر سيبا أن عبد الله بن الزبير أن عمرو بن عثمان ، فرأى عمرو تحت ثيابه ثوباً رقياً ، فدعا وكيله وقال له : اقترض مالا ! فقال : هيات ! ما بطينا التجار شيئاً ، قال : فأرجهم ما شاءوا ، فاقترض له ثمانية آلاف درهم بأني عمر ألقاً ، فوجه بها إليه مع تحت ثيابه ، فقال عبد الله هذه الأبيات وكان عبد الله هنا في عهد عبد الملك بن مروان (ج) .

ولكثير. عَزَّةَ قصيدة طويلة من هذا النوع ، مطلعها :

خَلِيلِي هَذَا رُبْعُ عَزَّةَ فَأَعْقِلَا قَلُوصِيكُمَا تُمْ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ

وهي في (أمالي القاضي ج ٢ ص ١٠٨ / .

وقد أشار إليها أبو العلاء في اللزوم حيث يقول :

كَثِيرٌ أَنَا فِي حَرْفِي أَهْبْتُ لَهُ فِي التَّاءِ يَلْزَمُ حَرْفًا لَيْسَ يَلْزَمُ^(١)

يريد حرف اللام الذي التزمه كثير قبل التاء في هذه القصيدة ، ووقع لغيره من شعراء العصر الأموي كثير من الأبيات التي التزم فيها ما لا يلزم .

العصر العباسي

وأما الشعراء العباسيون ، فقد أكثروا من هذا النوع ، وجعلوه نوعاً من البديع . وأكثر ما جاء منه في الثنيتات والمقطعات . وقد جاء منه في شعر البحري تسعة أبيات التزم فيها الياء قبل الميم وأولها :

إِذَا شِئْتُ فَأَنْدُبُنِي إِلَى الرَّاحِ وَأَتَعْنِي إِلَى الشَّرْبِ مِنْ ذِي خَلَّةٍ وَنَدِيمٍ^(٢)

وجاءت عشرة أبيات التزم فيها العين قبل الكاف المقيدة أولها :

مِنْ نِعْمَةِ الصَّانِعِ الَّذِي صَنَعَكَ صَاعَكَ لِلْمَكْرُمَاتِ وَابْتَدَعَكَ^(٣)

وجاء اثنان وأربعون بيتاً التزم فيها الواو قبل الألف أولها :

لَنَا أَبَدًا بَثٌّ تُعْصَانِيهِ فِي أَرْوَى

وُحْزَوَى وَكَمْ أَدَّتْكَ مِنْ لَوْعَةٍ حُزْوَى^(٤)

(١) الزمريات ٥ ص ٢٣٣ .

(٢) ديوانه ط . بيروت ، ص ٢٧٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٣١١ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٠٧ . وحزوى مضمومة الأول في القاموس وغيره ، مفتوحة في الديوان .

فان جعل الروي الألف فقد لزم الوارد فيها ، كما قال أبو العلاء في
(المقدمة ص ٤١) (١) .

وابن الرومي أكثر من هذا النوع ، فقد التزم الباء قبل الباء في
قصيدة مطلعها :

شَابَ رَأْسِي وَلَاتَ حِينَ مَشِيبٍ وَعَجِيبُ الزَّمَانِ غَيْرُ عَجِيبٍ (٢)

وهي نحو من مائة وستة عشر بيتاً . والتزم الوارد قبل الباء أيضاً في
قصيدة مطلعها :

سَيِّدِي أَنْتَ شَاخِصٌ مَضْحُوبٌ وَضِيَاعِي إِلَيْكُمْ مَنْسُوبٌ (٣)

وهي نحو من مائة وواحد وخمسين بيتاً ، والتزم الراء قبل الجيم في ثمانية
أبيات أولها :

يَا بَانِي الدَّرَجِ الَّذِي أَوَّلَى بِهِ هَدْمُ الدَّرَجِ (٤)

والتزم الفاء قبل الألف في ثمانية أبيات أولها :

سَبَغَتْ نِعْمَةً وَدَامَ صَفَاهُ وَوَقَاكَ الْحَوَادِثَ الْأَكْفَاهُ (٥)

وأحياناً يلتزم حرفاً واحداً في معظم القصيدة ، كما فعل في القصيدة التي أولها :

لَا أَسْتَزِيدُ لِقَاسِمٍ مِنْ رَبِّهِ غَيْرَ الْبَقَاءِ (٦)

(١) مقدمة الزمريات ط عزيز زند وانظر الزمريات ص ١٨ .

(٢) ديوانه طبعه الكيلاني ، ص ١٧٧ .

(٣) الصدر السابق ص ٢٥٨ .

(٤) ليست الأبيات في ديوانه ، طبعه الكيلاني .

فانه التزم القاف قبل الألف في أحد عشر بيتاً ، وأتى بعدها بيت جعل فيه الفاء بدلاً من القاف . ثم جاء أبو العلاء ، فالتزم هذا الاعنات ، كما التزم كثيراً من التشديد والتضييق في كل ضرب من ضروب حياته . وهو أكثر الشعراء التزاماً في هذا النوع ، وليس في شعراء العربية عامة من نظم ديواناً يحتوي على أحد عشر ألف بيت والتزم في جميعها ما لا يلزم غيره . وفيه قصائد يبلغ عدد أبياتها أكثر من تسعين بيتاً . وابن الرومي أتى بأبيات أكثر من هذا ، إلا أنه التزم فيها حرف الردف كما رأيت . وأبو العلاء التزم حرفاً واحداً كقوله :

أَرْوَأُحْنًا مَعْنًا وَلَيْسَ لَنَا بِهَا عِلْمٌ فَكَيْفَ إِذَا حَوَّنَهَا لِأَقْبَرِ^(١)
وحرفين كقوله :

مَنْ يُوقَ لَا يُكَلِّمْ وَإِنْ عَمَدَتْ لَهُ نَبْلٌ تُغَادِرُ جِسْمَهُ كَالْقَنْفَذِ^(٢)
وثلاثة أحرف كقوله :

كُلُّ وَاشْرَبِ النَّاسَ عَلَى خَبْرَةٍ قَهْمٌ يَمَرُّونَ وَلَا يَعْذُبُونَ^(٣)
وأربعة أحرف كقوله :

إِذَا دَارَتْ الْكَأْسُ فِي دَارِهِمْ فَقَدْ رَحَّلَ الدِّينُ عَنْ دَارِهِمْ^(٤)
وخمسة أحرف كقوله :

يَا أُمَّةَ فِي التُّرْبِ هَامِدَةٌ تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْ سَرَائِرِكُمْ^(٥)

(١) الزوميات ٥ من ١٢٦ .

(٢) الزوميات ٥ من ١١٧ وفيها وفي طبة زند ٣٠٥ / ١ : « تتأدر شخصه » .

(٣) الزوميات ٥ من ٢٨٥ .

(٤) الزوميات ٥ من ٢٥٩ .

(٥) الزوميات ٥ من ٢٥٨ وفيها وفي طبة زند ٣٢٦ / ٢ : « في التراب » .

مقدمة لزوم ما لا يلزم

افتتح أبو العلاء ديوانه (لزوم ما لا يلزم) بمقدمة ذكر فيها أموراً :
١ - أنه أنشأ أبنية أوراق ، توخى فيها الصدق ، ونزهها عن الكذب ،
فنها ما هو تمجيد لله ؛ وبعضها تذكير للناسين ، وتنبيه للغافلين ، وتحذير
من الدنيا .

٢ - أنه وضع أشياء من العظة ، وأفانين على حسب ما تسمع به
الغريزة ؛ فان جاوز المشترط الى سواء فان الذي جاوز اليه قول أعري
من المين .

٣ - لقب هذا الكتاب الذي جمع فيه ما ذكره (لزوم ما لا يلزم) .
وخشي أن يقع إلى قليل المعرفة بلوازم القافية ؛ فذكر حروف القافية ،
وحركاتها ، وعيوبها ، بأسلوب جامع يدل على تمكن في علم القافية .
٤ - ذكر أن التزام ما لا يلزم إنما يفتنه الشاعر لقوته ، ولو تركه
لم يدخل عليه ضعف .

٥ - أنه تكلف في هذا التأليف ثلاث 'كلف :

الأولى : أن ينتظم حروف المعجم عن آخرها .

الثانية : أن يحمي رويه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك .

الثالثة : أنه التزم مع كل روي فيه شيئاً لا يلزم من باء أو تاء أو
غير ذلك من الحروف . وقد قدمنا أنه التزم حرفاً ، وحرفين ، وثلاثة وأكثر .

٦ - أنه قسم القوافي إلى ثلاثة أقسام :

أ - الذلل : وهي ما كثر على الألسن ، وهي عليه في القديم والحديث .

ب - التنقو : ما هو أقل استعمالاً من غيره ، كالجم ، والزاي ونحو ذلك .

ج - الخنوص : وهي اللواتي تهجر فلا تستعمل ، ومثل لذلك بقول الشاعر :

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلذَّئِبَةِ وَلَمْ أَتَبْطُنْ كَأَعْبَازِهَا الْخَلْخَلِ

فانه لا يعلم شيء من الشعر القديم جاء فيه الطويل الأول مقيدا ، ولا يوجد في دواوين الفحول من أهل الإسلام .

٧ — أنه كان قال في كلام له قديم : إنه رفض الشعر ، فبين أن المراد بذلك الشعر ما استجيز فيه الكذب ، واستمعين على نظامه بالشبهات ، فأما ما كان عظة للسامع ، وإيقاظا للتوسن ، وأمرأ بالتحرز من الدنيا الحادعة وأهلها الذين جبلوا على الغش والمكر ، فهو مما يلتصق به الثواب .
٨ — أن من سلك في هذا الأسلوب ضعف ما ينطق به لأنه يتوخى الصدق ، وبطلب البر . والشعر — كما قال الأصمعي — باب من أبواب الباطل ، فاذا أريد به غير وجهه ضعف .

٩ — أنه وجد الشعراء توصلوا إلى تحسين المنطق بالكذب ، وزينوا ما نظموا بالغزل ، ووصف النساء ، والحيل ، والإبل ، والحمر ، وتسببوا إلى الجزالة بذكر الحرب .

١٠ — أنه رتب النظم على مائة وثلاثة عشر فصلا لأن حروف الهجاء ما عدا الألف ثمانية وعشرون حرفا وقد جعل لكل حرف منها أربعة فصول على حسب حالات الروي من ضم وفتح وكسر وسكون . وأما الألف وحدها فلها فصل واحد ، لأنها لا تكون إلا ساكنة فالمجموع ١١٣ فصلا .

هذه خلاصة ما جاء في هذه المقدمة الممتعة . ومنها يتضح لنا :

١ — أن أبا العلاء لم يحر في هذا الكتاب على طريقة الشعراء في استباحة الكذب ، والاسترسال مع الهوى والخيال ، وإنما احتذى فيه على مثال الواعظ المذكور ، فهو يتقيّد بالصدق حتى فيما جاوز المشرط ،

وهذا حق واضح ، لأن هذا الكتاب أشبه بكتب الفلسفة والوعظ منه بدواوين الشعراء ، وإن توفر فيه كل ما يحسن في الشعر ويزين الشعر .

٢ — أنه التزم ما لا يلزم ليدل على قوته ، لأن الشاعر إنما يفعل ذلك لأجل هذه الدلالة .

٣ — أنه عارف بأن في الكتاب ما جاوز الشرط ، ولكنه بريء من الكذب في اعتقاده .

٤ — أنه شاعر بأن كتابه هذا في باب الخمر الذي من طبيعته أن يكون الشعر فيه جافاً مخلوئاً من الخيال الذي يورث الشعر طلاوة وجالاً إلا قليلاً .

ترتيب لزوم ما لا يلزم

لم يرتب أبو العلاء (لزوم ما لا يلزم) على حسب المواضيع والأعراض .
لتعذر ذلك عليه ؛ لأنه لم يفرد لكل غرض على حدة أبياتاً مختصة به في غالب شعره . بل ربما تناول في القصيدة الواحدة أو القطعة الواحدة أغراضاً متعددة .

وإنما رتب على حروف الهجاء ، فابتدأ بحرف الهزة ، ثم الألف بعدها ، ثم الباء ، فالتاء ، فالثاء ، فالجيم ، إلى آخر حروف الهجاء على حسب ترتيبها المشهور . وقد قال عند ذكره فصل الألف : « هذا الفصل يحتمل وجهين ، أحدهما : أن يكون على ما رتبته ، والآخر : أن يكون الروي ما قبل الألف ، ويكون الألف وصلاً » (١) .

وهذا صحيح ، إلا أننا إذا جملنا الروي ما قبل الألف ، لم يبق في

الآيات لزوم ما لا يلزم ، لأنه لم يلتزم قبل الحرف الذي قبل الألف حرفاً آخر في جميع آياته بل جاء فيها مثل قوله :

قَضَى اللَّهُ أَنْ الْآدَمِيَّ مُعَذَّبٌ^(١) إِلَى أَنْ يَقُولَ الْعَالِمُونَ بِهِ قَضَى^(٢)
فَهْنِيْ : وَلَاةَ الْمَيِّتِ يَوْمَ رَحِيلِهِ أَصَابُوا ثُرَانًا وَاسْتَرَّاحَ الَّذِي مَضَى

فلنا إذا جعلنا الألف وصلاً ، والضاد التي قبلها رويماً ، لم يبق في البيتين لزوم ما لا يلزم ؛ لأن الحرف الذي قبل الضاد في البيت الأول قاف ، وفي الثاني مم . فتأمل .

وقد رتب كل حرف من حروف الهجاء على ترتيب الحركات ، فيبدأ أولاً بالحرف المحرك بالضم ، ثم بالفتح ، ثم بالكسر ، ثم بالسكون . وقد التزم هذا في جميع الحروف التي تقبل الحركة . وترتيب الكتاب على الحروف والحركات على الوجه المذكور يقرب على الباحث عن آيات الكتاب العثور على ما يريد منها بسهولة . وزعم بعض المعاصرين^(٣) أن أبا العلاء رتب الكتاب ترتيباً آخر ولم ينبئه له ؛ وذلك أنه جعل الأوزان في كل فصل مرتبة على ترتيب الدوائر والأبحر عند العروضيين . ومراده بذلك أن أبا العلاء إذا نظم في الحرف المتحرك بالضم مثلاً أبياتاً من أبحر متعددة ، فانه يرتب الأبحر في كتابه على حسب ترتيبها في دوائر العروض ؛ فيذكر الطويل أولاً ، ثم المديد ، ثم البسيط ، ثم الوافر ، فالكامل ، فالهزج ، فالرمل إلى آخر البحور . ويظهر للتأمل

(١) الزوميات ص ٢٨ .

(٢) هو الدكتور عبد الوهاب عزّام . قال ذلك في كلمة ألقاها في المهرجان الأنفي لأبي اللا . وهي في الصفحة ٢٥٢ من الكتاب الذي طبعه المجمع العلمي في دمشق ، وسماه المهرجان الأنفي لأبي اللا العربي سنة ١٣٦٤ هـ و ١٩٤٥ م (ج) .

في (لزوم ما لا يلزم) أن هذا الترتيب لم يلتزمه أبو العلاء في جمع كتابه ، ولو التزمه لنبه له ؛ وإنما وقع كثيراً في بعض الفصول ، والدليل على هذا أنه ذكر في الهزرة المفتوحة أبياتاً أولها :

رَوَيْدُكَ قَدْ غُرِرْتَ وَأَنْتَ حُرٌّ بِصَاحِبِ حِيلَةٍ يَعْظُمُ النِّسَاءُ^(١)

ثم ذكر بعدها بيتين أولهما :

نَرْجُو الْحَيَاةَ فَإِنْ هَمَّتْ هَوَّاجِسُنَا بِالْخَيْرِ قَالَ رَجَاءُ النَّفْسِ إِرْجَاءُ^(٢)

والأبيات الأولى من البحر الوافر ، وهو من الدائرة الثانية دائرة المؤلف ، وهو البحر الرابع بحسب ترتيب العروضيين . والبيتان الأخيران من البسيط ، وهو من الدائرة الأولى دائرة المختلف ، وهو البحر الثالث بحسب ترتيب العروضيين . وكذلك ذكر في الهزرة المكسورة قوله :

إِذَا صَاحَبْتَ فِي أَيَّامِ بُوسٍ فَلَا تَنْسَ الْمَوَدَّةَ فِي الرَّخَاءِ^(٣)

ثم ذكر بعده قوله :

أَوْصَيْتُ نَفْسِي وَعَنْ وَدٍّ نَصَحْتُ لَهَا

فَمَا أَجَابَتْ إِيَّايَ فُضِحِي وَإِيصَاتِي^(٣)

والأول من الوافر ، والثاني من البسيط . وكذلك ذكر في فصل

الألف قوله :

(١) الزوميات ٥ ص ٢٥ .

(٢) الزوميات ٥ ص ٢٥ .

(٣) الزوميات ٥ ص ٢٦ .

حَيَاةً عَنْهُ وَمَوْتُ عَنْهَا فَلَيْتَ بَعِيدَ حِقَامِ دَنَا^(١)

ثم ذكر بعده :

يَعْلَمُ إِلَهِي يُوجِدُ الضَّغْفَ شَيْمِي فَلَسْتُ مُطِيقًا لِلْغَدُوِّ وَلَا الْمَسْرَا^(٢)

والأول من المتقارب ، وهو الخامس عشر ومن الدائرة الخامسة ، والثاني من الطويل وهو البحر الأول من الدائرة الأولى وكذلك ذكر في الباء المكسورة قوله :

مَعَاصِرُ تَلُوحٍ فَأَوْصِيكُمْ بِهَجْرَانِهَا لَا بِإِغْبَابِهَا^(٣)

ثم ذكر بعده قوله :

تُحِلُّ إِذَا اسْتَرَبْتُ بِكَ اهْتِصَامِي وَأَنْتَ فَعَلْتَ أَفْعَالَ الْمُرِيبِ^(٤)

والأول من المتقارب ، وهو من الدائرة الخامسة ، دائرة المتفق ، وهو البحر الخامس عشر . والثاني من الوافر ، وهو من الدائرة الثانية ، والبحر الرابع كما تقدم . وأمثال هذا كثير فيه .

من نظم لزوم ماله بلزوم ؟

لم يبين لنا التاريخ الزمن الذي ابتداء فيه أبو العلاء نظم اللزوم ، ولا أشار أبو العلاء في شيء مما وقفنا عليه من كلامه إلى شيء من هذا ؛ ولا نستطيع أن نجزم بأنه كله مما نظم بعد رجوعه من بغداد لأسباب جمة منها :

(١) الزوميات ٥ ، س ٣٠ .

(٢) الزوميات ٥ ، س ٥٤ .

(٣) المصدر السابق س ٥٥ .

- ١ - أن ذلك يفقر الى نص تاريخي ، وليس لدينا ذلك .
 ٢ - أن أبا العلاء ذكر في شعره في غير (لزوم مالا يلزم) كثيراً من المصطلحات العلمية ، والبنية ، والقوية ، والفلسفة ، وغيرها . وهذا يدل على أن ذكر المصطلحات والمسائل العلمية في شعره لا يختص بما كان منه بعد رجوعه من بغداد ، ولا بما في (لزوم مالا يلزم) .
 ٣ - أن لأبي العلاء أبياتاً في غير (لزوم مالا يلزم) التزم فيها مالا يلزم ، منها قوله في ملق السبيل :

يَدُومُ الْقَدِيمُ إِلَهَ السَّمَاءِ وَيَفْنَى بِأَقْدَارِهِ مَا حَدَثَ^(١)
 وَمَا أَرْتَعَبَ الْمَرْءَ فِي عَيْشِهِ وَلَكِنْ قَصَّارَاهُ سُكْنَى الْجَدَثِ
 وقوله فيه أيضا :

يُخْتَرِسُ الْمَرْءُ مِنْ خَتْفِهِ وَمَا حَادَّ عَنْ يَوْمِهِ الْخُتَرِسُ^(٢)
 هَلِ النَّاسُ إِلَّا تَظْيِيرُ السَّوَامِ وَأَجَالُهُمْ أُسْدٌ تَفْتَرِسُ
 يَحُلُّ الرُّبَى وَيَحُلُّ الْوُهْدَ وَلَا بُدَّ لِلرَّبْعِ أَنْ يَنْدَرِسُ
 ومنها قوله في (سقط الزند) من أبيات ثمانية التزم فيها كلها الباء قبل الياء المشددة :

ذَلَّتْ لِمَا تَصْنَعُ أَيَّامُنَا نَفُوسُنَا تِلْكَ الْأَيَّاتُ^(٣)

(١) على السبيل تحقيق كامل كيلاني ص ٢٢١ .

(٢) للصدر السابق ص ٣٣٨ .

(٣) فروع سقط الزند : ق ٢ ص ٨٣٦ .

وقوله في الدرعيات :

عَلَيْكَ السَّابِغَاتِ فَأُثْنُهُ يُدَا فَعْنَ الصَّوَارِمَ وَالْأَسِنَّةَ^(١)

فقد التزم النون المشددة في القصيدة كلها ، وهي سبعة وعشرون بيتاً ، وكذلك قوله فيها :

عَبَّ سِنَانُ الرُّمَحِ فِي مِثْلِ النَّهْرِ مِمَّا يُعَدُّ لِلْمِرَاسِ وَالْقَهَرِ^(٢)

التزم الهاء قبل الروي في الأبيات الخمسة .

فهذه الأمور لا نستطيع معها أن نجزم بأن كل شعر له فيه مسائل علمية ، أو فيه التزام مالا يلزم يجب أن يكون في الطور الأخير أي بعد رجوعه من بغداد ، أو في (لزوم مالا يلزم) . على أننا عرفنا زمن بعض القصائد التي في اللزوم كما ذكرنا ذلك في موضعه .

* * *

(١) شروح سطر الزند : ق • من ٢٠٤١ .

(٢) شروح سطر الزند : ق • من ٢٠١٤ وفيها : « بعد في اللراس » .

شخصية أبي العلاء في المقدمة وفي لزوم ما لا يلزم

في المقدمة

من استقرأ ما وصل إلينا من آثار أبي العلاء /نظماً كان أم نثراً /، يتضح له بأجلى صورة أن أبا العلاء ذكي فطن ، وباقعة لبق ، وجريء حذر ؛ وأنه عالم واسع الاطلاع والخيال ، طويل الباع في الابتكار والاختراع ، وأنه عبق التفكير ، كثير التحقيق والتحصيل ، شديد الاعتداد بنفسه ، قوي الوثوق بعلمه ، كثير التعويل والاعتماد على عقله ، كثير الانتقاد لمن كان في عصره أو لمن تقدمه . وأنه حر في آرائه ، جريء على قول الحق ؛ وأنه في كل أثر من آثاره لا يد من أن يعرض نفسه في كل مظهر من هذه المظاهر المذكورة ، ويبرز شخصيته في كل موطن يدل على تبعثره وذكاؤه وحصافة رأيه . وفي هذه المقدمة تجل في كل ناحية بصورة تمثل لنا أنه في أعظم منزلة في تلك الناحية وهذا يدل على لباقة ودهاء وجراءة .

الدليل على سمة علم

أما الدليل على سمة علمه واطلاعه ، فمثل قوله في (ص ١١) (١) :
« لكان ذلك عند أهل العلم جائزاً ، وذلك قليل في الاستعمال » ، وقوله في

(١) انظر هذه القول في مقدمة لزوم ما لا يلزم ط عزيز زعم وعالمها في ط هـ

(ص ١٥) : « ويجوز أن يكون الردف والروي من كلمة واحدة ومن كلمتين ، ولا اختلاف في ذلك » وفي (ص ١٧) : « ولا يكون الخروج آخر حرف في البيت » . وفي (ص ١٩) : « أكثر ما أسس من أشعار العرب إنما يكون بعد ألفه كسرة » ، وفي (ص ٣١) قوله إنه « لا يعلم في شعر امرئ القيس شيئاً على الطاء ، ولا الظاء ، ولا الشين ، ولا الخاء » وإن « ديوان النابغة ليس فيه روي بني على الصاد ، ولا الضاد ، ولا الظاء » . وإنه « لا يعلم في شعر البحري شيئاً على الخاء ، أو الفين ، أو الثاء . . . » ويدل على ذلك أيضاً ما ذكره في (ص ١٧ و ١٩) وغيرهما من أقوال علماء هذا الفن كالحليل ، وابن مسعدة ، والجرمي ، والفراء ، وخلف بن حيان ، وأبي عبيد القاسم بن سلام ، وأبي بكر بن السراج وما ذكره من أسماء الشعراء والرجاز المتعدين وما أورده من أشعارهم .

الدليل على ابتذاله

وأما الدليل على ابتذاله وابتداعه فما جاء في المقدمة من تقسيم القوافي إلى : ذُلل ، ونُفَر ، وحُوش ؛ ثم ترتيب النظم على ١١٣ فصلاً وتقسيم منازل الحركات على الوجه الذي ذكرناه ، فإني لا أعلم أحداً قبل أبي العلاء سبقه إلى شيء من ذلك كله .

اعتداده بنفسه

وأما الاعتداد بنفسه والوثوق بعلمه ، فإنه يتجلى في مثل قوله (ص ١٣) (١) : « فهذا رأي المتقدمين ، ولا يمتنع في حكم الغريزة . . . فلو جاءت بعد ذلك الحضارم ونحوها ، لكان عندي غير قبيح » . وما

(١) من مقسة الزوميات ط عزيز زند وانظر الزوميات ه الصفحات : ٣ ، ٤ ،

ذكره في (ص ٢٠) في حركة الإشباع ، واستدلالة على وضع هذا الاسم وتحقيقه . وقوله (ص ٢٤) : « وقد وجدت في أشعار قريش شعراً ... قد جعل الواو فيه رويّاً .. فإنّ صح ذلك فليس بأبعد مما بني على الألف وذلك نادر ... » . ثم قوله : « وذلك مفقود في أشعار الفصحاء ... » ثم قوله : « ولا أعرف لأحد من الفصحاء مثل أبيات مروان ... » وقوله (ص ٤٠) : « ولا يعلم شيء من الشعر القديم جاء فيه الطويل الأول مقبلاً ... فمثل هذا لم يأت في الشعر القديم ، ولا في دوائر الفحول » . وقوله في (ص ٢٣) : « ولم يفرقوا بين المقيد المطلق ... وأنا أفرق بين المطلق والمقيد ... » وفي (ص ٢٥) : « ولم يفرقوا بين المقيد المجرد ، والمقيد المؤنس ؛ وهو عندي في المؤنس أقبح » وقوله في (ص ٣٠) : « وقد كان بعض المتأخرين . . يحمل ماء التانيث وكاف الإخمار وصلًا . . وذلك ينتقض عند العلماء بأحكام القوافي . . » .

التحويل على عقله

وأما التحويل على عقله فيظهر في مثل قوله في (ص ٣١) (١) : « والغريزة تشهد بما زعموه ، وقياس أقوال المتقدمين يوجب أن الروي الماء ... » . وقوله (ص ٢٥) : « وقد جاءت أشياء في الشعر القديم ، بعضها منصوب ، وبعضها مرفوع أو مخفوض ، وإنما يحمل ذلك على الوقف لأنه يبعد أن يقول عربي فصيح ... » وقوله في (ص ٣٧) : « والقياس لا يمنع أن تجعل هذه الواو رويّاً ، لأنها سنخ وهي قوية ... » .

(١) الصفحات من القزوينيات ط عزيز زند والنظر القزوينيات ٥ الصفحات : ١٢ ،

الانتقاد

وأما الانتقاد فيظهر في مثل قوله في (ص ٣٢) (١) : « وقد وجدت الذين ألفوا دواوين المحدثين على حروف المعجم ، خالفوا فيها وضعوه مذهب الخليل وأصحابه ، وما أحل ذلك منهم إلا على قلة حفل بتلك الأشياء ؛ فمن ذلك أنهم يجعلون ما قافيته « هديّة ربيّة » في باب الهاء ، وهذا وم . . . وكذلك يجعلون ما قافيته « ثناياها ، وعطاياها » في جلة الألف ، وإنما ينبغي أن تكون في باب الهاء ، لأنها الروي . ويجعلون مثل « يديه وعليه » في باب الياء ، وكذلك ما يبنى على « يحيا وفيها » وإنما ينبغي أن يكون النسب في هذا كله الى الهاء .
وفي (ص ٣٣) ذكر أن كلام ابن السراج يدل على أن الروي الياء في قول الشاعر :

..... مِنْ الثَّعَالِي وَحُزْرٍ مِنْ أَرَانِيَا

ثم قال : « وهذا يشبه مذاهب المؤلفين ، ويجوز أن يكون مذهباً لابن السراج أو ربما منه لقلّة عنايته بهذا النوع » . ثم نقل ما قاله أبو الحسن العروضي في أبي إسحق الزجاج حين زعم أن الروي في قول الشاعر - البحتري - :

مِيلُوا إِلَى الدَّارِ مِنْ لَيْلٍ وَنَحْيِيهَا (٢)

هو الياء . ثم قال : شاهدت بعض المتحققين بالأدب ببغداد يجعل الروي الياء في قول الشاعر :

..... فَلَتَقَطِفَ قَوَافِيهَا

وما حسب هذا من قوله إلا وما . . .

(١) الصفحات من المصدر السابق وانظر الزويمات ه الصفحات : ١٣ ، ١٤ .

(٢) مجزء : ثم ولأهلها عن بض أهلها . ديوانه ط بيروت ، ص ٢٦ .

لزوم مالا يلزم

أسلوبه في لزوم مالا يلزم ، طول الفصائد وفصرها

كان أبو العلاء يحب الاختصار والإيجاز في 'جمله' ، أما في شعره فإنه لم يلتزم طريقة معينة ، وإنما يختلف شعره في كثرة الأبيات وقلتها بحسب الأغراض والمواضع .

سقط الزند

أما سقط الزند فقد كان يحذف من قصائده بعض الأبيات ، ولم نعرف المقدار الذي حذفه مما حذف منه ؛ ولذلك يصعب الحكم عليه حكما صحيحا ، إلا أن الباقي من شعره بعد الحذف يدل على أنه كان طويل النفس في المدح والثناء والفخر والتهنئة ونحوها فله في ذلك قصائد تقارب التمانيز بيتا .

لزوم مالا يلزم

وأما لزوم مالا يلزم ، فالغالب عليه الإيجاز ويكثر فيه التوسط ؛ وفيه قصائد تجاوزت التسعين بيتا ، ولعل سبب ذلك أمران :
الاول : أن التزام مالا يلزم يضيّق على الشاعر القوافي في كثير من الحروف .

الثاني : أن أكثر مواضع الكتاب وأغراضه حقائق ؛ والغالب في مثل ذلك أن يؤدّى بعبارة مجردة عن المجاز ، والمبالغة ، والخيال ، ونحو ذلك من الأمور التي تفسح المجال للشاعر فيطيل المقال . وقد قدمنا الكلام في أسلوبه في جملة في (سقط الزند) .

وأما أسلوبه في (لزوم مالا يلزم) في جله فالغالب عليه المتانة ، وقوة
الأمر ، والجزالة .

كقوله :

أَرَى الْأَرْضَ تَغْشَاهُ الْخُطُوبُ فَيَنْثَنِي مَرَّأً قَهْلًا أَبْصَرْتُ مِنْ مَقَرٍّ يَخْلُو^(١)

وقوله :

عَرَفْتُ سَجَايَا الدَّهْرِ أَمَّا شُرُورُهُ فَنَقَدْتُ وَأَمَّا خَيْرُهُ فَوُعُودُ^(٢)

وفيه كثير من السهل المستمع كقوله :

وَمَا ذَنْبُ الضَّرَاعِمِ حِينَ صَيَّغَتْ وَصَيْرَ قُوَّتَهَا بِمَا تُدَمِّي^(٣)

وقوله :

لَوْ فُخِلَ الْعَيْشُ لَمَا حَصَلَتْ شَيْئًا سِوَى الْمَوْتِ يَدُ النَّاخِلِ^(٤)

وقوله :

أَرَوْا حَنَا مَعَنَا وَلَيْسَ لَنَا بِهَا عِلْمٌ فَكَيْفَ إِذَا حَوَقَمَ الْأَقْبَرُ^(٥)

اللغة

قلنا : إن أبا العلاء كان واسع الاطلاع على اللغة ونواذرها ، وشواذها
وفصيحتها ؛ وإنه كان يحفظ كثيراً من شعر الجاهليين وغيرهم ؛ وإنه كان

(١) الزوميات ٨ ص ١٩٤ وفيها : « فهل شامدت » .

(٢) الزوميات ٨ ص ٩٠ .

(٣) الزوميات ٨ ص ٢٥١ .

(٤) الزوميات ٨ ص ٢٢٢ .

(٥) الزوميات ٨ ص ١٢٦ .

يجب الجنس بأقسامه ، والتورية ، ومراعاة النظر ، وغيرها من الصناعة البديعية . وقد التزم في (لزوم مالا يلزم) أن يكون ما قبل حرف الروي واحداً في البتين والقطعة والقصيدة . وإنه أحياناً يلتزم حرفاً واحداً كقوله :

أَمْسَى النِّفَاقُ دُرُوعاً يُسْتَجَنُّ بِهَا مِنْ الْأَذَى وَيَقْوَى سَرْدَهَا الْحِلْفُ^(١)
أَفْنِي زَمَانِي بِأَنْفَاسٍ كَمَا قَطَعْتُ مَدَى بَعِيدِ أَمْوَاشٍ فِي السَّرَى دُلْفُ
وأحياناً يلتزم أكثر من حرف كقوله

كَأَنَّا فِي سَجَايَانَا نُقَوِّدُ كَثِيرَاتِ النَّهَارِجِ وَالزُّيُوفِ^(٢)
وَهَذِي الْأَرْضُ لِلْمَلِكِ الْمَرْجِي نَلِمْ بِهَا كَلَامَ الضِّيُوفِ
وقوله :

كُلُّ وَاشْرَبِ النَّاسَ عَلَى خَيْرَةٍ فَهُمْ يَمَرُّونَ وَلَا يَعْذُبُونَ^(٣)
وَلَا تُصَدِّقُهُمْ إِذَا حَدَّثُوا فَإِنَّهُمْ مِنْ عَهْدِهِمْ يَكْذِبُونَ
وَإِنْ أَرَوْكَ الْوَدَّ عَنْ حَاجَةٍ فَقِي حِبَالِ لَهْمُ يَجْذِبُونَ

وكان فوق ذلك يجب أن يظهر ثروته اللغوية ، وقدرته على النصرف بالألفاظ القليلة التداول ، وجمل الوحشي منها مانوساً متدارلاً . وقد قضى عليه مجموع هذه المؤثرات أن يستعمل في كلامه بعض الكلمات التي يعدها غيره غريبة ، ولم يكن يتعد ذلك ليخفي أغراضه ومقاصده .

(١) الزوميات ٥ ص ٢٩٢ .

(٢) الزوميات ٥ ص ٢٩٦ .

(٣) انظر ما سبق ص ١١٤٤ .

وإذا تأمل الباحث تبين له أن بعض الكلمات التي عدتها غريبة تحمل في مطاوعها معاني أو خصائص لا يجد الإنسان بسهولة في الألفاظ المتداولة ما يقوم مقامها ، وأحياناً يجد ما يسد مسدها ، ولكنها لا تطاوعه فيما يريد من جناس ، أو تورية ، أو لزوم ما لا يلزم ، أو نحو ذلك من الصناعات والمقاصد . وقد يكون لبعضها من الجرس المستعذب ، والنغمة المطربة ما لم يكن للأنوس . مثال ذلك قوله :

وَقَدْ شَهِدَ النَّصَارَى أَنْ عِيسَى تَوَخَّشَهُ الْيَهُودُ لِيَصْلُبُوهُ^(١)
وَمَا أَبُوهَا وَقَدْ جَعَلُوهُ رَبًّا لِّئَلَّا يَنْقُصُوهُ وَيَجْدُبُوهُ

ففي وسع الشاعر أن يقول : « ويثلبوه » بدلاً من « يحدبوه » ولكن معنى « يحدب » يعيب ويذم ، ومعنى « يثلب » يعيب ويلوم ، والمعنى الأول ألتقى هنا وإن جاز استعمال كل منهما في معنى يعيب على سبيل المجاز . وكذلك قوله :

تَقُولُ الْهِنْدُ آدَمُ كَانَ قِنَّا لَنَا فَسَرَى إِلَيْهِ مُخَبَّبُوهُ

يقال : خيب العبد : إذا أفسده وخدعه . وربما تعمّر وجود كلمة في الألفاظ المتداولة كثيراً تدل على ما تدل عليه كلمة « خيب » مع مراعاة لزوم ما لا يلزم فيها ؛ وإن أمكن مع شيء من التأويل والتلفيق أن تفيد سبب وهرب ونحوها شيئاً بما تفيد خيب .

وقوله في ذم الدنيا :

كَالْعُولِ غَالَتْكَ بِتَلْوِينِهَا بَيْنَ تَقْدِيمِهَا وَتَبْنِيسِهَا^(٢)

(١) الزمباب ٥ من ٢٢٣ .

(٢) الزمباب ٥ من ٢٢٤ .

التقدي : السرعة . والتبئيس : التأخر . وقد اضطره اليها المطابقة
ولزوم ما لا يلزم .

وكثيراً ما يأتي باللفظ المشترك ، ثم يبين المراد منه في النظم كقوله :

فَلَا يُنْسِرُ فَخَارًا مِنَ الْفَخْرِ عَائِدٌ إِلَى غُنْصُرِ الْفَخَارِ لِلنَّفْعِ يُضْرَبُ^(١)

. . .

وَقَوَائِدُ الْأَسْفَارِ جَمْعُ السَّفَرِ فِي الْأَسْفَارِ تَفُوقُ قَوَائِدَ الْأَسْفَارِ^(٢)

اللمع

لا أتذكر أني رأيت في (لزوم ما لا يلزم) لحناً في الإعراب ،
إلا أن يكون خطأ من طابع الديوان . أما من جهة الاشتقاق والصيغ فقد
ذكر لفظ « تلاف » بمعنى تلف في مواطن من شعره منها قوله :

تَلَا فَيَنَاهُمُ بِالْقَوْلِ فِيهِ فَجَاءَهُمُ التَّلَافِي بِالتَّلَافِ^(٣)

وقوله :

وَهَلْ أُلْمٌ وَدَادَ أَرْمٍ مِنْ شَعَثٍ وَقَدْ لَمَحَتْ تَلَا فِي تَلَا فِيكَ^(٤)

وقوله :

لَوْ كَانَ جِسْمُكَ مَمْرُوكًا بِهَيْئَتِهِ بَعْدَ التَّلَافِ طَمِعْنَا فِي تَلَا فِيهِ^(٥)

(١) الزوميات ٥ ص ٣١ .

(٢) الزوميات ٥ ص ١٦٢ .

(٣) الزوميات ٥ ص ٢٩٦ .

(٤) الزوميات ٥ ص ١٨٦ .

(٥) الزوميات ٥ ص ٣٤٠ .

وقوله :

تَلَّافٌ أَمْرُكَ مِنْ قَبْلِ التَّلَافِ بِهِ فَعَايَةَ النَّاسِ فِي دُنْيَاهُمْ التَّلَفُ^(١)

وقد رجعت الى (المصباح) و (الأساس) و (النهاية) و (الفائق)
و (مفردات الراغب) و (الجمل) و (الصحاح) و (اللسان)
و (تاج العروس) وغيرها مما لديّ من كتب اللغة فلم أجِد في شيء منها
« التلاف » بمعنى التلف ، وأنا أستبعد أن يكررها أبو العلاء في مواطن
من شعره من غير أن يثق بصحتها .

قوة التأليف والطلاوة والانسجام

في (لزوم ما لا يلزم) أبيات جمعت حسن الرّصف ، إلى قوة
الأسلوب وطيب الجرس ؛ وأبيات هي غابة في الطلاوة . وهي في اللزوم
أكثر من أن تحصى ؛ ويزيد بعضها جالاً ما فيه من التلميح لحادثة أو
مزعم أو نحو ذلك ، أو ما فيه من الاكتفاء بالإشارة الى المعنى ، وإرسال
المثل أو ما أشبه هذا من التفتن . وانظر الى مثل قوله وهو أول بيت
افتتح به اللزوم :

أَوَلُو الْفَضْلِ فِي أَوْطَانِهِمْ غُرَبَاءُ تَشِيدُ وَتَنَائِي عَنْهُمْ الْقُرَبَاءُ^(٢)

وقوله :

أَرَى جُرْعَ الْحَيَاةِ أَمْرٌ شَيْءُ فَشَاهِدِ صَدَقَ ذَلِكَ إِذْ تُقَاهُ^(٣)

(١) الزوبيات ٥ ص ٢٩٠ .

(٢) الزوبيات ٥ ص ٢٠ .

(٣) الزوبيات ٥ ص ٢٣ .

وقوله :

عُمْرِي غَدِيرٌ كُلُّ أَنْفَاسِي بِهِ جُرْعٌ تُغَادِرُهُ كَأَمْسِ النَّاصِبِ^(١)

وقوله :

وَلِمَا نَا مِنَ الْغَبَاءِ فَوْقَ مَطِيَّةٍ مُذَلَّلَةٌ مَا أَمَكْنَتْ يَدَ خَارِبٍ^(٢)

وقوله :

وَمَا أَلْنَعُشُ إِلَّا كَالسَّفِينَةِ رَامِيًا

بِغَرَقَاهُ فِي مَوْجِ الرُّدَى الْمَتْرَاكِبِ^(٣)

وقوله :

وَقَدْ يُخْطِئُ الرَّأْيَ امْرُؤٌ وَهُوَ حَازِمٌ

كَمَا اخْتَلَّ فِي وَزَنِ الْقَرِيضِ عَبِيدُ^(٤)

وقوله :

كُنْ مَنْ تَشَاءُ مُهْجَنًا أَوْ خَالِصًا وَإِذَا رُزِقْتَ غِنًى فَأَنْتَ السَّيِّدُ^(٥)
وَأَصَمْتُ فَمَا كَثُرَ الْكَلَامُ مِنْ أَمْرِي إِلَّا وَظَنُ بَأَنَّهُ مُتَزَيِّدُ

وقوله :

وَلَوْ يُرْجَى مَعَ الشُّرَكَاءِ خَيْرٌ لَمَا كَانَ إِلَهُهُ بِلَا شَرِيكَ^(٦)

(١) اللزوميات ٥ ص ١٠٠ .

(٢) اللزوميات ٥ ص ٤٥ .

(٣) اللزوميات ٥ ص ٤٦ .

(٤) اللزوميات ٥ ص ٩١ .

(٥) اللزوميات ٥ ص ٩٧ .

(٦) اللزوميات ٥ ص ١٨٩ . وفيها : « فلو يرجى » .

التشبيه

وفي (الزوم) أنواع من التشبيه المحوس وغيره ، قد دل على براعة فائقة في كلا النوعين كقوله :

سُبْحَانَ مَنْ خَطَقَ النُّجُومَ كَأَنَّهَا دُرٌّ خُفَا مِنْ فَوْقِ بَحْرِ مَائِجٍ^(١)

وقوله :

وَلَا حَتَّ النَّارُ كَالشُّقْرَاءِ يَخْبِسُهَا عَنْ مُهْرٍ هَالِقَيْنِدُ وَهَنَا فَنِي لَا تَقِرُّ^(٢)

بَدَتْ بَلِيلٌ كَعَيْنِ الدَّيْلِ عَنْ شَحَطِ

أَوْ عُرْفِهِ بِمَحَلِّ دُونَهُ أَقْرُ

وقوله في الحر :

وَكَاثِمَاهِي مِنْ ذُكَاةٍ نَظْفَةٍ صَفْقَتِيَا وَبِلَوْلُوِ اطْمِينَتِيَا^(٣)

وقوله في مفتية :

بَيْنَهُمْ كَالنِّعَامِ شَادِيَةً تَوْمِضُ فِي مَابَسِ كَقَوْسٍ فُرَاحٍ^(٤)

وقوله :

تَوَقَّوْا سَبِيلَ الْغَايَاتِ فَكُلَّمَا

كَلَيْتَ الشَّرَى وَالطَّيْبُ فِيهَا فُرَاتِقُ^(٥)

(١) الزوميات ٥ س ٧٩ .

(٢) الزوميات ٥ س ١٢٢ . وحر : لكن .

(٣) الزوميات ٥ س ٧٠ .

(٤) الزوميات ٥ س ٨٦ .

(٥) الزوميات ٥ س ٢٩٩ .

وقوله :

فَالْمَيْنِ مَيَّةٌ مُضْطَرِ الْمِ يَهَا
وَالْحَقُّ كَالْمَاءِ يُجْفَى خِيفَةً السَّقَمِ^(١)

الاستعارات

وفي اللزوم صور رائعة من الاستعارات بأقسامها ؛ مع أن المائل
العلوية ، وأبيات الحكمة ، والحقائق الواقعة ، تتطلب ألفاظاً مجردة عن
المجاز . ولكن أبا العلاء استطاع أن يفرغ تلك القضايا في أسلوب أدبي
موشى بشية المجاز والصناعة البديعية ، مثال ذلك قوله :

وَمَغْفِرَةٌ اللَّهِ مَرْجُوءَةٌ إِذَا حُبِسَتْ أَنْعَظِمِي فِي الرَّمَمِ^(٢)
مُجَاوِرَ قَوْمٍ تَمَشَّى الْقَنَا ، مَا يَنْ أَقْدَامِهِمْ وَالْقِمَمِ
وقوله :

رَكِبْنَا عَلَى الْأَعْمَارِ وَالْدَهْرُ لُجَّةٌ
فَمَا صَبَرَتْ لِلْمَوْجِ نِلْكَ السَّقَائِنُ^(٣)

وقوله :

أَحَاضِنَةُ الْغَلَامِ ذَمَّتْ مِنْهُ أَذَاكَ فَأَرْضِعِي حَنَشًا وَضَمِّي^(٤)
رَأَيْتُ الْحَقَّ لَوْ لَوْةٌ تَوَارَتْ
بَلَجٍ مِنْ خِلَالِ النَّاسِ جَمٍّ

(١) اللزوميات ، ص ٢٤٨ .

(٢) اللزوميات ، ص ٢٥٩ .

(٣) اللزوميات ، ص ٢٥٩ .

(٤) اللزوميات ، ص ٢٥٩ .

الكتابات

وفي الزوم صور من الكتابات هي غاية في الإحكام والروعة ؛ وآية في الطلاوة والبراعة . من ذلك قوله يكني عن صغر نفسه :

مَا لِنَفْسِي بَيْنَ النَّفُوسِ مُعْتَا ةَ إِذَا لَمْ تَفْرُ بِطُوقِي وَتَسْلِسِ^(١)
لَوْ يُنَادَى فِي كُلِّ سُوقٍ عَلَيْنَا مَا اشْتَرَاهَا أَخُورَشَادُ بِفُلْسِ
وقوله :

لَوْ قَالَ سَيِّدُ غَضَا بُعِثْتُ بِمِلَّةٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّي قَالَ بَعْضُهُمْ نَعَمْ^(٢)
وقوله :

وَلَوْ طَارَ جَبْرِيلُ بَقِيَّةَ عُغْرِهِ
مِنَ الدَّهْرِ مَا انْطَاعَ الْخُرُوجَ مِنَ الدَّهْرِ^(٣)

لماني

في هذا الديوان افتت أبو العلاء في المعاني ، وأتى منها بضروب يقصر عن إدراكها المتطاوّل ؛ والغالب على معانيه فيه أنها تحتاج الى تأمل وإيمان ، لدقتها وارتفاعها عن مستوى العامة . وفيها ما يتوقف فهمه على دراسة علم ، وإطلاع واسع على التاريخ ؛ لأنه يكثر التلميح الى العقائد ، والحوادث التاريخية ، والإشارة الى رجال لهم وقائع مذكورة ، وحوادث مشهورة .

(١) الزوميات ٥ ص ٣٢٥ .

(٢) الزوميات ٥ ص ٦٥٦ . والبيد : الذنب . والنضا : شجر .

(٣) الزوميات ٥ ص ١٤٦ . وفيها : « عن الدهر ... » .

وهذه أمثلة من كلامه الذي يحتاج إلى تأمل :

غَلَّتِ الشُّرُورُ وَلَوْ عَقَلْنَا صَيَّرَتْ دِيَّةَ الْقَتِيلِ كَرَامَةً لِلْقَاتِلِ ^(١)

وقوله :

أَتَعْلَمُ الْأَرْضَ وَهِيَ أُمُّ خَفِّ زَمَانٍ وَمَا أَرَزَدَهَا ^(٢)
بِأَيِّ جُزْمٍ وَأَيِّ حُكْمٍ سُلْطَ لَيْثٌ عَلَى مَنَاهَا
وَعُذِّرَتْ حَاجَةً بِفُسْرٍ عَلَى عَلِيلٍ قَدْ اسْتَهَاها
وِظَالْمٌ عِنْدَهُ كُنُوزٌ مِنْ أُمِّ دَفْرِ وَمِنْ لَهَاها

ومن كلامه الذي يتوقف على معرفة علم قوله :

سَمَا نَفَرٌ ضَرْبَ الْمِثْنِ وَلَمْ أَزَلْ
بِحَمْدِكَ مِثْلَ الْكَسْرِ يُضْرَبُ فِي الْكَسْرِ ^(٣)

وقوله :

مَا لِي غَدَوْتُ كَقَافِ رُؤْبَةٍ قُبِدَتْ فِي الدَّهْرِ لَمْ يُقَدِّرْ لَنَا إِجْرَاؤَهَا ^(٤)
أَعْلَلْتُ عِلَّةً قَالَتْ وَهِيَ قَدِيمَةٌ أَعْيَا الْأَطْبَةَ كُلُّهُمْ لِإِبْرَاؤِهَا

وقوله :

نَطَقَتْ أَلْسُنُ الْحَمَامِ وَالْأَيْبِ جَازِجَاءَ وَكَثْرَةِ الْإِطْنَابِ ^(٥)

(١) الزوبيات ٥ ص ٢٢١ .

(٢) الزوبيات ٥ ص ٣٣٧ . ونسبها : ٥ خف زملان فا ... ٥ .

(٣) الزوبيات ٥ ص ١٤٦ .

(٤) الزوبيات ٥ ص ٢٣ .

(٥) الزوبيات ٥ ص ٥٤ .

ومن كلامه الذي يتوقف فيه على معرفة التاريخ قوله :

وَلِإِنْ الْقَتْلَ فِي أَحَدٍ وَبَذَرَ جَنَى الْقَتْلَيْنِ فِي نَهْرٍ وَطَفَّ^(١)

وقوله :

لَعَمْرُكَ مَا أَسْرُهُ بِيَوْمٍ فَطَرِ وَلَا أَضْحَى وَلَا بِغَدِيرٍ خُمٍ^(٢)
وَكَمَ أَبْدَى تَشِيعُهُ غَوِيٍّ لِأَجْلِ تَنْسَبِ بِلَادٍ قُمَ

وقوله :

وَالْمَلِكُ يَفْنَى وَلَا يَبْقَى لِمَالِكِهِ أَوْدَى ابْنُ عَادٍ وَأَوْدَى نَسْرُهُ لَبَدٍ^(٣)

وقوله :

مَضَى الْوَاقِعُ الْكِندِيُّ وَالسَّقَطُ غَابِرٌ
وَصَاحَتْ دِيَارُ الْحِمَى أَيْنَ لَبِيدٍ^(٤)

تكرير المعاني في شعر أبي العلاء

عاب جماعة من الأدباء أبا العلاء المعري ، لأنه يأتي بالمعنى الواحد غير مرة في شعره ؛ وعدت ذلك من أمارات العي والضعف . ولا ننكر أن أبا العلاء كرر كثيراً من المعاني في شعره ، ولكنه لم يلك طريقاً واحداً في تكريره ؛ بل كان أحياناً يأتي بالمعنى في البيت وفيه زيادة

(١) الزويات ٥ ص ٢٩٥ .

(٢) الزويات ٥ ص ٢٥١ .

(٣) الزويات ٥ ص ٩٣ .

(٤) الزويات ٥ ص ٩١ .

بسيطة عما جاء في البيت الآخر ، راجعاً إلى زيادة تريد اللفظ والمعنى
رونقاً وجمالاً ، فمن الأول قوله :

نَقَلَمُ لِلنَّسِكِ أَظْفَارَنَا وَطَوَّكِ الْهِنْدُ أَظْفَارَهَا ^(١)
وقوله :

وَأَعَدُّ قَصَّ الظَّفَرِ شِيمَةً نَاسِكٍ وَالْهِنْدُ بَعْدُ مُطِيلَةٌ أَظْفَارَهَا ^(٢)
فإن الزيادة والتقص في كلا البيتين ليس فيها كبير فائدة .
ومن الثاني قوله :

يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الْمَمَاتِ وَكَوْنِهِ إِرَاحَةً جِسْمٍ إِنْ مَثَلَكُهُ صَغَبٌ ^(٣)
وقوله :

وَيَدُلُّنِي أَنْ الْمَمَاتَ فَضِيلَةٌ كَوْنُ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ غَيْرُ مُيَسَّرٍ ^(٤)
لَوْلَا نَفَاسَتُهُ لَسَلَّ نَهْجُهُ كَأَذَى الضَّعِيفِ عَلَى لَيْثِمٍ لَمَكْثِرٍ
وقوله :

تَكَادُ سُيُوفُهُ مِنْ غَيْرِ سَلٍ تَجِدُهُ إِلَى رِقَابِهِمْ أَسْلَلاً ^(٥)
وقوله :

(١) الزوميات ص ١٤٥ .

(٢) الزوميات ص ١٤٣ .

(٣) الزوميات ص ٣٠ .

(٤) الزوميات ص ١٥٨ .

(٥) البيت في الخط وليس من زوميات ؛ انظر خروج سطر الزندق ص ١١ .

سُيُوفُهُ تَغْشَقُ الرَّقَابَ فَمَا يُنْجِزُ حَتَّى اللَّقَاءِ مَوْعِدَهَا^(١)
يَكَادُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُجْرِدَهَا يَعْتَنِقُ الدَّارِعِينَ مُغْمَدَهَا

فإنه استدل في البيت الأول على فضل الموت وعلى أن فيه إراحة للجسم بصوبة طريقة ؛ واستدل في البيتين اللذين ذكرا بعده على فضل الموت ونقاسه بصوبة الطريق ؛ وليس في البيت الأول تشبيه سهولته بأذى الضميف على لثم الأصل ، ولا في البيت الثاني والثالث ذكر لإراحة الجسم . والبيت الأول يدل دلالة عامة شاملة لكل أحد ؛ والثاني يدل المتكلم فقط ، كما تقتضيه صيغة « بدلي » .

وكذلك البيت الرابع يدل على أن سيوفه تكاد تصل الى رقاب أعدائه من غير أن تسل من أعقادها . والبيت الخامس والسادس يدلان على أن السيوف تغشق الرقاب . . وتكاد تعتنق الدارعين من غير سل . وفيها زيادة جميلة حسنها ذكر العشق ، ونجوز الموعد واللقاء ، والاعتناق والدارعين . وكذلك قوله :

كَأَنَّمَا الْخَيْرُ مَاءٌ كَانَ وَارِدُهُ

أَهْلُ الْعُصُورِ فَمَا أَبْقَوْا سِوَى الْعَكْرِ^(٢)

وقوله :

كَأَنَّ دُنْيَاكَ مَاءٌ حَوْضٍ آخِرُهُ أَجْنٌ خَبِيطُ^(٣)

(١) البنان كاجها ، مما في القط : انظر شروح سطر الزند : ق ٢ ص ٨٣٠ .

(٢) اللزوميات ٨ ص ١٥١ .

(٣) اللزوميات ٨ ص ١٢٦ .

فإن البيت الأول في الخير فقط ، والثاني في الدنيا كلها ؛ وبين البيتين فرق كبير في إيجاز اللفظ ، وحسن الأداء ، وعموم المعنى . ومن هذا القبيل قوله :

كَمْ بُودِرَتْ عَادَةٌ كَتَابُ وَعُودِرَتْ أُمُّهَا الْعَجُوزُ^(١)

وقوله :

لَيْسَ بِالسِّنِّ تُسْتَحَقُّ الْمَنَابَا كَهَ فَجَا بَارِلٌ وَعُوجِلَ بَكْرُ^(٢)

فإن في البيت الثاني زيادة ، وهي قوله : « ليس بالسِّنِّ » ، وهي كزيادة العقد النفيس في الجيد الجيّد . وإذا تأملت أكثر الأبيات التي قيل : إنها مكررة في شعره تجد بين البيت والثاني فروقا دقيقة في اللفظ والمعنى ؛ ولا أذكر له بيتا كرر معناه من غير زيادة أو إيجاز مستحسن ؛ وهذا لا يضير أبا العلاء ولا يخالف سنة البلغاء ، فقد أجازوا للشاعر أن يأخذ من معاني شعر غيره ، وإذا أجاد جعلوا ذلك من المنجاة ، وفضلوه على سابقه . يدلنا على ذلك أن بشار بن برد قال :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالصَّيِّبَاتِ الْفَاتِكِ الْلَهْجِ

وهو بيت شريف البني صحيح المعنى . ثم جاء - لم الخاسر فتصرف فيه وقال :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورِ

فاستحسن الناس قوله لأنه أوجز لفظا ، وأرشق تأليفا ، وأكثر طلاوة ،

(١) ملى الجيل تحقيق كامل كيلاني .

(٢) الزوايات ٥ ص ١٣٤ .

وأوفر مبالغة . وفضله على قول بشار ؛ وكتب لبيت سلم الرواج والشهرة والسيورة في الأفاق ، وكتب لبيت بشار الإمال والإخال . وأمثال هذا كثير في الشعر العربي . وإذا كان هذا شأن المعنى من شعر شاعرين مختلفين فهل يصير أبا العلاء أن يأخذ من شعره معنى ويفرغه في قالب آخر من اللفظ ، ويكون بين الأول والثاني شيء من الفروق التي ذكرنا بعضها ؟ . وعلى هذا لا نستطيع أن نثبت المكرر في شعر أبي العلاء ، ولا أن نصيب بما توهمنا أن فيه تكرارا .

المبالغة في شعره في اللزوم

من طبيعة الأغراض والمقاصد التي ألم بها في (لزوم ما لا يلزم) أن تكون بعيدة عن المبالغة والإغراق والقلو ؛ ولكن أبا العلاء تأثر بهذه الطريقة التي كان أهل عصره عامة ينجونها ويستعذبونها ، فلم يخل شعره منها في المواطن التي يحيد فرصة لها . من ذلك قوله :

إِذَا حَانَ وَقْتِي فَأَلْمَشَقُّ طَاعِنِي بَغَيْرِ مُعِينٍ وَالْمَهْدُ ضَارِبِي ^(١)

وقوله :

لَوْ قَامَ أَمْوَاتُ الْعَوَاصِمِ وَخَدَّهَا مَلَأُوا الْبِلَادَ حُزُونَهَا وَسُوءَهَا ^(٢)

وقوله :

مَا فِي نَبِيٍّ أَدَمٍ غَنِيٍّ بَلْ كُلُّهُمْ مُقْتَرٌ عَدِيمٌ ^(٣)

(١) اللزومات ، ص ٤٥ .

(٢) اللزومات ، ص ٢٠٧ .

(٣) اللزومات ، ص ١٣٤ .

وقوله :

فَصَمْتًا إِنِ ارْدُؤْتُمْ أَوْ مَقَالًا فَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا تَقِي^(١)

ومن هذا القبيل قوله : « ما في البرية جيد » . « ويفقد في الأنام الطاهر » . « ما كان في الأرض من خير ولا كرم » . « وامثال ذلك بما سيأتي » .

الجميع في شعره في لزوم ما لا يلزم

ذكرنا فيما تقدم أن لأبي الملاء ولما شديدا بالصناعات البديعية ، ولا سيما الجناس ، والطباق والمقابلة ، والتورية ، ومراعاة النظير وغيرها . وهذه أمثلة من كلامه :

حسن المطلع : وهو أول بيت من أول قصيدة في لزوم ما لا يلزم :

أُولُو الْفَضْلِ فِي أَوْطَانِهِمْ غُرَبَاءُ تَشِيدُ وَتَنَأَى عَنْهُمْ الْقُرَبَاءُ^(٢)

اللائقات :

صَدَفَ الطَّبِيبُ عَنِ الطَّعَا مِ وَقَلَّ مَا كَلَّهُ بُضْرُ^(٣)
كُلُّ يَا طَبِيبُ وَلَا خَلَا صَرَ مِنَ الرَّدَى فَلَمَنْ تَغُرُّ

الجناس التام :

لَا يَصْبِرْنَ فَقِيرٌ تَحْتَ فَاقِهِ

إِنَّ السَّارِبَ جَابَتْهَا السَّارِبُ^(٤)

(١) الزوميات ٥ ص ٣٤٣ .

(٢) الزوميات ٥ ص ٣٠ .

(٣) الزوميات ٥ ص ١٢٣ .

(٤) الزوميات ٥ ص ٥٩ .

السباريت الأولى : جمع 'سُبروت أو سِبريت : الأرض التي لا ينبت فيها نبيء ؛ والفلاة التي لا نبيء بها . والسباريت الثانية : جمع سُبروت أو سِبريت : الرجل الفقير المحتاج .

الجناس المطلق

وَمَا تَمْنَعُ الْحَوْدَ الْحَصَانَ حُصُونَهَا وَلَوْ أَنَّ أَتْرَاجَ السَّمَاءِ بُرُوجُهَا^(١)

الجناس المركب :

زَوَانِي خَوْفُ الْمَقَامِ الذَّمِيٍّ — عَنْ أَنْ أَكُونَ خَلِيلَ الزَّوَانِي^(٢)
وهذا النوع كثير في شعره .

الجناس النظمي :

وقوله :

جَنِبُ الزَّمَانِ عَلَى الْأَقَاتِ مَزْرُورُ

مَافِيهِ إِلَّا شَقِيُّ الْجَدِّ مَضْرُورُ^(٣)

الجناس المعطف :

أَمِيتُ لِدَغَابَتِ الْأَحْجَالِ وَالْعُرُرِ وَلِإِنَّمَا النَّاسُ فِي أَيَّامِهِمْ عُرُرُ^(٤)

الجناس المذيل :

وَكَمْ جَنَّتِ الْمَعَاصِمُ مِنْ مَعَاصِي تَعَوَّدُ بِهَا الْمَعَاصِدُ مُفَصَّمَاتِ^(٥)

(١) الزرويات ٥ ص ٧٤ .

(٢) الزرويات ٥ ص ٢٨٢ .

(٣) الزرويات ٥ ص ١٢٣ .

(٤) الزرويات ٥ ص ١٢١ .

(٥) الزرويات ٥ ص ٦٨ وطبعة زند ص ١٩١ وفي الأصل : المعاصد 'مفصّلات' .

الجناس الطوف :

يُورِقُ لِلْحَبِّ لَا لِلشَّحَابِ طَرِبْتُ إِلَى ضَوْءِ لَمَاحِهَا^(١)

. . .

كَأَنَّكَ عَنْ كَيْدِ الْحَوَادِثِ رَاقِدٌ وَمَا أَمِنْتَهُ فِي السَّمَاءِ الْفَرَادِ^(٢)

الجناس المضارع :

لَمْ يَكُنْ لِي عَرْشٌ قَيْثَلَمْ عَرْشِي كَمْ جُرُوحٌ جَرَحَتْهَا ذَاتُ أَرْضِ^(٣)

الجناس التلاحق :

هِيَ الْمُنْتَهَى وَالْمُنْتَهَى وَمَعَ السُّبَا أَمَانِي مِنْهَا دُونُنِ الْعَظَائِمِ^(٤)

التسبيط :

مُحْصِي الْجَرَائِمِ فَعَالِ الْعَظَائِمِ فَضَّارِ الْمَضَائِمِ جَارِ غَيْرِ ظَلَامٍ^(٥)

التعدير :

قَدْ بَدَّلَ الْعَالَمُ عَادَاتِهِمْ بَلْ قَدَّرَ مِنْ فَوْقِهِمْ بَدَلًا^(٦)

التورية :

يَهُودٌ بَاغِي الْحَاجِ وَاللَّيْلُ مُسْلِمٌ عَلَى كُفْرِهِ وَالْأَرْضُ فِي زِيٍّ رَاهِبٍ^(٧)

. . .

إِذَا قُتِلَتْ خَافَ الرَّشَادُ جَنَائِيَةً فَكَانَ مِنَ الْفَتَيَانِ أَوَّلَ هَارِبٍ^(٨)

(٢) الزوميات ٥ ص ٩٠ .

(٤) الزوميات ٥ ص ٢٣٠ .

(٦) الزوميات ٥ ص ٢٠٨ .

(٨) الزوميات ٥ ص ١٦ .

(١) الزوميات ٥ ص ٨٦ .

(٣) الزوميات ٥ ص ٣٢٨ .

(٥) الزوميات ٥ ص ٢٥٠ .

(٧) الزوميات ٥ ص ١٧ .

الطابق :

أَصْدُقْ إِلَى أَنْ تَقْظُنَّ الصَّدْقَ مَهْلِكَةً
وَبَعْدَ ذَلِكَ فَاقْعُدْ كَاذِبًا وَتُقَمِّ^(١)

المقالة :

يَظْلُ نَبِيَّهُ غَائِبًا مِثْلَ شَاهِدٍ وَخَامِلُ قَوْمٍ شَاهِدًا مِثْلَ غَائِبٍ^(٢)
وَلِجَنِّي إِلَى التُّرَابِ هُبُوطٌ وَلِرُوحِي إِلَى الْهَوَاءِ صُعُودٌ^(٣)

التلخيص :

شَيْعٌ أَجَلَتْ يَوْمَ خُمٍ وَانْتَهَتْ أُخْرَى تُتَارِضُهَا يَوْمَ الْغَارِ^(٤)

التسيم :

إِنْ أَذَاهَا مِثْلُ أَفْعَالِنَا مَاضٍ وَفِي الْحَالِ وَمُسْتَقْبَلٍ^(٥)
أَجْبَلَتْ الْأَبْحُرُ فِي عَصْرِنَا هَذَا كَمَا أَتَجَرَّتِ الْأَجْبُلُ

تجمل العارف :

أَيُوجَدُ فِي الْوَرَى نَفَرٌ حَمَارَى أَمْ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ رَجُوسٌ^(٦)

(١) اللزومات ٥ س ٢٤٨ وفيها : « وعند ذلك »

(٢) اللزومات ٥ س ٤٦ .

(٣) اللزومات ٥ س ١٠١ .

(٤) اللزومات ٥ س ١٦٤ .

(٥) اللزومات ٥ س ٢٠٠ .

(٦) اللزومات ٥ س ٢١٤ .

التصريح :

لَا تُخْدِثِ الْقَطْعَ فِي كَفِّ وَلَا قَدَمٍ
وَلَا تَعْرِضْ مَدَى الدُّنْيَا لِسَفْكَ دَمٍ^(١)

مراعاة النظر :

أَوْ مَا قَرَأَتْ سِجْلَ دَهْرِكَ نَاطِقًا بِأَتَمِّكَ يُشْكَلُ بِالْخُطُوبِ وَيَنْقُطُ^(٢)
.....
وَكَمْ أَنْذَرْنَا بِالسُّيُولِ صَوَاعِقُ^(٣) وَكَمْ خَبَرْنَا بِالْغَنَامِ رُغُودُ^(٤)

معاناة المرء نفسه :

لَا تُطِيعِي هَوَاكَ آيَتُهَا النُّفْسُ قُنْعَمَى الْمَلِكِ فَيَنَارِ بَيْبَةٍ^(٥)
التذيل :

وَلَا تَجْلِسِي إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا فَإِنَّ خَلَائِقَ الشُّفَاءِ تُغْدِي^(٦)
.....
لَا حَظَّ فِي الدُّنْيَا لِعَالِي هِمَّةٍ وَالْوَحْشُ أَفْضَلُ صَيْدِهَا لَا غِيَارُ^(٧)

(١) الزوميات ٥ ص ٢٤٧ .

(٢) الزوميات ٥ ص ١٧٧ .

(٣) الزوميات ٥ ص ٩٠ .

(٤) الزوميات ٥ ص ٤٢ .

(٥) الزوميات ٥ ص ١١١ .

(٦) الزوميات ٥ ص ١٣١ .

المثالة :

جَدِي خَرَقَةٌ تُخَاطُ إِلَى الْإِزْ ضَرِيًّا خَائِطُ الْعَوَالِمِ خِطْنِي^(١)

الغبار :

وَيَدُلْنِي أَنَّ الْمَمَاتَ فَضِيلَةً كَوْنُ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ غَيْرَ مُيسَّرٍ^(٢)
لَوْلَا نَفَاسَتُهُ لَسَهَّلَ تَهْجُهُ كَأَذَى الضَّعِيفِ عَلَى لَثِيمِ الْمَكْسِرِ

الاستدراك :

نَحْطُمُنَا الْإَيَّامُ حَتَّى كَانُنَا زَجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَنَا سَبْكُ^(٣)

مَا لِبَاسِ الثَّقَوَى عَلَى النَّاسِ لَكِنْ ثِيَابًا عَلَى الْخَنَا مَزْرُورَةٌ^(٤)

الكلام الجامع :

إِذَا نَزَلَ الْمِقْدَارُ لَمْ يَكُ لِلْقَطَا تُمَوْضٍ وَلَا لِلْمُخْدِرَاتِ إِبَادَةٌ^(٥)

أوسال المثل :

هذا النوع كثير في (لزوم ما لا يلزم) ، منه قوله :

قَدْ شِيدَ الْقَصْرُ لِسُكَّانِهِ وَغَيْرُ مَنْ يَسْكُنُهُ الشَّائِدُ^(٦)

• • •

(١) الزوبيات ٥ س ٢٨١

(٢) الزوبيات ٥ س ١٥٨

(٣) الزوبيات ٥ س ١٨٢ . وفيها : • • • • • بحطنا ريب الزمان كأننا • • • • • له سبك •

(٤) الزوبيات ٥ س ١٤٥

(٥) الزوبيات ٥ س ٢٠

(٦) الزوبيات ٥ س ١٠٠

مَنْ يُدِنِ لِلشَّائِكَةِ أَثْوَابَهُ يُصِيبُهُ مِنْهَا غَضَنٌ هَارِدٌ^(١)

وَالشَّرُّ يَجْلِبُهُ الْعَلَاءُ وَكَمْ شَكَا نَبَاً عَلَيْهِ مَا شَكَاهُ قَنْبَرٌ^(٢)

سلامة الاختراع :

في (لزوم ما لا يلزم) كثير من المعاني التي ابتكروها أبو العلاء ، ولم يسبقه إليها سابق ؛ منها قوله :

وَلَوْ يُرْجَى مَعَ الشَّرْكَاءِ خَيْرٌ لَمَا كَانَ الْإِلَهُ بِلَا شَرِيكَ^(٣)

وقوله :

أَرَى جُرْعَ الْحَيَاةِ أَمْرٌ شَرٌّ فَشَاهِدْ صِدْقَ ذَلِكَ إِذْ تَقَاهُ^(٤)

وقوله :

عُمْرِي غَدِيرٌ كُلُّ أَنْفَاسِي بِهِ جُرْعٌ تُغَادِرُهُ كَأَمْسِ النَّاصِبِ^(٥)

وقوله :

أَرْوَاهُنَا مَعَنَا وَلَيْسَ لَنَا بِهَا عِلْمٌ فَكَيْفَ إِذَا حَوَّنَاهَا إِلَّا قُبْرٌ^(٦)

وقوله :

(١) اللزومات ٥ ص ١٠٠ .

(٢) انظر ماسبق ص ٩٤٢ .

(٣) انظر ماسبق ص ٩٤٢ .

(٤) اللزومات ٥ ص ٢٣ .

(٥) اللزومات ٥ ص ٥١ .

(٦) انظر ماسبق ص ١١٤٤ و ١١٥٨ .

أَحْسِنِ جِوَارًا لِلْفَتَاةِ وَعُدَّهَا أَخْتِ السَّمَاءِ عَلَى دُنُو الدَّارِ^(١)
كَتَجَاوُرِ الْعَيْنَيْنِ لَنِّ تَتَلَقَّيَا وَحِجَارُ بَيْنَهُمَا قَصِيرُ جِدَارِ
وقوله :

اخْذَرْ سَلِيلَكَ فَالْنَّارُ الَّتِي خَرَجَتْ
مِنْ زَنْدِهَا إِنْ أَصَابَتْ عُودَهُ احْتَرَقَا^(٢)
وقوله :

بَدَّ السَّعَادَةِ أَنْ لَمْ تُخْلَقِ امْرَأَةً
قَمَلُ تَوَدُّ جُمَادَى أَنَّهَا رَجَبُ^(٣)

نسخة الزوم ما لا يلزم التي وصلت إلينا

مرت أيام طويلة ، كانت نسخ هذا الديوان فيها أعز من الأبلق العقوق ،
وأعز من بيض الأنوق ، وأندر من الكبريت الأحمر ؛ بل كانت كالعقواء
لا يعرف غير اسمها . ثم قيض الله رجلاً من أدباء الهند فطبع منه نسخة^(٤) ،
فانتشرت في بعض الأصقاع العربية . رَأَى أَحِبُّ جَمَاعَةٍ مِنْ أَدْبَاءِ مِصْرَ أَنَّ يَطْبَعُ
هَذَا الدِّيَّانَ طَبْعًا جَيِّدًا ، فَكَلَّفُوا رَجُلًا يَقَالَ لَهُ : عَزِيزُ زَنْدٍ ؛ فَوَقَفَ عَلَى
طَبْعِهِ ، وَشَرَحَ كَثِيرًا مِنْ أَيْيَاتِهِ وَرَأَى النُّسخَةَ الهِنْدِيَّةَ طَافِحَةً بِالْخُلَلِ وَالزَّلَلِ ،
فَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَيْهَا ، وَحَصَلَ عَلَى نُسْخَةٍ خَطِيئَةٍ قَدِيمَةٍ مِنْ سَنَةِ ٦٣٣ هـ أَضْبَطَ
وَأَحْكَمَ مِنَ النُّسخَةِ الهِنْدِيَّةِ ؛ فَجَاءَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَى مَا يَرَامُ . هَذِهِ خُلَاصَةُ
مَا قَالَهُ الطَّابِعُ وَالشَّارِحُ فِي مَقْدَمَةِ الطَّبْعِ .

- (١) الزوميات ٥ ص ١٦٤ .
- (٢) الزوميات ٥ ص ٣٠٣ .
- (٣) الزوميات ٥ ص ٣٢ .
- (٤) هي النسخة التي نجعل عليها ، ونزمت لما بحرف هـ ، وقد صحبها - عن مخطوطة
كتبت سنة ٦٣٩ هـ - أمين بن حسن الخلواني المدني ، وكتبها الميرزا حسين البهائي ،
وطبعت على الحجر في بمباي بالهند في الطبعة الحادية سنة ١٣٠٣ هـ .

وقد اطلعت على النسخة الهندية فرأيتها كما وصف . واطلعت على النسخة المطبوعة في مصر ، فوجدتها طافحة بالأغلاط ، جامعة لصور مختلفة من التحريف والزيادة والنقص ، مكتظة بألوان غريبة من الخطأ والعبث في ضبط الألفاظ . وقد زادها ضغناً على إباله تفسير الشارح بعض الألفاظ تفسيراً لا يتفق مع معانيها اللغوية ، ولا مع ما يريد به أبو العلاء منها .

الزيادة :

وقد جاءت أبيات فيها زيادة في الوزن : إما زيادة حرف ، كقوله في (ج ١ ص ٣٧٣) ^(١) :

وَلَمْ يَصْنَعُوا (أَشْيَاءَ) وَلَكِنْ تَنَازَعُوا

أَبَاطِيلَ تَضْحِي مِثْلَ هَامِدَةِ الْجَمْرِ

وقوله في (ج ١ ص ٣١٠) :

وَكُنْزُكَ فِي الْغَبَاءِ (و) لَا بُدَّ ضَائِعٍ

وقوله في (ج ٢ ص ١٣٧) :

إِنْ (تَشْكُو) قَطَعَ طَرِيقِ

وإما زيادة كلمة ، كقوله في (ج ١ ص ٣٠١) :

تَعَمَّدَهُ يُفْنِكَ بِالْهَدْيِ أَنْ تُدْرَسَ مُغْنِيَتُهُمْ (ولا) الْعَمَدُ

وقوله في (ج ٢ ص ٢٢٢) :

وَقَدْ ضَنْنَتْ بَشَاةً وَهِيَ فَارِدَةٌ عَلَى أَزَلٍ قَقِيدِ الْمَالِ (قوت) عَسَالِ

(١) من التروبيات ط عزيز زند التي وصفها المؤلف آنفاً وقد طلبت بمطبعة « المحروسة » بمصر سنة ١٨٩١ - ١٨٩٥ م ، وكان قد أزر في اخراج هذه الطبعة باي تونس و سلطان زنجبار وغيرها .

والصواب في البيت الأول : « يصنعوا شيئاً ولكن^(١) » أر « يصنعوا أشياء .
لكن . . » وفي الثاني : « في الغبراء لا بد . . » وفي الثالث : « مضمينهم والعمد »
وفي الرابع : « فليد المال عبال » .

النقص :

وجاءت أبيات فيها نقص في الوزن : إما نقص حرف ، كقوله في
(ج ١ ص ٣١١) :

سَمَّاحُكَ (مَجْهولٌ) وَنُحْلُكَ وَاصِحٌ

وأما نقص كلمة ، كقوله في (ج ٢ ص ١٢٠) :

يُخَادِعُ مَلِكُ (الأَرْضِ إِذَا) أَتَتْ مَنِيَّتُهُ لَمْ تُغْنِ عَنْهُ خَارِفَةٌ

وقوله في (ج ١ ص ٣٥١) :

وَإِنْ سَأَلُوا عَنْ مَذْهَبِي (..) خَشْيَةٌ مِنْ اللَّهِ لَا طَوْقاً أَبَتْ وَلَا جَبْراً

والظاهر أن الأول « مجهول »^(٢) . وأن الوزن والمعنى إنما يستقيمان في البيت
الثاني بمثل « حتى إذا أتت »^(٣) وفي البيت الثالث : بمثل « فهو خشية »^(٤) .

وأما التحريف :

فكقوله في (ج ٢ ص ٢٠٠) : « جرؤمك يا ثعالة » والصواب « جرؤوك » .

وقوله في (ج ١ ص ٣٧٦) :

(رَفِيقُكَ) أَسْرَى فِي يَدَيْكَ فَلَا تَكُنْ

وكقوله في (ج ٢ ص ٢٧٠) :

و(النون) فِي حُكْمِ الْخَوَاطِرِ مُحَدَّثٌ

(١) هي كذلك في اللزوميات ص ١٤٦ .

(٢) هي كذلك في اللزوميات ص ١٢٠ .

(٣) هي كذلك في اللزوميات ص ٢٩٩ .

(٤) هي كذلك في اللزوميات ص ١٣٦ .

والصواب في البيت الأول : « رقيقك » وفي الثاني : « والنور في » .
وأما التصحيح : فكموله في (ج ١ ص ٢٥٨) :

يَسْتَدُوْ مَزَامِيْرَ دَاوُدَ وَيَفْصَلُهُ
وقوله في (ج ٢ ص ١٤٣) :

دَعِ النَّاسَ وَأَصْحَبْ وَأَخْشَ بَيْنَاءَ قَفْرَةٍ

والصواب في الأول : « ويفضله » وفي الثاني : « واصحب وحش بيداء . . . » .
وأمثال هذا كثير ؛ منه قوله في (الجزء الأول ص ٢٥٠) : « ما أوتأدها
وَرِدَتْ . والصواب : « من أوتأدها . . . » .

وقوله في (ج ١ ص ٣١٦) : « والشره في الإنسِ مَثْبُوتٌ » .
والصواب : مَبْتُوثٌ .

وقوله في (ج ١ ص ١١٤) : « أهيثما جرت . . . والصواب : « أمشيما » .
وقوله في (ج ١ ص ١٢٧) : « برق جلييب . . . والصواب : « جليب » .
وتجد أمثال ذلك في (الجزء الأول ص ١٤٤ و ١٧٧ و ١٨٤ و ١٩٥ و
٢٠٥ و ٢١٦ و ٢١٨ و ٢٤٤ و ٢٥٨ و ٢٧٢ و ٢٣٢ و ٢٥٧ و ٢٩٧ و
٤٠١ و ٤٣١) .

ومنه قوله في (الجزء الثاني ص ٢٤١) : « الزنجيل » ، والصواب : « الزنجيل » .
وقوله في (الجزء الثاني ص ٢٥٠) : « أَخَذَتْ اللَّب » ، والصواب : « أَخَذْنَ » .
وقوله في (الجزء الثاني ص ٣٢٨) : « القواعد والمدغم » ، والصواب : « المدغم » .
وقوله في (الجزء الثاني ص ٣٧٦) : « فِي قَمِ الْحَيَاةِ » ، والصواب : « الْحَيَاتِ » .
وتجد كثيراً من أمثال هذا في الجزء المذكور في (ص ٨ و ٢٤ و ٤٠) .

و٦٤ و٩٣ و١٠٩ و٢٣٠ و٢٣٣ و٢٤٧ و٢٥٨ و٢٧٢ و٢٧٨ و٢٩٥ و٣٣٤ و٣٨٣ و٤١٤ و٤٣٠) .

وقد يجوز أن يكون التحريف أو الزيادة أو النقص من خطأ المطبعة أو الناسخ ، ولكن هناك كلمات قبلها الشارح وشرحها شرحاً أبعداً عن مطابقة الحقيقة ، وعن موافقة مراد الشاعر كقوله في (ج ٢ ص ٢٨٣) :

أَقَاتُ مِنْ طَيْبِ النَّهَاتِ وَهَلْ يَسْلُمُ عَوْدُ الْفَتَى مِنَ الْإِبْنِ

ولعل الصواب : « من طيب النبات . . » . ولكن الشارح رواها النهات^(١) ، وقال : النهات : النهاق ، والأسد ، والزحار هكذا رواه وهكذا شرحه . والنهاق : الحمار ، والزحار : جاء لمعان منها : إخراج الصوت بأنين ، واستطلاق البطن ، وداء يأخذ البعير فيزحر منه حتى ينقلب سرمه . فانظر الى هذا الشارح كيف جعل قوت أبي العلاء حماراً ، أو أسداً أو زحاراً ؛ وهو يعلم أن أبا العلاء لا يأكل حيواناً مهما كان ولا ما تولد من حيوان .

الشرح والتفسير

لشارح (لزوم ما لا يلزم)^(٢) في شرح الكلمات وتفسير الأبيات وما يتعلق بها آيات هن غايات في الغرابة والبعد عما يريده الشاعر . منها قوله في (الجزء الأول في ص ٥٠) : « الإقواء اختلاف إعراب القوافي » ثم قوله في (ص ٥١) : « الإكفاء هو الإقواء بعينه وقد مر تفسيره » . وكلاهما غير صحيح ، لأن الإقواء : اختلاف حركة الروي المطلق بالكسر والضم فقط ، وكلامه يشمل غيرهما . والإكفاء : اختلاف الروي بحروف متقاربة في الخارج . وقد ذكر ذلك أبو العلاء في المقدمة (ص ١٩ و ص ٢٥)^(٣) . وقوله في (ج ١ ص ٦٤) :

خَذُوا حَذَرًا مِنْ أَقْرَبِينَ وَجَانِبِ

(١) وكذلك اللزومات ص ٢٨١ .

(٢) عزيز زندي طبعة القاهرة ١٨٩١ - ١٨٩٥ م .

(٣) من طبعة عزيز زندي ، أما في طبعة هـ نبي ص ٧ و ١٠ .

قال الشارح : « الجانب الذي لا يتقاد ، جمه جناب والمضى : احترسوا من لدغات الأقارب والصعب الجانب . . » . والمراد بالجانب هنا الغريب ، قال في اللسان : ورجل جانب وجنب غريب ، وهو المقابل للأقربين . وقوله في (ج ١ ص ١٦٥) : « الطيبات : بفتح الباء جمع ظبي » . وهو خطأ لأنه جمع ظبية . وقوله في (ج ١ ص ٧٠) :

أَقِمْي لَا أَعْدُ الْحَجَّ قَرَضًا عَلَى عَجْزِ النِّسَاءِ وَلَا الْعَنَارَى

ضبط عجز بفتح فضم . . ثم قال : « والعجز : المعيزة وهو المراد هنا » وما أبعد هذا المعنى عن مراد الشاعر هنا . والمُعْزُ هنا بضمين : جمع عجوز وهي المرأة الشبيخة الهرمة ، وهذا المعنى هو الموافق لمقابلة العذارى . وقوله في (ج ١ ص ١٤٣) : « تقضي ليناعيا على زربايا . قال : « الزرباب .. الذهب . . » وزرباب علي بن نافع الغني المشهور مولى المهدي ومعلم ابراهيم الموصلي ، وكان شاعراً مطبوعاً وأستاذاً في الموسيقى ، وعنه أخذ الناس . وهو مراد أبي العلاء هنا ليقابل الناعي .

وقوله في (ج ١ ص ٩٦) :

قَدْ يَحْزُو الْخُبَّ الشَّحِيحُ جَبًا مَالًا وَلَا يَسْتَحِقُّ نَضْحَ لَهَايَةِ

قال الشارح : « الخب : بفتح الخاء الجبل من الرمل اللاطيء بالأرض ، وسهل بين حَرَّتَيْنِ تكون فيه الكمأة » . وقوله : الجبل ، خطأ والصواب : الحبل من الرمل ، بالخاء والباء . وهذا لا يوافق مراد الشاعر ، لأن مراده أن الخب أي الخبيث الخداع يحوز حوض الماء وهو لا يستحق أن يبل لسانه منه . وقوله في (ج ١ ص ٢٠٥) :

جَمَاجِمُ أَمْثَالِ الْكُرَاتِ هَفَّتْ بِهَا سُيُوفٌ ثَنَاهَا الضَّرْبُ وَهِيَ صَوَالِجُ

قال الشارح : « جمع صولج وهو الفضة » . وهذا المعنى لا يناسب هنا ، وإنما يلائم المقام أن تكون صوالج جمع صولجان أو صولج ، وهي عصا يعطف طرفها وتقرب بها الكرات على الدواب .

وقوله في (ج ١ ص ٢١٢) :

لَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَسْكَاتِ الْجَوْنِ أَظْلَقَهُ وَجَوْنٍ كَنْدَةٍ أَمْسَى يَنْقِدُ التَّاجَا
[كِلَاهُمَا يَتَوَقَّى وَالْحَيَاةُ لَهُ حَبِيبَةٌ وَيَرُومُ الْعَيْشَ مُنْتَاجَا]

قال الشارح : « الجون هنا : الأبيض وكندة اسم بلد ، والمراد يمحون كندة الدم » . وهذا كله خطأ ، لأن المراد بالجون الأسك البرغوث ، وبالجون الثاني لقب معاوية بن جبر بن عمرو بن الحرث . . . بن ثور بن كندة وهو أبو بطن منهم ، وهذا يتأتى منه التوقي وحب الحياة وطلب العيش .

وقوله في (ج ١ ص ٢٧٩) :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا خَائِفُوا لِلَّهِ وَحْدَهُ إِذَا وَقَعَ النِّمْيُ فِي كَفِّ نَاقِدٍ

قال الشارح : « هكذا في الأصل ، ولم تر في القاموس النمي ، لكن رأينا أنميًا وهو حشبة فيها تبغ » اه والنمي : الفلج بالرومية ، وقال بعضهم : ما كان من الدرام فيه رصاص أو نحاس فهو « نمي » . وكانت بالحيرة على عهد النعمان بن المنذر . وهذا المعنى يلائم كفف الناقد أكثر من حشبة التبغ . وقد ذكره في القاموس في نَمَ وفي نَمَى وذكرها الشارح نفسه في (ج ١ ص ٢٤١) فتأمل .

وقوله في (ج ١ ص ٣٠٦) :

لِقَاؤُكَ مَا فِيهِ لِمِثْلِي خَيْرٌ وَلَا لَكَ فَانْظُرْ أَيْنَ يُلْتَمَسُ الشُّبْرُ

قال الشارح : « الشبر النكاح » ^(١) ولا ننكر أن النكاح من جملة معاني الشبر ، ولكنه لا يلائم ما قبله من الآيات ولا يوائم حالة أبي العلاء ، لأنه لا يتكح

(١) وكذلك جاء في حاشي اللزوميات ص ١١٨ .

ولا يطلب منه أن يتكبح . ولشبر معان أخر منها الخير والمطية ؟ ومن الخير حمله على الخير ليستقيم المعنى .

وقوله في (ج ١ ص ٣٠٩) : وفي سمعه وقر ؟ قال الشارح : د الوقر الحمل الثقيل . والصواب : الوقر الثقل في السم أو ذهابه كله ^(١) .

وقوله في (ج ١ ص ٣٦٥) :

نَأَى عَنْهُ النَّسِيسُ فَقَدْ تَسَاوَى لَهُ لَمَسُ الْحَدِيدَةِ وَالْحَرِيرَةِ

قال الشارح : « نيس الإنسان مجوده » والاحسن هنا أن يراد بالنيس بقية الروح .
وقوله في (ج ١ ص ٣٧١) :

أَذْفَتُوا بِالطَّعَانِ بَيْنَ التَّرَاقِي وَالْحَوَايَا أَسِنَّةَ مَقْرُورَةٍ

قال الشارح : « قوله : مقرورة ، الظاهر أنه من قر القدر إذا صاب فيها الماء » .
وليس هذا الظاهر بظاهر ، بل الظاهر أن معنى مقرورة أصابها القر أي البرد ، أي باردة ، وهو الملائم لقوله : « أدفتوا » ، إلى غير ذلك مما يحده الباحث في الجزء الأول .

وأما الجزء الثاني فليس بأقل من الأول نصيباً من تلك الغرائب ،
فن ذلك قوله في (ج ٢ ص ٤٠) :

وَنَوَى الْأَوَانِسُ غَايَةَ الْإِيْنَسِ

جل الشارح الأوانس جمع أنيسة ، والصواب : أنه جمع آنية .

وقوله في (ج ٢ ص ١١٦) :

وَجُوهُكُمْ كَلْفٌ وَأَفْوَاهُكُمْ عِدَى وَأَكْبَادُكُمْ سُودٌ وَأَعْيُنُكُمْ زُرْقٌ

قال : « العِدَى : كل خشبة بين خشبتين ، وحجر رقيق يسر به الشيء » .
ولا يلائم هذا المعنى بقية البيت .

(١) في النسخة ٣٠٩ من ج ١ المأرإ إليها هنا جـ بيت مجزء « على ملكه إلا وعكره وقر » فقال الشارح : الوقر الحمل الثقيل أو ذم : ثم جاء بيت آخر مجزء « وفي له خف وفي سمه وقر » فقال الشارح : مصدر وقرت اذنه إذا عقلت أو ذهب سمه كله وصحت . بلل المؤلف رحمه الله قد وم في هذه العارح هنا .

وقوله في (ج ٢ ص ٢٤٤) :

وَيُعْنِيكَ عَنْ طَرْحِ قَالَ يَعُو دُ بِالْيَمْنِ طَعْنُكَ فِي الْقَائِلِ

قال الشارح : « أي في الطير الذي تغافل به » . ولا يناسب المقام هذا المعنى إن صح . والظاهر أن المراد بالقائل عرق في الفخذ ، أو اللحم الذي على خرب الورك .

وقوله في (ج ٢ ص ٢٥٨) في الديك :

وَرِثْتَ هُدَى التَّذْكَارِ مِنْ قَبْلِ جُرْهُمِ

أَوَان تَرَفَّتْ فِي السَّمَاءِ النَّعَائِمُ

قال الشارح : « النعائم : النعام ، ورفا الطائر بسط جناحيه ، وهو غير مستعمل ، وإنما المستعمل « رفرف » وأرفت الدجاجة على بيضها بسطت جناحيها عليه . » . ولا أعلم ما يتحصل من المعنى على هذا الشرح . وأظن أن ترفت بالغاء خطأ والصواب : « ترفت »^(١) . والنعائم : من منازل القمر ، ثمانية كواكب كأنها سرير معوج ، ويقال لها النعام ، وهي المرادة هنا . وفي هذه الصفحة فسر « التوائم » و « تريك نعام » بما لا يوافق المقام .

وقوله في (ج ٢ ص ٣٩٢) :

ظَنُّ ارْتِئَاءٍ بِكُمْ جَاهِلٌ وَكُلُّكُمْ فِي ضَبَبٍ تَهَيَّطُونَ

قال الشارح : « يقال : مكان ضبيب : أي فيه ضيباب كثيرة » . ولا معنى له هنا ، وأظن أن الصواب : في صيب بالصاد المهمة ، أي موضع منحدر . قال في (اللسان) والصبب : تصوب نهر أو طريق يكون في حدود .

(١) هي كذلك (ترفت) بالالف في طبعة هـ ص ٢٣٠ .

وقوله في (ج ٢ ص ٤١٦) :

فَخَذَ مِنْهَا بِمَا آدَاهُ لُبٌّ وَلَا يَغْنِيكَ جَهْلٌ فِي صَرَاهَا

قال الشارح : « العرى : ما اجتمع من الماء واللبن . . . » والعرى : الماء إذا طال مكثه وتغير ، والعرى أيضاً : اللبن يترك في خمر الناقة فلا تحلب ، فيصير ملحاً ذا رياح . وكلا المعنيين خير من قوله ، وإن كلف أولها أولى . وأمثال هذا كثير ، ولكننا نكتفي بهذا القدر ، فإن فيه مقنناً للمرتاب ، وغنية لنودي الألباب .^(١)



(١) بعد هاجين الطبعين - من اللزوميات - اللبن أشار إليها للؤف ، وهو اف ، ظهرت طبعان آخران ، إحداها في بيروت ، والثانية في القاهرة معروضة .

شخصية المعري في لزوم ما لا يلزم

ذكرنا غير مرة أن لأبي العلاء خصائص لا يخلو منها أثر من آثاره ،
إما بطريق التصريح ، وإما بطريق الإشارة . ومعظم هذه الخصائص
اجتمع في (لزوم ما لا يلزم) بالنسبة لما رأينا من آثاره . ومنها :

نواظم

وقد أوردته في اللزوم بصور مختلفة ، وأساليب متعددة ، حيث أنكر
تسبته أحمد بقوله :

وَأَحْمَدُ سَمَانِي كَبِيرِي وَقَلَمًا فَعَلْتُ سَوَى مَا اسْتَحَقُّ بِهِ الدَّمَا^(١)
وتكنيه بقوله :

دُعِيتُ أبا العلاء وَذَلِكَ مَيِّنٌ وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ أَبُو النَّزُولِ^(٢)
وانتهى به ذلك إلى أن جعل نفسه صفة خاسرة وسلعة كاسدة :

لَوْ يُنَادَى فِي كُلِّ سُوْقٍ عَلَيْنَا مَا اشْتَرَاهَا أَخُو رَشَادٍ بِفُلْسٍ^(٣)
وأنه ليس عنده شبة حنة :

يُؤْمَلُ الْقَوْمُ عِنْدِي شِيمَةً حَسَنَتٌ

وَشِيمَةُ الدَّهْرِ أَنْ لَا تَحْضَنَ الشِّيمُ^(٤)

(١) الزوميات ٥ ص ٢٣٨ .

(٢) الزوميات ٥ ص ٢١٩ .

(٣) الزوميات ٥ ص ٣٢٥ .

(٤) الزوميات ٥ ص ٢٣٤ .

وشهد على نفسه أنه ناقص ، ولا يوصف بجميل :

أَشْهَدُ أَنِّي رَجُلٌ نَاقِصٌ لَا أَدْعِي الْفَضْلَ وَلَا أَتَحِلُّ^(١)
جِئْتُ كَمَا شَاءَ الَّذِي صَاغَنِي وَمَنْ يَصِفُنِي بِجَمِيلٍ يُحِلُّ
ونفى عن نفسه العلمَ في مثل قوله :

يُظَنُّ بِي الْيُسْرُ وَالذَّيَانَةُ وَالْ— هِلْمٌ وَبَيْنَهَا حُجُبٌ^(٢)
وقوله :

مَاذَا تُرِيدُونَ لَا مَالَ تَيْسِّرُ لِي فَيُسْتَمَاحُ وَلَا عِلْمٌ فَيُقْتَبَسُ^(٣)
وعلى هذا فإن من يطلب منه نحواً أو لغة يرجع بالحيلة :

مَنْ يَبْغِ عِنْدِي نَحْوًا أَوْ يُرِذْ لُغَةً
فَمَا يُسَافِعُ مِنْ هَذَا وَلَا هَذِي^(٤)

وكذلك من يطلب الأدب ، لأنه أفلس فيه :

أَطْلَبْتُمْ أَدْبَاءَ لَدَيَّ وَلَمْ أَزَلْ مِنْهُ أَعَانِي الْحَجَرَ وَالتَّغْلِيصَ^(٥)
وكتاب (لزوم ما لا يلزم) طافح بمثل هذه المعاني .

تعطف

يعتقد أبو العلاء أن الله تعالى تكفل بأرزاق عباده ، وأن الرزق

(١) الزوميات ٨ ص ٢٢٥ .

(٢) الزوميات ٨ ص ٢٧ .

(٣) الزوميات ٨ ص ٢٩٣ .

(٤) الزوميات ٨ ص ١١٧ . وفي الأصل : « فلا يباعف . . . » .

(٥) الزوميات ٨ ص ٢٩٧ .

يأتي إلى صاحبه من غير سعي وطلب ؛ وعلى هذا الاعتقاد صان ماء وجهه فلم يتبدله بدؤال ، وعفّ فلم يعد كفه لمعروف . وأشار إلى هذا في مثل قوله :

وَالرِّزْقُ يَأْتِي وَلَمْ تُبْسَطْ إِلَيْهِ يَدِي

سَيَانِ فِي ذَلِكَ إِذْنَانِي وَإِقْصَاتِي^(١)

وقوله :

وَيَا بَنَانِي لَا تُبْسَطْ لِعَارِفَةٍ وَيَا لِسَانِي بَغِيرِ الصَّدَقِ لَا تَجُلْ^(٢)

وقوله :

وَيَرْزُقُنِي اللَّهُ الَّذِي قَامَ حُكْمُهُ بِأَرْزَاقِنَا فِي أَرْضِهِ مُتَكَفِّلًا^(٣)

كرم

وكان على قلة ماله يحود بالوجود ، ولا يدخر قوتاً ، ولا يكتز ذهباً ولا فضة ؛ وأشار إلى ذلك في مواطن من شعره ، منها قوله :

فَمَا دِرْهَمِي إِنْ مَرَّ بِي مُتَلَبِّشًا

وَلَا طِفْلَ لِي حَتَّى تُرَى الشَّمْسُ مُطْفِئًا^(٤)

وقوله :

لَعَفَرُ أَيْيِكَ مَا خَالِي بِخَالٍ إِشَائِمِهِ وَلَا شَهْدِي بِهِ^(٥)

(١) الزمريات ٥ ص ٢٦ .

(٢) الزمريات ٥ ص ٢١٤ .

(٣) الزمريات ٥ ص ٢٠٣ .

(٤) الزمريات ٥ ص ٢٠٣ .

(٥) الزمريات ٥ ص ٢٩٥ .

فَإِنْ أُعْطِيَ الْقَلِيلَ يَكُنْ هَنِيئًا يَجِيءُ الْمُسْتَمِيعَ بِغَيْرِ شَفْ
إِذَا وَرَدَ الْفَقِيرُ عَلَى احْتِيَاجِي أَغْثُ لِهَيْفَهُ بِالْمُسْتَدِفِ
وَلَوْ كَانَ الْكَثِيرُ لَقَلَّ عِنْدِي وَاهْوَنَ بِالطَّفِيفِ الْمُسْتَطَفِ

تذمره مع قلة المال

وكان يجب أن يكون ذا سعة ، فينفق من ماله في وجوه الخير ما يريد ؛ ولكن الأيام جاءت على غير ما يريد ، فكان يتذمر من قلة المال . ونرى من هذا النوع صوراً في كلامه كقوله :

قَدْ عَدَا الْقَوْمُ لِلْمُضَارِ قَنَالُوهُ وَبِتْنَا وَمَنْ لَنَا بِالزُّبُوفِ ^(١)

تذمره من اتهامه بالفسق

كان بعض الناس يرون أو يسمعون ما كات عليه أبو العلاء من سعة العلم والجاه ؛ فكانوا يظنون أنه مليء مومر ؛ ويطلبون منه ما يطلب من المومرين ، فكان يتذمر من هذه التهمة ، لأنه لا يستطيع أن يصف كل طالب بما طلب ؛ وقد ألمع إلى ذلك في مثل قوله :

وَأْتَهَامِي بِالْمَالِ كَلَّفَ أَنْ يُطْلَبَ مِنِّي مَا يَقْتَضِي التَّخْوِيلُ ^(٢)
وَيَقُولُ الْغَوَاةُ خَوَّلَكَ اللَّهُ كَذَبْتُمْ لِعَيْسَى التَّخْوِيلُ

(١) اللزومات ٨ ص ٢٩٢ .

(٢) اللزومات ٨ ص ٢٠٢ .

تذمره من قلة حظ

وكذلك كان يتذمر من قلة حظه فيقول :

مَا بَالُ حَظِّي عَنِّي قَاعِدًا أَبَدًا

إِنْ كَانَ مِنْ نَبْتِ أَرْضٍ فَأَسْمُهُ الْبُرْكُ^(١)

فناحه في مطعم ومطبخ

الطعام :

قنع أبو العلاء من متع الدنيا ولذاتها بما يقيم صلبه بما قننته الأرض ، وترقق عن أكل الحيوان وما تولد منه ، إذ لا يوصل الى ذلك إلا بايلاام الحيوان أو حرمانه قوته ، وقد ألمح إلى ذلك في مثل قوله :

يُقْنِعُنِي بُلْسُنُ يُعَارَسُ لِي وَإِنْ أَتَشْنِي حَلَاوَةً قَبْلَسُ^(٢)
وقوله :

أَبَى اللَّهُ أَخْذِي كَرَّ ضَائِنٍ وَمَاعِزٍ

وإِذْ خَالِي الْأَمْرَ الْمُضِرَّ عَلَى السَّخْلِ^(٣)

اللباس :

واكتفى من مظاهر الزينة بما يستر جسمه ، كما قال :

لِبَاسِي الْبِرْسُ فَلَا أَخْضَرُ وَلَا خَلُوقِي وَلَا أَدْكُنُ^(٤)

(١) الزوميات ٥ ص ١٨٣ .

(٢) الزوميات ٥ ص ٣٢٦ .

(٣) الزوميات ٥ ص ٢١٠ . وط . زند ٢١٠/٢ وفي الأصل : د أبي الله أسكني ...

(٤) الزوميات ٥ ص ٢٦٣ .

وكان يلبس ثوباً له ظهارة وليس له بطانة ، فيتحمل أذى البرد على حد قوله :

أَجَاهِدُ بِالظَّهَارَةِ حِينَ أَشْتُو وَذَلِكَ جِهَادٌ مِثْلِي وَالرَّابِاطُ^(١)

ولم تكن نفسه لتطمح إلى أن يجيا حياة الترفين ؛ كما يدل على ذلك قوله :

فَمَا أَتَمَنَّى أَنِّي كَأَجَلِّكُمْ وَلَكِنْ أَضَاهِي الْمُفْتَرِينَ الصَّعَالِكَا^(٢)

ولم تحدته قط أن يدخل على قوم فينال من طعامهم أو شراهم ؛ وقد أشار إلى هذا في مثل قوله :

مَا أَنَا بِالْوَاغِلِ يَوْمًا عَلَى الْ—شَرْبِ وَلَا مِثَايَ بِالْوَارِشِ^(٣)

عدم قبوله نعم من أحد

توهم بعض المعاصرين فظن أن أبا العلاء كان ينال من أخواله شيئاً من الأموال ، وأنه كان يقبل شيئاً من الهدايا . وقد بينا بطلان ذلك فيما سبق . وقوله في (لزوم ما لا يلزم) :

وَلَمْ يَخْبُنِي أَحَدٌ نِعْمَةً وَلَكِنْ مَوْلَى الْمَوَالِي حَبَابًا^(٤)

صريح في أنه لم يطلب نعمة من أحد إلا الله تعالى .

تذمره من اعتدول مجمر

ألح السقم على أبي العلاء ، فلا يكاد يودع علة حتى يستقبل أخرى ؛

(١) اللزوميات ٥ ص ١٧٧ .

(٢) اللزوميات ٥ ص ١٨٥ .

(٣) اللزوميات ٥ ص ٣٢٨ . والوارش : الذي يدخل على الغوم وم يأكلون .

(٤) اللزوميات ٥ ص ٤٤ .

ولذلك ترى صوراً من تأله وتذمره في مثل قوله :

وَدِدْتُ أَنِّي مِثْلُ السَّيْفِ لَيْسَ لَهُ حِرٌّ إِذَا قُلْتُ أَوْرَثْتُ لَهُ خِطْلٌ^(١)

وقوله :

مُنْجَتِي حِنْدٌ يُحَارِبُنِي أَنَا مَنِّي كَيْفَ اخْتَرِسُ^(٢)

وقوله :

شَخْصِي هَذَا غَرَضٌ لِلرَّدَى وَلَمْ يَزَلْ مَعْدِنَ عِصْيَانٍ^(٣)
مِنْ كُلِّ قَنْ فِيهِ أُعْجُوبَةٌ كَأَنَّهُ جَامِعُ سُفْيَانٍ

وقوله :

وَأَخْلَقَنِي مَرُّ الزَّمَانِ وَكَدُّهُ فَصَارَ أُدِيمِي كَالسَّقَاءِ الْمُرْمِ^(٤)

تذمره من العمى

عمى أبو العلاء صغيراً ، فعال عماء بينه وبين متع الحياة . وشاهد الطبيعة التي لا تدرك إلا بالبصر ؛ ولذلك عدَّ العمى سجناً ، ويتمثل بتذمره به في مثل قوله :

عَمَى الْعَيْنِ يَتَلَوُّهُ عَمَى الدِّينِ وَالْهُدَى

فَلَيْلَتِي الْقُضْوَى ثَلَاثُ لَيَالٍ^(٥)

(١) اللزومات ٥ ص ١٩٦ .

(٢) اللزومات ٥ ص ٣١١ .

(٣) اللزومات ٥ ص ٢٨١ .

(٤) اللزومات ٥ ص ٢١٥ .

(٥) اللزومات ٥ ص ٢١٢ .

وقوله :

عَجِبْتُ مِنَ الصُّبْحِ الْمُنِيرِ وَضَدُّهُ عَلَى أَهْلِ هَذِي الْأَرْضِ يَطْلَعَانِ^(١)
وَقَدْ أَخْرَجَانِي بِالْكَرَاهَةِ مِنْهُمَا كَأَنَّهُمَا لِلضِّيقِ مَا وَسِعَانِي

نبرم بالجدرى

في كلامه كثير من الأبيات التي تفيض بالحسرات واللوعة من الجدرى الذي شان وجهه وذهب بصره ، يتمثل ذلك في مثل قوله :

وَشِقْوَةٌ غَشِيَتْ وَجْهِي بِنُضْرَتِهِ أَبْرِي مِنْ نَعِيمٍ جَرَّ إِشْحَاطِي^(٢)
ونحو ذلك من الأبيات التي تقدم بعضها .

نضمره من زهاب أسنانه

فَمَيَّ أَخَذَتْ مِنْهُ اللَّيَالِي وَإِنْسِي لَا تُشْرَبُ مِنْهُ فِي إِنْاءٍ مُثْلَمٍ^(٣)
وَأَوْدَى بِظُلْمِ الشَّغْرِ صُبْحٌ وَحَنْدِسٌ

مَتَى يَنْظُرُ فِي نَيْرِ الْعَيْنِ بِظُلْمٍ

ولكثرة ما كان ينتابه من الأرزاء والعلل الموجعة فمى أن يكون صخرة

لا تحس ولا تتالم . وقد أشار إلى هذا في مثل قوله :

تَهَمَّيْتُ أَنِّي مِنْ هَضَابٍ يَلْمَلَمُ إِذَا مَا أَتَانِي الرُّزْءُ لَمْ أَتَأَلَمُ^(٤)

(١) الزمومات ٥ ص ٢٧٤ .

(٢) الزمومات ٥ ص ٤٩ .

(٣) الزمومات ٥ ص ٢٧٤ .

نصبره من الدنيا

نظر أبو العلاء إلى كل شيء في الدنيا ، وإلى عاقبته ، وإلى تصرف الدنيا برفع الوضيع ووضع الرفيع وإسعاد الجاهل وإشقاء العاقل ، وإلى غلبة خيرها على شرها ؛ ونحو ذلك من الأمور التي إذا تأملها العاقل استخف بالدنيا ونقم عليها فأبغضها وأعرض عن لذاتها اللاتي لا تلبث أن تزول وتبقى تبعاتها في الدنيا والآخرة ؛ وقد أكثر في (لزوم ما لا يلزم) من تحقير شأنها والحض على الزهد فيها ، وعدم الاغترار بها ؛ وإنك لترى ألواناً مختلفة من ذلك تتسل في مثل قوله :

وَوَجَدْتُ دُنْيَانَا تُشَابِهُ طَامِثًا لَا تَسْتَقِيمُ لِنَاكِحٍ أَقْرَأُهَا^(١)

وقوله :

وَكَيْفَ أَقْضِي سَاعَةً بِمَسْرَةٍ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مِنْ غَرَمَائِي^(٢)

قوله :

مَنْ يَغْتَبِطُ بِمَعِيشَةٍ فَأَمَامَهُ نُوبٌ تُضِلُّ عَنْهُ فَجَعَلْنَا^(٣)

نبره بالحياة

عرف أبو العلاء أن الحياة كلها تعب ، وأن الحي بين عاملين يتجاذبان ، إما عفاف عن الدنيا ومتعها ، وإما افتتان فيها ؛ وكلا الحالين يعقبه الموت ، وبعد الموت يؤرل العفيف إلى الجنة ، والمفتون إلى النار ؛ ولكن

(١) اللزومات ٥ ص ٢٣ . وفي ط زند ١/٦٦ . وفي الأصل « لا تستقر لناكح ... »

(٢) اللزومات ٥ ص ٢٦ .

(٣) اللزومات ٥ ص ٦١ .

النفس أمارة بالسوء ، والدنيا غرارة مغرية بمنها ونعيمها ، ولا يستطيع أن يكبح جماح نفسه إلا التزير اليسير . وانظر الى قوله :

وَهِيَ الْحَيَاةُ فَعِثَّةٌ أَوْ فِتْنَةٌ ثُمَّ الْمَمَاتُ فَجَنَّةٌ أَوْ نَارٌ^(١)

وإلى قوله :

أَرَى جُرْعَ الْحَيَاةِ أَمْرٌ شَيْءٌ فَشَاهِدُ صِدْقِ ذَلِكَ إِذْ تُقَاهُ^(٢)

وقوله :

الْعَيْشُ شُرْأْدَى إِلَى ضُرٍّ وَمَهْلَكَةٍ لَوْلَا الْحَيَاةُ لَكَانَ الْجِسْمُ كَالصَّمِّ^(٣)

ونحو ذلك من الأبيات يتبين لك أن أبا العلاء ناقم من الحياة ، متبرم بها ، وأنه يفضل الموت عليها ، لأن فيه راحة للجسم من عناء لا ينقطع ، وبلاء كلما نفذ تجدد ، ويشير الى ذلك في مثل قوله :

وَالْعَيْشُ دَائِمٌ وَمَوْتُ الْمَرْءِ عَافِيَةٌ إِنْ دَاوَاهُ بِتَوَارِي شَخْصِهِ حُسِمًا^(٤)

وزاد على ذلك فجعل الموت فضيلة في قوله المتقدم :

وَيَدُلُّنِي أَنَّ الْمَمَاتَ فَضِيلَةٌ

واستدل على هذا بقوله :

لَوْلَا نَفَاسَتُهُ لَسُرَّ لِسُرُّهُ نَهْجُهُ

(١) الزوبيات ٥ ص ١٣٢ .

(٢) الزوبيات ٥ ص ٢٣ .

(٣) الزوبيات ٥ ص ٢١٨ .

(٤) الزوبيات ٥ ص ٢٤١ .

١. الجامع لأخبار أبي العلاء ٢ .

صبره من طول الحياة

من الطبيعي أن يأس من طول الحياة إذا كان سئم منها ، وفي أقواله كثير مما يدل على حبه للخلاص منها ؛ لأنه يجد فيه راحة من عناء يمكن الاستغناء عنه أو الإقلال منه ، ووصولاً الى غاية لا بد منها . وقد لمح الى ذلك في مواطن مثل قوله :

قَدْ طَالَ عُمرِي طُولَ الظَّفَرِ فَاتَّصَلَتْ

بِهِ الْأَذَاةُ وَكَانَ الْحَظُّ لَوْ قَلِمًا^(١)

صبره وما هوته عليه فلا المال وكثرة العُزراء

من عاش ديشة أبي العلاء ، وقضى عمره في مثل ما قضاء من الفاقة والمسر ، والعمى والضر ، وتتابع الكوارث ، وقلة المساعد ؛ من حقه أن يضجر ويتبرم ، وأن يستكبر ما هو فيه ، ويملا الدنيا شكوى وسخطا ؛ ولكنه نظر الى حاله نظر عقل قرأى أن القسم بيد الله ، وأن المآل الى الإعدام والفقر ؛ وأن قلة العيال أحد اليسارين ؛ وأن عدم الوارث يخفف من الكوارث ، فصبر على ما جرى به القدر ، ورضي بما جرى به القضاء . وقد ألمع الى هذا في مثل قوله :

صَبِرْنَا لِحُكْمِ اللَّهِ وَالنَّفْسُ حُرَّةٌ

وَقَدْ عَلِمَتْ فَضْلَ التَّغَاوُتِ فِي الْقَسَمِ^(٢)

وقوله :

(١) اللزومات ٥ من ٢١٢ .

(٢) اللزومات ٥ من ٢١٤ .

وَهَوْنًا إِنْغَدَامِي عَلَيَّ تَحَقُّقِي بِأَنِّي وَإِنْ طَالَ التَّمَكُّثُ أَعْدَمٌ^(١)

وقوله :

وَهَوْنًا أَرْزَاءَ الْحَوَادِثِ أَنِّي وَحِيدٌ أُعَانِيهَا بِفَقْرِ عِيَالٍ^(٢)

وقوله :

إِذَا تَخَلَّفْتُ أَوْ خُلِفْتُ عَنْ أَمَلٍ سَلَى هُمُومِي أَنِّي لَيْسَ لِي خَلْفٌ^(٣)

تجملوه متى لا يشتم به فهو مرم

كان أبو العلاء محوداً على فضله ومنزله ، وكان حساده وخصومه يتربصون به السوء ، ويتسقطون زلاته وعبوبه ، ليشوهوا سمعته ويطفنوا سمعته ؛ فكان يحترس منهم ويتجمل لهم ، ويريم البأساء نهما . وقد أشار الى ذلك في كثير من أقواله ؛ منها قوله :

إِنِّي أُوَارِي خَلَّتِي فَأُرِيهِمْ رِيّاً وَفِي سِرِّ الْقَوَادِ أُوَارِ^(٤)

عدم أسف على الفضل

ولم يكن أبو العلاء ليأسف على عدم النذل . لأنه يمتدح أن إبقاءهم في الظهور كرامة لهم ، وأن عدم يقيهم من المصائب التي يسببها الوجود ؛ فأراد في إبقائهم في عدم إراحتهم بما يعانیه غيرهم ، وأنه لو أنسل لجاء

(١) الزوبيات • س ٢٢٩ .

(٢) الزوبيات • س ٢١٢ .

(٣) الزوبيات • س ٢٩٢ .

(٤) الزوبيات • س ١٢٠ .

بذل خيس ، ولجنى على بلبه . وقد ذكرنا شيئا من أبيانه الدالة على ذلك مثل قوله :

وإِذَا أَرَدْتُمْ لِلْبَيْنِ كَرَامَةً فَالْحَزْمُ أَجْمَعُ تَرْكُهُمْ فِي الْإِظْهَرِ^(١)
وقوله :

وَأَرَحْتُ أَوْلَادِي فَمُتُّ فِي نِعْمَةِ السَّعْدِ
وقوله :

لَوْ أَنَّ بَنِي أَفْضَلُ أَهْلِ عَصْرِي لَمَّا أَثَرْتُ أَنْ أَحْظَى بِسَنْدِ^(٢)
فَكَيْفَ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مِثْلِي خَسِيسٌ لَا يَجِيءُ بِغَيْرِ قَسَلٍ
وقوله :

أَبُوكَ جَنَى شَرًّا عَلَيْكَ وَإِنَّمَا
هُوَ الضَّبُّ إِذْ يُسْدِي الْعُقُوقَ إِلَى الْحَسَلِ^(٣)

نذره من ولادة الأمر

أكثر أبو العلاء من التضرع والشكوى من الأحكام وجورهم ومجاوزتهم حدود ما وضع لهم البشر وما شرعه الله ؛ وقد ذكرنا كثيراً من الأمثلة الدالة على ذلك كقوله :

مُلِّ الْمَقَامُ فَكَمْ أَعَاشِرُ أُمَّةٍ أَمَرْتُ بِغَيْرِ صَلَاحٍ أَمْرًا وَهَآ^(٤)

(١) الزوميات ٥ ص ١٤٧ .

(٢) الزوميات ٥ ص ٢١٨ .

(٣) الزوميات ٥ ص ٢١١ .

(٤) الزوميات ٥ ص ٢٣ .

وقوله :

وَلَاةُ الْعَالَمِينَ ذِنَابُ خَتْلِ تَكُونُ مِنَ الشَّقَاءِ رُعَاةُ فِرَزٍ^(١)

نفسه من العلماء الفقهاء

وهذا كثير في شعره كقوله :

وَلَمْ أَمِنْ عَلَى الْفُقَهَاءِ حَبْسًا إِذَا مَا قِيلَ لِلْأَمْنَاءِ جُوزُوا^(٢)

• • •

وَكَمْ مِنْ فَقِيهٍ خَابِطٍ فِي ضَلَالَةٍ

وَحُجَّتُهُ فِيهَا الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ^(٣)

نبرم بالنساء

سيأتي رأيه في المرأة ، وإسرافه في سوء الظن بها ، ويكفيك من أقواله المتعددة في ذلك قوله :

بَذَى السَّعَادَةِ أَنْ لَمْ تُخْلَقِ أَمْرَاءُ فَمَلْ تَوَدُّ جَمَادَى أَنْهَا رَجَبُ^(٤)

نبرم بالانصحاب

لقد جرب أبو العلاء دهره وأهليه ، فما تركت له التجارب غرضاً في مودة أحد منهم ، ولم يرض عن صاحب اختبره . وأشار إلى هذا في مثل قوله :

(١) اللزوميات ، ص ١٥٤ . والنزر : الطبع من النثر .

(٢) اللزوميات ، ص ١٧٣ .

(٣) اللزوميات ، ص ١٩٥ .

(٤) انظر ما سبق ص ١١٨٠ .

أَمَّا الْأَنَامُ فَقَدْ جَرَّ بِثَمِّ زَمَانَا فَمَارَضِيَتْ مِنَ الْخُلَانِ مَضْحُوبًا^(١)

نبره بالناس

وشاهد أصفافاً من الناس فلم ير في أحد منهم ما يحمده :

لَعَنِي لَقَدْ شَاهَدْتُ عُجْمًا كَثِيرَةً

وَعُرْبًا فَلَا عُجْمًا حَمِدْتُ وَلَا عُرْبًا^(٢)

ولم تعجبه شيمة لأحد من الناس على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم
كما قال :

وَمَا أَعْجَبَنِي لِابْنِ آدَمَ شِيْمَةٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ مَسُودٍ وَسَائِدٍ^(٣)

وقد خبر البرايا وعرض سجاياهم وما هم فيه على محك العقل ، فلم ير
فيهم غنياً حقيقة :

وَجَدْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ فَهِيْرًا وَيُعَدُّمُ فِي الْأَنَامِ الْأَغْنِيَاءُ^(٤)

ولا وجد فيهم كريماً إلا في الاسم :

وَيُقَالُ الْكِرَامُ قَوْلًا وَمَا فِي أَلْدَهْرِ إِلَّا الشُّخُوصُ وَالْأَسْمَاءُ^(٥)

بل تجاوز إلى أبعد من هذا المدى فقال :

(١) الزمريات ٥ ص ٤٠ .

(٢) الزمريات ٥ ص ٣٨ .

(٣) الزمريات ٥ ص ١٠٥ .

(٤) للزمريات ٥ ص ٢٢ .

(٥) الزمريات ٥ ص ٢٤ ، وفيها : « وما في الصر ... » .

مَا كَانَ فِي الْأَرْضِ مِنْ خَيْرٍ وَلَا كَرَمٍ
فَضَّلَ مَنْ قَالَ إِنَّ الْأَكْرَمِينَ قَنُوءٌ^(١)

ولا رأى فيهم طاهراً من أدناس النقائص ، وأرجاس الرذائل ، وإن
من يسى طاهراً تكون تسميته من باب تسمية الشيء بضده :
وَكَذَلِكَ يُدْعَى طَاهِراً مَنْ كُلُّهُ نَجَسٌ وَيُفْقَدُ فِي الْأَنَامِ الطَّاهِرُ^(٢)
ولقد توسع في هذا الغرض ، وفصله تفصيلاً على استقراء واستقصاء ،
وأجل القول في مواطن منها قوله :

وَسَكَنَ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ ذَمِيمٌ صَرِيحُهُمُ الْمَذْبُوبُ وَالسَّبِي^(٣)
وقوله :

بَنِي الْأَرْضِ مَا فَوْقَ التُّرَابِ مُوَفَّقٌ
لِرُشْدٍ وَلَا تَحْتَ التُّرَابِ سِوَى فَئِلٍ^(٤)

نصبره من البعد

خبر أبو العلاء البلاد كما خبر أهلها ، وتقرى طبانها ، وسبّر أهلها ،
فلم ير بلداً يحمد بل :
كُلُّ الْبِلَادِ ذَمِيمٌ لَا مُقَامَ بِهِ وَإِنْ حَلَّتْ بِلَادَ الْوَبْلِ وَالرَّهْمِ^(٥)

(١) اللزومات ٥ ص ٢٦١ .

(٢) اللزومات ٥ ص ١٢٧ .

(٣) اللزومات ٥ ص ٣٤٣ .

(٤) اللزومات ٥ ص ٢١٠ .

(٥) اللزومات ٥ ص ٢٤٧ . وط زند ٣٠١/٢ . وب الأصل : ولو حلت . . .

وقد دلته التجارب على أن الشام مؤم ، واليمن ليس فيها من ،
والحجاز محتجز عن الخيرات ، وأن العراق تنقد فيه نار الفتن والحروب ؛
وأرشدته البحث مع التجارب إلى أن مصر والحجاز والعراق والشام
لا نستطيع أن نحمي ملكاً من عادية الأعداء الخارجين ، لاشتغالها بالفتن
والحروب الداخلية ، كما أشار إلى ذلك في مواطن من شعره : وتبين له
أن الإنسان م سبب الفتن في كل مكان :

وَأَخِيرُ بِلَادِ اللَّهِ مَا كَانَ خَالِيًا

مِنَ الْإِنْسِ فَأَسْكُنَ فِي الْقِفَارِ الْبَسَاسِ^(١)

تبرم بالناس ومهاجرتهم

ورأى أبو العلاء فوق هذه الأسباب أن الناس يصاحبون على دخول ،
وأن المرء منهم يلقي أخاه بالبشر والطلاقة ، ويضره الخديعة والمكر ،
ولا يدخر وسعاً في إيصال الأذى إليه حاضراً كان أم غائباً ، يتمثل لك
هذا في مثل قوله :

أَرَاهُمْ يَضْحَكُونَ إِلَى غِشَاءٍ وَتَغَشَّانِي الْمَشَاقِصُ وَالْخَطَا^(٢)

ورأى أن قريهم داء والبعد عنهم دواء :

بُعْدِي مِنَ النَّاسِ بُرْءٌ مِنْ سَقَامِهِمْ

وَقُرْبُهُمْ لِلْحِجَى وَالْدِّينِ أَذْوَاهُ^(٣)

(١) اللزومات ٥ ص ٢٩٨ .

(٢) اللزومات ٥ ص ٢٢ . المشاقص : نعال طول . والخطا : نبال صغار .

(٣) الصمد السابق : وفي الأصل : « بعدي عن الناس ... » .

لأنهم

لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَذُّمُوا كُلَّ مَنْ صَحِبُوا

وَلَوْ أَرَاهُمْ حَصَى الْمَغْزَاءِ يَا قَوْمًا^(١)

وتبين له أنه لا يستطيع أن يفهم ولا يأنف :

فَلَسْتُ لَهُمْ وَإِنْ قَرُبُوا إِلَيَّ كَمَا لَمْ تَأْتِلِفْ ذَالُ وَظَاهُ^(٢)

وستأتي في أغراض شعره أمثلة تدل على تبرمه بالخطباء ، والوعاظ ، ورؤساء المذاهب ، والنحل المختلفة ؛ كما تدل على إنكاره كثيراً من المعتقدات والمزاعم التي يزعمها الناس كلا أو بعضاً ، ونحو ذلك مما يدل على أنه لا يتبع إلا العقل ، ولا يعول إلا على دليل ؛ ويكره أن يحمل الباطل في صورة الحق .

ومنها رفقه بالإنسان وعطف عليه

يختلف نظر أبي العلاء إلى الإنسان ، ويختلف حكمه عليه بحسب الجهة التي ينظر منها إليه ؛ فإذا نظر إليه من جهة أخلاقه ، أعماله صب عليه فقمته وغنى له نارا تحرقه أو ماء يفرقه ، وحذر منه وأنفذ ، وعدد مآثره ، وحض على اجتنابه ؛ كما رأى واسترى في أقواله التي فضل فيها الحيوان الأعجم على الإنسان ، بل فضل الصخر الجامد على الإنسان .

وإذا نظر إليه من جهة أخرى رأى أنه حي يحرص على حياته ، ويشعر بما يؤله ؛ وهو مع ذلك ضعيف في بنيته ، تقطع البعوضة وقتته الذبابة ؛ وقد جاء إلى هذه الدنيا على غير رضى واختيار ، وتأتيه الحوادث

(١) الزوميات ص ٦٣ .

(٢) الزوميات ص ٢٢ .

بغير رضى ولا طلب ، ويمعجز عن دفعها ويحبد نفسه في التماس شيء فيضيق ؛
كل ذلك لضعفه وعجزه .

فإذا نظر إليه من هذه الجهة وأشباهاها عطى عليه ، وحض على مؤازرته
وتخفيف مصائبه ؛ كما تشمر بذلك أقواله الدالة على الرفق بالرفيق :

رَقِيقَكَ أَسْرَى فِي يَدَيْكَ فَلَا تَكُنْ

غَلِيظًا عَلَيْهِمْ وَاتَّقِ اللَّهَ فِي الْأَنْسَرِ (١)

وأبياته الدالة على الإحسان الى البائس ومشاركته في النعمة :

كَيْفَ لَا يَشْرِكُ الْمُضِيقِينَ فِي النَّعْمَةِ قَوْمٌ عَلَيْهِمْ نِعْمَاءُ (٢)

وما شاكل ذلك من أقواله الدالة على بر الوالدين ، والعطف على المرأة ،
وترك الحروب ، والنهي عن الظلم ، ومضاربة النساء .

السرف بالحيوان

بالغ أبو العلاء في الرفق بالحيوان ، وحض الناس على العطف عليه ،
وأسرف في ذلك حتى جعل إطلاق البرغوث أمراً من إعطاء الإنسان المحتاج
درهما ؛ رستائي أمثلة من قوله في ذلك عند الكلام على أغراض شعره .

إيمانه وتقاه

وفد تقدم ؟ رستائي شيء من أبياته الدالة على إيمانه وتقاه ، وإخلاصه
وصدقه وجه الخير ، وما شاكل ذلك من الحاصل الحمودة .

(١) الزوميات ٥ ص ١٤٨ .

(٢) الزوميات ٥ ص ٢٤ ، وفي الأصل : « عليهم النعماء » .

وقاره

كان أبو الملاء رزيناً وقوراً ، ولم يؤثر عنه ما يدل على خفة أو طيش أو غيرهما في أعماله ؛ وأما في أقواله فقد كان كثير الوقار ، كما ينسر به قوله :

وَتُؤَثِّرُ حَالَةَ الزَّمِيَّتِ نَفْسِي وَأَكْرَهُ شَيْخَةَ الرَّجُلِ الْمَفْنِ^(١)

وبعد هذا البيت أبيات تدل على إكباره نفسه كقوله :

حَسِبْتُكَ لَوْ تَوَازَنُ بِي ثَبِيراً وَرَضَوَى فِي الْمَكَارِمِ لَمْ تَزْنِيْ

اهتماده بنفسه

كان أبو الملاء على كثرة تواضعه ، ومحاولته إخفاء نفسه شديد الاعتداد بها ، حتى طغى ذلك على فلتات لسانه ، وفي (لزوم ما لا يلزم) كثير من الصور الدالة على هذا ، كقوله :

خُذُوا سِيرِيْ فَهِنَّ لَكُمْ صَلاَحٌ وَصَلَاوَا فِي حَيَاتِنَكُمُ وَزَكَا^(٢)

وقوله :

فَانَسَمِعْ كَلَامِيْ وَحَاوِلْ اِنْ تَعِيشَ بِهِ

فَسَوْفَ اُعَوِّزُ بَعْدَ الْيَوْمِ طُلَّابِيْ^(٣)

* * *

(١) الزوبيات ٥ س ٢٧٨ .

(٢) الزوبيات ٥ س ١٨٤ .

(٣) الزوبيات ٥ س ٤٨ .

سرفة الشعراء أقواله

يعتقد أبو العلاء أن أقواله ، نظماً كانت أو نثراً ، بلغت من الجودة والندرة إلى درجة بعيدة ، حتى إن بعض الناس كانوا يغيرون على ألفاظه فيسرقونها . وقد بين ذلك في مثل قوله :

إِذَا مَا قُلْتَ تُنْثَرُ أَوْ نَظِيماً تَتَّبَعُ سَارِقُو الْأَلْفَاظِ كَفَظِي^(١)

ولقد نظر إلى الناس بلحظ الغيب فلم يخطيء ؛ لأن كثيراً من الشعراء وغيرهم أغاروا على ألفاظه أو معانيه أو كليهما ؛ منهم الطغراني في لاميته ، فإنه أخذ قوله :

وَالشَّمْسُ رَأْدُ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطُّفْلِ

من قول أبي العلاء :

وَالْبَدْرُ فِي الْوَهْنِ مِثْلُ الْبَدْرِ فِي السَّحَرِ^(٢)

ومنهم عمر بن الوردى ، فقد أكثر من الإغارة على ألفاظ أبي العلاء ومعانيه ، من ذلك قوله في (ص ٢٧٥) (٣) :

تَعَبُ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَمَّا—جَبُّ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي الْمَزِيدِ
إِنْ حُزْنَا فِي سَاعَةِ الْعَزْلِ أَضْمًا فُ سُرُورٍ فِي حَالَةِ التَّقْلِيدِ

(١) اللرويات ٥ ص ١٨١ وفيها وفي الأصل : ساروا .

(٢) مروج سبط الزند ق ١ ص ١٤٢ .

(٣) من ديوان ابن الوردي طبعة الجراب سنة ١٣٠٠ هـ .

وقوله في (ص ٢٨٠) :

لَوْ حَطَّ رَحْلِي فَوْقَ النَّجْمِ رَافِعُهُ
أَلْفَيْتُ ثُمَّ خَيْالًا مِنْكَ يَنْتَظِرُ

وقوله في (ص ٢٩٦) :

قَهْلُ أَنَا إِلَّا قَطْرَةٌ مِنْ سَحَابِكُمْ وَلَوْ كُنْتُ فِي الْإِعْرَابِ كَالْعَلَمِ الْفَرْدِ

وقوله في (ص ٣٠٥) :

رَفَعْتُ كُلِّي عَنِ الْأَصْحَابِ كُلِّهِمْ فَلَا أُنْقَلُ فِي مَلٍ وَلَا جَاهٍ

وقوله في (ص ٣١٠) :

قَالُوا 'فَلَانٌ جَيِّدٌ فَأَجَبْتُ أَيْنَ الْجَيِّدِ
إِنَّمَا غَنِيٌّ بِأَخْلٍ أَوْ مُعْسِرٌ يَتَصَيَّدُ

وقوله في (ص ٣١٥) :

أَنَا بَذَرْتُ وَقَدْ بَدَأَ الصُّبْحُ فِي رَأْسِكَ وَالصُّبْحُ طَارِدٌ لِلْبُدُورِ

وقوله في (ص ٣٤١) :

غَيْرَ أَنِّي فِي زَمَانٍ مَنْ يَكُنْ فِيهِ ذَا مَالٍ هُوَ الْمَوْلَى الْأَجَلُ

فالبيتان الأولان مأخوذان من بيتي أبي العلاء المشهورين^(١) بتغيير كلمتي
الغافية ، وإبدال الموت بالعزل .

(١) البيتان :

سب سبها الحياة فإم — جب إلا من راجب في ازدياد
إن حزناً في ساعة الموت أضعا — ف سرور في ساعة للبلاد
انظر ما سبق ص ١٠٧٣ .

والبيت الثالث مأخوذ بذاته إلا أنه بدّل «منتظري» بقوله : «يفتظر»^(١).
والرابع مأخوذ من قصيدة أجاب بها ابن نصر :

وَمَا أَنَا إِلَّا قَطْرَةٌ مِنْ سَحَابِهِ وَلَوْ أَنِّي صَنَّفْتُ الْفِكَابِ^(٢)

والخامس من قوله في قصيدة كتبها إلى أبي حامد الأسفرائيني :

وَلَا أَثْقَلُ فِي جَآءٍ وَلَا نَشَبٍ وَلَوْ غَدَوْتُ أَخَاعُذِمَ وَإِدْقَاعِ^(٣)

والسادس مأخوذ من قوله :

قَالُوا فَلَنْ جَيِّدٌ فَأَجَبْتُهُمْ لَا يَكْذِبُوا مَا فِي الْبَرِّيَّةِ جَيِّدٌ^(٤)

والثامن من قوله :

أَنَا بَذْرٌ وَقَدْ بَدَأَ الصُّبْحُ فِي رَأِي سِكَ وَالصُّبْحُ يَطْرُدُ الْأَقْمَارَا^(٥)

والتاسع من قوله :

كُنْ مَنْ تَشَاءُ مُهَيِّئًا أَوْ خَالِصًا وَإِذَا رُزِقْتَ غَنَى فَأَنْتَ السَّيِّدُ^(٦)

وفي كلام ابن الوردي كثير من هذا مثل قوله :

أَبَا لِإِسْكَندَرَ الْمَلِكِ اقْتَدَيْنَا فَلَيْسَ نُطِيلُ فِي أَرْضِ مُقَامَا^(٧)

(١) اطار شروح سقط الزند : ق ١ ص ١١٩ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٤ ص ١٧٣٣ .

(٣) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٧٥٦ ، وفيها : ولو عددت أخوا ...

(٤) الزمومات ٥ ص ٩٧ وفيها : ... جيد لصديقه

(٥) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٦٥٢ .

(٦) الزمومات ٥ ص ٩٧ .

(٧) ديوانه ط الجوانب ص ٢٣٠ .

وهو من قول أبي العلاء في قصيدة كتبها إلى خاله يقول فيها :

أَبَا لَا يَسْكُنُ دَرِ الْمَلِكِ اقْتَدَيْتُمْ فَمَا تَضْعُونِ فِي بَلَدٍ وَسَادَاً^(١)
وكذلك قوله :

فَلَيْسَ يُزَادُ فِي رِزْقِ حَرِيصٍ وَلَوْ جَابَ الْمَهَامَهَ وَالْإِكَامَاً^(٢)
من قول أبي العلاء :

وَلَيْسَ يُزَادُ فِي رِزْقِ حَرِيصٍ وَلَوْ رَكِبَ الْعَوَاصِفَ كِي يُزَادَاً^(٣)
رامثال هذا كثير في شعره ، ولكننا اجتزأنا بهذا القدر .
وقد شاركت هؤلاء فاخذت قولي :

بَكَتْ بَخْتَهَا حِينَ جَاءَتْ بِأَنْثَى وَنَاحَتْ عَلَيْهَا بُعَيْدَ الْمَعَاتِ
فَقِيمَ الْبُكَاءِ عَلَيْهَا وَمِنْهَا وَدَفَنُ الْبَنَاتِ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ
من قول أبي العلاء :

وَدَفَنُ وَالْحَوَادِثُ فَاجِعَاتُ لِأَحَدَاهُنَّ إِحْدَى الْمَكْرُمَاتِ^(٤)
وهو أخذه من حديث رواه الخطيب عن النبي ﷺ : « دفن البنات
من المكرمات » وقد تكلم فيه وفي رجاله ، وافظي أقرب إلى لفظ
الحديث من لفظ أبي العلاء .

وكذلك أخذت آخر شطر من قولي هذا :

(١) هروح سبط الزند : ق ٢ ص ٧٨٣ .

(٢) ديوانه ط الجواب ص ٢٣٠ .

(٣) هروح سبط الزند : ق ٢ ص ٨٠٢ .

(٤) الزوبيات ص ٦٨ .

إِذَا حَاوَلْتَ أَنْ يَبْقَى صَحِيحًا وَدَاذُكَ لَا يُخَايِرُهُ فَسَادُ
فَلَا تُكْثِرْ بِمَنْ تَهْوَى انْصِلَا وَلَا يَكْثُرْ جَفَاؤُكَ وَالْبِقَادُ
قُرْبُ قَطِيعَةٍ جَلَبَتْ وَدَادًا وَرُبُّ قَطِيعَةٍ جَلَبَ الْوِدَادُ
من قول أبي العلاء :

وَارْضِ بِتَأْفِرِي الْوَحْشِ زَادِي بِهَا لِيُثَوِّبَ لِي مِنْهُنْ زَادُ^(١)
فَأَطْعِمَهَا لِأَجْعَلَهَا طَعَامِي وَرُبُّ قَطِيعَةٍ جَلَبَ الْوِدَادُ
وقد أكثر جماعة من المعاصرين الإغارة على ألفاظه ومعانيه ، أو
أحدهما . منهم أحمد شوقي المصري فإنه أخذ قوله :

لِفَلَاكِ الْمَذْكُرَاتُ عَبِيدُ خُضَّعَ وَالْمُؤَنَّثَاتُ إِمَاءُ
من قول أبي العلاء :

لِلْمَلِكِ الْمَذْكُرَاتُ عَبِيدُ وَكَذَلِكَ الْمُؤَنَّثَاتُ إِمَاءُ^(٢)
وأخذ قوله :

وَمَهْدُ الْمَرْءِ فِي أَيْدِي الرُّوَاقِي كَنَفْسِ الْمَرْءِ بَيْنَ النَّائِحَاتِ
من قول أبي العلاء :

(١) شروح سبط الزند : ق ١ ص ٣١٦ وفيها : لأجملها طعاماً .

(٢) اللزومات - ص ٢٤ .

وَشَبِيهَ صَوْتِ النَّعِيِّ إِذَا فِيهِ سَجَواتُ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادٍ^(١)
وأخذ قوله :

وَالْجَاعِلُونَ سُيُوفَ الْهِنْدِ السُّنَمِ
وَالكَاتِبُونَ بِأَطْرَافِ الْقَنَّا السَّلْبِ
من قول أبي العلاء :

دَعِ الْيَرَاعَ لِقَوْمٍ يَفْخَرُونَ بِهِ وبالطَّوَالِ الرُّذَيْنِيَّاتِ فَافْتَحِرِ^(٢)
فَهِنْ أَقْلَامُكَ اللَّاتِي إِذَا كَتَبْتَ مَجْدًا أَتَتْ بِمِدَادٍ مِنْ دَمٍ هَدَرِ
وغير ذلك من الأبيات المذكورة في ديوانه .

ومنهم جميل الزماري المراقي فإنه أخذ قوله :

خَظَنَهُ النَّاسُ لِلْفَنَاءِ وَإِنِّي مَعَ نَفْصِي حَسِبْتُهُ لِلْبَقَاءِ
وقوله :

فَيَا مَوْتَ رُزْ إِنَّ الْحَيَاةَ تَعَاسَةُ^(٣)
وَيَا نَفْسُ جُودِي إِنْ دَهَرَكَ يَنْخَلُ

(١) شروح سقط الزند ق ٣ ص ٩٢١ .

(٢) شروح سقط الزند ق ١ ص ١٥٦ .

(٣) كفا (ج) .

وقوله :

إِنَّ لِلْعَالَمِ الَّذِي نَحْنُ جُزْءُهُ مِنْهُ كَوْنًا مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ

وقوله :

عَلَّ مَا يُخْشَى مِنْ تُرَابٍ عَلَيْنَا بَفَضِّ أَسْدَادِنَا بِكَفِّ الْحَاثِي

وقوله :

يُطْفِئُ الْمَوْتُ مَا تُضِيهِ الْحَيَاةُ

من قول أبي العلاء :

خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسِبُونَهَا لِلْمَنَافَةِ^(١)

وقوله :

فَيَا مَوْتَ زُرْ إِنِ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ

وَيَا نَفْسُ جِدِّي إِنْ دَهَرَكَ هَازِلُ^(٢)

وقوله :

وَاللَّبِيبُ اللَّبِيبُ مَنْ لَيْسَ يَفْتَرُّ بِكَوْنِ مَصِيرِهِ لِلْفَسَادِ^(٣)

وقوله :

(١) انظر ما قبل الصفحات : ١٠٧٤ - ١٠٧٦ ، حيث دراسة المؤلف لدالية أبي العلاء .

(٢) فروع سبط الرند ٣ ص ٥٣٨ .

خَفَفِ الْوَطءَ مَا أَطْرَأْدِيمَ آأَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
وَقَبِيحٌ بَنًا وَإِنْ قَدُمَ الْقَمْدُ هَوَانُ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
وقوله :

أَرَى قَبَسًا فِي الْجِسْمِ يُطْفِئُهُ الرَّدَى
وَمَا دُمْتَ حَيًّا فَهُوَ ذَا يَتَلَهَّبُ^(١)

سنة علم

استعمل أبو العلاء في (لزوم ما لا يلزم) كثيراً من المسائل العلمية
من علوم مختلفة ، وأشار إلى كثير مما اصطلاح عليه العلماء في فنون
كثيرة في باب التشبيه والتلميح والتورية وغيرها ، فما أشار إليه من علم
اللغة قوله :

مَفْعُولٌ خَيْرٌ لَكَ فِي الْأَفْعَالِ مُفْتَقَدٌ كَمَا تَعَذَّرَ فِي الْأَسْمَاءِ فَعْلُولُ^(٢)
وقوله :

وَأَنْتَ عَلَى الْأَكْوَارِ جَمْعُ الْكَوْرِ وَالْكَوْرِ الْمَسْرَحُ هَذِهِ الْأَكْوَارُ^(٣)

(١) الزوبيات ٥ س ٤٢ .

(٢) الزوبيات ٥ س ١٩٧ .

(٣) الزوبيات ٥ س ١٤٠ .

الكور : بفتح فسكون هو مند النجيين سنة وثلاثون الف سنة . والكور :

بضم أوله ونحوه الطبع العظيم من الإبل والبر .

ومن علم الصرف قوله :

إِذَا مَا دَعِيَ الْقَوْمَ صَاهِي صَرِيحَهُمْ

فَلَا تُنْكِرْنَ وَاعْبُدْهُ آخِرَ عَبْدَلِ^(١)

ومن النحو قوله :

وَتُرْفَعُ أَجْسَادُ وَتُنْصَبُ مَرَّةً

وَتُخَفَضُ فِي هَذَا التَّرَابِ وَتُجْزَمُ^(٢)

ومن علوم البلاغة قوله :

نَطَقْتُ أَلْسُنُ الْحَمَامِ وَبِأَلَايَ—جَازِجَاءَتْ وَكَثْرَةُ الْإِطْنَابِ^(٣)

وقوله :

وَلَيْسَ عَلَى الْحَقَائِقِ كُلِّ قَوْلِي وَلَكِنْ فِيهِ أَصْنَافُ الْمَجَازِ^(٤)

ومن العروض قوله :

خَبَرَ الْحَيَاذَ شُرُورَهَا وَسُرُورَهَا مَنْ عَاشَ عِدَّةَ أَوَّلِ الْمُتَقَارِبِ^(٥)

ومن القوافي قوله :

كَالْبَيْتِ أُفْرِدَ لَا إِضَاءَ يُدْرِكُهُ وَلَا سِنَادَ وَلَا فِي اللَّفْظِ اقْوَاءُ^(٦)

(١) الزوبيات ٥ ص ٢١١ .

(٢) الزوبيات ٥ ص ٢٢٨ .

(٣) الزوبيات ٥ ص ٥١ .

(٤) الزوبيات ٥ ص ١٧٤ .

(٥) الزوبيات ٥ ص ٥٣ .

(٦) الزوبيات ٥ ص ٢٢ .

ومن الفقه قوله :

يَا آيَتَ آدَمَ كَانَ خَلَقَ أُمَّهُمْ أَوْ كَانَ حَرَمَهَا عَلَيْهِ ظَهَارُ^(١)

ومن الفرائض قوله :

وَالْأُمُّ بِالسُّنْسِ بَاءَتْ وَهِيَ أَرَأَفُ مِنْ

بِئْتِ لَهَا النِّصْفُ أَوْ عَرَسَ لَهَا الرُّبْعُ^(٢)

وستأتي أمثلة من أقواله التي تشمل على مسائل ومصطلحات من علوم أخرى ، كالحساب ، والهندسة ، والطبيعات ، والمنطق ، والفلسفة ، والنظم ، وغيرها ؛ وأمثلة تشير إلى مسائل ومصطلحات تتعلق بالتاريخ والعقائد .

النقد

لا نعلم في شعراء العربية من هو أوسع علماً وأدق حياً وأجراً قلباً من أبي العلاء ؛ فقد تناول في شعره نقد كثير من المعتقدات ، والمزاعم المختصة بالمسلمين والعامة لهم ولغيرهم من الأمم في عصره وفي العصور التي قبله . وسبيله في النقد لا يكاد يعدو أموراً ثلاثة ، أحدها : أن يقيم الدليل على بطلان القضية . والثاني : أن يردّها على سبيل التهكم والاستخفاف . الثالث : أن يكذبها أو يأتي بما يدل على تكذيبها .

فالأول كقوله :

لَمْ يَسْقِكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ حُسْنِ فِعْلِكُمْ

وَلَا حَمَاكُمْ غَمَاماً سُوءَ أَعْمَلِ^(٣)

(١) التروميات هـ س ١٣١ ، والظهار : قول الرجل لاسرته أنت علي كظهر أبي .

(٢) التروميات هـ س ٢٨٢ وفيها : « وَالْأُمُّ بِالسُّنْسِ عادت » .

(٣) التروميات هـ س ٢١٥ .

وَلِئَنَّمَا هِيَ أَقْدَارُ مَرْتَبَةٍ مَا عَلَقْتِ بِإِسَاءَاتٍ وَلَا جَمَالٍ
دَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّ الْحُرَّ أَغْوَزَهُ قُوْتُ وَأَنْ سِوَاهُ فَازَ بِالْمَالِ

وَقَدْ يُشَبِّهِ الْإِنْسَانَ جَاءَ لِرُشْدَةٍ بَعِيدَا وَيَعْدُو شَبِيهُهُ الْخَالُ وَالْعَمَّا^(١)
وَأَنْتُ أَرَى فِي مَوْلِدٍ مُحْكَمٍ فَاتِفٍ
وَكَمْ مِنْ نَوَاةٍ أَنْبَتَتْ سُحْقًا عُمَا

والثاني كقوله :

قَالَتْ رِجَالٌ عُقُولُ الشَّهْبِ وَافِرَةٌ لَوْ صَحَّ ذَلِكَ قُلْنَا مَسْهَا خَرَفٌ^(٢)
رقوله :

مَضَى قَيْلٌ مِصْرَ إِلَى رَبِّهِ وَخَلَى السِّيَاسَةَ لِلْخَائِلِ^(٣)
وَقَالُوا : يَبُودُ فَقُلْنَا : يَجُوزُ بِقُدْرَةِ خَالِقِنَا الْآئِلِ
إِذَا هَبَّ زَيْدٌ إِلَى طَيْرِهِ وَقَامَ كُأَيْبٌ إِلَى وَائِلِ

والثالث كقوله :

قَدْ عِشْتُ عُمْرًا طَوِيلًا مَا عَلِمْتُ بِهِ حَسَا يُحَسُّ لِحَنِيٍّ وَلَا مَلِكٍ^(٤)

• • •

(١) اللزوميات ٥ ص ٢٣٩ . والحق : مفردهما - حقوق وهي النخلة الطوية ، وكذلك النخلة العسبة : الطوية ، وجمعا 'عم' .

(٢) اللزوميات ٥ ص ٢٩٠ .

(٣) اللزوميات ٥ ص ٢٢٤ . والآيل فاعل من آل ، وآل الرعية : دبر أمرها .

(٤) اللزوميات ٥ ص ١٨٩ .

رقوله :

مَا أَقْبَحَ الْمَيْنَ قُلْتُمْ لَمْ يَشِبْ أَحَدٌ

حَتَّى أَتَى الشَّيْبُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أُمِّ^(١)

كَذَبْتُمْ وَنَجُومُ اللَّيْلِ شَاهِدَةٌ إِنَّ الْمَشِيبَ قَدِيمًا حَلَّ فِي اللَّعَمِ

هَذَا أَلْبَيَاضُ رَسُولِ الْمَوْتِ يَبْعَثُهُ فِي كُلِّ عَصْرِ إِلَى الْأَجْيَالِ وَالْأُمَمِ^(٢)

الحكم والأمثال

أكثر أبو العلاء من الحكم والجلل الجارية مجرى الأمثال في (لزوم

مالا يلزم) كقوله :

إِذَا أَلِفَ الشَّيْءُ اسْتَهَانَ بِهِ الْفَتَى فَلَمْ يَرَهُ بُوسَى تُعَذُّوهُ لَا نَعْمَى^(٣)

وقوله :

وَقَدْ يُلْفَى الْبَعِيدُ عَلَى نَوَاهُ أَعَزَّ عَلَيْكَ مِنْ خَالٍ وَعَمٍّ^(٤)

وقوله :

مَنْ يَفْقَدِ الْحَسَّ لَا يُعْرِفُ بِمُخْزِيَةٍ

إِنَّ الذُّبَابَ مَتَى يَفْطُو الْجَنَى يَنِمُّ^(٥)

(١) اللزومات ٥ ص ٢٤٨ .

(٢) في الأصل : هـ هنا الغيب رسول

(٣) انظر ما سبق ص ٩٣٥ .

(٤) اللزومات ٥ ص ٢٥١ .

(٥) اللزومات ٥ ص ٢٤٨ .

ابنظر المعاني

وفي (لزوم ما لا يلزم) كثير من المعاني التي اخترعها أبو العلاء ولم نعرفها لأحد من تقدمه ، كقوله :

وَلَوْ يُرْجَى مَعَ الشَّرْكَاءَ خَيْرٌ لَمَا كَانَ الْإِلَهِ بِلَا شَرِيكَ^(١)
وقوله :

كَجَاوِرِ الْعَيْنَيْنِ لَنْ تَتَلَاقِيَا وَحِجَازُ بَيْنَهُمَا قَصِيرُ جِدَارٍ^(٢)
وقوله :

كَمْ أَحْرَزَ الْمَالَ الْمُقِيمُ بِجَدِّهِ وَسَعَى الْحَرِيسُ فَعَادَ غَيْرُ مُمُولٍ^(٣)
وَرَأَيْتُ شَرَّ الْجَارِ يَشْمَلُ جَارَهُ
كَرَّحَى الْقَمِ انْتَزَعَتْ بِذَنْبِ الْمَقُولِ

الخيال

من طبيعة الأغراض التي نظم فيها (لزوم ما لا يلزم) أن يقل فيها الخيال ، لأن أكثرها في تمجيد الله ، والموعظة ، والتحذير من الدنيا وأهلها ، والبحث في العقائد ، والعادات ، ونقدها ، وما أشبه ذلك . وهذه لا سبيل فيها إلى الخيال ؛ ومع هذا فإن في (لزوم ما لا يلزم)

(١) انظر ما سبق ص ٩٤٢ .

(٢) انظر ما سبق ص ٩٤١ .

(٣) الزوميات ص ٢٢٠ .

أبياتاً كثيرة تشتمل على صور خيالية بدعية . منها الأبيات القافية :
قُلْ لِلْحَمَامَةِ قَدْ أَصْبَحَتْ شَادِيَةً فَهَجَتْ لِلذَّاكِرِ الْمَحْزُونِ تَشْوِيْقًا^(١)
والأبيات الميسية :

أَيَا دِيكَ عُدْتُ مِنْ أَبَادِيكَ صَيْنَةً
بَعَثَتْ بِهَا مَيِّتَ الْكَرَى وَهُوَ نَائِمٌ^(٢)
والأبيات الميسية :

أَعِزِّمْ إِنْ غَشِيَتْ أَلْفَيْتِ نَادِيًا فَلَا تَغْنِيْ فِي الْأَصَائِلِ عِزِّمًا^(٣)
والأبيات الميسية :

لَوْ كَانَ يَذْرِي أُوَيْسٌ مَا جَنَّتْ يَدُهُ
لَاخْتَارَ دُونَ مُغَارِ الثَّلَّةِ الْعَدَمَا^(٤)



ثم الجزء الثاني ربه الجزء الثالث وهو الأخير

وأول : فلسفة أبي العلاء المصري

(١) الزرويات ٥ ص ٣٠٤ .

(٢) الزرويات ٥ ص ٢٣٠ .

(٣) الزرويات ٥ ص ٢٤٠ . والصكرمة : الحماة .

(٤) الزرويات ٥ ص ٢٤١ . أُوَيْس : اسم الذئب . والنار : الإغارة . والته :
بالفتح جماعة النعم ، وبالفهم جماعة الناس .

فهرس الكتاب (*)

(*) سلع كتاب (الجامع في أخبار أبي العلاء المرعي وآآآره) في ثلاثة أجزاء ،
وقد رأينا أن ثبت فهرسه العامة التفصيلة في ذيل الجزء الأخير ، والصرفنا
في هنا الجزء على فهرسة أبوابه وفصوله موجزة ، كما فعلنا في الجزء السابق .

الصفحة	الصفحة
المروءة والقوافي	٦٣٣
العلوم غير الشرعية واللغوية	٦٣٧
الفلك	٦٤٣
التاريخ	٦٤٤
النعم والإيقاع	٦٤٦
مصادر ثقافة أبي العلاء	٦٥٠
الكتب التي ذكرها في تصانيفه	٦٥٣
الشعراء الذين ذكروا في كتبه	٦٥٨
القراء والحكماء والعلماء والأدباء	٦٨٤
الذين ذكروا في كتبه	
ما ألفه من الكتب والنواوين	٦٩٦
كتاب أدب الصغورين	٦٩٦
كتاب استغفر واستغفري	٦٩٧
كتاب إسعاف الصديق	٦٩٩
كتاب إقليدس النفايات	٦٩٩
كتاب الألفاظ	٦٩٩
كتاب الأنواء	٧٠٣
كتاب الأيكة والنصون	٧٠٣
كتاب أمالي من حديث الرسول ﷺ	٧١٢
أمالي أبي العلاء	٧١٢
ثقافة أبي العلاء	٥٨١
القراءة	٥٨٢
الحديث	٥٨٣
علم الكلام	٥٨٥
الفقه	٥٨٦
الفرائض	٥٨٨
النحو	٥٨٩
الصرف	٥٩٨
اللغة	٦٠٣
شهادة التبريزي في أبي العلاء	٦٠٣
طلاب أبي العلاء يختبرونه	٦٠٣
شهادة الصفدي في أبي العلاء	٦٠٤
موازنة بين ابن سيده وأبي العلاء	٦٠٤
أبو العلاء يظهر علمه في اللغة	٦٠٥
المواطن الدالة على علمه باللغة	٦٠٥
الجلل الدعائية في رسائله	٦٠٦
إظهار المعري قدرته اللغوية	٦٠٩
تفسير المعري وشروحه	٦١٢
تكملة بالأعجمية	٦١٩
ما لحقه فيه بعض العلماء	٦٢٣

الصفحة		الصفحة
٧٢٥	كتاب ذكرى حبيب	٧١٢ أمالي في تفسير شوامد الجهرة
٧٢٦	كتاب الزائف	٧١٣ كتاب مناقب الإمام علي (رض)
٧٢٦	كتاب ديوان الرسائل	٧١٣ كتاب تاج الحرة
٧٢٦	رسالة الملائكة	٧١٣ كتاب التعريف
٧٣٣	الرسالة السندية	٧١٤ كتاب تضيئ الآي
٧٣٣	كتاب رسالة المرض	٧١٤ كتاب تظلم السور
٧٣٣	رسالة المنيع	٧١٥ كتاب تعليق الجليس
٧٣٤	رسالة الإغريض	٧١٥ كتاب تفسير أمثلة سيويه
٧٣٥	كتاب الرسائل القصار	٧١٥ كتاب تفسير الهمة والردف
٧٣٥	كتاب خادم الرسائل	٧١٥ كتاب جامع الأوزان
٧٣٥	كتاب تفسير رسالة الغفران	٧١٩ كتاب الجلي والجلي
٧٣٥	شرح الرسالة الاغريضية	٧١٩ كتاب الحقيق النافع
٧٣٧	رسالة التعزية	٧١٩ كتاب الطلّ الظاهري
٧٣٧	رسالة الجن	٧٢٠ كتاب الخطب
٧٣٧	الرسالة الحصنية	٧٢٠ خطبة النصيح
٧٣٨	رسالة الضبعين	٧٢٢ كتاب تفسير خطبة النصيح
٧٣٨	رسالة الطير	٧٢٢ كتاب خطب الخيل
٧٣٨	رسالة الفلاحة	٧٢٣ خطب ختم القرآن
٧٨٨	رسالة المعونة	٧٢٣ كتاب خماسة الراح
٧٣٨	رسالة النكاح	٧٢٣ كتاب دعاء الأيام السبعة
٧٣٨	رسالة على لسان ملك الموت	٧٢٣ كتاب دعاء وحرز الخيل
٧٣٩	رسالتان إلى داعي الدعاة	٧٢٣ كتاب دعاء ساعة
٧٣٩	رسيل الراموز	٧٢٤ ديوان أبي الملاء

الصفحة		الصفحة
٧٧٢	شرح الأخبكي	٧٤٠ الرياض المصطنعي
٧٧٢	شرح الخوي	٧٤١ سجع الحمام
٧٧٢	شرح الرازي	٧٤١ رسالة الغفران
٧٧٢	شرح الخوارزمي	٧٤١ خلاصة رسالة ابن القارح
٧٧٣	شرح البارزي	٧٤٣ سبب تأليف رسالة الغفران
٧٧٣	شرح الدرا اللمتقي	وتاريخها وسبب وضعها
٧٧٤	كتاب سيف الخطبة	٧٤٦ رأي المتقدمين في سبب وضعها
٧٧٤	كتاب شرف السيف	٧٤٧ رأي المتأخرين في سبب وضعها
٧٧٥	شرح كتاب سيويه	٧٥٠ سبب اكثار المعري من المعاني العلمية
٧٧٥	شرح خطبة أدب الكاتب	٧٥٢ أبو العلاء في رسالة الغفران
٧٧٥	كتاب الصاهل والشاحج	٧٦٠ رسالة الهناء
٧٧٧	كتاب عبث الوليد	٧٦٢ كتاب السجعات العشر
٧٧٨	كتاب عون الجمل	٧٦٢ السجع السلطاني
٧٧٩	الفصول والقائيات	٧٦٣ سجع الفقيه
٧٨٥	كتاب السادن	٧٦٣ سجع المضطرين
٧٨٥	كتاب قاضي الحق	٧٦٣ سقط الزند
٧٨٥	كتاب القائف	٧٦٤ ضوء السقط
٧٨٦	منار القائف	٧٦٦ الدرعيات
٧٨٩	اللامع العزيزي	٧٦٧ مروح السقط وشراحه
٧٩٠	لزوم ما لا يلزم	٧٦٧ ضوء السقط
٧٩٠	زجر النابج	٧٦٨ شرح التبريزي
٧٩١	نجر الزجر	٧٧٠ شرح البطليموي
٧٩١	راحة الزرزم	٧٧١ شرح الواحدي

الصفحة	الصفحة
الحيال في نثره ٨١٩	كتاب الراحلة ٧٩١
الاتغراض التي تناولها في نثره ٨٢٢	كتاب ملقى السبيل ٧٩٢
المدح ٨٢٣	كتاب المواعظ الت ٧٩٣
التواضع ٨٢٣	مجموع كتبه ٧٩٩
التهنئة ٨٢٤	آخر كتب أبي العلاء ٧٩٩
الشفاعة ٨٢٥	تفنه في تسمية كتبه ٨٠٠
التعزية ٨٢٦	قننه في أشكال كتبه ٨٠٠
الوصف ٨٢٧	عنايته بآثاره ٨٠١
النقد ٨٢٩	. . .
نقد الألفاظ ٨٣١	المقالة الرابعة
وزن اللفظ واشتقاقه ٨٣٢	الكلام في نثره ٨٠٥
نقد القراءات ٨٣٥	نثر أبي العلاء ٨٠٥
النقد النحوي والصرفي ٨٣٧	لفنه وألفاظه المفردة ٨٠٦
النقد في العروض والقوافي ٨٤٧	خصائص نثره ٨٠٨
طريقة إثبات الشعر ونفيه ٨٦٨	السجع ٨٠٨
النقد الأدبي ٨٧٨	البديع في نثره ٨٠٩
التفايد والتجديد في نثره ٨٩٢	الأمثال وما يجري مجراها ٨١١
عيون نثره ٨٩٦	التاريخ ٨١٣
تقسيم نثره بحسب الزمن ٨٩٧	المسائل العلمية ٨١٤
الطور الأول وآثاره فيه ٨٩٧	النجوم ٨١٥
الطور الثاني وآثاره فيه ٨٩٨	الترادف ٨١٦
الفرق بين نثره في الطورين ٩٠٠	الاستقصاء ٨١٧

الصفحة	الصفحة
٩٤٦	٩٠١
ابتداء قوله الشعر	مميزات الطور الثاني
٩٤٨	٩٠٢
شعر أبي العلاء	ما ألفه العلماء على غرار آثاره
٩٤٩	٩٠٤
تنسيبه بحسب الزمن	أبو العلاء والشعر
٩٥٠	٩٠٤
شعره في الطور الأول	أبو العلاء وابن خلدون
٩٥١	٩٠٩
شعره في الطور الثاني	الشعر عند أبي العلاء
٩٥١	٩١٥
شعره في الطور الثالث	رأي أبي العلاء في معاني الشعر
٩٥٢	٩١٨
إبطال ما قاله طه حسين	رأي أبي العلاء في الرجز
٩٥٨	٩١٨
التقسيم القريب من الصحة	أولية الرجز ومصدره
٩٥٨	٩٢٠
العهد الأول	رأي أبي العلاء في الرجز
٩٥٩	٩٢٣
العهد الثاني	منزلة الرجز والرحاز عنده
٩٦٠	٩٢٥
ما قاله في العهد الأول	اختصاص العرب بالشعر
٩٧٢	٩٢٧
ما قاله في العهد الثاني	شعر الملائكة والجن
٩٧٦	٩٣٠
ما قاله في العهد الثاني من اللزومات	هل أبو العلاء شاعر
٩٨٥	٩٣١
آثار أبي العلاء	الوزن والقافية
٩٨٧	٩٣١
ديوان الفزل	الألفاظ المفردة
٩٩٢	٩٣٣
سقط الزند ومقدمته	الألفاظ المركبة
٩٩٢	٩٣٤
مقدمة السقط وشخصيته فيها	الغريب في شعره
٩٩٤	٩٣٥
سقط الزند	التشبيه
٩٩٥	٩٣٦
نسخ السقط	الاستعارات
٩٩٥	٩٣٧
أسلوبه في السقط	الأمثال والحكم
٩٩٦	٩٣٨
الغريب في شعره	المعاني المبتكرة
٩٩٦	٩٤٤
اللعن	أبو العلاء شاعر خنثيد
٩٩٧	٩٤٥
الانقصاب	أبو العلاء معرق في الشعر

الصفحة		الصفحة
٩٩٨	جمال الديباجة	١١٣٢
٩٩٨	التشبيه في شعره	١١٣٥
١٠٠٥	الاستعارات	١١٣٨
١٠٠٧	الكتابات	١١٣٨
١٠٠٨	المعاني	١١٣٨
١٠١٢	المبالغة في شعره	١١٣٩
١٠١٨	أنواع البديع	١١٤٢
١٠٢٤	شخصية المعري في السقط	١١٤٥
١٠٤٠	ما يستنتج من السقط	١١٤٧
١٠٤٥	أخذ أبي العلاء من غيره	١١٥٠
١٠٥٦	سقط الزند	١١٥٣
١٠٥٦	أغراض سقط الزند	١١٥٦
١٠٥٦	الغزل	١١٥٨
١٠٥٨	المدح	١١٦١
١٠٦٠	الحلائق التي مدح بها بمدوحه	١١٦٢
١٠٦٥	التهنئة	١١٦٤
١٠٦٩	الاستعطاف والاعتذار	١١٦٥
١٠٧٠	الثناء	١١٦٦
١٠٩٢	الفخر	١١٦٦
١١٠١	الهجاء	١١٦٨
١١٠٢	الوصف	١١٧٢
١١١٧	الحكمة والمثل	١١٧٣
		أغراض السقط الأخرى
		خيال المعري في السقط
		لزوم ما لا يلزم
		نشأة اللزوم وتدرجه
		اللزوم في العصر الجاهلي
		اللزوم في العصر الأموي
		اللزوم في العصر العباسي
		مقدمة لزوم ما لا يلزم
		ترتيب لزوم ما لا يلزم
		مقنن نظم المعري اللزوميات
		شخصية المعري في اللزوميات
		أسلوب المعري في اللزوميات
		لغة المعري في اللزوميات
		اللعن
		قوة التأليف والطلاوة فيه
		التشبيه
		الاستعارات
		الكتابات
		المعاني
		تكرير المعاني في شعر المعري
		المبالغة في اللزوميات
		البديع في اللزوميات

الصفحة		الصفحة
١٢٠١	نسخة لزوم مالا يلزم التي وصلت اليها	١١٨٠
١٢٠٢	الزيادة والنقص والتحريف والتصحيح	١١٨١
١٢٠٣	الشرح والتفسير	١١٨٤
١٢٠٣	شخصية العربي في لزوم مالا يلزم	١١٩٠
١٢٠٣	تراخيه وتعففه	١١٩٠
١٢٠٤	كرمه	١١٩٢
١٢٠٥	تدمره من قلة المال	١١٩٣
١٢٠٦	تدمره من اتهامه بالغي	١١٩٣
١٢٠٧	تدمره من قلة حظه	١١٩٤
١٢٠٨	قناعته في مطعمه وملبسه	١١٩٤
١٢٠٨	عدم قبوله نعمة من أحد	١١٩٥
١٢٠٩	تدمره من اعتلال جسمه	١١٩٥
١٢٠٩	تدمره من العمى	١١٩٦
١٢١٠	تبرمه بالجديري	١١٩٧
١٢١٧	تضجره من ذهاب أسنانه	١١٩٧
١٢١٩	تضجره من الدنيا	١١٩٨
١٢٢١	تبرمه بالحياة	١١٩٨
١٢٢٢	ضجره من طول الحياة	١٢٠٠
١٢٢٢	صبره على قلة المال وكثرة الأرزاء	١٢٠٠
١٢٢٥	تجلده حتى لا يثبت به خصومه	١٢٠١
١٢٠١	عدم أسفه على الفشل	
١٢٠٢	تدمره من ولادة الأمر	
١٢٠٣	تضجره من العلماء الفقهاء	
١٢٠٣	تبرمه بالنساء	
١٢٠٣	تبرمه بالأصحاب	
١٢٠٤	تبرمه بالناس	
١٢٠٥	تضجره من البلاد	
١٢٠٦	تبرمه بالناس ومصاحبتهم	
١٢٠٧	رفق العربي بالإنسان	
١٢٠٨	رفقه بالحيوان	
١٢٠٨	إيمانه وتقاه	
١٢٠٩	وقاره	
١٢٠٩	اعتداده بنفسه	
١٢١٠	مرقة الشعراء أقواله	
١٢١٧	سعة علمه	
١٢١٩	النقد	
١٢٢١	الحكم والأمثال	
١٢٢٢	ابتكار المعاني	
١٢٢٢	الخيال	
١٢٢٥	فهرس الكتاب	

استدراك

١ - عند الكلام على كتاب : زجر النابح ، في الصفحة ٧٩٠ فالتنا
أن نعلق على ما كتبه المؤلف بما يلي :

عثر الدكتور أجمد الطرابلسي على جزء صالح من هذا الكتاب على
هامش إحدى نسخ اللزوميات الموجودة في المتحف البريطاني ، وتحدث عن
هذا الجزء ونشر صفحات منه في مؤتمر المشرقين المنعقد في بريطانيا .
ونرجو أن يُتم تحقيق ما عثر عليه وينشره كاملاً في وقت قريب .

٢ - في الصفحة ١٠٣٢ س ٤ :

..... اليك الأمان ما حَلُمْتُ بِبَغَائِلِ
كذا جاء في الشروح . ولكن رواية التنوير على السقط : (ما حَلُمْتُ
بِبَغَائِلِ) ولعلها الصواب .

الناشر

الناشئ

